كتاب الحوادث

لمؤلف من القرن الثامن الهجري

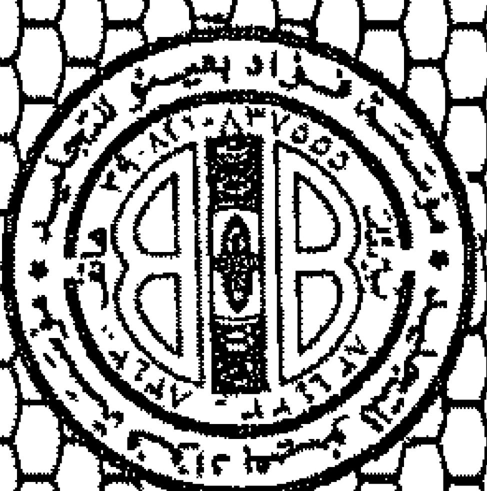
وهو الكتاب المسمّى وهمًا بالحوادث الجامعة والتجارب النافعة
والمنسوب لابن الفوطي

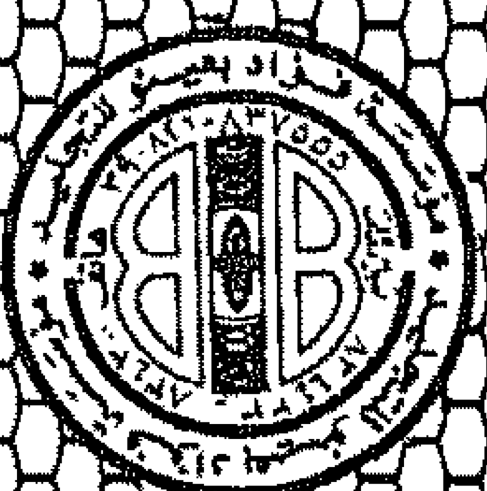
حققه وضبط نصه وعلق عليه

الدكتور بشار عواد معروف

الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

دار الغرب الإسلامي





كِتَابُ الحَوَادِثِ

كتاب الحوادث

لمؤلف من القرن الثامن الهجري

وهو الكتاب المسمى وهماً بالحوادث الجامعة والتجارب النافعة
والمنسوب لابن الفوطي

حققه وضبط نصه وعلق عليه

الدكتور بشار عواد معروف | الدكتور عماد عبد السلام رؤوف



دار الغرب الإسلامي

الطبعة الأولى

دار الغرب الإسلامي
ص. ب. 5787 - 113 بيروت

مُقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، نَحْمَدُهُ ونَستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرورِ أنفُسِنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن أسوتنا وإمامنا وقدوتنا وشفيعنا محمداً عبدُهُ ورسولُه، بعثه الله بالهُدى ودين الحق ليظهره على الدين كُلِّه ولو كره المشركون، فبلَّغَ الرسالةَ، وأتم به اللهُ النِّعمةَ فرضي لنا الإسلام ديناً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد،

فيسعدنا أن نقدم لعشاق التاريخ العربي الإسلامي من الدارسين والباحثين والعلماء وطلبة الدراسات التاريخية «كتاب الحوادث» الذي نُشر منذ أربعة وستين عاماً غلطاً باسم «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة» ونُسِبَ يومئذ وَهْماً لمؤرخ العراق الشهير كمال الدين عبدالرزاق بن أحمد الشيباني المعروف بابن الفوطي «٦٤٢-٧٢٣هـ»، بعد أن حققناه تحقيقاً علمياً دقيقاً متقناً، وضبطنا نصه بمقابلته على أصله، وبعرضه على أمهات التواريخ المستوعبة لعصره ومصره، وعلقنا عليه بفرائد الفوائد التي تُجَلِّي نصه وتفصح عن مقاصده، لتعم فوائده وتُرتجى عوائدُه على أحسن وجه.

أهمية الكتاب

ويُعد «كتاب الحوادث» من أوسع التواريخ التي تناولت تاريخ العراق بعد الغزو

المغولي وإلى نهاية المئة السابعة للهجرة، بل يكاد أن يكون المصدر الوحيد لكثير من الحوادث التاريخية التي مرت بها بغداد في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وآية ذلك أن المؤرخين الشاميين والمصريين لم يُخَصِّصوا مساحة جيدة في تواريخهم لأخبار العراق بعد سقوط الخلافة العباسية مع استيعاب تواريخهم لكثير من الحوادث القليلة الأهمية في البلاد الشامية والمصرية، واتساع هذه التواريخ اتساعاً لم نعهده في التواريخ السابقة، مثل «ذيل مرآة الزمان» لقطب الدين اليونيني المتوفى سنة ٧٢٣هـ، و«المقتفي لتاريخ أبي شامة» لعلم الدين البرزالي المتوفى سنة ٧٣٩هـ، وتاريخ شمس الدين ابن الجزري المتوفى سنة ٧٣٩ هـ أيضاً والمسمى «حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه»، و«تاريخ الإسلام» لشمس الدين الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، وغيرها، لعدم وصول الأخبار من العراق إليهم، وصعوبة الاتصال برجالاته، ولكون هذا البلد أصبح ولاية تابعة لدولة كافرة، معادية لدولة الإسلام في مصر والشام، هي الدولة الإيلخانية.

ومما يزيد في قيمة هذا الكتاب ويعليها أن مؤلفه ينقل من أعظم موسوعتين في تاريخ العراق عامة وبغداد خاصة لم تصلا إلينا، الأولى هي: التاريخ الوسيع الذي كتبه مؤرخ العراق تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب المعروف بابن الساعي خازن الكتب بالمدرسة المستنصرية والمتوفى سنة ٦٧٤هـ، وهو تاريخ ضخم مفصل مرتب على السنين توسع مؤلفه في ذكر الحوادث توسعاً كبيراً دلت عليه بعض ما اقتبسته منه كتب أخرى مثل «العسجد المسبوك» للملك الأفضل الغساني، و«تاريخ الإسلام» للذهبي، و«البداية والنهاية» لابن كثير وغيرها. والموسوعة الأخرى هي: كتاب «روضة الأريب في التاريخ»، أي تاريخ بغداد، للشيخ العلامة ظهير الدين علي بن محمد الكازروني المتوفى سنة ٦٩٧هـ وهو في سبعة وعشرين مجلداً[(١)] ، وهو كتاب أكثرَ الذهبيُّ النقلَ منه بعد انتهائه من كتابة تاريخه سنة ٧١٤هـ، فكأنه ما وقع له إلا بعد هذا التاريخ إذ نجد المادة المستفادة منه قد ألحقها المؤلف الذهبي بحواشي نسخته التي بخطه. ونتيجة لهذا النقل الصريح ومقابلة المادة المنقولة تبين لنا أن صاحب الكتاب المسمى بالحوادث قد أكثر النقل منه أيضاً وإن لم يصرح بذلك في

---

(١) انظر وفيات سنة (٦٩٧) من تاريخ الإسلام للذهبي، بخطه (مجلد أيا صوفيا ٣٠١٤)، وهو غير المختصر الذي حققه الدكتور مصطفى جواد، وطبع بعد وفاته بمشاركة الأستاذ سالم الآلوسي.

الأغلب الأعم.

ونتيجة لهذه الأهمية قام السيد نعمان الأعظمي الكتبي صاحب «المكتبة العربية» بنشره سنة ١٣٥١هـ-١٩٣٢م وطبع بمطبعة الفرات، وأشرف على طبعه يومئذ شاب ذكي ألمعي مولع بالكتب التاريخية هو السيد مصطفى جواد الذي صار فيما بعد واحداً من أبرز علماء العراق وأدبائه ومؤرخيه ومن أكبر محققيه. وصَدَّرَه السيد نعمان الأعظمي بمقدمتين إحداهما للشيخ محمد رضا الشبيبي والثانية بقلم المشرف على طبعه مصطفى جواد رحمهما الله تعالى. وقد نشر الكتاب من غير تحقيق دقيق وإنما كانت الغاية تكثير نسخه وتوفيرها حسب، فحقق نشر الكتاب على تلك الشاكلة الغاية المرجوة وقتئذ، لكن نسخه المطبوعة اليوم صارت نادرة كندرة المخطوطات، لقلة ما طبع منه حينئذ، وتطاول الزمان عليها.

اسم الكتاب ومؤلفه

وقد بين أستاذنا العلامة الدكتور مصطفى جواد في مقدمته التي كتبها لهذا الكتاب سنة ١٩٣٢م كيفية العثور على نسخته الخطية والداعي إلى تسميته بالحوادث الجامعة ونسبته لمؤرخ العراق ابن الفوطي، فقال رحمه الله: «وأول من نسبه في عصرنا إلى مؤلفه المذكور صديقنا المفضال المحقق يعقوب نعوم سركيس البغدادي فإنه رأى في مجلة العرفان الصيداوية[١] قول المحقق الفاضل عيسى إسكندر المعلوف «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة» للشيخ كمال الدين عبدالرزاق المعروف بابن الفوطي، فرأى عنوانه وقرنه منطبقين كل الانطباق على هذا المخطوط المغفل اسم مؤلفه الذاهب منه حوادث خمس وعشرين سنة وبعض سنة ست وعشرين بعوارض الزمان. وقد جاء في مجلة المشرق[٢] مقالة للقانوني جرجس صفا عنوانها: «كتبي المخطوطة» تطرق فيها إلى ذكر المستنصرية ووصف ساعتها العجيبة بخصوص بحث عن مؤلف لابن الساعاتي، وكان نقله عن «الحوادث الجامعة» إلا أنه لم يذكره. ونشر الأب شيخو في المشرق أيضاً[٣] تكامل بناء الإيوان الذي أنشىء مقابل المدرسة المستنصرية للساعات، وذكر أن مصدره «كتاب

(١) العرفان ١١/ ١٢٥(١٣٤٥=١٩٢٦).
(٢) المشرق ٥/ ١٦٤-١٦٥(١٩٠٢).
(٣) المشرق ١٠/ ٨٠(١٩٠٧).

قديم» ولم يكن ذلك إلا الحوادث الجامعة.

ثم نشر جرجس صفا مقالة ثانية سماها: «تعريف ببعض مخطوطات مكتبتي» وذلك في المشرق[1] فوصف فيها كتاباً في التاريخ، وما ذلك الكتاب إلا هذا، وكان قد قال في وصفه:

«تاريخ، خط جميل قديم، قطع كامل نحو مئة ورقة، مخروم من أوله، ومؤلفه مجهول. وقد قابلت هذا الكتاب على عدة كتب تاريخية فلم أجد أنه واحد منها. وظاهر منه أنه بخط مؤلفه بدليل الضرب على بعض أسطر منه وكتابة بدلها بالخط نفسه، وإلصاق بعض أوراق على ما كان كتب، والكتابة عليها غير ما كان، وترك بعض الصفحات أو فسحة بياضاً مما يؤيد أن الكتاب مسودة المؤلف نفسه... وفي آخر الكتاب نبذة قال المؤلف: إنه نقلها من كتاب مناقب بغداد الذي ألفه الشيخ جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن الجوزي».

ثم نشر الأب شيخو في المشرق[2] مقالة بعنوان: «شذرات تاريخية من صحائف منسية»، وقال: إنه نقلها من «تاريخ قديم» كان قد وصفه جرجس صفا في مخطوطاته، وروى أن الكتاب بيد المفضال المرحوم أحمد باشا تيمور بمصر[3]. ولم تكن تلك الصحائف المنسية إلا «الحوادث».

قلنا[4]: وسبب تملك أحمد باشا تيمور لهذا الكتاب هو أن الفاضل يوسف أليان سركيس الكتبي بمصر اشتراه له من جرجس صفا. وفي سنة ١٩٢٢ أهدى الباشا المذكور إلى العالم اللغوي الأب أنستاس الكرملي نسخة من هذا المخطوط واستنسخها عليه، فانتسخ عليها نسخات عدة جماعة من المعنيين بالتاريخ من البغادّة ومنها نسختنا. ثم أهدى الباشا رحمه الله نسخة فوتوغرافية إلى مكتبة الأوقاف العراقية ببغداد، وهي التي كنا نقابل نسختنا بها عند الالتباس والتحريف والتصحيف».

وكان أستاذنا العلامة الدكتور مصطفى جواد ـ رحمه الله تعالى ـ قد شايع يومئذ

---

(١) المشرق ١٦/٤٤٢(١٩١٣).
(٢) المشرق ١٨/٥٩٦(١٩٢٠).
(٣) راجع لغة العرب ٥/٢١٨ وما بعدها.
(٤) القائل هو العلامة مصطفى جواد.

الباحث العراقي يعقوب سركيس والشيخ محمد رضا الشبيبي في تسمية الكتاب «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة» وفي نسبته إلى مؤرخ العراق كمال الدين عبدالرزاق بن أحمد الشيباني المعروف بابن الفوطي صاحب الكتاب المشهور «تلخيص مجمع الآداب» الذي وصل إلينا منه المجلدان الرابع والخامس بخطه.

فلما تقدم في العلم وزاد اطلاعه وتوسعت معارفه واطلع على كتاب «تلخيص مجمع الآداب» لابن الفوطي وجد أن هذا الاسترجاح لم يُبْن على أسس قوية وأدلة متينة، فحكم باستحالة نسبة الكتاب إليه، قال في تعقباته النفيسة على كتاب «مؤرخ العراق ابن الفوطي» الذي ألفة الشيخ الشبيبي: «ثم تبين لي أنه ليس الحوادث الجامعة ولا يمكن أن يكونه أبداً ولو على ظن ضعيف، وذلك لاختلاف الخطين[1] وتباين الأسلوبين، واختلاف مناحي الكتابين في ذكر التراجم، وخفاء ذاتية مؤلف الحوادث وظهور ذاتية ابن الفوطي في «تلخيص معجم الألقاب»، ولكون «الحوادث الجامعة» مؤلفاً في الوفيات كما جاء في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب وكشف الظنون لحاجي خليفة[2] ، ولأن مؤرخاً من المؤرخين الذين عاصروه أو الذين جاءوا بعده لم ينقل منه ولا ذكره في غير ترجمة المؤلف، أي ابن الفوطي، حتى شمس الدين الذهبي، وقد كان أعلم المؤرخين في تآليف ابن الفوطي وأنقلهم منها وأوقفهم عليها»[3] .

وقد عضد رأيه هذا بعشرات الأمثلة التي ساقها في تعقباته المذكورة، وهو الصواب الذي لم يكن يحتاج إلى كل هذا اللَّجَاج من الشيخ الشبيبي ـ رحمه الله ـ في تمسكه بنسبة الكتاب إلى ابن الفوطي. ثم أعاد العلامة الدكتور ـ رحمه الله ـ نفي هذه النسبة في مقدمته للمجلد الرابع الذي نشره من «تلخيص مجمع الآداب» لابن الفوطي سنة ١٩٦٢[4] .

---

(١) إنما قال ذلك باعتبار أن الكتاب بخط مؤلفه، متابعة منه لجرجس صفا الذي وصفه في مجلة المشرق.

(٢) هذا دليل غير جيد، فالمؤرخون قد يطلقون «الوفيات» على الكتب المرتبة على السنين ممن تضمنت الحوادث والوفيات، كما هو في إطلاقهم الوفيات على كتاب «المقتفي لتاريخ أبي شامة» لعلم الدين البرزالي المتوفى سنة ٧٣٩هـ مع أنه حوى الحوادث والوفيات.

(٣) مجلة المجمع العلمي العراقي ٦/ ٣٧٢(١٩٥٩).

(٤) نشرته وزارة الثقافة السورية في أربعة مجلدات (١٩٦٢-١٩٦٥).

وقد حاول العلامة الدكتور أن يثبت من نصوص ساقها من كتاب الحوادث أن مؤلف الكتاب كان معاصراً لبعض الأحداث المذكورة في أواخر المئة السابعة[1] ، لكنه في واقع الأمر حمَّل هذه النصوص أكثر مما تحتمل، واستند إليها وكأنها من صياغة المؤلف، في حين ترجح عندنا أنها من صياغة الظهير الكازروني المتوفى سنة ٦٩٧هـ، كما تبين لنا مما نقله مؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبي منه، وأن مؤلف الكتاب إنما نقلها من تاريخ الكازروني أيضاً.

ثم حاول أن ينسب الكتاب ـ من باب الاسترجاح ـ إلى بعض مؤرخي العراق ممن عاش في النصف الأول من القرن الثامن الهجري لكنه لم يستطع أن يقدم دليلاً قاطعاً يثبت به النسبة إلى واحد منهم.

كما حاولنا نحن أيضاً أن نجد دليلاً على ترجيح نسبة الكتاب إلى أحد المؤرخين ولكننا لم نجد من الأدلة ما يعيننا على ذلك.

وإذ كان الأمر كذلك فليس أمامنا إلا التسليم بجهالة مؤلف الكتاب في الوقت الحاضر، ومن ثم جهالة اسم الكتاب أيضاً. على أننا تجوزنا فأطلقنا عليه اسم «كتاب الحوادث» لاشتهاره بين الدارسين بهذا الاسم من جهة، ولموافقته مضمون الكتاب من جهة أخرى، مع إشارتنا إلى خطأ عنوانه السابق ونسبته إلى ابن الفوطي.

نهج العمل في التحقيق

كان أستاذنا العلامة الدكتور مصطفى جواد ـ طيب الله ثراه ـ قد أشرف على نشر هذا الكتاب وهو لَمَّا يزل في أول شبابه، معلماً في إحدى المدارس الإبتدائية، لم يرتق بعد في مدارج العلم والتحقيق والتدقيق، ولم يبلغ المنزلة التي بلغها فيما بعد حينما صار علامة العراق المشار إليه في الآفاق بالمعارف المتنوعة والقُدرة الفائقة على فهم النصوص وتَجْلِيتها والوقوف على مناجِمِها، لذلك جاءت نشرته لهذا الكتاب مليئة بالتصحيف والتحريف والسَّقَط مما شَوَّه المطبوع وأقَلَّ قيمته.

ومما زاد الطين بلة أن العلامة الدكتور اعتمد في نشرته هذه على نسخة منتسخة عن الأصل، وليس على الأصل نفسه، بل أقصى ما أدعاه هو أنه كان يقابل نسخته بالأصل «عند الالتباس والتحريف والتصحيف»، كما صرح به في مقدمته وكما أبانت

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي ٦/ ٥٣٧-٥٤٢.

عنه عشرات التعليقات التي علقها في حواشي الكتاب حينما كان يقترح قراءة معينة مخالفة للأصل ـ فيما يظن ـ وتكون هي بعينها التي في الأصل، كما بيناه في بعض تعليقاتنا، مما يدل على عدم مراجعته للأصل المخطوط في الأغلب الأعم.

ويظهر أنه ـ رحمه الله ـ لم يكن راضياً عن هذه النشرة، بدلالة الاعتذار الذي كتبه في المقدمة، وأنحى فيه باللائمة من طرف خفي على الناشر حينما قال: «كنا قد أعددنا تعاليق جمة لإلحاقها بهذا الكتاب لتفسير المبهم وتفصيل المقتضب واستدراك المغفل ومطابقة المواضع الحديثة على القديمة، لكن الأستاذ الجليل نعمان الأعظمي الكتبي المنفق على طبعه خدمة للأدب والتاريخ العربيين لم يشأ تضخم الكتاب وتصعيبه على التاريخيين والطلاب، فاكتفينا بما يراه القارىء من التفسير وبعض التفصيل ونادر الاستدراك وقليل الإعجام للمواضع، ونقطنا وأصلحنا كثيراً من الكلمات المهملة المصحفة ولم نشر إلى ذلك اللهم إلا إلى ما يقتضي تبديل الكلمة تماماً فإننا لم نر بداً من اللمح إليه».

لذلك رأينا من أهم الواجب علينا إعادة تحقيق هذا الكتاب على المنهج الذي عَلَّمَناه شيخُنا العلامة مصطفى جواد ـ يرحمه الله ـ فأعدنا مقابلة الكتاب على نسخته الأصلية الموجودة صورتها بخزانة الأوقاف ببغداد، واستفرغنا الجهد واستنفدنا الوسع في صحة القراءة، وإتقان الضبط، وتقييد النص بالحركات، ومقابلة نصوص الكتاب على أمهات الكتب التاريخية وفي مقدمتها «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» لمؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبي الناقل من الموارد نفسها التي نقل منها صاحب الكتاب، معتمدين نسخته التي بخطه، ومنها كتاب «تلخيص مجمع الآداب» لمؤرخ العراق ابن الفوطي، و«المقتفي لتاريخ أبي شامة» لعلم الدين البِرزالي، وعشرات المصادر التاريخية والأدبية واللغوية والبلدانية والتراجمية مما ذُكِرَ في حواشي طبعتنا هذه.

ولما كانت النسخة الخطية الفريدة قد وقع فيها تقديم وتأخير في تنظيم أوراقها ومادتها العلمية، فقد بذلنا جهوداً مضنية في إعادة ترتيب الحوادث التاريخية وإصلاح الغلط الواقع في غير ما موضع من الكتاب حتى استقامت على الوجة الذي ينبغي أن تكون عليه، كما هو واضح في تعليقاتنا على تلك المواضع من الكتاب.

ثم علقنا على الكتاب تعليقات تعضد ضبط النص وتقييده تقييداً محكماً، فضلاً

عن تعليقاتنا بما رزقنا الله تعالى من علم في هذه المدة من تاريخ العراق رَأَيْنا من الواجب أن نشرك فيه أخواننا من الدارسين والباحثين، ولاسيما في الخطط البغدادية وتحديد المواضع المعروفة يومذاك بالمواضع المعروفة اليوم، من مدارس، وربط، وقصور، وشوارع، ودروب، ومحلات، وأسواق، وتُرب، وضياع، وبساتين، وأسوار، وغيرها من العمائر المعروفة يومذاك ومما اندرس اليوم، وهو عِلْمٌ قَلَّ العارفون به المطلعون على أصوله ومناجمه وخباياه، فجاءت تعليقاتنا هذه لتعيد صورة بغداد القديمة فتنزلها على صورتها الحديثة، ولو لم يكن فيه إلا هذا لكان وحده غاية.

ومن يطلع على مجمل تعليقاتنا على هذا الكتاب ويتدبرها يدرك الجهد المبذول في خدمته من حيث الدقة والضبط والإتقان، حيث لم نأل جهداً في العناية التامة به.

ثم زَيَّنَّا الكتاب بفهارس متنوعة تيسر لطلبة العلم الإفادة منه على أحسن وجه، فعملنا فهرساً للأعلام الذين ترجم لهم صاحب الكتاب، ورتبناهم على حروف المعجم مع العناية بذكر سنة الوفاة والصفحة التي جاء فيها، ثم فهرساً للأعلام الواردة عرضاً، ثم فهرساً آخر للكتب المذكورة في المتن، وفهرساً للأمكنة والبقاع، ثم ختمنا هذه الفهارس بفهرس حضاري عظيم النفع للباحثين والدارسين يجدون فيه طلبتهم بأيسر طريق.

وإذ أنهينا تحقيق هذا الكتاب وقضينا معه وقتاً ليس بالقصير، فإننا لندرك العبر العظيمة التي حواها، والقيم التي يمكن أن يستفيدها العاقل من تدبر حوادث الزمان، فقد وجدنا فيه أُناساً رجوا الآخرة بغير عمل، وقالوا في الدنيا قول الزاهدين لكنهم عملوا فيها عمل الراغبين، فتنافسوا على حطامها، ولم يدركوا قدر النعمة التي أُعطوها، بل عجزوا عن شكر ما أُوتوا، فعمهم البلاء وصاروا إلى هلاك وبوار.

اللهم اجعلنا من عبادك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، الذين إذا ابتلوا صبروا، وإذا عوفوا شكروا، وهب لنا من أمرنا رشداً. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتب بمدينة السلام في غرة جمادى الآخرة سنة ١٤١٧هـ الموافق لسنة ١٩٩٦م.

المحققان



لما حدم الخليفة الى المارستان العضدي ومعه عبد العزيز [illegible]
الحوايج التي في المخزن فسال صاحب المخزن خازن المارستان [illegible]
[illegible] هذه الحوايج مرضى المارستان فاتفقوا على ان [illegible]
ابن القبيطي ان المارستان خال من حوايج وانه يشتري مصالح [illegible]
ثم امر به فصفع الى ان وقع الى الارض [illegible]
مسلسلا وافرج عنه بعد شهر   وفي غرة رجب المبارك [illegible]
بالمدرسة وفتح الرباط المستجد بدار الروم الذي انشاه الخليفة المستعصم [illegible]
مجاور للمسجد ذي المنارة الذي امر بعمارته واسكنه جماعة من الصوفية [illegible]
شيخهم الشيخ الصالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر [illegible]
الجماعة [illegible]   وفيه استدعي حسام الدين محمود [illegible]
الريحاني مدرس النظامية الى دار الوزارة فاخذ وهو على البغلة [illegible]
وعزل وتوجه الى داره بغير طرحه ورتب عوضه عماد الدين [illegible]
السلامي المعروف بابن الحسين وخلع عليه واقر على [illegible]
المطالب بعقد الاصطناع وعلى المدرسة الاسبهبذية [illegible]
وفيه احضر ابو القسم علي بن البوري الى باب النوبي وضرب [illegible]
وقطع لسانه وحمل الى حبس الديوان وكان شابا حسن الصورة [illegible]
نقل عنه ما اقتضت السياسة ان يعمل به ذلك نعوذ بالله [illegible]
والنهار   وفي شعبان تكامل بنا المشهد المسجد بالجانب [illegible]

راموز الورقة الأولى من الأصل

سنه سبع مايه

وفي المحرم [illegible] السلطان غازان الى بلاد الشام في جموع تملا الفضا الاقصى
[illegible] طرق شتى وسار هو على الموصل وعبر الفرات فلقيت مقدمته
[illegible] عسكر الشام فقاتلوهم فانهزم الشاميون وغنم المغول سوادهم
وعلوفتهم فغلا الاسعار واشتد و[illegible] نوار الغيوث وشدة البرد ودوام
ذلك حتى امتنعوا من الحركة وتلفت خيولهم وقلت الميرة عليهم فحمل السلطان
على الجموس الامير قتلغ شاه وتوجه الى سنجار فاقام قتلغ شاه الى رجب
فلم يخرج اليه احد من عسكر الشام ومصر فانهى ذلك الى السلطان فاذن
له في العود ورحل السلطان من سنجار عايدا الى بلاده   وفيها
توفي الملك الامام الذي يحيى [illegible] القزويني صاحب ديوان بغداد بالحلة وحمل
الى بغداد ودفن في تربته [illegible]
الدين العراق [illegible]

راموز الورقة الأخيرة من الأصل

بسم الله الرحمن الرحيم

(بقية سنة ست وعشرين وست مئة)[1]

... أحد خَدَم الخليفة إلى المارستان العَضُدي[2] ، ومعهم عبدالعزيز ابن القُبَّيْطي[3] ، واعتُبِرت الحوائج التي في الخَزْن[4] ، فسأل

(١) العنوان الموضوع بين العضادتين من عندنا حيث تبدأ النسخة من بقية هذه السنة، كما بينا في المقدمة.

(٢) هو أكثر مارستانات (مستشفيات) بغداد سعة وأوقافاً وشُهرة في العصر العباسي، أمر بإنشائه عضد الدولة فناخسرو بن الحسن بن بويه، وافتتح في صفر سنة ٣٧٢(المنتظم ٧/ ١١٢)، واختار موقعه عند طرف الجسر من الجانب الغربي، قريباً من باب خراسان (في موضع قريب من جسر الصرافية الحالي من أعلاه). وقد شملت مبانيه بقايا قصر الخُلْد الذي بناه المنصور هناك. وكان يتألف من مجموعة من البنايات الواسعة التي يأوي إليها المعوزون من المرضى رغبة في الشفاء، فضلاً عن بناية خاصة بالمجانين. وكان مزوداً بكل ما يحتاجه المرضى من آلات وأدوية وأشربة وأغذية، وفيه عدد كبير من الأطباء والقَوَّامين والخَزَنة والخدم وغيرهم. وقد نشأت حوله في عهد ابن جبير محلة نسبت إليه، وصفها بأنها «مدينة صغيرة». ولبث المارستان عامراً حتى احتلال المغول بغداد، حيث اتخذوه قاعدة لهجومهم عليها. (ذيل تاريخ مسكويه ١/ ٦٩، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة١/ ٣٢٠، ورحلة بنيامين التطيلي١٣٤، ورحلة ابن جبير١٧٩).

(٣) هو أبو البركات عبدالعزيز بن محمد بن علي بن حمزة الحراني الأصل البغدادي المولد والدار، من بيت معروف، ولد سنة ٥٦٣هـ وتوفي سنة ٦٣٤هـ، والقبيطي قيدها زكي الدين المنذري بالحروف فقال: «بضم القاف وبعدها باء موحدة مفتوحة مشددة وياء آخر الحروف ساكنة وطاء مهملة مكسورة، وياء النسب» (التكملة لوفيات النقلة ٣/ الترجمة ٢٩١١والتعليق عليها)، ومن الغريب أن المصنف لم يترجم له في كتابه هذا.

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «المخزن».

صاحبُ المخزن خازنَ المارستان والطبيبَ والقَوَّامَ: كم تكفي هذه الحوائج مرضى المارستان؟ فاتفقوا على أن تكفي[1] سنةً، فقال: قد أنْهَى ابنُ القُبَّيْطي أنَّ المارستان خالٍ من حوائج وأنَّه يُشْتَرَى ما يحتاجُ إليه المرضى، ثم أَمَرَ به فصُفعَ إلى أن وقعَ إلى الأرض، وتقدَّم بحمله إلى حُجْرَة المجانين، فحُبسَ بها مُسَلْسلاً، وأُفرجَ عنه بعد شهر.

وفي غُرَّة رَجَب المبارك فُرِّقَت الرسومُ بالبَدْريَّة[2]، وفُتحَ الرباط المُسْتَجَد بدار الرُّوم[3] الذي أنشأهُ الخليفة المستنصر بالله مجاور المسجد ذي المنارة الذي أَمَرَ بعمارته، وأسكنَهُ جماعةً من الصوفية، وجعلَ شيخَهُم الشيخ أبا صالح نصر بن عبدالرزاق بن عبدالقادر، وخُلعَ عليه وعلى الجماعة، وعُملَت به دَعْوةٌ[4].

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «يكفيهم».

(٢) من محلات بغداد الشرقية، تُنسب إلى باب بدر، المعروف قديماً بباب الخاصة، وهو أحد أبواب دار الخلافة العباسية، وبدر هذا هو مولى الخليفة المعتضد بالله العباسي (٢٧٩-٢٨٩هـ)، وكان موكلاً بالباب المذكور فعرف به. ومن الثابت، بحسب خطط بغداد، أن موقع الباب كان قريباً من المدرسة المرجانية المبنية بعده بعدة قرون، في مدخل سوق الشورجة الحالي، فتكون المنطقة المقابلة له، وهي المعروفة اليوم بتحت التكية، في موقع محلة البدرية المذكورة.

(٣) محلة واسعة كانت تقع عند الجزء الأسفل من نهر المهدي تلاصق محلة الشماسية، قال ياقوت: «إن دار الروم كانت تقع في جوار محلة الشماسية ولا تبعد كثيراً عن قبور الخلفاء في الرصافة» (معجم البلدان ٢/ ٧٨٣و ٣/ ٣١٧). فالشماسية هي الصليخ الحالية، والرصافة هي الأعظمية، فتكون دار الروم بين هاتين المحلتين. وسميت بدار الروم لأن الخليفة المهدي أتى بأسرى حرب من الروم بين سنة ١٥٨و١٦٩هـ فأقاموا في هذا الموضع وشيدوا بيعةً لهم هناك. ولبثت هذه المحلة قائمة باسمها حتى المئة الثامنة. (ابن طباطبا: الفخري، ط غوتا١٨٦٠ص١٩٠).

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «الدعوة».

وفيه استُدْعي شهابُ الدين محمود بن أحمد الزَّنْجاني مدرسُ النِّظامية[١] إلى دار الوزارة فأُخذ وهو على السُّدّة[٢] يذكرُ الدروس، وعُزل وتَوَجه إلى داره بغير طَرْحةٍ[٣]. ورُتِّب عِوَضه عمادُ الدين أبو بكر محمد بن يحيى السَّلاَّمي المعروف بابن الحُبَيْر[٤] وخُلِعَ عليه، وأُقِرَّ

---

(١) هي المدرسة التي طبقت شهرتها الآفاق، وأعظم مدارس بغداد في القرن الخامس على الإطلاق، منسوبة إلى مؤسسها الوزير السلجوقي نظام الملك، وزير ألب أرسلان وابنه ملك شاه، شرعَ ببنائها في ذي الحجة سنة ٤٥٧هـ، وتم افتتاحها للدراسة يوم السبت عاشر ذي القعدة من سنة ٤٥٩ هـ. وكانت تقع في موضع قريب من دجلة، وإن لم تطل عليه، بين المدرسة المستنصرية شمالاً ودار الخلافة العباسية جنوباً. وأول هذين المعلمين شاخص إلى اليوم. والآخر معلوم الموقع، فهي إذن مطلة على سوق المدرسة، الواصل بينهما، ومن الثابت خططياً أنها كانت مجاورة من جهة الجنوب لسوق العِطْر (سوق الكبابجية حالياً) ومن جهة الشمال درب السلسلة (سوق الزنجير اليوم) فهي استناداً إلى ذلك في الأرض الواقعة بين هذه الدروب، وتشغلها اليوم دكاكين عدة، وبقي منها إيوان وحيد لمحل يحمل اسمها (النظامية) إلى وقت قريب، وكان مكتباً للصبيان، وهو اليوم مسجدٌ صغير في شرقي المكان الذي كانت تشغله المدرسة المذكورة. استمر التدريس قائماً في النظامية حتى أوائل القرن التاسع للهجرة، كما تدل تراجم مدرسيها، وكانت مخصصة- بحسب شرط الواقف- لمذهب الإمام الشافعي، رحمه الله.

(٢) السدة لغة: باب الدار والبيت، وقيل: هي السقيفة، وفِناء الدار. واصطلاحاً: شيء كالدكة أو المنبر يوضع في إيوان الدرس يجلس عليه المدرس لإلقاء دروسه.

(٣) خمار من قماش يوضع على العمامة وهو ما يتميز به العلماء الذين يتصدرون للتدريس في تلك العصور خاصة، واطراحها كان يعني عزل المدرس عن وظيفته وإخراجه من سلك التدريس.

(٤) قيده المنذري في «التكملة» فقال: «بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها راء مهملة». ولد سنة ٥٥٩هـ وتوفي سنة ٦٣٩هـ (انظر تاريخ ابن الدبيثي، الورقة ١٧٥-١٧٦ (باريس ٥٩٢١)، والتكملة للمنذري ٣/ الترجمة ٣٠٤٥ بهامشها)، ولم يترجمه المؤلف في كتابه هذا.

على تدريسه بمدرسة فخر الدولة ابن المطلب[1] بعقد المُصْطَنع[2] وعلى المدرسة الأَسْبَهْبَذية[3] بين الدَّرْبين.

---

(١) من مدارس الشافعية ببغداد، عُرفت أيضاً بمدرسة دار الذهب، وبالفخرية، نسبة إلى منشئها المذكور، وقد افتتحها في ربيع الآخر من سنة ٥٦٨هـ وأقام إلى جوارها رباطاً كبيراً، وأول من دَرَّس فيها يحيى بن علي بن بركة بن فَضْلان المتوفى سنة ٥٩٥هـ، واستمر التدريس فيها إلى ما بعد انقضاء العصر العباسي. (انظر أخبارها في كتاب: مدارس بغداد في العصر العباسي، للدكتور عماد عبدالسلام رؤوف ص١٠٧-١١٤).

(٢) موضع كان شرقي جامع القصر (جامع الخلفاء) تماماً. قال ياقوت في مادة (قراح) من «معجم البلدان»: «تخرج من رحبة جامع القصر مشرقاً حتى تتجاوز عقد المصطنع، وهو باب عظيم في وسط المدينة، فهناك طريقان: أحدهما يأخذ ذات اليمين إلى ناحية المأمونية وباب الأزَج، والآخر يأخذ من الشمال مقدار رمية سَهْم إلى درب يقال له درب النهر». فهذا كلامٌ يُستدل منه على أن العقد المذكور هو ملتقى درب الشورجة في الشرق من جامع الخلفاء، بعقد القُشل الممتد جنوباً إلى درب باب الشيخ (عبدالقادر) والهيتاويين والسويدان وما إلى ذلك (المأمونية وباب الأزج) والممتد شمالاً إلى أبي سيفين (درب النهر المنسوب إلى نهر المُعَلَّى الذي يجري تحت دروب تلك الناحية)، فيطابق موضع العقد ما كان يُعرف بقاضي الحاجات تماماً، ولا يمكن تحديد موضع المدرسة بأكثر من هذا، على أنه يُفهم مما ذكره ابن الجوزي (المنتظم ١٠/ ٢٤٠) أنها إلى المأمونية أقرب، أي إلى الجنوب قليلاً من عقد المصطنع المذكور.

(٣) الأسبهبذية، ويقال: الأصفهبذية (لأن أصلها باء فارسية تقلبها العرب إلى باء أو فاء). من مدارس الشافعية ببغداد ولا يُعلم منشؤها. ذكرها الفيروزآبادي في «أصبهذان» من القاموس المحيط، فقال: «والأصبهبذية نوع من دراهم العراق، ومدرسة ببغداد بين الدربين». وقال العلامة الدكتور مصطفى جواد: «لعلها منسوبة إلى الأصبهبذ صباوة ابن خمارتكين المذكور في الكامل غير مرة في حوادث سنة ٤٩٤هـ وغيرها». (تلخيص مجمع الآداب ج٤ ق١ص٨٥٥). ولم نقف على اسم أحد من مدرسيها، سوى الشيخ عماد الدين أبي بكر محمد بن يحيى السلامي المذكور.

وفيه أُحْضِرَ أبو القاسم علي ابن البُوري[1] إلى باب النُّوبي[2] وضُرِبَ مئة عصا وقُطِعَ لسانُهُ وحُمِلَ إلى حَبْس المدائن. وكان شاباً حَسَن الصُّورة، تامَّ الخِلْقة، جميلاً نُقِلَ عنه ما اقتضت السياسة أن يُعْمَل به ذلك، نعوذ بالله من طوارق الليل والنهار!

وفي شعبان تكامل بناءُ المسجد المُسْتَجد بالجانب الغربي على شاطىء دجلة المقابل للرباط البِسْطامي[3] المعروف بقُمْرية[4]، ونُقِلَ

---

(١) منسوب إلى بُورة، ويقال: بُورَى، قرية بقرب عُكْبُرا.

(٢) هو أحد الأبواب الشمالية لدار الخلافة العباسية، وكان يتوسط المسافة بين باب بدر، عند مدخل سوق الشورجة حالياً، وباب العامة عند رحبة جامع القصر (جامع الخلفاء أو جامع سوق الغزل بالشارع المسمى اليوم بشارع الخلفاء). فهذا الباب إذن كان نافذاً إلى سوق الشورجة الحالي، المعروف في أيام الدولة العباسية، بسوق الريحانيين، وكان يعرف، قبل أن ينسب إلى النوبي الذي يظهر أنه أوكل به، بباب العتبة، فعنده كانت العتبة التي يقبلها الرسل والأمراء والملوك وأمراء الحاج عند قدومهم بغداد. (معجم البلدان ٣/ ٢٦٤).

(٣) ينسب هذا الرباط إلى الشيخ الصوفي أبي الحسن البسطامي المتوفى سنة ٤٩٣هـ، وبناه له أبو الغنائم بن المحلبان (ابن الأثير: الكامل ٨/ ٤٩٤ط. المكتبة التجارية بالقاهرة). والبسطامي منسوب إلى بسطام، مدينة كبيرة بقومس بقرب دامغان. وبقيت أخبار هذا الرباط حتى أواخر القرن السابع للهجرة، مما يدل على أنه من المنشآت التي لم يصبها أذى في أثناء احتلال المغول بغداد، وقول المؤلف إن جامع قمرية كان مقابلاً للرباط البسطامي، لا يدل- كما ظن الدكتور مصطفى جواد رحمه الله- على أنه مقابله من الجهة الشرقية لنهر دجلة، وإنما هو مقابله من جهة نهر عيسى الآخذ من الفرات والذي يصب في دجلة عند الجامع المذكور، فإذا كان مصبه في أسفل الجامع، وهو الراجح، كان الرباط في أرض ثانوية الكرخ للبنين اليوم.

(٤) لم يضبطه المؤلف، والمشهور بضم أوله وسكون الميم، وربما بفتح أوله أيضاً، وكلا الضبطين صحيح، لأنهما يرتقيان إلى ما قبل تأسيس الجامع نفسه (انظر البنداري: دوله آل سلجوق، ٢٤٩، وتاج العروس مادة قمر)، وهو الثاني بين ثلاثة جوامع =

إليه الفرش والآلات وقناديل الذهب والفضة والشموع وغير ذلك، وفُتِحَ في شهر رمضان ورُتِّبَ فيه مُصَلياً الشيخُ عبدالصمد بن أحمد بن أبي الجيش[1] ، وأُثْبِتَ فيه ثلاثون صبياً يتلقنون القرآن عليه، ورُتِّبَ فيه معيدٌ يُحَفِّظهم التَّلاقينَ، ورُتِّبَ أيضاً فيه الشيخُ حسن ابن الزُّبَيْدي محدثاً يُقرأُ عليه الحديث النبوي في كل يوم اثنين وخميس، ورُتِّبَ أيضاً قارىءٌ للحديث، وجُعِلَ في المسجد خزانة للكتب، وحُمِلَ إليها كتبٌ كثيرةٌ.

وفيها نُفِذَ فخر الدين أبو طالب أحمد ابن الدامغاني والشيخ أبو البركات عبدالرحمن ابن شيخ الشيوخ والأمير فلكُ الدين محمد بن

= باقية اليوم من العصر العباسي. وكان الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ) قد شرع ببنائه، قال محمد بن رافع السَّلاّمي في ترجمة علي بن عبدالصمد بن أحمد بن عبدالقادر بن أبي الجيش: «وأمَّ بالمسجد الذي أنشأه الإمام الناصر بالجانب الغربي المعروف بقمرية» (منتخب المختار ١٤٥تحقيق عباس العزاوي، بغداد ١٩٣٨). ويظهر أن المستنصر هو الذي أتمه وافتتحه كما في الخبر الذي يذكره المؤلف. وسيذكر في حوادث سنة ٦٦٧هـ خبر تعميره على يد علاء الدين الجويني صاحب ديوان العراق. وقد جرت على الجامع تعميرات متأخرة أخرى، منها سنة ١٠٥٤هـ قام بها والي بغداد ولي حسين باشا، وسنة ١١٧٩هـ بأمر عائشة خانم زوجة عمر باشا والي بغداد، وسنة ١٢٣٠هـ على يد الوالي سعيد باشا. وما زال الجامع قائماً، وموقعه على شاطىء دجلة الغربي قرب ثانوية الكرخ للبنين. (محمود شكري الآلوسي: مساجد بغداد وآثارها، بتهذيب العلامة محمد بهجة الأثري، بغداد ١٩٢٥، ص١١٤).

(١) جاء في حاشية النسخة وبخط الناسخ نفسه ما يأتي: «حُكِيَ أنه قيل للشيخ عبدالصمد إن هذا الموضع رُسِمَ أن يكون إمامه شافعياً، فإن رأيت الانتقال عن مذهب الإمام أحمد. فقال: ما وجدت في مذهبه ما يوجب انتقالي عنه. فأُنهي ذلك إلى الخليفة، فقال: نحن نغيِّر. . .» (ثم هناك سطر أجحف به التصوير لم نتمكن من قراءته).

سُنْقُر الطويل إلى جلال الدين مَنْكوبَري[1] ابن خُوارزم شاه محمد بن تَكَش مع رسول كان وصل منه وهو يومئذ على خِلاط[2] محاصراً لها ونُفِّذَ له معهم تشريفات[3] وكُراع[4] ولباس الفتوة[5] .

ووُكِّلَ فخر الدين ابن الدامَغاني في فتوته من الخليفة المستنصر بالله والشيخ أبو البركات نقيب الفتوة، وكان ذلك بموجب سؤاله.

وفي غرة ذي القعدة خُلِعَ على الأمير شمس الدين أصلان تكين وأُخْرِجَ نائباً عن أمير الحاج، فوردَ الخبرُ إلى بغدادَ أنَّ قوماً من عَرب البطنين[6] خرجوا على الحاج، وعَدَلوا بهم عن الطريق المَسْلُوكة في

---

(١) ويقال فيه: منكوبرتي- بتاء ثالث الحروف قبل الياء آخر الحروف.

(٢) مدينة على الساحل الغربي لبحيرة وان في شرقي الأناضول.

(٣) مصطلح مولد يراد به ما كان يهديه الخلفاء علىسبيل تشريفهم به، وثمة دار للتشريفات سيتردد الإشارة إليها في هذا الكتاب، وهي الخزانة التي كانت تحفظ فيها الأمتعة المخصصة للإهداء.

(٤) الكُراع: يطلق على ذوات الحافر من الحيوان.

(٥) لباس الفتوة: زي موحد اتخذه الخليفة الناصر لدين الله شعاراً لتنظيم أخلاقي عسكري أراد به أن يكون السلك الذي ينتظم به رجال الدولة والمجتمع وبضمنهم أمراء الأطراف ليكون عامل تماسك لدولة كانت تواجه تحديات جمة، وقد استمد هذا التنظيم أسسه لأخلاقية من تقاليد الفتوة الإسلامية القديمة وقيمها، وأبرزها: العفة، والمروءة (الإنسانية) ومكارم أخلاقية أخرى.

(٦) هكذا في الأصل، واسترجم الدكتور مصطفى جواد أن يكون تصحيفاً للطائيين «من قبيلة طي المشهورة وهم من طريق مكة» قلنا: والبُطْنان بالضم ثم السكون، ومنها بطنان الأودية: المواضع التي يستربض فيها الماء، ماء السيل فَيَكْرُم نباتُها، واحدتها بطن (ياقوت: معجم البلدان ١/٤٤٧) وتكثر في المنطقة مثل هذه الأودية. ومن الراجح لنا، أنها الموضع الذي نزله الرحالة عباس بن علي المكي سنة ١١٣١هـ وسماه (أرض الباطن) وكان يقع على طريق الحج من الكوفة (نزهة الجليس،=

كل سنة، وطلبوا منهم خَفارة[1] ، واختطفوا من أطرافِهم، وأسفرت الحال إلى تقرير اثني عشر ألف دينار تُسَلَّم إليهم وينصرفون عنهم، فصححت[2] لهم من نفقات السُّبُل ومال المخزن المُعَد للصدقة من غير إلزام أحدٍ من الحاج بشيء، وانفصلوا عنهم، فَتَقَدَّمَ الخليفةُ بالتعيين على الأمير جمال الدين قشتمر وأن يخرج معه خمسة آلاف فارس ويقصد الأعراب المذكورين، فتوجه في ثاني عشر ذي الحجة، فلما وصلَ الكوفةَ عَيَّنَ على جماعةٍ نَفَّذَهم طلائع، فلما وصل لِيْنَةَ[3] عاد منهم من أخبرَهُ أنَّ مَدَدَهم من الثَّعْلَبية[4] إلى زَرُود[5] وهم يرقبون

= ١/١٠٢، النجف١٩٦٧).

(١) الخفارة كالجعالة، وهي ما يؤخذ من الحاج لقاء حمايتهم.

(٢) أي: صُرفت أو أُخذت، وهو لفظ مولّد.

(٣) من منازل طريق مكة، ضبطها ياقوت بالكسر ثم السكون ونون. وقال: موضع في بلاد نجد عن يسار المصعد بحذاء الهُرّ وبها ركايا عادية نُقِرَت من حجر رخو وماؤها عذب زلال. ونقل عن السكوني أنها المنزل الرابع لقاصد مكة من واسط، وهي كثيرة الركي والقُلب، ماؤها طيب وبها حوض السلطان» (معجم البلدان ٥/ ٢٩).

(٤) من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية. نسبت إلى رجل يدعى ثعلبة، واختلف في نسبه وعصره (ياقوت: معجم البلدان ٢/ ٧٨) وكان الرحالة ابن جبير قد مر بها سنة ٥٨٠هـ فوصفها بأن «لها مبنى شبه الحصن خرب لم يبق منه إلا الحلق وبازائه مصنع عظيم كبير الدور من أوسع ما يكون من الصهاريج وأعلاها» (الرحلة ١٦٣- بغداد ١٩٣٧).

(٥) موضع في طريق الحاج من الكوفة. وصفها ياقوت بأنها رمال بين الثعلبية والخزيمية (معجم البلدان ٣/ ١٣٩) وذكر ابن جبير في أثناء مروره بها أنها: «وَهْدَةٌ في بسيط من الأرض فيها رمال منهالة وبها حلق كبير داخله دويرات صغار شبيه بالحصن يعرف بهذه الجهات بالقصر، والماء بهذا الموضع في آبار غير عذبة» (رحلة ١٦٣).

وصل الحاج[١] ، فرحل من لِيْنَة على غير الطريق المسلوك، فوصل من الطوالع من أخبره أنَّ بينه وبين العرب نحو مرحلتين وهم نزول بالحَضْرا[٢] والثَّعْلَبِيَّة، فَجَمَعَ[٣] أمراءَ العَسْكر ومشايخَ العرب وعَيَّنَ لهم وقت اللقاء، ثم ركبَ وسارَ ليلتَهُ أجمع حتى وصلَ إليهم، فاقتتلوا أشدّ قتالٍ، فانهزمت العربُ وقُتِلَ منهم خَلْقٌ كثيرٌ، فاحتوى العَسْكر على أموالهم دونَ أولادهم ونسائِهم، وأقاموا بالموضع المذكور إلى أن وصل الحاج الثَّعْلبية، واجتمعوا بهم، واصطحبوا راجعين إلى بغداد.

وفيها عُزِلَ محي الدين يوسف ابن الجوزي عن النَّظَر بخزانة الغَلّات بباب المراتب[٤] ، ورُتِّبَ عِوَضهُ كمالُ الدين عبدالرحمن بن

---

(١) يعني: قدوم الحاج.

(٢) هكذا في الأصل. ورَجَّحَ الدكتور مصطفى جواد، في تعليقه على هذا الموضع، أن صوابه (القصر) وهو الذي مر به ابن جبير ووصفه بأنه يقرب من الثعلبية المذكورة في نص المؤلف. وهو ترجيح بعيد لا تسعفه النسخة الواضحة الرسم المجودة التقييد. ولعله موضع لم تذكره كتب البلدان، فيستدرك عليها.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «فجعل».

(٤) هو الباب الجنوبي لدار الخلافة العباسية، وكان قريباً من شاطىء دجلة، بينه وبينها نحو غلوتي سَهْم، على حد تعبير ياقوت (معجم البلدان ٣/ ٢٦٤)، وقد نشأت إلى جواره محلة عُدَّت من أحسن محال بغداد إبان القرن الخامس الهجري، اجتمعت فيها دور القواد والوزراء والأدباء، منها دار ابن المظفر ابن جهير وزير المقتفي، ودار ابن طِرَاد الزينبي، ودار أحمد بن أبي الأشعث، وابن شاتيل وغيرهم من الخواص، قال ياقوت واصفاً هذا الباب: «كان من أجل أبوابها وأشرفها، وكان حاجبه عظيم القدر ونافذ الأمر، فأما الآن فهو في طرف البلد بعيد كالمهجور لم يبق منه إلا دور قوم من أهل البيوتات القديمة، وكانت الدرو فيه غالية الأثمان عزيزة الوجود في أيام السلاطين (السلاجقة) ببغداد لأنه كان حرماً لمن يأوي إليه. فأما الآن فليس للمساكن فيه قيمة». وموقع الباب، بحسب خطط بغداد، موافق اليوم لشريعة السنك، عند=

ياسين، ثم عُزِلَ أيضاً عن ديوان الجَوَالي[1] ، ورُتِّبَ عِوضه محي الدين محمد بن فَضْلان، وتُقُدِّمَ إليه باعتماد الشرع المُطَهَّر في أخذ الجزية من أهل الذمة، فزاد على من عليه دون الدينار، لأنه لا يجوز في مذهب الشافعي رضي الله عنه أن يؤخذ من أحد أقل من دينار إذا كان فقيراً، وإن كان متوسطاً أُخِذَ منه ديناران، وإن كان غنياً أُخِذَ منه أربعة دنانير، لا يجوز أن ينقص أحد من أهل هذه الطبقات الثلاث عن هذه المقادير اقتداءً بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإنه جعل أهل السواد ثلاث طبقات على ما تقدم شرحه اقتداءً برسول الله ﷺ، فإنه لما بعث مُعاذاً إلى اليمن قاضياً أمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً، وفي رواية ومن الغني أربعة دنانير، ومن المتوسط دينارين. ولا تقدير لأكثر الجزية فإنه لو طالب الإمامُ أو نائبُهُ أضعاف ذلك جاز، حتى لو امتنعوا من أداء الزيادة كانوا ناقضين للعهد.

وفيها توفي يعقوب[2] بن صابر الحرانيُّ الأصلِ البَغْداديُّ المولد المَنْجَنيقي[3] . كان شيخاً فاضلاً مُقَدَّماً على أهل صناعته، وعنده أدب

= قصر عبدالرحمن النقيب- رحمه الله.

(١) الجوالي جمع جالية، وهم أهل الذمة في بلاد الإسلام ويؤدون إلى الخليفة الجزية بمقتضى الشريعة، وهذا الديوان هو المختص بتحصيلها.

(٢) انظر ترجمته في عقود الجمان، لابن الشعار ١٠/الورقة ١٤٤، والتكملة المنذرية ٣/الترجمة ٢٢٣٥، ووفيات الأعيان الترجمة ٨٠٣، والمستفاد للدمياطي (٢٠٤)، وتاريخ الإسلام ٢٤٨/٦٣، وسير أعلام النبلاء ٣٠٩/٢٢، والبداية لابن كثير ١٢٥/١٣، وشذرات الذهب ١٢٠/٥.

(٣) عُرف بذلك لأنه كان مُقدم المنجنيقيين ببغداد.

ويقول الشعر، فمن شعره:

هل لمن يَرتجي البقاء خُلودُ ... وسوى الله كلُّ حي يبيدُ
والذي كانَ من تُرابٍ وإن عا ... شَ طويلاً إلى التُّراب يَعُودُ
ومصيرُ الأنام طراً إلى ما ... صارَ فيه آباؤهم والجُدُودُ

ومنها:

أيـن حـواء أيـن آدم إذ فـا
تهم[1] الخُلْد والثوى والخلودُ

منها[2]:

أينَ عاد بل أين جنة عاد ... إرمٌ أين صالحٌ وثمودُ

وهي طويلة، آخرها:

لا الشقي الغويُّ من نوب الأ ... يامِ ينجو ولا السَّعيدُ الرَّشيدُ
ومتى سَلَّت المنايا سيوفاً ... فالموالي حَصِيدُها والعَبِيدُ

ومن شعره:

كلِفْتُ بعلم المنجنيق ورَمْيه
لهدم الصياصي وافتتاح المَرَابطِ
ونَظْم القوافي والمديح لشقوتي
فلم أخْلُ في الحالين من قَصْدِ حائطِ

وكان كثير الدخول على الوزير ناصر بن مهدي، ثم صارَ إذا جاء يجلسُ ظاهرَ الستر، فقال:

(١) في المطبوع: «فاتهما» ولا أصل لها في المخطوط.
(٢) سقطت من المطبوع.

قولوا لمولانا الوزير الذي أضاعَ ودّي ونَوَى هَجْرِي
وصِرتُ إن جئتُ إلى بابِهِ أجْلَسني في ظاهر السِّترِ
إن كان ذنبي أنني شاعرٌ فاصفحْ فقد تُبْتُ من الشِّعْرِ

ثم انقطع عنه مدةً، فلما دخل إليه أنكر عليه انقطاعه، فقال:

وقالوا: قد صَدَدْتَ ومِلْتَ عنا فقلتُ: أبيتُ تكرارَ المُحالِ
أنِفْتُ من الوِداد إلى أُناسٍ رأوا حالي ولم يَرْثُوا لحالي

ثم هجاه فقال:

خليليَّ قولا للخليفةِ أحمد تَوَقَّ وُقِيتَ السوءَ ما أنتَ صانعُ
وزيرك هذا بين أمرين فيهما صنيعُكَ يا خيرَ البرية ضائعُ
لئِن كانَ حقاً من سُلالة حَيْدر فهذا وزير في الخلافة طامعُ
وإن كان فيما يدعي غيرَ صادقٍ فأضيع ما كانت لديه الصَّنائعُ

وله في غلامٍ ثقيل الروادف:

يقعده في النهوض رِدْفٌ قِيامتي دونَهُ تقومُ
أفديه من مقعد مقيمٍ عندي به المُقعِدُ المُقيمُ

وله في زامر:

وزامرٌ باتَ نَديماً لنا ما بين سكرانَ ومخمورِ
تقتلُنا الخمر ونحيا به كأنَّهُ ينفخُ في الصُّورِ

وأنشد يوماً قول القاضي الفاضل عبدالرحيم البَيْساني:

ألقني في لظى فإنْ غَيَّرَتني
فتيقَّن أنْ لست بالياقوت

شمل النسج كلَّ من حاك لكن

نَسْج داود ليسَ كالعنكبوت[1]

فقال في جوابها:

أيها المُدَّعِي الفخارَ دعِ الفَخْـ ـرَ لذي الكبرياءِ والجبروتِ

نسْجُ داودَ لم يَفِد صاحبَ الغا رِ وكان الفَخَارُ للعنكبوتِ

وكذاك النَّعامُ يبتلع الجَمْـ ـرَ وما الجَمْر للنَّعامِ بِقُوتِ

وبقاءُ السَّمَنْد[2] في لَهَبِ النَّا رِ مُزيل فَضيلة الياقوتِ

وفيها، توفي أبو الفضل جِبْريل[3] بن زُطينا[4] كاتب الديوان[5]. كان أولاً نصراياً وأسلمَ في أيام الخليفة الناصر لدين الله، وكان ذا فَضْلٍ وأدب، وله نظم ونثر وأشياء مُسْتَحْسَنة، ومن شعره:

إن سهرت عينُكَ في طاعةٍ فذاكَ خير لكَ من نومِ

أَمْسُكَ قد فاتَ بعِلاّتِهِ فاستدركِ الفائتَ في اليومِ

وإن قَسَا القَلْبُ لأكدارِهِ فَصَفِّه بالذِّكر والصَّوْمِ

وله:

---

(١) في عقود الجمان: ليس داود فيه كالعنكبوت.

(٢) السمند، ويقال فيه: السمندر، والسمندل، وهو نسيج لا يحترق، يقال: إنه ينسج من ريش طائر، كما ذكره الدميري في «حياة الحيوان» وغيره (انظر تكملة المعاجم لدوزي ٦/ ١٥٢).

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي ٦٣/ ٢٢٧.

(٤) قيّده الذهبي بخطه بضم الزاي.

(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «الدايون»، والمراد هنا: ديوان المجلس، كما ذكر الذهبي نقلاً عن محب الدين ابن النجار البغدادي.

إذا أعيا عليكَ الأمرُ فارجِعْ إلـى ربٍ عـوائـدُهُ جميلَـهْ
فكم من مَسْلك مَعْ ضيق سَلك تجلَّـى واستبـانَ بغيـرِ حيلَـهْ

وله:

أريدُ من نفسي نشاطَ الشَّبابْ ودون ما أبغيه شَيْبُ الغُرابْ
فكيـفَ والسَّبعـونَ جـاوزتُهـا ومَذْهَبُ العُمْر رَمَى بالذِّهابْ
ومَطلبـي عَـزٌّ ومـا دُونـه تأباه نفسي وأُموري صِعابْ
وقـد تحيـرتُ ولا غَـرْوَ أن يَحار من يطلب مالا يصابْ

وفيهـا تـوفـي الأستـاذ سعـد الـديـن محمـد بـن جَلْـدك خـازن دار التشريفات. كان شيخاً عاقلاً تولى خدمة الخليفة الناصر لدين الله مدة عمره وصحبه سفراً وحضراً، وكان يتولى حمل مطالعاته إلى الوزير وغيره ممن تبرز إليه مطالعته(١).

وفيها توفي الملك المسعود أبو المظفر يوسف(٢) ابن الكامل الملك محمد ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب بن شاذي. لما مَلَك أبوه الملك الكامل اليمن، واستولى على مكة، وَلاّها ابنَهُ الملك المسعود هذا فاستنابَ بها أميراً، وكان هو يتردد إليها ومقامه باليمن، ولم تكن سيرتُه حسنة، ولا طريقته محمودة، قيل: إنه دخلَ مكة في

---

(١) محمد بن جلدك هو الذي احتفظ بالكتاب الذي لم ينشر، حينما أراد الخليفة الناصر لدين الله أن يترك الحكم ويتزهد، ثم عدل عن ذلك. وقد أورد ابن الساعي صورة الكتاب في كتابه «أخبار الزهاد» الذي عثر عليه د. بشار عواد معروف بدار الكتب المصرية، ونشر عنه مقالة بمجلة المورد البغدادية، العدد ٣ من السنة الثالثة، بغداد ١٩٧٤.

(٢) انظر التكملة للمنذري ٣/ الترجمة ٢٢٤٢وفيها مصادر ترجمته.

هـذه السنة فـأسـاءَ السيـرة فـي أهلهـا، ثـم رمَـى طيـورَ الحـرم الشـريـف بالبُنْدُق[1] فَشُلَّت يدُه وأدركَهُ أجله بها، فمات ودُفِنَ بالمَعْلَى، وكان شاباً.

(١) ذكر سبط ابن الجوزي في المرآة مثل ذلك ٨/ ٦٥٩.

سنــة

سبع وعشرين وست مئة

في غُرَّة المحرم، جلسَ محيي الدين أبو عبدالله محمد بن فَضْلان في ديوان الجوالي واستوفى الجزية من أهل الذمة، فكان أحدهم يقف بين يديه إلى أن تُوزن جزيته ويكتب له روز[1] وهو صاغر، فلقوا من ذلك شدة، وكان أبو علي ابن المسيحي رئيسُ الطب له اختصاص ودخول إلى دار الخليفة فأظهرَ المرضَ واعتذرَ وسأل أن تُؤخذ جزيته من يد ولده، فلم يَقْبَل[2] منه، فحضر، وأداها. ومضى ابن الشويح رأس مثيبة اليهود إلى داره ليلاً وسأله أن يأخذ الجزية منه فلم يلتفت إليه، وقال له: لابد أن تحضر نهاراً إلى الدِّيوان وتؤدِّيها، وشدد في ذلك ولم يسامح أحداً.

وفيه، ولي شمس الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد أستاذية الدار[3]، وخُلِعَ عليه، وذلك إضافة إلى وكالة الخليفة المستنصر بالله.

---

(١) تصحفت في المطبوع إلى: «رور» - بالراء المهملة- والروز كلمة أعجمية تعني «وصل الاستلام».

(٢) تصحفت في المطبوع إلى: «تقبل».

(٣) هو رئيس ديوان الخليفة، وهو بمثابة رئيس الديوان الملكي أو الجمهوري في عصرنا، ويقال له: «أستاذ الدار»، وصار اسمه عند المماليك بمصر: «استدار» من نحت هذه العبارة.

وفيها، وصل فخر الدين أحمد ابن الدَّامَغاني وشمس الدين عبدالرحمن ابن شيخ الشيوخ، والأمير فلك الدين محمد بن سُنْقر الطويل، وسعد الدين حسن ابن الحاجب علي المُقَدَّم ذِكْر توجههم في السنة الخالية، إلى جلال الدين منكوبرتي، وكان اجتماعهم به ظاهر خِلاط، وهو نازلٌ عليها ومحاصرٌ لها، فخلعوا عليه وألبسوه سراويل الفتوة، ووصل بعدهم بأيام، رسول منه برسالة، مضمونها شكر الإنعام عليه والإخبار بفتح خِلاط ومُلْكها، فَخُلِعَ عليه وعلى خواصه، وأُنزِلَ دار الأمير محمد ابن الأنباري على دجلة، فأقامَ أياماً ثم عادَ.

وفيها، نُقِلَ عن عبدالله بن إسماعيل صاحب ابن المَنّي[1] الواعظ ما اقتضى أنَّه أُحْضِرَ إلى دار الوزارة وضُرِبَ مئة عصا وقُطِعَ لسانُهُ، وحُمِلَ إلى المارستان العَضُدي، وحُبس في حُجرة المجانين، وأفرجَ عنه بعد ثلاثة أشهر.

---

(١) ابن المَنّي هو العلامة ناصح الإسلام أبو الفتح نصر بن فتيان بن مطر النهرواني الحنبلي البغدادي المتوفى سنة ٥٨٣هـ، وكان من كبار فقهاء الحنابلة (التكملة للمنذري ١/ الترجمة ٢١بهامشها)، وإسماعيل والد عبدالله هو تلميذه وخليفته، كان فقيهاً أصولياً، لكنه كان متسامحاً في دينه يعادي أهل الحديث، يقال: إنه صَنَّف كتاباً سماه «نواميس الأنبياء» يذكر فيه أنهم كانوا حكماء مثل حكماء اليونان، وتوفي سنة ٦١٠هـ (تاريخ ابن الدبيثي، الورقة ٢٤٦(باريس٥٩٢١)، ومرآة الزمان٨/ ٥٦٥، والتكملة للمنذري٢/ الترجمة١٢٨٧، وسير أعلام النبلاء٢٢/ ٢٨-٣٠، وعقد الجمان للعيني ١٧/ الورقة ٣٤٤)، وابنه عبدالله هذا كأنه سار على سيرة والده، قال محب الدين ابن النجار في ترجمة والده إسماعيل: «حكَى لي ابنه عبدالله في معرض المدح له: أنه قرأ المنطق والفلسفة على ابن مرقش النصراني، فكان يتردد إلى البيعة» (سير٢٢/ ٢٩).

وفي غرة شهر رجب المبارك، فُرِّقت الرُّسوم من البُرِّ[١] على أربابها جاري العادة، وأُبرِزَ من دار الخليفة إلى أستاذ الدار شمس الدين أحمد ابن الناقد ما أُمِرَ بتفرقته على الفقراء والمحتاجين ببغداد.

وفيها، قَلَّدَ قاضي القضاة عبدالرحمن بن مُقْبِل الواسطي أبا عبدالله محمد بن أبي الفضل الحنفي ويعرف بربيب الإبَري، قضاء واسط وولاية الوقوف بها.

وفيها، تَقَدَّمَ الخليفةُ المستنصر بالله إلى فخر الدين أحمد ابن نائب الوزارة مؤيد الدين القُمّي، بعمارة مساجد الكرخ فشرعَ في ذلك، فلما تكاملت عمارتها، رُتِّبَ بها الأئمة والمؤذنون[٢].

وفيها، تكامل بناء قصر مُبارك، الذي أُمِرَ بعمارته بباب البَصْرة[٣] المُشْرف على الصَّرَاة[٤].

---

(١) يعني: القمح.

(٢) كانت هذه المساجد قد تهدمت في غرق سنة ٦١٤هـ.

(٣) محلة نشأت عند أحد أبواب مدينة المنصور المدورة القديمة، المسمى بباب البصرة، ثم نمت في العهود العباسية المتأخرة بسرعة لتصبح أكبر محلة بالجانب الغربي، باستثناء محلة الكرخ، فشملت في أواسط القرن السادس معظم مدينة المنصور الكبيرة، قال ابن جبير: «محلة باب البصرة وهي أيضاً مدينة وبها جامع المنصور». وذكر مثل هذا بنيامين التطيلي في أثناء زيارته لبغداد سنة ٥٦٩هـ. ووصفها صاحب «مختصر مناقب بغداد» بأنها «ذات السكك البعيدة». هذا وكانت تتوسط أهم محلات بغداد الغربية وأكثرها حيوية. وموقع المحلة اليوم يوافق منطقة الوشاش الحديثة في أعلى نهر الخر، أو إلى شرقيها بقليل.

(٤) نهر قديم، سبق وجوده بناء بغداد، من أنهار الجانب الغربي، قال ياقوت: «هو نهر يأخذ من نهر عيسى من عند بلدة يقال لها المُحَوَّل بينها وبين بغداد فرسخ، ويصب في دجلة أمام باب البصرة من مدينة المنصور» (معجم البلدان ٣/ ٣٩٩). قلنا: =

وفيها، نُقِلَ ظهيرُ الدين الحسن بن عبدالله، من إشراف الديوان إلى صدرية المخزن[1]، ورُتِّبَ العَدْل فخرُ الدين أحمد ابن الدَّامَغاني عوضه في إشراف الديوان.

وفيها، وصل رسولٌ من محمد بن يوسُف بن هُود[2]، يخبرُ باستيلائه على معظم بلاد الغَرْب واستنقاذها[3] من أيدي غُصَّابها بني عبدالمؤمن، وإقامة الدعوة بها للدولة العباسية، فأُكْرِمَ الرسولُ، ثم كُتِبَ على يده شيء إلى مُرْسِلِه وخُلِعَ عليه، وأُذِنَ له في العود.

وفيها، تكامل بناء سور الرُّصَافة[4] الذي أمر بعمارته الخليفة

= ونرجح أن يكون مصبه عند جسر ١٧تموز الحالي، فقد عثر الحفارون عند حفرهم أسس هذا الجسر على مصب نهر في دجلة، ولا نعلم هناك غير الصراة. ويظهر أن محلة باب البصرة بلغت من الاتساع في هذا العهد بحيث أنها أصبحت مطلة على النهر المذكور.

(١) هو الاسم الذي صار يطلق في هذه الحقبة على «ديوان الخراج»، وهو من أكثر دواوين الخلافة أهمية، ولصاحبه منزلة متميزة بين موظفيها، ويتولى مسؤولية تنظيم إيرادات الدولة ونفقاتها.

(٢) جاء بصحبة رسول الملك الكامل محمد ابن العادل الأيوبي، من مصر (العسجد المسبوك٤٤٢).

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «استعادتها».

(٤) المقصود بالرصافة: الأعظمية الحالية حَضْراً، وقد أمر ببنائها أبو جعفر المنصور سنة ١٥١هـ وأتمها سنة ١٥٩هـ. ويذكر الخطيب (تاريخ بغداد١/ ٨٢) أنه «عَمِلَ لها سوراً وخندقاً». ولبث هذا السور قائماً قروناً بعده، إلا أننا لا نعلم فيما إذا كان السور الذي أمر ببنائه المستنصر بالله قد أقيم على أسس السور الأول، أم أنه سور جديد. والراجح أن سور الرصافة الجنوبي كان قريباً من مشهد النذور (قبر أم رابعة) في محلة النصة من محلات الأعظمية الحديثة (وهي المحلة التي كانت فيها دور عائلة الدكتور بشار عواد معروف، أحد محققي هذا الكتاب).

المُستنصر بالله.

وفيها، وُلِّيَ الأمير شمس الدين أصلان تكين الناصري، إمارة الحاج وحج بالناس في هذه السنة.

وفيها، توفي عَضُد الدين أبو نصر المبارك بن الضحاك. وكان شيخاً ديناً فاضلاً أديباً، وكان من المُعَدَّلين بمدينة السلام، ورُتِّبَ ناظراً بديوان الجوالي، وكتب في[1] ديوان الإنشاء[2]، ثم نُفِذَ رسولاً إلى صاحب الشام، فلما عاد رُتِّبَ أستاذ دار الخلافة، فكان على ذلك إلى أن توفي. وكان له شعرٌ حَسَن، فمما نُسِبَ إليه ما رثى به بعض أصحابه؛ وهو:

لئن مَضَى أحمدٌ حَمِيداً ما الموتُ في أخذِه حَمِيدُ
أو بَخِلت مُقْلَةٌ بدمعٍ فهي على مِثْلِه تجودُ

وفيها، توفي الأمير نور الدين ككسُنْقر التركي المعروف بالحلقي. كانَ أولاً لبعض أُمراء العراق، فلما توجه الوزير ابن القَصَّاب إلى هناك واستولى على تلك الأماكن، حضرَ عنده بعض الأُمراء فشاهدَ معه

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) ويسمى «ديوان الرسائل» أيضاً، ويُعرف رئيسه بكاتب الإنشاء أو كاتب الرسائل، ويختص بإذاعة المراسيم والبراءات وتحرير الرسائل السياسية وختمها بخاتم الخلافة، ومراجعة الرسائل الرسمية ووضعها في الصيغة النهائية وختمها بخاتمه، وربما يقوم بتسجيل ما يعن للخلافة من الملاحظات على الطلبات والالتماسات، وجانب من هذه الصلاحيات والواجبات يتولاها اليوم وزير الخارجية. والمبارك بن الضحاك هذا هو الذي تولى كتابة كتاب التنازل عن الخلافة على لسان الخليفة الناصر لدين الله حينما عزم على الانقطاع والتزهد في «رباط المرزبانية»، ثم عدل عن ذلك، ولم ينشر الكتاب، كما في أخبار الزهاد لابن الساعي، الورقة ٩٥-١٠٢.

ككسنقر المذكور، فاستحسن صورتَهُ وأعجبَهُ قَدّه وهَيْفه، فأشار إلى بعض المماليك بأن يتحدث عليه[1] ، ويُطمعه في سيده بحيث يطلب منه الانفصالَ عنه، ويَعده أن يَنْفُذَ به إلى بغداد ويُصَيِّرَهُ[2] بها أميراً أكبر من سَيّده. فاجتمع به المملوك، وفاوضه في ذلك ورَغَّبَهُ، فشافَه سيدَهُ بذلك، فقلق قلقاً شديداً وتضرعَ إليه في أن لا يفارقه، فلم يرق له، فمنعه سيدُه من الخروج، فألقى نفسَهُ من الدار، ومضى هارباً إلى الوزير، واستجارَ ببابه، فأدخله إليه وسَمِعَ كلامَه، وأُحْضِرَ سيده وتُحُدِّث معه في بيعه فلم يجب إلى ذلك، فأمر الوزير بإنفاذ ككسُنقر إلى بغداد مع ثقةٍ، فلما وصلَ، ورآه الخليفة الناصرُ أحسن[3] إليه وتلقاه بالقبول، ولم يزل في ارتقاء وعلو منزلة وقُرْبٍ[4] حتى ولاه الإمارة وجعله أمير السلاح، وأقطعه معاملة الحدادية[5] ، من أعمال واسط، ثم أُقْطِعَ قُوسان[6] ، وأُضيفَ إليه جماعة من الأمراء. ولم يزل

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «إليه».

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «ويصير».

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «ورآه الخليفة فأحسن»، فسقط اسم الناصر، وصارت «أحسن»: «فأحسن».

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «وقربه».

(٥) قال ياقوت: «قرية كبيرة بالبطيحة من أعمال واسط، لها ذكر في الآثار، رأيتها» (معجم البلدان). وذكر المقدسي أنها كانت تقرب من الزبيدية بمرحلة ثم إلى واسط بريدين (أحسن التقاسيم١٣٤).

(٦) كورة كبيرة ونهر عليه مدن وقرى بين النعمانية وواسط، ونهره الذي يسقي زروعه يقال له الزاب الأعلى (معجم البلدان ٤/ ٤١٣) ويُعرف بشط النيل، كما ذكر ابن عبدالحق في مراصد الاطلاع (١١٣٣). وهو غير الزاب الأعلى المعروف اليوم بشمال العراق.

يداوم على الشُّرْب[1] حتى غلب عليه البَلْغم وسمن سمناً عظيماً، عَطَّله عن الحركة وامتنعَ من الركوب، فلم يزل على ذلك إلى أن توفي. وأما سيده فإنه لم يزل بعد فراقه مشغوفاً به هائماً عليه، مُفكراً فيه، حتى أخذه السل فأحرقه ومات.

وفيها، عاد الأمير مُجير الدين جعفر بن أبي فراس الحِلي إلى بغداد، وكان مقيماً بمصر عند ولده، فلما وصل، وقع الرِّضا منه من الخليفة المستنصر بالله. وكان سبب توجهه إلى مصر، أن الخليفة الناصر كان قد أَمَّره وجعلَ إليه شِحْنكية[2] واسط والبصرة، ثم عزلَهُ عن ذلك ولم يوله، فانقطعَ إلى التَّعبد وحجَّ في إمارة وَلده حسام الدين على الحاج، فلما فارق ولدُهُ الحاج، وتوجه إلى مصرَ، مضى صُحبته وأقام إلى الآن، وعاد إلى بغداد في غُرَّة رَجَب، وأقام بداره، فأدركته المنية في آخر ذي الحجة، فصُلِّيَ عليه في جامع القَصْر[3] وحُمِلَ إلى

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «الشراب».

(٢) اسم وظيفة من «الشِّحْنة»، وهو المسؤول عن حفظ النظام في المدينة، وتقابل صلاحياته في عصرنا صلاحيات مدير الشرطة العام، أو الحاكم العسكري.

(٣) ينسب هذا الجامع إلى القصر المعروف بالحسني، الذي اتخذه الخلفاء العباسيون منذ عهد المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ) مقراً رسمياً لهم. وكان موضع الجامع، في عهد هذا الخليفة، مطامير (سجون) متقنة البناء، فأمر الخليفة المكتفي (٢٨٩-٢٩٥هـ) بهدمها وشيد مكانها مسجداً جامعاً يصلي فيه الناس (تاريخ بغداد ١/١٠٩و١٤٥، والمنتظم ٥/١٤٥)، وصار هذا المسجد أحد ثلاثة مساجد رئيسة تقام فيها الجمعة بجانبي بغداد، ثم غدا المسجد الجامع الرسمي للدولة، ولذلك جرى تجديده مراراً، منها سنة ٤٧٥ و٤٧٩ و٦٣٣هـ. وسيشير المؤلف إلى ما مر به من حوادث الغرق والحرق والتعمير حتى أواخر القرن السابع للهجرة. وأبرز ما أضيف إليه في هذا العهد، مئذنته الأثرية الشامخة سنة ٦٧٨هـ. وقد تهدم هذا الجامع تقريباً في القرن الثاني عشر =

مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وفيها، توفي أحمد[1] بن أبي السعود الرُّصافي الكاتب. كان يخدم ولي العهد أبا نصر محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله، وكان يكتب له أنساب الطيور الحمام[2]، وكان يكتب خطاً مَلِيحاً على طريقه ابن البواب وكان مُعجباً بخطه. كتب «نهج البلاغة» بخطه ونادى عليه فدُفعَ فيه خمسة دنانير فلم يبعه، ثم نودي في الحال على قوائم، بخط ابن البواب خمسة عشر ديناراً، فاستشاط وقال: يُدفع في «نهج البلاغة» بخطي خمسة دنانير ويدفع في قوائم بخط ابن البواب خمسة عشر ديناراً!، وليس بين الخطين كبير فَرْق ولا بينهما[3] هذا التفاوت. ثم ذكرَ قِصّة ابن حَيُّوس[4] لما أُجيز على قصيدة عملها ألف دينار، وتسامع الشعراء فحضرَ منهم جماعةٌ وعرضَ كلٌّ منهم قصيدةً، فلم يُعْط أحدٌ

= للهجرة، فأنشأ والي بغداد سليمان باشا الكبير (١١٩٤-١٢١٧هـ) جامعاً آخر قرب مئذنته المذكورة، وتم بناؤه سنة ١٢٢٤هـ في عهد سليمان باشا الصغير وعرف بجامع سوق الغزل. ثم هدم هذا الجامع أيضاً عند شق شارع الملكة عالية (شارع الخلفاء حالياً) سنة ١٩٥٧م. ودخلت مبانيه في أرض الشارع، ثم قامت مديرية الأوقاف بإنشاء جامع كبير في مكانه سنة ١٩٦٧-١٩٦٩م سمي بجامع الخلفاء. إحياءً لذكرى ذلك الجامع المشهور.

(١) تاريخ الإسلام ٦٣/ ٢٥٤.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «الطيور والحمام».

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «سيما»!

(٤) هو شاعر الشام مصطفى الدولة أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حَيُّوس الغنوي الدمشقي صاحب «الديوان» المطبوع في مجلدين سنة ١٩٥١م، والمتوفى سنة ٥٧٣هـ (الإكمال لابن ماكولا ٢/ ٣٧٠، ووفيات الأعيان ٤/٤٣٨-٤٤٤، والمشتبه ٢١١، وسير اعلام النبلاء ١٨/ ٤١٣-٤١٤).

منهم شيئاً، فكتب أحدُهم إلى الممدوح:

على بابك المعمور منا عصابةٌ مفاليس فانظر في أمور المفاليسِ
وقد رَضِيَتْ هذي العصابةُ كُلُّها بِعُشْرِ الذي أعطيته لابن حَيُّوسِ
وما بيننا هذا التفاوت كُلُّه ولكنْ سعيدٌ لا يُقاس بمنحوسِ

فعجب الحاضرون منه.

سنـــة

ثمان وعشرين وست مئة

في المحرم، وصلَ إلى بغدادَ مظفرُ الدين أبو سعيد كُوكْبُري ابن زين الدين على كُوجك صاحب إِرْبِل، ولم يكن قَدِمَ بغدادَ قبل ذلك، وكان معه محي الدين يوسف ابن الجوزي، وسعد الدين حسن ابن الحاجب علي، وكانا قد توجها إليه في السنة الخالية، فخرجَ إلى لقائه فخر الدين أحمد ابن مؤيد الدين نائب الوزارة، والأمراءُ كافة والقُضاة والمدرسون وجميعُ أرباب المناصب، فلقوه على نحوٍ من فَرْسخ، ولقيه فخر الدين ابن القمي بظاهر السُّور، واعتنقا راكبين ثم نزلا، فقال له فخرُ الدين لما انتهى إلى مقار العز والجلال ومَعْدن الرَّحْمة والكَرَم والأفضال: لا زالت الأبواب الشريفة ملجأً للقاصدين، والأعتاب المُنيفة مَنْهلاً للواردين، وُصُولك يا مُظفر الدين رَسْمٌ أعلى الله المراسمَ الشريفة وأسماها، وأنْفَذَ أوامرَها في مشارق الأرض ومغاربها وأمضاها، قَصْدك وتلقيك وإِخْماد مساعيك إكراماً لك واحتراماً لجانبك، فيقابل ما شَملك من الإنعام بتقبيل الرّغام، والدُّعاء الصالح الوافر الأقسام، المفترض على كافة الأنام، والله ولي أمير المؤمنين. فقبَّلَ الأرضَ حينئذٍ مراراً، ثم دخلوا جميعاً إلى البلد، فلما وصلَ باب النُّوبي، ساقَ فخرُ الدين،

ونزل مظفر الدين وقَبَّلَ العتبة[١] ، وعضده الأجل نور الدين أبو الفضل ابن الناقد أحد حُجاب المناطق بالدِّيوان. ثم ركب وقصد دار الوزارة فلقي مؤيد الدين القُمِّيَّ وجلسَ هناك، وركبَ نائبُ الوزارة وولدُهُ وجميعُ أرباب الدولة والأُمراء، وتوجهوا نحو دار الخلافة. فأما مؤيد الدين وولدُه وخواصه، فدخلوا من الباب القائمي[٢] بالمَشْرَعة، وأما الولاة والأُمراء فدخلوا من باب عُليان وباب الحُرَم[٣] ، وانتهى الجمع إلى تحت التاج على شاطيء دجلة، ووقفوا تحت الدار الشاطئية ذات الشبابيك. ثم استُدعي مظفر الدين من دار الوزارة بالأمير عز الدين ألب قرا الظاهري وبأحد[٤] خدم الخليفة، فحضرَ فَرُفِعت الستارة فَقَبَّل الجميعُ الأرضَ، وكان قد نُصِبَ تحت الشباك الأوسط كُرسي ذو دَرَج،

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «الأرض»!

(٢) من أبواب دار الخلافة الشمالية، يقع بين باب الغربة (شريعة شارع السموأل حالياً) وباب بدر (عند جامع مرجان اليوم) أي أنه كان يتوسط شارع السموأل تقريباً، ولعله كان مقابلاً للزقاق النافذ إلى سوق الكبابجية، في مواجهة خان دلة الكبير الواقع في صدر ذلك السوق. وقد وصف ياقوت هذا الباب بأنه: «شاهق البناء وأُغلق في أول أيام الناصر لدين الله ابن المستضيء، واستمر غلقه إلى الآن» (معجم البلدان ٢/ ٢٥١) ولم يذكر أحد سبب نسبته، والظاهر أنه منسوب إلى الخليفة القائم بأمر الله ٤٢٢-٤٦٧هـ.

(٣) بابان من أصل ثلاثة أبواب كانت في السور الداخلي لدار الخلافة العباسية، يمتد بين باب النوبي، وباب العامة، وبين هذا السور والسور الخارجي لدار الخلافة محال يسكنها عامة الناس، والباب الثالث هو المسمى بباب الدوامات (ياقوت: المشترك وضعاً). وبحسب خطط بغداد، فإن مواضع هذه الأبواب داخلة اليوم في نطاق سوق الشورجة، قبل انعطاف هذه السوق باتجاه جامع الخلفاء

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «وبأخذ»، و ولا معنى لها.

فرقي عليه نائب الوزارة وأُستاذ الدار ابن الناقد، ومظفر الدين ، وسَلَّم مظفرُ الدين مشيراً بيده إلى الشباك تالياً قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴿٣﴾﴾ [المائدة] فرد الخليفة عليه السلام، فَقَبَّلَ الأرضَ مراراً. ثم شَكَرَ الخليفةُ سَعْيَهُ، فأكثر من تقبيلِ الأرض والدعاء، فأُسْبلت السِّتارة وعُدِلَ بمظفر الدين إلى حُجْرَة، فخُلِعَ عليه فيها، وقُلِّدَ سيفين، وقُدِّمَ له فرسٌ بمركب ذهباً ومشدة[1] ، ورُفِعَ وراءه سَنْجقان مُذَهَّبان، وخرجَ من الباب القائمي بباب التمر بالمَشْرعة[2] ، وبه كان قد دخلَ، ومَضَى، والناسُ في خدمته، إلى حيث أُنزل بدار شمس الدين علي بن سُنْقر بدرب فَرَاشا[3] ، وأُنزِلَ جماعةٌ من الأُمراءِ الواصلين معه في دور، في عدة محال، وباقي عَسْكره في المُخَيَّم

(١) هو ما تزين به الفرس في عنقها، وتقاد بها.

(٢) في معجم البلدان (٢/ ٢٥١): باب سوق التمر. وثمة مشرعة اليوم في نهاية شارع السموأل تسمى شريعة خان التمر، نسبة إلى خان قديم للتمر يقع قرب مدخله الشاطيء، وفي ذلك دلالة أكيدة على أن سوق التمر ظل قائماً، اسماً ووظيفة، إلى وقت قريب، (انظر يعقوب سركيس: حريم دار الخلافة وباب التمر في التاريخ، مجلة لغة العرب ٨(٥، ١٩٣٧)٤٤٩، وأعيد نشره في كتاب مباحث عراقية ١/ ١٢٠ بغداد١٩٤٨).

(٣) محلة عَرَّفَ بها ياقوت بقوله: «وببغداد محلة بنهر المُعلى يقال لها درب فراشة» (معجم البلدن ٤/ ٢٤٣) ويُفهم مما أورده ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٦٧هـ من المنتظم (١٠/ ١٤٥) أنها كانت تضم سُوقاً احترق منه في تلك السنة اثنين وثمانين دكاناً غير الدور، وأنها كانت تنفذ إلى مشرعة على دجلة عُرفت بمشرعة الصّباغين، وكان إلى جوارها سوق عرف بالجديد (المنتظم ١٠/ ٢٠٥و٢١٢) وقد ظل اسم فراشا معروفاً حتى أوائل هذا القرن يُطلق على محلتي الدشتي وباب الأغا من محلات بغداد الشرقية.

ظاهر البلد، وأُقيمت له ولأصحابه الإقامات الوافرة، ثم سألَ زيارةَ المشاهد والرُّبُط ببغداد، فعُمِلَ له في كل مكان وليمة، وصَلَّى في جامع القصر جُمُعتين داخل الرواق إلى جانب المنبر، ثم حضرَ في منتصف صَفَر مؤيدُ الدين القُمِّي نائبُ الوزارة وولدُهُ والجماعةُ الذين حضروا يوم دخوله وجَرَت الحال على ما تَقدَّم شَرْحُه، وخاطَبَهُ الخليفةُ بما طابت به نفسُهُ، فقَبَّلَ الأرضَ وابتهل بالدعاءِ، وتلا قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٧﴾ [يس]، ثم أُسْبِلَت السِّتارة وخُلِعَ عليه في تلك الحُجْرة، وأُعطِيَ كوسات وأعلاماً وخمسين ألف دينار، برسم نَفَقة الطَّريق، وبرسم حاشيته وأصحابه عشرة آلاف دينار. وخرجَ من هناك إلى دار الوزارة وحضرَ جميعُ أصحابه فخُلِعَ عليهم بحضوره، وأقامَ بعد ذلك أياماً، ثم خرجَ إلى مخيَّمه بظاهر سور سوق السلطان[1]، وتوجه إلى بلده. وكانت مدة مقامه ببغداد عشرين يوماً، ومضَى معه محيي الدين ابن الجوزي، وسعد الدين حسن ابن الحاجب علي، وعادا في ربيع الأول وأخبرا أنَّ مظفر الدين حَلَّفَ أُمراءَهُ وأعيانَ أهلِ بلده على طاعة الخليفة، وتسليم البَلَد عند وفاته إليه.

(١) سوق السلطان، وهي السوق التي أمر ببنائها السلطان ملك شاه السلجوقي سنة ٤٨٥هـ فنُسبت إليه (المنتظم ٩/ ٦٠). وعند إنشاء سور بغداد الشرقية سنة ٤٨٨هـ نُسِبَ أول أبوابه من الناحية الشمالية القريبة من النهر إلى السوق المذكورة، فعرف بباب سوق السلطان، وهو الذي سمي، في القرون المتأخرة، بباب المعظم، فالسوق كان يشغل المنطقة الممتدة حالياً من هذا الباب إلى القُشلة، وبضمنها الميدان وسوق الهرج الكبير بتفرعاته، ومحلة جديد حسن باشا وما حولها. وسور السوق هو سور بغداد الشرقية نفسه من تلك الجهة؛ وما زال قسم منه شاخصاً عند قاعة الشعب، وظاهره هي المنطقة التي تشغلها ساحة باب المعظم تحديداً.

وفيها، عَزَلَ قاضي القضاة عبدالرحمن بن مُقْبل أبا عبدالله محمد ابن أبي الفَضْل الحنفي عن قضاء واسط، وكان قد قلده القضاء في السنة الخالية، فأقام بها شهوراً فلم يَحْمد مجاورة أهلها، وأُصعد لِيُقرِّرَ قاعدة يُمكنه المقام بها من توفير الجاه، فلم يتهيأ له ذلك.

وفي صَفَر، دخلَ بعضُ الاتراك إلى دار الوزير مؤيد الدين القُمِّي وطلب غَفْلَة السِّتْري[1] ، وانتهى إلى مجلسه فلم يصادفه جالساً، وكان بيده سيفٌ مشهورٌ وكان آخر النهار، وقد تَقَوَّضَ الجماعةُ من الدِّيوان، فصاحَ عليه خادمٌ، فتبادر الغِلْمان وأمسكوه، وأُنْهيَ[2] ذلك إلى مؤيد الدين فجلسَ وأُحْضِرَ التركي بين يديه، وسأله عما حَمَلَهُ على ذلك! فلم يقل شيئاً، فَضُرِبَ ضَرْباً مُبَرحاً، فذكر أنَّ له مدة لم يصله شيء من معيشته وهو ملازم الخدمة وقد أضَرَّ به ذلك، فحمله فَقْرُهُ وحاجتُهُ وغَيْظُه على ما فعل. فأمَرَ بصَلْبه، فَصُلِبَ وحُطَّ بعد يومين.

وفيها، أُنهي إلى الديوان أنَّ إنساناً يهودياً أسْلَم وتزوج مُسْلِمةً، ثم ارتد إلى دين اليهود، فأُمِرَ بقتله، فأُحْضِرَ وصُلِبَ.

وقُطِعَ لسانُ إنسان جيء به من هَمَذان تحت الاستظهار[3] ، نُقِلَ عنه أنَّه ادَّعى هناك اتصالاً بالخليفة المستنصر بالله، ثم حُمِلَ إلى المارستان، فحُبس به.

---

(١) هو الموكل بالستار لرفعه وإسباله عند الإيعاز.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «وانتهى» ولا معنى لذلك.

(٣) مصطلح مولّد، من الظهور، وهو الظفر بالشيء والاطلاع عليه، وهو يشبه قول أهل عصرنا أنه جيء به مخفوراً، أو تحت التوقيف.

وفيها، اجتاز رجلٌ بباب مَسْجد قد نُصِبَ عليه خَشَب ليُجْعَلَ عليه أضواء لأجل الخَتْمَة، فوقعَ عليه جذع فمات، وحُمِلَ إلى بيته، فقال الجيران: هذا تخاصم هو وزوجتُه اليوم فخرج وهو يقول: اشتهيت يقع[1] عليَّ شيءٌ حتى أموت واستريح منكم.

وفي ليلة عيد الفطر، فُتِحَ بابٌ في حائط دار الوزارة وجُعِلَ عليه شباك حديد، وجلس فيه مؤيد الدين القُمِّي نائب الوزارة، واستعرضَ العَسْكر.

وفي شوال، تكامل بناء المدرسة التي أنشأها شرف الدين إقبال الشرابي[2] بسوق العَجَم بالشارع الأعظم[3] بالقُرب من عَقْد سُور سوق

---

(١) في المطبوع: «اشتهيت أن يقع»، و«أن» لا وجود لها في الأصل الخطي، وهو كلام عامي.

(٢) هي المدرسة الشرابية، أو الشرفية، أو الإقبالية، منسوبة إلى اسم مؤسسها المذكور ولقبه ومهنته، من كُبريات المدارس المستجدة في أواخر العصر العباسي، وكانت موقوفة على الشافعية خاصة. وذكر ابن الفوطي في ترجمة مجد الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن هبة الله المعروف بابن الماوردي الواسطي أنه كان «خازن الكتب بالمدرسة الشرفية بخان زياد من سوق السلطان» (تلخيص مجمع الآداب ج٥ص١٨٣ الترجمة٣٦٢من الميم، وانظر ناجي معروف: المدارس الشرابية في بغداد وواسط ومكة، بغداد١٩٦٦).

(٣) كان هذا الشارع يمتد من الرصافة (الأعظمية) بخط مستقيم فيخترق محلة المُخَرِّم (العلوازية) ومنها يصل إلى باب سوق الثلاثاء فيخترق محلة سوق الثلاثاء (باب الأغا وشارع المأمون وسوق البزازين وما حوله) حتى يلتقي بسور دار الخلافة الشمالي، فينحرف شرقاً باتجاه المأمونية (عقد القشل والهيتاويين)، فباب الأزَج (باب الشيخ). وتكشف خرائط بغداد الموضوعة في أواخر العصر العثماني عن وجود درب عريض، يمتد باستقامة ملحوظة، من أمام القلعة (وزارة الدفاع حالياً) حتى موقع جامع مرجان. ومن المعلوم أن هذا الدرب هو الذي وُسِّعَ فصار شارعاً عاماً سمي بجادة=

السلطان مقابل درب الملاحين[١]. وكان المتولي لبنائها شمس الدين أبو الأزهر أحمد ابن الناقد وكيل الخليفة المستنصر بالله. وشَرَط الواقفُ له النَّظَرَ فيها وفي أوقافها، ثم بعده إلى من يلي وكالة الخلافة، وفُتِحَت في آخر شوال، ورُتِّبَ بها الشيخُ تاج الدين محمد بن الحسن الأُرْمَوي مدرساً، وخُلِعَ عليه وعلى الفُقهاء[٢] والمُعيد وجميع الحاشية ومن تولَّى عِمارتها، وحضر جميعُ المدرسين والفقهاء على اختلاف المذاهب، وقاضي القضاة عبدالرحمن بن مُقْبِل، فجلسَ في صَدْر الإيوان، وجلسَ في طَرَفي الإيوان محيي الدين محمد بن فَضْلان، وعماد الدين أبو صالح نصر بن عبدالرزاق بن عبدالقادر، فكلاهما قد كان قاضي قضاة، وعُمِلَ من أنواع الأطعمة والحَلْواء ما تَعَبَّى في صحنها قِباباً، وحُمِلَ من ذلك إلى جميع المدارس والأَرْبطة، وقُرِئت الخَتْمَة وتكلَّم الشيخُ محمد الواعظ، ثم جلسَ المدرسُ بعده، وذكر

= خليل باشا، فالشارع العام، ثم عُرِفَ بشارع الرشيد وما زال. فالشارع الأعظم إذن كان مطابقاً في قسمه الشمالي شارع الرشيد اليوم حتى التقاءه بساحة جامع مرجان.

(١) أوضحنا في تعليقنا على سور سوق السلطان موقع هذا السوق وامتداده الذي يشمل سوق الهرج الكبير حالياً بتفرعاته، ونص المؤلف هنا يوضح أن عقد هذا السوق (وهو بابه الداخلي لا الباب المعروف بباب سوق السلطان الذي هو باب المعظم فيما بعد) كان قريباً من مدخل سوق الهرج، الذي هو قريب من مدخل شار الرشيد، فلعل موضع ذلك العقد كان موافقاً لمدخل سوق الهرج لمذكور. ومن المعقول القول بأن سوق العَجَم، حيث تقع المدرسة الشرابية، يطابق اليوم أحد الأسواق المتفرعة من سوق الهرج، أو القريبة منه، ويكون درب الملاحين مقابله، أي باتجاه يعامد الشارع الأعظم، ماض يميناً نحو ضفة دجلة. وينطبق هذا التحديد حالياً على الدرب الممتد من ساحة الميدان، حيث مدخل سوق الهرج، إلى دجلة، عند قصر الثقافة والفنون.

(٢) يعني: طلبة الفقه.

دروساً أربعةً فأعربَ عن غزارة فَضْله وتوسّع عِلْمه.

وفيها، خُلِعَ على الأمير شمس الدين أصلان تكين، خِلْعةَ إمارةِ الحاج، وحَجَّ بالناس.

وفيها، تُوفي بركة[١] بن محمود الساعي المشهور بالسَّعي والعدو، وكان من أهل الحربية[٢]. سعى من واسط إلى بغداد في يوم وليلة، ومن تكْريت إلى بغداد، في يوم واحد، وحَصَلَ له بسبب ذلك مالٌ كثير وجاهٌ عَريض، واتصل بخدمة الخليفة الناصر لدين الله، وجعله أخيراً مُقَدَّماً لرجال الغَرَبة[٣]، فكان على ذلك إلى أن توفي.

وفيها، توفي الملك الأمجد أبو المظفر بَهْرام شاه[٤] بن فَرُّوخ شاه

---

(١) قارن: تاريخ الإسلام ٦٣/ ٢٥.

(٢) الحربية: محلة كبيرة نسبت إلى حرب بن عبدالله من قادة الخليفة أبي جعفر المنصور، وعُرفت أولاً بربض حرب، وكانت حدودها الجنوبية تمتد حتى سور مدينة المنصور ذاتها. وتتصل بها مقبرة باب حرب. ثم اتسعت، في أواخر العصر العباسي، فصارت تشمل الأقسام الشمالية من مدينة المنصور أيضاً، وهي في أعلى محلات بغداد الغربية، لا تحاذيها إلا الشماسية، وبينها وبين بغداد نحو ميلين. (ياقوت: معجم البلدان، مادتا (ربض حرب) و(الحربية)، وصالح أحمد العلي: بغداد مدينة السلام ١/ ١٦٥-١٨٤).

(٣) اتخذ هذا الباب اسمه من شجرة غَرَب كانت نابتة منه، وهو أول أبواب دار الخلافة العباسية من جهة الشمال، وكان قريباً جداً من ضفة دجلة، ويوافق موقعه اليوم شريعة شارع السمؤل. ويُفهم مما ذكره المؤلف أن عدداً من الرجال كانوا يقومون بحراسته.

(٤) الأعلاق الخطيرة ٤٩، ومرآة الزمان ٨/ ٦٦٨، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٥٣، وتاريخ الإسلام ٦٣/ ٢٨١-٢٨٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٣٠، والوافي بالوفيات ١٠/ ٣٠٤-٣٠٧، وفوات الوفيات ١/ ١٣١وغيرها.

ابن شاهنشاه بن أيوب[1] بن شادي صاحب بعلبك. كان قد مَلَكَها بعد أبيه فانتزعها الملكُ الأشرف موسى ابن العادل أبي بكر محمد بن أيوب منه قَهْراً، وأخرجه عنها، فرحلَ إلى دمشق وأقامَ بها، فاتهم بعض مماليكه بسرقة منطقة وحبسه فوثبَ[2] عليه ليلاً وقتلَهُ، فأُخِذَ المملوك وقُتِلَ. وكان الملك الأمجد أديباً فاضلاً شاعراً. فمن شعره يقول:

يـؤرقنـي حَنيـن وادِّكَـارُ ... وقد خَلَت المعاهدُ والدِّيارُ
تنـاءى الظَّـاعِنـونَ فلـي فـؤادٌ ... يَسِيرُ مع الهوادج حيث سَارُوا
وليلـي بعـدَ بُعْـدِهـم طـويـلٌ ... فـأيـنَ مَضَت ليـاليَّ القِصَـارُ
فمـن ذا يستعيـرُ لنـا عُيـونـاً ... تنام، ومَن رأى عيناً تُعَارُ؟

(١) تحرف في المطبوع إلى: «أيوب شاه».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «فيوثب».

سنة
تسع وعشرين وست مئة

في هذه السنة، وردت الأخبار بانتشار عساكر المغول في بلاد أذربيجان، وتَطَرّقهم إلى ما يقاربُها من النواحي والأعمال إلى نحو شَهْرَزُور[1]، فأخرجَ الخليفةُ المستنصر بالله الأموال، وجَهّزَ العساكر، وأرسل إلى سائر البلاد للجَمْع والاحتشاد، فورد كتاب مظفر الدين كُوكْبري صاحب إرْبل يسأل إنجادَه بالعساكر، ليتفق معهم. فَتَقَدَّمَ الخليفةُ بخروج العساكر، فبرزوا إلى ظاهر البلد وتجهزوا وساروا ومقدمهم جمال الدين قَشْتَمُر النَّاصري، ومعه من الأُمراء، شمس الدين قَيْران، وعلاء الدين إيلدكُز، وبهاء الدين أرغش، وفلك الدين زَعيم البَيَات. فساروا قاصدين مظفر الدين كوكبري صاحب إرْبل فالتقوا به في موضع قريب من الكَرْخِيتَى[2]، فأقاموا عناك بقية شهر رَجَب

---

(١) ناحية وصفها البلدانيون العرب بأنها كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان، وهي مدينات وقرى فيها مدينة كبيرة، وهي قصبتها، يقال لها نيم أزاري، ودزدان (معجم البلدان ٣/ ٣٧٥، والقزويني: آثار البلاد٣٩٩). قلنا: وهذه المدينة هي التي عرفت في الحقبة اللاحقة باسم (كلعنبر) (تعرف حالياً باسم خورمال). وقد عادت، في القرن العاشر للهجرة، لتعد قصبة الإقليم، حتى انتقال إدارتها إلى كركوك في أوائل القرن الحادي عشر للهجرة.

(٢) هكذا مجودة الضبط في النسخة، قبل الألف التي على صفة الياء، تاء ثالث الحروف، وهكذا ضبطها الفيروزآبادي في (كرخ) من قاموسه. وضبطها ياقوت في «معجم =

وشعبان، فجرى بين بعض مماليك الخليفة وبَيْطار من أصحاب مُظفر الدين صاحب إرْبل خصومة، فعاونه جماعةٌ من أصحابه، فانتشبَ بسبب ذلك بين العَسْكرين فتنة أدَّت إلى قَتْل وجراح، فركبَ مظفر الدين بسلاحه وكذلك أصحابُه، ثم وقفَ في باطن دهليز سُرادقه، وكادت الحرب تنشب بينهم، فركب جمال الدين قَشْتَمُر بغير سلاح ولا مداس، ومنعَ غِلْمانه ومماليكه من متابعته، ودخل في غمار الوقعة وقصدَ خَيْمة مظفر الدين صاحب إرْبل، فوجده راكباً بالعُدَّة الكاملة، يُحَرِّض أصحابَهُ على القتال، فلاطَفَهُ وخَجَّلَهُ وقَبَّحَ له ذلك، فعرف وجه الصواب، فرجع عما كان عزم عليه، وسكنت الفتنة. ثم اتفقوا على الرحيل إلى مدينة شهرزور لأنهم بَلَغهم أنَّ المغول قد وصلواساميان[1] وحاصروا[2] حاصبك، فَنَفَّذَ جمال الدين قَشْتَمُر جماعةَ طلائع، وجعلَ مقدَّمهم أربن[3] العراقي، ثم رحلوا في ثامن شهر رمضان ونزلوا في موضع يعرف بالأكراد[4]، فورد الخبر إليهم بوصول

= البلدان»، وتبعه ابن عبدالحق في «مراصد الاطلاع» بالنون، فقالوا: كرخيني، قال ياقوت: «وهي قلعة في وطأ من الأرض حسنة حصينة بين دقوقا وإربل، رأيتها، وهي على تل عال، ولها ربض صغير» (٤/ ٤٥٠). قلنا: ضبطها بالتاء ثالث الحروف أولى، وهي مدينة كركوك الحالية، وقلعتها معروفة إلى اليوم قائمة على التل العالي الذي شاهده ياقوت، ثم اتسعت حوله بعد اكتشاف النفط فيها.

(١) من قرى همذان، وسماها ياقوت «سامين».

(٢) في الأصل: «وحاصر» ولا يستقيم النص.

(٣) هكذا في الأصل، وقد تُقرأ: «أرين» بالياء آخر الحروف بدل الباء، ووقعت في المطبوع: «أرتر» محرفة.

(٤) لم نقف على موضع بهذا الاسم في الكتب المتوفرة، ولعلها «شهركُرد» بلفظ واحد =

أمين الدين كافور خادم الخليفة المستنصر بالله، فركب جمال الدين قشْتَمُر ومظفر الدين صاحب إرْبل، وجميع الأمراء للقائه، فاجتمعوا به، وعَرَّفَهُم ما أمر به الخليفةُ، ثم عادَ في سحرة تلك الليلة إلى بغداد. وأُحْضِرَ في تاسع رمضان عند جمال الدين قشتمر، ثلاثةُ نَفَر وامرأةٌ من المغول فسألهم عن أخبارهم، فذكروا أنَّهم فارقوهم راجعين من مَراغة[1] ، فأخَذ عليم شروط الإسلام، فأسلموا فضمهم إليه. ثم رحلوا وساروا حتى عَبَروا الدَّرْبَنْد، فوصلَ إليهم إلدكُز مُخْبراً أنهم صادفوا يَزَكاً[2] منهم على غرّة، وجَرَت بينهم هوشة[3] ، وأنَّ المغول استظهروا عليهم لكثرتهم ومعرفتهم بالأرض، وقتلوا مُقَدَّم الطلائع وجماعة من العَسْكر، فعند ذلك جدوا في السير فوصلوا شَهْرَزُور، ونزلوا بقريةٍ يقال لها مُوغان[4] غربي شَهْرَزُور، فلم يُمْكنهم المقام هناك، لعدم الماء العذب فيه، ومات في ذلك المنزل خلقٌ كثيرٌ بهذا السبب، فعند ذلك أظهرَ مظفر الدين صاحب إرْبل المرضَ وشِدَّته، فدخل إليه جمالُ الدين

= الأكراد، التي سيذكرها المؤلف بعد قليل، وذكرها ياقوت باسم «كُرْد»، وهي قرية بفارس.

(١) بلدة مشهورة من بلاد أذربيجان.

(٢) اليَزَك، لفظة تركية يراد بها، سرية استطلاع من الجيش.

(٣) الهَوْشَة: الفتنة والهيج والاضطراب والهراج والاختلاط (كما في لسان العرب)، وتستخدم في العامية العراقية بالسين المهملة.

(٤) لم نقف على هذه القرية، وقول المؤلف: إنها في غربي شهرزور يدل على أنها ليست موغان الولاية المعروفة بأذربيجان، فهذه تقع بين أردبيل وتبريز (معجم البلدان ٥/ ٢٢٥، والقزويني: آثار البلاد ٥٦٤) أي إلى الشمال الشرقي من شهرزور، وهي ولاية وصفت بالسعة، لا قرية كما ذكر المؤلف.

قَشْتَمُر عائداً، فوجده ملقىً[1] على ظهره، فقال: لا غَنَاء لي عن التوجه إلى بلدي[2] . وطلبَ منه ولدَه شرفَ الدين علياً[3] ، وقال: يكون معي إذا مت يتسلم البلد. وطلب أيضاً الأمير سعد الدين حسن ابن الحاجب علي، ليسلم إليهما خُفْتِيان[4] ، فأجابه إلى ذلك. فتوجه مظفر الدين قاصداً بلدَهُ وتوجه قَشْتَمُر إلى الكَرْخِيتَى. وأما مظفر الدين فإنه وصل إلى إرْبل، وأقامَ شرفُ الدين وسعد الدين عنده أياماً ثم سَرَّحَهُما، فعادا إلى الكَرْخِيتَى، وأخْبَرَا[5] أنَّه في أتم عافيةٍ وأنَّ ذلك كان حيلةً منه. وكان جمال الدين قَشْتَمُر قد نَفَّذَ الأمير ابن حُسام الدين طُرْغُل[6] ونور الدين ألدكزُ إلى الدَّرْبَنْد يزكاً، فذهبا يتصيدان فما أحسا إلا وقد أحاط المغول بِخِيَمِهِما، فأخذوها وما فيها، فلما بلغ ذلك جمال الدين قَشْتَمُر ركب بمن معه وصعد رأس جَبَلٍ[7] هناك واعتبرَ العَسَاكر، فلم يجد إلاّ الأُمراء والمماليك ومتميزي الأجناد، وترقب

(١) تصحفت في المطبوع إلى: «ملقي».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «بلد».
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «علي».
(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «خفيتان»، وقال ابن عبدالحق بعد أن قيدها بالحروف كما قيدناها: «قلعتان عظيمتان، من أعمال إربل، إحداهما على طريق مراغة يقال لها خفتيان الزرزاري... والأخرى خفتيان سرخاب في طريق شهرزور، وهي أعظم من تلك وأفخم، وتكتب في الكتب: خُفْتيكان، وهو الصحيح في اسم القلعتين». ولا ندري أيهما عنى المؤلف.
(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «وأخبراه».
(٦) هكذا في الأصل، ولعله: طغرل.
(٧) تحرفت في المطبوع إلى: «الجبل».

وصول المغول فأسفرت الحال عن يَزَكٍ كان لهم، وأنَّ قطعةً منهم بالدَّرْبَنْد، فاقتضَى رأيه الرجوع، والنزول في المنزل تطييبا للناس من النُّفُور والانزعاج، فحضر جميع الأُمراء عنده وظهيرُ الدين بن عبدالله عارض الجيوش[1] ، ودارت المشورة بينهم في كيفية لقاء عدوهم فكلٌّ منهم أشار بشيءٍ، إلا عارض الجيش، فإنه قال: الرأي معكم. فاتفقوا على الرَّحيل ليلاً من غير طَبْل ولا شَعْل[2] ، والمسير إلى شَهْركُرْد[3] فهناك وطأةٌ واسعة وأرضٌ فسيحة تصلح للحرب، فرحلوا هَمْسة من غير حركة تُسْمَع، فَصَبَّحُوا شَهْركُرد. وأما من كان معهم من العساكر الغُرباء فإنَّهم رحلوا متفرقين كل منهم طلبَ بلدَهُ. وأقام جمال الدين قَشْتَمُر ومن معه من العساكر فلم يقدم أحد من[4] المغول إلى محاربته، فأنْهَى ذلك إلى الديوان، فتُقُدِّمَ إليه بالعَوْد، فرحلَ قاصداً مدينة السَّلام، فلم يُؤْذَن له في دخول البلد، فأقامَ بظاهره إلى صَفَر سنة ثلاثين وست مئة، ثم أُذِنَ له فدخلَ[5] .

وفي هذه السنة، نُقِلَ عن[6] عبدالله بن ذُبابَةَ، ما اقتضَى ضَرْبَه على باب النُّوبي، وقَطْعَ لسانِه وإحْدَارَه إلى البصرة، وإلزامَهُ المقامَ بها.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «الجيش».
(٢) تصحفت في المطبوع إلى: «شغل».
(٣) ذكر البلدانيون «كُرْد» قرية بفارس. أما شهركُرْد، فلم يذكروها. و«شهر» تعني بالفارسية: مدينة.
(٤) سقطت من المطبوع.
(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «الدخول»!
(٦) سقطت من المطبوع.

وفيها، جَرَت فتنةٌ بين أهل باب الأزَج[1] وبين أهل المُختارة[2]، وترامَوا بالبُنْدق والمَقَاليع والآجُر، وتجالدوا بالسيوف فقُتِلَ من الفريقين، وجُرِحَ جماعةٌ فتقُدِّمَ في عشية اليوم التالي بخروج الجُنْد وكَفِّهم عن ذلك، فخرجَ نائب باب النُّوبي ومعه جماعةٌ من الجُنْد وكَفَّهُم وقبضَ على جماعةٍ منهم فضربَهُم وقَطَعَ أعصابَهُم، وحَبَسَهُم[3] فسكنت الفتنة.

وفيها، صعد إنسانٌ إلى الشيخ محمد الواعظ وهو على منبر وَعْظه بباب بَدْر ومعه سُمَّان[4]، وقال له: إني رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام، وقال لي احمل[5] هذا السُّمّان إلى محمد الواعظ وقل له يعطيه للخليفة. فاستيقظتُ وهو في يدي، فقال له: امسكه معك إلى حين فراغِ المجلس، فأُنْهِيَت الحالُ إلى الخليفة فَتُقُدِّم بأن يُعَزَّرَ ويُوكَّلَ به على كذبه على النبيِّ ﷺ.

---

(١) محلة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحال كبار في شرقي بغداد، فيها عدة محال كل واحدة منها تشبه أن تكون مدينة (ياقوت: معجم البلدان ١/ ١٦٨) منسوبة إلى أزج (وهو البيت يبنى طولاً) معقود في صدرها، ويوافق موقعها اليوم محلات: باب الشيخ، ورأس الساقية، وقسماً من محلة السنك حتى دجلة.

(٢) محلة كبيرة من محال الجانب الشرقي من بغداد بين باب أبرز وقراح القاضي والمقتدية (معجم البلدان ٥/ ٧١) ويوافق موقعها اليوم القسم الشمالي الشرقي من محلة قنبر علي ولعلها كانت تمتد شرقاً لتتصل بمقابر باب أبرز (معجم البلدان ٤/ ٣١٥).

(٣) سقطت من المطبوع.

(٤) طائر معروف.

(٥) وقع في المطبوع: «وقال لي لا أحمل»، ولا معنى لها.

وفيها، قَلَّدَ قاضي القضاة عبدالرحمن بن مُقْبِل الواسطيُّ أحمدَ بنَ عَنْتَر الهُماميَّ[1]، قضاءَ واسط وخُلِعَ عليه، فخرج والبَسْمَلة[2] بين يديه متوجهاً إلى داره، فاجتازَ على دار الوزارة، وكان مؤيد الدين القُمِّي جالساً في الشباك فأنكَرَهُ وسألَ عنه فعُرِّف الصُّورةَ، ولم يكن قاضي القضاة استأذنه في تَرْتيبه، فأنكرَ الحالَ على قاضي القُضاة، فنَفَّذَ في الحال إلى المذكور وكيلاً شافهه بالعَزْل، ثم إنه بعد ذلك شُفِعَ إلى الوزير في ابن عَنْتَر، فتَقَدَّم إلى قاضي القضاة بإعادته، فأعاده.

وفيها، أذن الخليفة المستنصر بالله لولده الأمير المؤيد أبي[3] أحمد عبدالله أن يُوكِّلَ العَدْلَ عبدالوهاب بن المُطَهّر[4] وكالةً شرعيةً، فوكَّلَهُ، وأشهدَ على نفسه بذلك العَدْلين علي بن النَيَّار مؤدبه، ومحمد بن حَدِيدة[5].

وفيها، تَقَدَّمَ الخليفةُ إلى الأمير شمس الدين باتكين زعيمِ البَصْرة

---

(١) منسوب إلى «الهمامية» بلدة من نواحي واسط، بينها وبين خوزستان، منسوبة إلى همام الدولة منصور بن دبيس بن عفيف الأسدي، وليس هذا بصاحب الحلة، بل هؤلاء أمراء تلك النواحي في أيام بني مزيد أيضاً، كما في «معجم البلدان» و«المراصد».

(٢) وترد أحياناً «البسلمة» محرفة، وقد وجدنا هذه اللفظة مجودة في «عقود الجمان» ٤/٧١، ولا نعرف معناها على وجه الدقة، لكن يمكن أن يكون شيئاً فيه «بسم الله الرحمن الرحيم» يحمل بين يدي كبار الموظفين.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «المؤيدي أحمد بن عبدالله»، وهو الخليفة المستعصم بالله.

(٤) تحرف في المطبوع إلى: «المظفر».

(٥) تحرف في المطبوع إلى: «حديد».

بعمارة جامعها وتجديدِهِ وإحكامِهِ وتشييدِهِ، وإنشاءِ مارستان هناك، وأن تكون[1] الغرامة عليه من خالص مال الخليفة وأن يوقف[2] عليه وقوفاً سَنِيَّة موفرة الحاصل.

ذكر عَزْل الوزير مؤيد الدين القُمِّي وولاية نصير الدين أبي الأزْهَر أحمد ابن النَّاقِد.

في يوم السبت سابع عشر شوال، تُقُدِّم إلى مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد ابن العَلْقَمِي مُشرف دار التَّشريفات يومئذ أن يحضر عند أستاذ الدار شمس الدين أبي الأزهر أحمد بن النَّاقد ويتفقا على القَبْض على نائب الوزارة مؤيد الدين أبي[3] الحسن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن برز القُمِّي. فجمعَ أُستاذ الدار رجالَ النَّوْبَتَيْن وأمرهم بالمبيت في دار الخلافة ولم يُشْعِر أحداً منهم بشيءٍ فلما أُغْلِقَ بابا النُّوبي والعامة[4]، عَيَّنَ على جماعةٍ مع ابن شُجاع مُقَدَّم باب الأتراك،

---

(١) تصحفت في المطبوع إلى: «يكون».

(٢) تصحفت في المطبوع إلى: «توقف».

(٣) من هنا إلى نهاية اسمه سقط من المطبوع جملة!

(٤) باب العامَّة: أحد أبواب دار الخلافة العباسية، ويسمى باب عمورية أيضاً، يقع باتصال رحبة جامع القصر، حيث مجتمع العامة من أهل بغداد، ومنهم اكتسب الباب اسمه. وقد أقدم كثير من الوزراء والأمراء على إنشاء قصورهم ودورهم حوالي هذه الرحبة، كدار الوزير ابن هبيرة، ودار الأمير يزدن التركي، ودور الوزير ابن جهير، ودار الكمال حمزة بن طلحة، وغير ذلك، فاكسب ذلك الباب ورحبته أهمية كبيرة. ويوافق موقع الباب اليوم حي النصارى في غربي جامع الخلفاء (انظر: معجم البلدان٢/ ٢٥١).

بالقبض على القُمّي إذا[1] فُتحَ باب النُّوبي، وعَيَّنَ على جماعةٍ مع حَسن ابن صالح المِعْمار[2] للقبض على ولده في الساعة المعينة، وعَيَّنَ جماعةً للقبض على أخيه وجميع أصحابه وخواصه. فلما فُتِحَ باب النُّوبي خرجَ الجميع بالسيوف وهجموا عليه وعلى وَلَدِه وأخيه وجميع أصحابه في ساعةٍ واحدةٍ لم[3] يفلت منهم صغيرٌ ولا كبير. فأما هو وولدُهُ فنُقِلا ليلاً إلى باطن دار الخلافة فحُبِسا هناك. وأما بناتُهُ ونساؤه فنُقِلْنَ إلى دارٍ بالقَصْر من دار الخلافة. وأما أخوه ومماليكه وأصحابه فحُمِلوا إلى الدِّيوان.

وفي يوم السبت المذكور، استُدعي أستاذُ الدَّار شمسُ الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد إلى دار الخلافة، وخُلِعَ عليه نيابةَ الوزارة وقُلِّدَ سَيْفاً وقُدِّمَ له مَرْكبٌ بمركبٍ ذهباً، وركب من باب البُستان المقابل لدار التَّشريفات وبين يديه جميعُ الحجاب، وقد تقدمه إلى الديوان جميع أرباب الدولة، فدخل إليه، وجلسَ في الموضع الذي جرت عادة نواب الوزارة بالجلوس فيه، وكتب الإنهاء وبرزَ الجوابُ فقرأهُ قائماً على الحاضرين، وأَمَرَ الخليفةُ بأن يُخاطب بخطاب الوزير أبي الحسن ناصر ابن المهدي العلوي وهو: المولى الوزير الأعظم الصَّاحبُ الكبيرُ المُعَظَّم، العالمُ العادلُ، المؤيَّدُ المظفَّرُ المُجاهدُ نصيرُ الدين صدرُ

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «إذ».

(٢) المعمار: هو الكثير التعمير، وأطلق على البناء هنا، ومازال يسمى البناء المتمكن ببغداد إلى يوم الناس هذا: «المعمار».

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «فلم».

الإسلام، غَرْس الإمام، شرفُ الأنام، عَضُدُ الدولة، جلالُ المِلَّة، مغيثُ الأُمة، عمادُ الملك، اختيارُ الخلافة المعظَّمَة مُجتبى[1] الإمامة المُكَرَّمة، تاجُ الملوك، سَيِّدُ صُدُور العالمين، ملكُ وزراء الشَّرق والغَرْب، غياثُ الورى، أبو الأزهر أحمد بن محمد ابن النَّاقد ظهيرُ أمير المؤمنين، ووليه المُخْلِص في طاعته، الموثوقُ به في صحة عقيدته.

وفي يوم الاثنين تاسع عَشَر شَوَّال، وَلِيَ مؤيدُ الدين أبو طالب محمد بن أحمد ابن العَلْقَمي أستاذية الدار، وخُلِعَ عليه في دار الوزارة، وركبَ في جمعٍ كثيرٍ، وأُسْكِنَ في الدار المقابلة لباب الفِرْدوس[2].

ولما قُبِضَ على القُمِّي قال الشُّعراء في ذللك أشعاراً كثيرة، منها ما قاله الحاجب محمد بن عبدالملك الوظائفي وحَرَّض الخليفة على قتلهما[3] بألفاظ رُماة البُنْدُق، وهو:

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «محبتي»!

(٢) قال ياقوت: «وباب الفردوس أحد أبواب دار الخلافة ببغداد» (معجم البدان، مادة فردوس) وقال في مادة (نهر المعلى): «هو نهر يدخل من باب بين وهو باق إلى الآن مُستمده من الخالص فيسير تحت الأرض حتى يدخل دار الخلافة وهو المسمى بالفردوس». قلنا: ولا نعلم باباً لبغداد اسمه باب بين، وإنما هو اسم النهر المستمد من الخالص. فالظاهر أنه يريد اسم مدخله إلى بغداد، لا باباً من أبوابها، ولعل تمام الجملة الأخيرة أنه يدخل «من باب دار الخلافة وهو المسمى بالفردوس». ويفهم من هذا أن الباب كان في الجهة الشمالية الشرقية لدار الخلافة.

(٣) هلك مؤيد الدين في السجن في السنة التالية، وهي سنة ثلاثين. وكان ابنه واسمه أحمد قد أساء السيرة، وتجبر، وقطع الألسنة، وسفك الدم الحرام، ولم يكفّه والده عن ذلك، فكان هو سبب النكبة. (وانظر مختصر التاريخ للكازروني ٢٥١ =

لقد انتحَى المستنصرُ المنصورُ | يومَ المكين[1] كما انتحىَ المنصورُ
مَلَكَ الخُراسانيُّ ذاكَ ببغيه | وكَذا خُراسانيُّنا المأسورُ
لا تُبقه يا خيرَ من وطىء الحَصَا | فالحَزْم أن لا يُهْمَل الموتورُ
وافصم عُرَى عُنق القصير فدونَهُ | في المَكْر والكَيْد الوكيد قَصِيرُ
مولاي في وجه العُداة صرعتَ مُصْـ | ـطحباً وطير المُخْر فيه وكورُ
أَخليتَ منه الجو في ندب وكم | حامت عليه ولم تَنَلْه نُسورُ
خَيَّشْتَه لكن مُفيقاً فاتبع | ماسنه في البُنْدُقِ الجمهورُ
والرأي تَذْكية المُفيق فإنه | ما زالَ يملك رَوْعه ويطيرُ
فالكي مخلفه لديه واضع | في حده عَضُد له وظَهِيرُ
لا تَأمَنَنَّ عليهما في مَحْبَس | ضَنكٍ فعندهما له تَدْبيرُ
كم هاربٍ من قُلَّةٍ في قَلْعةٍ | ولَكَم نَجا بقيودِه مَطْمورُ
فاقتلهما بالسَّيف أحوط حارس | لهما وهذا أوَّل وأخيرُ
ضَلَّ المكينُ بكلِّ ما صَنَعَتْ به | آراؤه في دَسْتِه المَغْرورُ
وَتر الخلافة بالخلاف ولم يكن | قد رَدَّ تدبير الملوك وزيرُ
فعزمتَ فيه عَزْمةً نَبَويةً | كادت لسطوتها السماءُ تَمُورُ
حُرِسَتْ ثغورُ المُسلمين بعزله | وتبسمت للعالمين ثغورُ

وفيها، وَلِيَ جمالُ الدين علي ابن البُوري حُجْبة[2] باب النُّوبي.

= و٢٥٧ و٢٦٤، والفخري ١٥٣ و٣٢٦، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٤٦، والوافي بالوفيات ١/١٤٧).

(١) المكين، هو لقب مؤيد الدين القمي قبل الوزارة.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «حجابة».

وفيها، قُطِعَ الشيخ محمد المعروف بالواعظ عن الوَعْظ ومنع من الجلوس بباب بَدْر، وكذلك العَدْل إسماعيل ابن النَّعَّال الواعظ.

وفي ذي القعدة، أستنابَ نصيرُ الدين أبو الأزهر أحمد ابن الناقد نائبُ الوزارة أخاه جمالَ الدين عبدالله في الوكالة، ليتوفر هو على أمر الوزارة.

وفيه، أنعم الخليفةُ على الأمير علاء الدين أَلْطبرس[1] المعروف بالدويدار الكبير بالدار المقابة لباب الحُرَم المجاور لدارِه، وانتقل عنها مُعَلَّى ابن الدّباهي.

وحج بالناس في هذه السنة الأمير شمس الدين أصلان تكين النَّاصري.

وفيها[2]، توفي علي بن خطاب الفقيه الشافعي. وكان أديباً

(١) تحرف في المطبوع إلى: «الطبرسي».

(٢) هذه الترجمة كتبت في حاشية النسخة الخطية بخط المتن نفسه، فهي مستدركة، وقد أجحف التصوير ببعضها، وعرفنا بقيتها من مصادر ترجمة صاحبها. وقد أخلت بها النسخة المطبوعة كلية. وعلي بن خطاب هذا كان فقيهاً شافعياً، ومقرئاً معروفاً، أصله من واسط إذ ولد في قرية من قراها يقال لها «المُحْدَث» سنة ٥٦١هـ، وقرأ بواسط القرآن بالقراءآت، ثم دخل بغداد وتفقه بها، وتميز بالفقه والعربية والقراءآت، فكان يجالس الخليفة المستنصر بالله. وترجمه المنذري في التكملة (٣/ الترجمة ٢٤٠٩)، والإسنوي في طبقاته (الورقة ١٨٥)، وكذلك السبكي (٨/ ٢٩٤)، وابن الملقن في العقد المذهب (الورقة ١٧١-١٧٢)، باعتباره شافعي المذهب. وترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام ٦٣/ ٣٣٢-٣٣٣، والصفدي في الوافي ١٢/ الورقة٥٦، وفي نكت الهيمان في نكت العميان ٢١١-٢١٢ لأنه كان ضريراً، والجزري في غاية النهاية (١/ ٥٤١) لأنه كان مقرئاً. وأصل ترجمته في تاريخي ابن الدبيثي وابن النجار.

شاعراً، فمن شعرة:

وجاهلٌ يوم عاشوراء عَنَّفَنِي على الصيام وقال الصومُ مكروه
يوم أحاط بأهل البيت ظالمهم ......
أصوم لله إذ ما كنت ظالمهم شكراً وحبي لـ...

وفيها، توفي أبو بكر محمد[1] بن عبدالغني المعروف بابن نُقْطَة. كان على طريقة حَميدة وقاعدة جَميلة، عُنِيَ بعلم الحديث وسماعه، وسافرَ البلادَ في طلبه.

وفي خامس شَوَّال، تُوفي جمالُ الدين محمد[2] بن علي بن خُلَيْد الكاتب. شَيْخٌ فاضلٌ عالم بالسِّيَر والأخبار، كتبَ بخطه كثيراً، وجمعَ عدة مجاميع، واختصر كتاب «الأغاني» للأصفهاني، وخدمَ في عدة أعمال، منها: كِتابه المَخْزن، وخزانة الغَلّات بباب المراتب وإشراف البلاد الحِلّية، وغير ذلك، وصَنَّفَ كتاباً في علم الكِتابة وسَمّاهُ «جوهر اللُّباب في كتابة الحِساب»[3].

---

(١) تكملة المنذري ٣/الترجمة ٢٣٧٤، ووفيات الأعيان ٤/٣٩٢-٣٩٣، وتلخيص مجمع الآداب ٥/الترجمة ١٥٠٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٤٧-٣٤٩، وتاريخ الإسلام ٦٣/٣٤٤-٣٤٦، والعبر ٥/١١٧، وتذكرة الحفاظ ٤/١٤١٢-١٤١٤، والمشتبه ٦٧١، والوافي بالوفيات ٣/٢٦٧-٢٦٨، ونثر الجمان للفيومي ٢/الورقة ٤٢، والبداية والنهاية ١٣/١٣٣، والذيل لابن رجب ١/١٨٢-١٨٤ وغيرها. وهو مؤلف كتاب «التقييد في معرفة رواة الكتب والمسانيد»، و«إكمال الإكمال»، وهما من الكتب النفيسة. ونقطة: اسم جارية ربت جد أبيه، فعرف بها.

(٢) تاريخ الإسلام ٦٣/٥٤٧.

(٣) قال الذهبي: «وَصنّف في علم الديوان والحساب مُصَنَّفاً ذكر فيه جماعة من الكتاب، وجعل الأمثلة ثلاثة وثلاثين مثالاً، وكان ابن حمدون قد وضع الأمثلة تسعة وثمانين=

= مثالاً، فلم يخل ابن خُليد بشيء منها يُحتاج إليه، فذكر صناعة التعديلات، والصياغات، والاستعمالات، ثم ذكر الفلاحات، وعلاج الغلات، وكيفية الشذور، وغير ذلك».

سنـــة
ثلاثين وست مئة

في المُحَرَّم، قُلِّدَ العَدْلُ مجدُ الدين أبو القاسم هبة الله ابن المَنْصوري الخطيب، نقابةَ نُقباء العباسيين والصَّلاةَ والخطابةَ، وخُلِعَ عليه قميصٌ أطلس بطراز مذهباً، ودُرَّاعة[1] خازاً[2] أسود، وعمامةُ ثَوب خازاً أسود مذهب بغير ذُؤابة، وطَيْلَسان قَصَب كُحلي، وسَيْفٌ محلى بالذَّهب، وأُمْطِي[3] فَرَساً بمركب ذَهَباً، وقُرِىءَ بعضُ عهده في دار الوزارة وسُلِّمَ إليه، وركبَ في جماعةٍ إلى دارٍ أُنْعِمَ عليه بسُكناها في المُطَبَّق[4] من دار الخلافة، وأُنْعِمَ عليه بخمس مئة دينار. وهو من

---

(١) الدُّرَّاعة: لباس خاص مفتوح من أمام ومزرر بأزرار وعرى. وكان مما يتميز بلبسه الوزراء وبعض ذوي المناصب الرفيعة في ذلك العصر (دوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ١٤٦).

(٢) هكذا في الأصل المخطوط، ووقعت في المطبوع «خاراً» - بالراء المهملة -، وهي تتكرر في كتابات العصر بالزاي، فكأنها «الخز».

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «وامتطى».

(٤) المُطَبَّق: طريق تحت وجه الأرض كان بين دار الخلافة العباسية وجامع القصر، يسلكه الخلفاء في أيام الجُمع لأداء الصلاة في الجامع المذكور. ذكر ابن الأثير (الكامل ٩/ ٣٦٩) أن المستنصر بالله « أراد أن يصلي الجُمُعة في المقصورة التي يصلي فيها الخلفاء فقيل له: إنَّ المطبق الذي يسلك، فيه الآن خراب لايمكن سلوكه فركب فرساً وسار إلى الجامع، جامع القصر، ظاهراً يراه الناس. . . وكذلك الجمعة الثانية حتى أصلح له المطبق».

أعيانِ عُدُول مدينة السَّلام وأفاضل أرباب الطريقة المتكلمين بلسان أهلِ الحَقِيقة. كان يَصْحبُ الفقراءَ دائماً، ويأخذ نفسه بالرِّياضة والسِّياحةِ والصَّوْمِ الدائمِ والتَّخَشُّن والتَّباعد من العالم[1] . وكان الموفَّق عبدالقاهر[2] ابن الفُوَطيّ من جُملة تلامذته فَعمِلَ فيه أبياتاً طويلةً، لما انتهى حالها إلى الدِّيوان أُنْكِرَ ذلك عليه ووُكل به أياماً، ولم يخرج إلاّ بشفاعته، وأول الأبيات:

نـاديتُ شيخي مـن شِـدّة الحَرَبِ[3] وشَيْخُنا في الحرير والـذَّهَبِ
فـي دَسْتِـهِ جـالسـاً بَبِسْملـةٍ بيـن يـديـه إن قـامَ فـي أدبِ[4]
ورتبـةٍ منـه كنـتُ أعهـده يـذمُّ أربَـابَها[5] علـى الـرُّتـبِ
وكـان أبنـاؤهـا[6] لـديـه علـى سُخْط مـن الله شـامـل الغَضَبِ

(١) ظل ابن المنصوري في منصبه إلى حين وفاته في الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٣٥هـ، ولم يذكر المؤلف وفاته. وهو أبو القاسم هبة الله بن عبدالله بن أحمد بن هبة الله بن عبدالقادر بن الحسين المعروف بابن المنصوري، أجاز لزكي الدين المنذري، وترجمه في «التكملة» ٣/الترجمة٢٨١١، كما ترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام ٦٣/٢٥٦.

(٢) تحرف في المخطوط والمطبوع إلى: «عبدالغافر»، وهو موفق الدين عبدالقاهر بن محمد بن الحسن البغدادي المعروف بابن الفوطي، وهو خال والد كمال الدين ابن الفوطي صاحب «تلخيص مجمع الآداب»، وقد ترجمه في الملقبين بـ«موفق الدين» وذكر أنه استشهد في واقعة بغداد سنة ٦٥٦. وترجمه ابن الشعار في «عقود الجمان»، وذكر التقاءه به غير مرة، وساق هذه القصيدة، وذكر أنه قرأها عليه في المدرسة المستنصرية سنة ٦٣٩هـ (٤/ ٧٠-٧٥).

(٣) الحَرَب: الغضب. وفي عقود الجمان «العجب».

(٤) في عقود الجمان: أرب.

(٥) في عقود الجمان: ابناءها.

(٦) في عقود الجمان: أبابها.

أصابَ في الرأي من دعاكَ لها ... وأنتَ لما أجبت لم تُصِبِ
أول صَوْت دعاك عن عَرَضٍ[1] ... لَبَّيْتَهُ مُقْبلاً على السَّبَبِ
قد كنت ذاك الذي يُظن به ... لو لم تكن مُسْرعاً إلى الرُّتبِ

ويقول فيها:

شيخي أين الذي يُعلِّمنا الـ ... ـزُهْد ويَعْتَدّه من القُرَبِ
أين الذي لم يزل يُسَلِّكنا ... إلى خروج عن كُلِّ مُكْتَسَبِ
أين الذي لم يزل يُعَرِّفنا ... فَضْلَ التَّعَري بالجوع والسَّغَبِ[2]
أين الذي لم يزل يُرَغِّبنا ... في الصُّوف لُبْساً له وفي الجَشَبِ[3]

ومنها:

وأين من غَرَّنا بزُخرفه ... حتى[4] اعتقدناهُ زاهدَ العربِ
وأين ذاك التجريد يُشعرنا ... أنَّ سواه في السعي لم يجبِ
وأين مَن لم يزل يذم لنا الـ ... ـدُّنيا وقول المحال والكذبِ
وأين مَن لم يزل بأدمعه ... يَخْدَعنا باكياً على الخَشَبِ
وأين مَن كان في مواعظه ... يَصُول زَجْراً عن كل مُجتنبِ
ويقطعُ القَوْلَ لا يُتَمِّمُهُ ... مُنْغَلِباً بالسَّماع والطَّرَبِ
ويُقْسِم الغُمْر إنَّه رجلٌ ... ليسَ له في الوجود من أرَبِ
لو كانت الأرضُ كُلّها ذَهَباً ... أعرضَ عنها إعراضَ مُكتئبِ

---

(١) في عقود الجمان: عُرض.
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «التعب».
(٣) الجشب: الطعام الغليظ.
(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «متى».

أسْفَر ذاكَ الناموس مُخْتبلاً[١] عن راغبٍ في التُّراث مُسْتلبِ
وكانَ ذاكَ الصُّراخ يزعجنا شكوى فقيرٍ على الدُّنا وَصبِ
شيخي بعد الذَّمِّ الصريحِ لما أبيته جئته على طَلَبِ
نسيتَ ما قلتَهُ على وَرَعٍ عَنّي لِمَّا اكتسبتُ بالدَّأبِ
ويلٌ له إن يمت بخدمته يَمت كفوراً وليس بالعَجَبِ
ما كانَ مال السلطان مُكْتَسَباً لمؤمنٍ سالمٍ من العَطَبِ
هذا ورزقي من وَقْف أربطةٍ قَذْر طفيف أعطاهُ بالتَّعَبِ
ولستُ في ثروة أسرّ بها دُنياي منها موفورة النَّشَبِ
فليتَ شعري ماذا أقول وقد حَلَلت منها في مَرْتع خَصِبِ
أُعطيت كُرَّاثةً[٢] فتُهت بها عن طلبٍ كان أشرف الطَّلَبِ
لو أنها لحمة[٣] خشيتُ على دينك شِرْكاً يكون عن كَثَبِ
وكان[٤] ذاك التَّحنيك[٥] مُنْعَطفاً لجام من يَدَّعي ولم يَنبِ

---

(١) تصحفت في المطبوع إلى: «مختيلاً». وقد جَوّد كاتب «عقود الجمان» تقييدها.

(٢) الكراثة: لم نقف على معناها الدقيق، وسيرد في حوادث سنة ٦٤٤هـ أن قطب الدين محمد بن عبدالرزاق بن سُكينة لما رتب حاجباً بباب المراتب: ركب بالسيوف المشهورة والبسملة بن يديه والكراثة بين عينيه»، فالظاهر أنها تشبه ما يسميه البغداديون «البسكولة» وهي خصلة من الشعر او الخيوط تتخذ للزينة، كانت تتدلى من العمامة على جبين لابسها.

(٣) في المطبوع: «نجمة»، وهي غير مجودة التقييد في الأصل، وما أثبتناه من مخطوطة «عقود الجمان».

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «وإن».

(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «الحنيك».

شيخي بعد التَّفْضيل مُتَّقياً[1] ثوباً قصيراً مجاوزَ الرُّكَبِ
اختلتَ في مَلْبس ذلاذِلُهُ تُسْحَب من طولها على التُّربِ
يَرْفعها كُلُّ شادن غَنج يَفْتُن نُسَّاكَنا على الرَّهَبِ
واعتضت[2] عن عُصْبة[3] الزَّهادة من حولك مشي الغِلْمان بالقضبِ
لو كُنتَ والله زاهداً ورعاً لم ترضَ دُنيا الغُرور باللَّعِبِ[4]
وكان في الله شاغل أبداً عما تراه بعين مُحْتجبِ
لا يَغْتَرِر بعد ذا أخو ثقةٍ بمُحْسنٍ في جميلِ مُطَّلَبِ
وليتعظ مُدّعي تَقَرّبه بحالِ شيخي المفتون وليَتُبِ[5]

فكتبَ النَقيب قطبُ الدين الحُسَيْن[6] ابن الأقْساسي إلى النقيب مجد الدين المذكور أبياتاً كالمُعتذر عنه والمُسَلِّي له، يقول في أولها:

إنَّ صحاب النبيّ كُلّهم غير عليّ وآله النُّجُب
مالوا إلى المُلْك بعد زُهْدهم واضطربوا بعدَهُ على الرُّتَب
وكُلُّهم كان زاهداً وَرِعاً مشجعاً في الكلام والخُطَب

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «منتقياً»، ولا معنى لها.
(٢) أي: تفرقت.
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «عصي».
(٤) في العقود: واللعب.
(٥) هذه القصيدة نقلها المؤلف من «تاريخ» تاج الدين ابن الساعي، كعادته في نقل أكثر مادة هذا الكتاب في هذه المدة، فقد ذكر ابن كثير في البداية (١٣/ ١٣٥) أن ابن الساعي سردها بطولها.
(٦) وقع في المطبوع: «الحسن» وهو وهم، فهذا اسم أبيه المتوفى سنة ٥٩٣هـ، كما في «التكملة للمنذري» وغيرها. أما قطب الدين هذا فستأتي ترجمته في سنة ٦٤٥هـ من هذا الكتاب.

فأُخِذَ عليه فيها مآخذ فيما يرجع إلى ذِكْر الصَّحابة والتابعين، وتَصَدَّى له جماعةٌ وعملوا قصائدَ في الرد عليه، وبالغوا في التشنيع عليه، حتى أنَّ قوماً استفتوا عليه الفقهاء ونسبوه إلى أنَّه طَعَنَ في الصَّحابة والتَّابعين ونَسَبَهُم إلى قِلَّة الدين، فأفتاهم الفُقهاء بموجب ما صدرت به الفتيا.

وفيها، قَدِمَ راجح بن قَتَادة مكة شرفها الله تعالى في جمع كبير ودخلها واستولى عليها، وطردَ مَن كان بها من عَسْكر الكامل أبي المعالي محمد ابن العادل صاحب مصر[1]، فلما بلغَ الكامل ذلك أرسلَ إلى مكةَ عسكراً، فلما عَلِمَ راجحٌ بقدومهم نزح عنها، فدخلها العَسْكر بغير محاربة، وطَيَّبُوا قلوبَ أهلها وأحسنوا إليهم، بخلاف ما فعل راجح لما وليها[2].

وفيها، حَصَرَ الكامل أبو المعالي المذكور مدينة آمِد، وضَيَّقَ على أهلها وأضْعَفهم بقلة المِيرة وغيرها، واستولى عليها ومَلَكَها عَنوةً، وكان صاحبها الملك المَسْعود مودود[3].

وفيها، رُدَّ النَّظَر في أوقاف مدارس الحنفية والرُّبُط وجامع السُّلطان، إلى فخر الدين أبي طالب أحمد ابن الدَّامَغاني مُشْرِف الدِّيوان

---

(١) انظر العسجد المسبوك ٤٥٢، وتاريخ الإسلام ٦٣/ ٤١.

(٢) انظر: تاريخ الإسلام ٦٣/ ٤١.

(٣) في المطبوع: «الملك مسعود الدوادار الملك»!، وهو اضطراب بيّن، وتفاصيل الخبر في مرآة الزمان ٨/ ٦٧٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٦٣/ ٣٨-٤٠ وغيرها من الكتب.

وكُفَّت يد نُواب قاضي القضاة ابن مُقْبِل عنها.

وفيها، وصل الأمير حُسام الدين أبو فِراس بن جعفر بن أبي فراس الذي كان أمير الحاج في الأيام الناصرية وقد تقدم ذكر مُفارقته للحاج ومصيره إلى الشام، ومصر، ملتجئاً إلى الكامل أبي المعالي محمد ابن العادل، هَرَباً من الوزير القُمِّي وحَذراً من قَصْدِه إيّاه[1]، فلما بلغَهُ عزله كاتَبَ الديوان واستأذن في العَوْد، فأُجيب سؤالُهُ، فلما وصَلَ إلى مدينة السَّلام، حضرَ عند نصير الدين ابن النَّاقد نائبِ الوزارة فَخُلِعَ عليه، ومضى إلى داره بسوق العَجَم، ثم استُدعِيَ بعد أيام وخُلِعَ عليه، وأُعطِيَ سيفاً مُحلىً بالذهب وأُمْطِيَ فَرَساً، وأُعْطِيَ سبعة أحمال كوسات[2] وأعلاماً، وضُمَّ إليه جماعة من العَسْكر وأُقْطِعَ بلد دقوقا[3].

وفيها، صُرِفَ تاجُ الدين أبو الفتوح علي بن هبة الله ابن الدَّوامي، عن إشراف دار التشريفات وخرج راجلا إلى داره، ورُتِّب عوضه زعيم[4] الدين أبو المظفر محمد بن الضَّحّاك[5].

---

(١) كان ذلك سنة ٦١٠هـ، فهو في القسم الضائع من الكتاب (انظر: ذيل الروضتين ٨٣، والكامل لابن الأثير ٩/٣٠٧، ومرآة الزمان ٨/ ٥٦٤، والعسجد المسبوك ٣٤٢-٣٤٣).

(٢) هي الطبول والصنوج التي يضرب به في المناسبات والحروب.

(٣) بلدة بين بغداد وكركوك، قائمة إلى اليوم باسمها، وهي إلى كركوك أقرب. وكانت في العهود العباسية أكبر مدينة بين بغداد وإربل، وتتبعها جميع منطقة كركوك، وتكتب هكذا، كما تكتب بغير ألف في آخرها «دقوق» وهو الأكثر.

(٤) تحرف في المطبوع إلى: «تاج الدين».

(٥) لكنه رُتِّب في شعبان منها حاجباً للحجاب بالديوان (العسجد المسبوك ٤٥٢).

وفي جمادى الآخرة أُفْرِجَ[1] عن وَلَد مؤيد الدين القُمِّي وجميع أصحابه وأتباعه.

وفي شهر رمضان، فُتِحَت دور الضِّيافة بجانبي مدينة السلام جرياً على العادة في كل سنة، وزِيد فيها داران: إحداهما بدار الخلافة لأولاد الخلفاء المقيمين في دار الشَّجَرة[2]، والأخرى بخَرِبة ابن جَرْدَة[3]، للفقراء الهاشميين.

وفي هذه السنة، سُيِّرَ الأمير جمال الدين بكلك الناصري إلى قلعة

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «فرج».

(٢) دار الشجرة: من قصور دار الخلافة العباسية، قال الخطيب البغدادي واصفاً إياها «فيها شجرة وسط بركة كبيرة مدورة فيها ماء صاف وللشجرة ثمانية عشر غصناً لكل غصن منها شاخات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبه ومفضضة، وأكثر قضبان الشجرة فضة، وبعضها مذهب، وهي تتمايل في أوقات، ولها ورق مختلف الألوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر، وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر». وقد تغير أمر هذه الدار في العهود التالية، حتى باتت كما يصفها مؤلف مراصد الاطلاع: «مثل المحلة بها مساكن ودار قد كان يسكنها أنساب الخليفة من أولاد الخلفاء كالمحبوسين، يُمنعون من الخروج ولهم أرزاق دارة عليهم، وسموا بذلك لأنهم من شجرة النسب فنسبت الدار إليهم» قلنا: ولعل هذه الدار ورثت من دار الشجرة القديمة اسمها، بعد دثورها، أو تحول أمرها، وليس كما ظن صاحب «المراصد» من شجرة النسب التي تضم ساكنيها، والله أعلم.

(٣) منسوبة إلى محمد بن أحمد بن الحسن ابن جَرْدَة أبي عبدالله البَيِّع، وكان من موسري بغداد، أنشأ مسجداً في محلة الريحانيين قرب دار الخلافة. أما هذه الخربة فهي محلة وصفت بأن لها سوراً، وكانت مصاقبة لمقابر باب أبرز (المنتظم ٩/ ١٥٧). ومن الراجح أنها توافق اليوم محلتي الفضل والسيد عبدالله من محلات بغداد الشرقية (انظر الذهبي: المختصر المحتاج إليه، تحقيق العلامة مصطفى جواد ٢/ ٢١٤).

زَرْدة[١] ومعه عِدَّةٌ من العَسْكر، فَحَصَرها وضَيَّق على مَن بها، وجَرَت بينهم حروبٌ كثيرةٌ وقتالٌ شديدٌ، فَمَلَكها عَنوةً وقَهْراً، واستولى عليها، وأرسل إلى الخليفة يُعَرِّفه ذلك، فاستبشرَ به، ونظم الشُّعراءُ في ذلك أشعاراً كثيرةً.

ذِكْرُ فَتْحِ إرْبِل

في سابع عشر شهر رمضان، وردَ الخبرُ إلى بغدادَ بوفاة مُظفر الدين أبي سعيد كُوكَبْري بن زين الدين علي كُوجك صاحب إرْبِل، فتقَدَّمَ الخليفةُ بتعيين جماعةٍ من الأُمراء يكون مقدَّمهم الأمير أرغش الناصري الرُّومي، وعلاء الدين ألدكُز الناصري للتوجه إلى إربل، وتَقَدَّمَ إلى ظهير الدين أبي علي الحسن بن عبدالله عارض الجيش بالتوجه أيضاً، فتوجهوا مُصْعِدين في خامس عِشْري[٢] الشهر.

وفي ثالث شوال، توجه شرف الدين أبو الفضائل إقبال الشَّرابي بالعَسْكر فوصلوا في ثالث عشر شوال. وكان في القلعة خادمان أحدهما اسمه بَرْنَقُش[٣] والآخر اسمه خالص، كانا قد كَتَبا إلى الخليفة وإلى

(١) لم يذكرها البلدانيون، وهي مجودة التقييد في النسخة الخطية.

(٢) ظن ناشر المطبوع العلامة الدكتور مصطفى جواد أن هذا التاريخ غلط، فقال في تعليق له: «سياق التاريخ الآتي بعده يستوجب أن يكون: رابع عشر رمضان»، وهو ظن ما أصاب فيه، لأن التاريخ الذي أشار إليه تحرف عنده من «خامس عشري» إلى «خامس عشر» ويريد: الخامس والعشرين من الشهر، وهو أسلوب شاع استعماله في هذه الأعصر.

(٣) الضبط من المخطوط، وكذلك هو في «تاريخ الإسلام» بخط الذهبي.

عماد الدين زَنْكي صِهْر مظفر الدين والي بني أيوب حيث ثَقُلَ مظفر الدين في المَرَض يُعَرِّفانهم ذلك، وقالا: مَن سَبقَ إلينا كانت مِنَّتُنا عليه. وكتبا إلى الملك الصالح أيوب ابن الكامل أبي المعالي محمد يُعْلِمانه بموته ويحُثَّانه على المجيء، فلما شاهدا عساكر الخليفة أُسْقِطَ[1] في أيديهما، وعَلِمَا أنه قد انتَهَى إلى الخليفة ما فعلا، فامتنعا من فَتْح البلد، فلما رأى الشرابي أنهم أغلقوا أبواب المدينة دونَهُ، استدعَى الأميرَ جمال الدين قَشْتَمُر وقال له: ما لهذا الأمر سواك[2] ، وإذا فعلت شيئاً لا يسعُ غيرك، إلا موافقتك. فركبَ في الحال من غير استراحة ودارَ ليلَتَهُ أجمع حولَ البلد، وهم على السور بالأضواء والطُّبول، ثم قَسَم أبوابَ البَلَد على الأُمراءِ وضربَ هو خِيَمَهُ مقابل باب عمكا والكونة[3] ، أعظم الأبواب وأكثر المُقاتلة هناك، ونَصَبَ البيتَ الخَشَب مقابل الباب بالقُرب منه بحيثُ يسمعُ كلامَهُم ويسمعون كلامَهُ، ويصل نشاب الجرخ إليه. ولم يزل نهاره أجمع يرقب ما يعملون ويشاهد ما يصنعون وفي الليل يدور على العساكر ويحرض على الحراسة والحفظ، والشرابي يُراسل الخادمين المذكورين ويخوفهما عاقبة العِصْيان، فسألا أن يُؤخرا يومين، فأُجيبا، وكان غَرَضهما أن يصل الملك الصالح أيوب المُقَدَّم ذِكْره، فلما انقضى الأمَد نَفَّذَ جمالُ الدين قَشْتَمُر إلى أحد زعمائهم، وقال له: أخلفتم الوَعْدَ، وخَوَّفَهُم

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «سقط».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «سؤال».
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «الثلونة».

وحَذَّرَهُم. فردّ عليه جواباً غير مرضي، ثم رَمَى وراء رسوله بالنشاب فوقع قريباً من الأطناب، فقال قَشْتَمُر لجماعةٍ من مماليكه: اقربوا منهم وتَحَرَّشوا بهم. فأخذوا في سَبِّهم ورَموا بالنشاب إلى جهتهم، فما زال الأمر يَزْداد حتىوقع الزَّحْف على البلد وقت العصر واشتد الرَّمي من فوق السور بالنار وأنواع السلاح، وكثر في الفريقين القَتْل والجراح، وسار قَشْتَمُر حتى وقفَ على الخَنْدق، فاشتد القتال حينئذ، وقوي جأش المُقاتلين بوجوده، فركب الشرابي في لأمة حَرْبِهِ ووقفَ على نَشَزٍ، فأُخبرَ قَشْتَمُر بركوبه، فقصدَهُ ووقفَ إلى جانبه، فساعة اجتماعهما أُخبرا بالنَّصْرِ والفَتْح وتسليم القلعة. ونهبَ أوباشُ العَسْكر بعضَ دورها، واستولى العَسْكرُ على البَلَد عَنوةً.

وكتبَ الشَّرابيُّ على جَنَاحِ طائرٍ إلى الخليفة بصورة الحال، فحصلَ الاستبشارُ بذلك وضُرِبَت الطُّبول على باب النُّوبي، وأُفْرِجَ عن جميع المُعتقلين في الحُبُوس، وحَضَرَ الشعراء في الديوان وأوردوا قصائدَ تتضمنُ الهناءَ بهذا الفَتْح والنَّصر، فممن أورد القاضي أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني قصيدة أولها:

ما يَثْبت المُلْك بين الخَوْف والخَطَرِ حتى يُقامَ ويُسقى من دَمِ البَشَرِ
لكلِّ شيءٍ طريقٌ يُستفادُ به وليسَ للعزِّ غيرَ الصَّارم الذَّكَرِ

منها[1]:

ما فَتْحُ إرْبلَ عن بَخْتٍ لذي دَعَةٍ ولا اتفاقا كبعضِ النَّصْرِ والظَّفَرِ

(1) تحرفت في المطبوع إلى: «ومنها».

لكنَّه كـانَ قَصْـدَ القـادريـن وأفْـ ـعال المُطيعين عن قَصْدٍ وعن فِكرِ
فليسمح الأشْعَري اليوم لي فأنا في فَتْحِ إرْبلَ لا ألوي على القَدَرِ

وقال أخوه عز الدين عبدالحميد الكاتب قصيدةً، اتفقَ له فيها أنَّ الوزيرَ كان تَرْتيبهُ يوم سابع عشر شوال سنة تسع وعشرين وفَتْحَ إرْبِل يوم سابع عشر شوال سنة ثلاثين، فقال:

يا يوم سابع عشر شوال الذي رُزِقَ السعـــادة أولاً وأخيـــرا
هُنِّئْـتَ فيـه بفتـح إرْبِـل مثلمـا هُنِّئْت فيـه وقـد جلسـتَ وزيـرا

وتقدَّمَ الخليفةُ باحضار الأمير شمس الدين باتكين أمير البصرة، فكوتِبَ بالحضور، فوصلَ من البَصْرة إلى رابع ذي القعدة، وحضرَ عند[1] نصير الدين ابن الناقد نائب الوزارة، فشافَهَهُ بولاية إرْبِل، وتَقَدَّمَ إليه بالتوجه إليها على فوره. فتوجه من وقته فوَصلها في تاسع عشر الشهر، وحضرَ عند شرف الدين إقبال الشَّرابي في المُخَيَّم بظاهر إرْبِل، فَخَلَعَ عليه، وقَلَّدَهُ سيفاً، وأمْطاهُ فَرَساً، وأعطاه كوساتٍ وأعلاماً. فركب في جَمْعٍ كثير من الأُمراء والأجناد ودخلَ الجامع فقُرِىءَ عهدُهُ به، بمحضرٍ من أهل البلد وغيرهم، تولى قراءته ظهيرُ الدين الحسن بن عبدالله، وكان قد عُيِّنَ عليه لوزارته، وركب إلى القلعة، ونزلَ في دار الإمارة التي كان يسكنها مظفر الدين، ثم خَلَعَ الشَّرابيُّ على ظهير الدين الحسن بن عبدالله، ثم على ظهير الدين بن المُصْطَنع[2]، وجعلَهُ

(١) سقطت من المطبوع.
(٢) تحرف في المطبوع إلى: «ظهير الدين الحسن بن المصطنع»، وكلمة «الحسن» لا وجود لها في النسخة الخطية.

مُشْرفاً عليه، ورَتَّبَ معهما كاتباً الأجلَّ ابن عَبْدان النَّصرانيَّ. ثم رَتَّبَ جمالَ الدين ابنَ عسكر الأنباريَّ عارضاً للجيش هناك، وجعل عليه مُشْرفاً عزَّ الدين محمد بن صَدَقة، وخَلَع عليهما.

فلما قَرَّرَ القواعدَ، وفرغَ مما يريده، رحل عائداً إلى بَغْدادَ والأُمراءُ والعساكر في خدمته، فوصل إلى الخالص(١) في عاشر ذي الحجة فنزل بقريةٍ تُعرف بقرية أبي النجم، فخرج الخَلْق الكثير إلى تَلَقيه، فصلَّى هناك، ونَحَرَ وضَحَّى، ومَدَّ سِماطاً عظيماً. ثم رحل في حادي عشر ذي الحجة متوجهاً إلىْ بغداد، فلما وصل ظاهر سوق السُّلطان خَلَعَ على جميع أصحابه وَمن كان في خدمته من النُّواب والأتباع والحاشية، وخرَجَ إليه جميع الولاة وأرباب المناصب والأماثل والأعيان فلقوه بظاهر السُّور، ولم يتخلف أحد من الخروج سوى الوزير. ثم سارَ حتى وصل دجلة ونزل عند المَسَنَّاة(٢) في شُبَّارة الخليفة وقَبَّلَها وتَضَرَّع

(١) الخالص: ذكرها ياقوت فقال: «اسم كورة عظيمة من شرقي بغداد إلى سور بغداد. وهذا اسم محدث لم أجده في كتب الأوائل ولا بتصنيف، وإنما هو اليوم مشهور. . . ووجدت في كتاب «الديرة» أن نهر الخالص هو نهر المهدي» (معجم البلدان ٢/ ٣٣٩). قلنا: قد اندثر اسم هذه الكورة في القرون المتأخرة، ثم عاد في عهد الدولة العراقية ليطلق على قضاء تابع لمحافظة ديالى مركزه «ديلتاوه» التي أبدل اسمها إلى «الخالص» إحياءً لذلك الاسم التاريخي للمنطقة. ونهر الخالص معروف كان يسقي جميع المنطقة الواقعة شمال شرقي بغداد ولمسافة تزيد على السبعين كيلومتراً، ومنه جداول: المشيرية والعثمانية والقسم الجنوبي من جدول التحويلة. وقامت الدولة في السبعينات من هذا القرن بإنشاء مشروع أسفل الخالص لري هذه المنطقة، ومأخذه من نهر ديالى عند منطقة «الصدور»، فيصل ماؤه إلى السدة الشرقية لبغداد.

(٢) المُسَنَّاة: يتضح من هذا الخبر أن هذه المُسناة كانت إلى الشمال من دار الخلافة العباسية فهي في أعلى بغداد. ورسو شبارة للخليفة فيها يدل على وجود قصر له =

بالدُّعاء وبَكَى، فخشع الحاضرون لبُكائه، ثم نزلَ فيها وانحدر، إلى دار الخلافة، فتُلُقِّيَ بالإكرام، ثم خُلِعَ عليه وقُلِّدَ سيفين، وقَدِّمَ له فرسٌ فركبه من باب البُستان ورُفِعَ وراءه سَنْجقان[1] . وأما الأُمراءُ جميعُهم فإنهم دخلوا البلد وقَصَدوا دار الخليفة، ودخلوا من باب الحُرَم بموجب ما رُسِمَ لهم وجَلَسُوا في باب الأتراك[2] إلى أن خرجَ راكبا فقبَّلوا يدَهُ ومشوا بين يده إلى باب الباتني[3] ، ثم ركبوا وساروا في خدمته إلى

= هناك، وهذا ما يتفق والنصوص التي سيوردها المؤلف فيما يأتي عن وجود دار تسمى دار المسناة في أعلى بغداد، قرب خندقها الشمالي (حوادث سنة ٦٣٥ و٦٤١ و٦٤٦ و٦٨٠ و٦٩٦). وكان ابن جبير قد ذكر في رحلته (ص١٨١طبعة نعمان الأعظمي، بغداد١٩٣٧) أنه أبصر الخليفة الناصر لدين الله «وقد انحدر صاعداً في الزورق إلى قصره بأعلى الجانب الشرقي على الشط». فهذا القصر هو دار المسناة، وشبارته هو الزورق الذي رآه فيه ابن جبير. وصرح سبط ابن الجوزي (ص٤١٩من طبعة شيكاغو ١٩٠٧) أن من عمارات الخلفية الناصر دار المسناة. ويتفق عدد من الباحثين على أن هذه الدار ليست إلا العمارة الفخمة المعروفة إلى اليوم بالقصر العباسي، والواقعة على الشط، في أعلى بغداد. وقد كشفت أعمال دائرة الآثار عن وجود مسناة ضخمة عنده.

(١) السنجق: الراية والعلم.

(٢) باب الأتراك: هو أحد أبواب السور الداخلي الذي يمتد بين سور دار الخلافة الخارجي ودار الخلافة نفسها.

(٣) هكذا في الأصل، وَرَجَّح الدكتور مصطفى جواد أن يكون هو «الباب القائمي»، وهو استرجاح له وجه، فقد ذكر المؤلف أن هذا الباب كان قريباً من باب الحُرَم. وكان صاحب «مراصد الاطلاع» قد ذكر أن باب سوق التمر (وهي تسمية أخرى للباب القائمي) كان قريباً من باب البدرية وباب النوبي وباب العامة، وأن بين هذين البابين محال يسكنها العامة، بينهم وبين دار الخلافة سور آخر فيه عدة أبواب، منها باب الحرم. ولا يستبعد أن يكون باباً آخر من الأبواب الكثيرة في هذه المنطقة، لا نعرف إلى أي شيء نُسب.

داره بالبَدْرية، فلما نزل عن مركوبه خَدَموا وعادوا قاصدين دار نصير الدين نائب الوزارة، فلقوه فَخَلَعَ عليهم أجمعين، وأَعطى كلّ واحدٍ فرساً بمركب وخمسة آلاف دينار «جمال الدين قشتمر، وحسام الدين ابن أبي فراس، وشمس الدين أصلان تكين»[1] . وانْعَمَ على مَن دُونهم على قَدر مرتبته من الألفين إلى الخمس مئة. ثم خُلِعَ على جميع المماليك الناصرية والظاهرية والمستنصرية وأُعْطِيَ كُل واحد خمسين ديناراً. ثم أُنْعِمَ على جميع الجُنْد ومماليك الأُمراء والعَرَب من الثلاثين إلى الخمسة[2] عشر. ثم أُحْضِرَ علاءُ الدين أبو طالب هاشم ابن الأمير السيد العَلَوي وولي عارض الجيش، وخُلِعَ عليه بدار الوزارة عِوَضاً عن ظَهير الدين بن عبدالله. ووُلِّيَ الأمير أرغش الرومي الناصري إمارة البصرة وخُلِعَ عليه، وتوجه إليها.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، دخل قوم على رجل يعرف بابن الكعكي[3] داره بالقنّويين[4] وقتلوه، ظنّاً أنَّ معه ذهباً، فلم يروا معه شيئاً ولم يُعرف

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط كله من المطبوع، لأن الكاتب استدركه في هامش النسخة، فلم ينتبه إليه الدكتور مصطفى جواد رحمه الله، بل لعله لم يقابل هذه النسخة الأصلية.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «من ثلاثين إلى خمسة».

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «اللؤلؤي»، وهو تحريف عجيب لبعده!

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «بالعنوتين». وهي مجودة التقييد في النسخة الخطية كما أثبتناها، ولعها محلة أو سوق كانت تصنع فيها الرماح، فصانع الرمح يسمى القَنّاء، =

لهم خَبَر.

وفيها، خَنَقَ إنسان يُعرف بمحمد الخَيَّاطَ نَسِيب لبني ياسين نفسَهُ بحبلٍ في داره باللوزية[1]، قيل: إنَّه كان شديد الضائقة وعنده تعفف وعزوف نفس عن الطَّلَب.

وفيها، توفي أبو محمد عبدالله[2] ابن الشيخ أبي النجيب السُّهْرَوَرْديُّ. من بيت التصوف وأولاد المشايخ، ذُكِرَ أنه خرجَ عن جميع ماله ووَقَفَه، فلما قَدمَ الشيخ شهاب الدين عُمر السُّهْروردي قَدِمَ على غايةِ الفَقْر مُجَرَّداً من الدُّنيا، فضاقَ صَدْر الشخ أبي النجيب كيف لم يَرْضخ له في الوَقْف بنَصِيب، فسأل ولدَهُ أن يعطيه شيئاً من نَصِيبه، فلم يوافق، فقال له الشيخ أبو النَّجيب وقد احتدَّ: واللهِ لتحتاجنَّ إليه. ومضىَ على ذلك بُرْهة، فَتَقَدَّمَ الشيخُ شهاب الدين وأَثْرَت حالُهُ وفُتِحت عليه الدُّنيا، فاحتاج عبدالله هذا إليه واسترفَدَهُ، فأَرْفَدَهُ، وما زال يواصله إلى أن مات.

وفيها، توفي أبو المحاسن محمد[3] بن نَصْر

= كما في معجمات اللغة، والله أعلم.

(١) محلة ببغداد قرب قراح ابن رزين ودرب النهر بين الرحبة وقراح أبي الشحم، كما في «معجم البلدان»، فيقرب أن يكون موقعها اليوم في أرض محلة الطاطران.

(٢) ترجمه المنذري في التكملة ٣/الترجمة ٢٤٥٩، وذكر أنّه توفي في الثالث عشر من شهر ربيع الآخر، وكنّاه أبا الفضائل.

(٣) إرشاد الأريب ٧/ ١٢١، وتاريخ ابن الدبيثي، الورقة ١٥٢(باريس٥٩٢١)، ومرآة الزمان ٨/ ٦٩٦-٦٩٨، وعقود الجمان لابن الشعار/٦/الورقة١٠٠-١١٤، وتكملة المنذري ٣/الترجمة٢٤٥٤، ووفيات الأعيان ٥/ ١٤-١٩، ومختصر أبي الفدا ٣/ ١٦٥-١٦٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٦٣/ ٣٨٥-٣٨٨، والعبر ٥/ ١٢٢-١٢٣، =

(الله)[1] الأنصاريُّ المعروف بابن عُنَيْن الكوفي أصلاً. ولد بدمشق ونشأ بها. وهو شاعرٌ مَشْهورٌ، سافرَ إلى الآفاق في التجارة ومدحَ الأكابرَ في كُل البلاد. وكان ظريفاً، حسنَ الأخلاق، جميل المُعاشرة، ذا ثروة، وكانت وفاته بدمشق.

وحج بالناس في هذه السنة الأمير شمس الدين أصلان تكين.

= والبداية والنهاية ١٣/١٣٧-١٣٨، ونزهة الأنام لابن دقماق، الورقة ٦-٧، وغيرها.

(١) إضافة منا لابد منها.

سنـــة

إحدى وثلاثين وست مئة

في المحرم، أُعيدت الحِلّة السَّيفية إلى الأمير جمال الدين قَشْتَمُر الناصري وتوجه إليها.

وفيها، نُفِذَ الأمير بدرُ الدين سُنْقُرجاه الظاهريُّ، أميرُ آخور[1] الخليفةِ المستنصرِ بالله، إلى المَوْصِل ومعه خِلْعَة السَّلْطنة وتقليدٌ لبدر الدين لُؤلؤ الرُّومي الأتابكيّ صاحبِ المَوْصل، فَخَلَع عليه وأمْطاهُ فرساً بمركبٍ ذهباً، وكَنْبوش[2] إبريسماً، وسيف ركاب، ومشدَّة في عُنُق الفَرَس، ولُقِّبَ الملك المسعود، وأُذِنَ له أن يُذْكَرَ اسمُهُ على المنابر ببلده، ونَقْشِهِ على سِكّة العَيْن والوَرِق[3] .

وفيها، وُلِّيَ تاجُ الدين أبو الفتوح علي بن هبة الله ابن الدَّوامي، عارضَ الجيش، عِوَضاً عن علاء الدين هاشم ابن الأمير السيد[4] ،

(١) وتكتب «آخُر» بغير واو، وهو أمير الاصطبل.

(٢) الكنبوش: برذعة توضع تحت السرج، وهي معربة.

(٣) العَيْن: الذهب، والورق: الفضة، أي: سكة الذهب والفضة، أو: سكة الدنانير والدراهم.

(٤) هو علاء الدين هاشم بن علي بن المرتضى ابن الأمير السيد البغدادي (التكملة المنذرية ٣/ الترجمة٣٠٧٧، وتلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ١٦٥٩، ووفاته بمصر سنة ٦٤٠.

وعُزِلَ الأمير شمس الدين أصلان تكين عن إمارة الحاج، ووُلِّي شمسُ الدين قَيْران الإمارة مرة ثانية.

وفيها، عُزِلَ يحيى بن المُرْتضَى النِّيلي[1] عن النَّظَر بواسط، ووُلِّيَ عوضه قِوام الدين عليّ بن غَزَالة[2] المدائني.

ذِكْر فَتْح المدرسة المُسْتَنصرية[3]

في جُمادى الآخرة، تكامل بناء المدرسة المُستنصرية التي أمَرَ بإنشائها الخليفة المستنصر بالله، وكانَ الشُّروع فيها في سنة خمس وعشرين وست مئة، وأُنْفِقَ عليها أموالٌ كثيرةٌ، فركبَ نصيرُ الدين ابن النَّاقد نائب الوزارة في يوم الاثنين خامس عشر جُمادى الآخرة وقصد دار الخلافة واجتاز بها إلى دجلة، ونـزل في شُبَّارة[4] من باب البُشْرَى[5] مُصْعداً إلى الدار المُسْتَجَدَّة المجاورة لهذه المدرسة، وصَعد

---

(١) لقبه عماد الدين، ذكره ابن الفوطي في تلخيصه ٤/ الترجمة ١٣٠٨.

(٢) هو علي بن محمد بن غزالة، كما ذكر ابن الفوطي في تلخيصه، وذكر هذا الخبر بعينه في ترجمته نقلاً من «تاريخ» شيخه تاج الدين ابن الساعي (تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٣١٠١).

(٣) انظر عن هذه المدرسة الكتاب النفيس الذي ألفه العلامة الدكتور ناجي معروف «تاريخ علماء المستنصرية» في مجلدين فخمين طبعا غير مرة في بغداد والقاهرة.

(٤) ضرب من الزوارق السريعة.

(٥) لم نقف، فيما راجعنا من مصادر، على موضع هذا الباب. ويفهم من سياق الخبر أنه كان من أبواب دار الخلافة العباسية، ولما كانت هذه الأبواب معروفة تماماً، حيث ذكرها ياقوت في «معجمه» و«المشترك»، فلا يبقى إلا القول بأنه كان أحد أبواب سور حريم دار الخلافة، وهو سور داخلي، تفصله عن سور دار الخلافة محلات سكنية، =

إليها وقَبَّل عَتَبَتها، ودخلَها، وطافَ بها، ودعا لمالكها. وكان معه أستاذ الدار مؤيد الدين أبو طالب محمد ابن العَلْقَمي، وهو الذي تولَّى عمارتَها، ثم عاد متوجهاً إلى داره في الطريق التي جاء بها. وخُلِعَ على أستاذ الدار، وعلى أخيه أبي جعفر، وعلى حاجبه عبدالله بن جمهور، وعلى المِعْمار والفَرَّاشين والمُرَتَّبين في الدار المذكورة المُسْتَجَدَّة، وعلى مُقَدَّمِي الصُّنَّاع. ونُقِلَ في هذا اليوم إلى المدرسة من الرَّبعات الشريفة والكُتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والأدبية ما حَمَلَهُ مئة وستون حمالاً، وجُعِلَت في خزانة الكتب، وتُقُدِّمَ إلى الشيخ عبدالعزيز شيخ رباط الحريم[1] بالحضور بالمدرسة وإثبات الكُتُب واعتبارها،، وإلى وَلَدِه العَدْل ضياءِ الدين أحمد الخازن بخزانة كُتُب الخليفة التي في داره أيضاً، فَحَضَر واعتبرَها ورَتَّبَها أحسن ترتيب مُفَصِّلاً لفنونها، ليسهُل تناولها ولا يتعب مناولُها.

وفي بعض هذه الأيام، حضر الخليفة هناك، وحضرَ الشيخ عبدالعزيز بين يديه وسلم عليه، وعَقَّبَ[2] دعاءَهُ بأن تَلا قولَه تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾ [الفرقان] فَبَدَا[3] خُشُوع الخليفة وتَقَاطرت دُمُوعُه.

= فقد ذكر ياقوت في «المشترك» أن لهذا السور أبواباً عدة، ذكر منها ثلاثة وسكت عن الأبواب الباقية، فلعل هذا الباب هو أحدها، والله أعلم.

(١) هو الرباط الذي أنشأه الخليفة الناصر لدين الله في محلة الحريم الطاهري في الجانب الغربي من بغداد سنة ٥٨٩هـ (مرآة الزمان ٨/ ٤١٩).

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «وأعقب».

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «فبدأ».

وفي يوم الخميس خامس شهر رَجَب، حَضَر نصيرُ الدين نائبُ الوزارة، وسائرُ الولاةِ والحُجَّاب، والقُضاةُ والمُدَرِّسون والفقهاءُ، ومشايخُ الرُّبط والصوفية، والوعاظ، والقرآء، والشُّعراء، وجماعةٌ من أعيان التجار الغُرباء إلى المدرسة، وتُخُيِّر لكل مذهب من المدارس وغيرها اثنان وستون نَفْساً. ورُتِّب لها مُدَرِّسان ونائبا تدريس، أما المدرسان فمحيي الدين أبو عبدالله محمد بن يحيى بن فَضْلان الشافعيُّ ورشيد الدين أبو حفص عمر بن محمد الفَرغانيُّ الحنفيُّ، وخُلِعَ على كل واحد منهما هِبَّةٌ[1] سَوْداء وطَرْحة كُحْلية وأُمْطِيَ بغلةً بمركبٍ جميلٍ وعدة كاملة. وأما النائبان فجمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن يوسف ابن الجَوْزي الحنبلي، نيابةً عن والده لأنه كان مُسافراً في بعض مَهَام الديوان، والآخر أبو الحسن علي المغربي المالكي، وخُلِعَ على كل واحد منهما قَمِيص مُصْمَت وعِمَامة قَصَب. ثم خُلِعَ على جميع المُعيدين وهم لكل مذهب أربعة خِلَعاً بالحكاية، ثم خُلِعَ على المتولين للعِمارة والصُّنَّاع والحاشية، وعلى المُعَيَّنين للخدمة بخزانة الكُتُب، وهم الشمس علي ابن الكُتُبي الخازن، والعماد علي بن الدَّبَّاس المشرف، والجمال إبراهيم بن حُذيفة المُناول. ثم مُدَّ سِماطٌ في صَحْن المدرسة أجْمَعَ فكان عليه من الأشوية[2] والحَلْواء وأنواع الأطعمة ما يجاوز حد الكثرة، فتناوله الحاضرون تعبئةً وتكويراً، ثم أُفيضت الخِلَع

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «جبة»، والهِبّة - كما في معجمات اللغة - القطعة من الثوب.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «الأشربة»!

على الحاضرين من المُدرسين ومَشايخ الرُّبُط والمُعيدين بالمدارس والشُّعراء والتجار الغُرباء. ثم أنْشَدَ الشعراءُ المدائح فيها وفي مُنْشِئِها، فممن أورد العَدْل أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد المَدَائني الفقيه الشافعي:

ما مَثَّل الفَلَك العظيم لمُبْصرٍ   في الأرض قبل إيالةِ المُستنصر
هذا بناء مُعْرِبٌ عن قُدْرَةٍ   رفِعَت قواعدُه بفعل مُظْهِرٍ[1]
حَسَدَت به الأرضَ السماءُ ولم يزل   حَسَد الفضائل في طباع العُنْصُر[2]
انظر تَجِد نَظْمَ الثُّريا في ذُرَى   شرُفاته وضياءِ نُور المشتري
ضَحِكَ الزمانُ وذاكَ بعد عُبوسه   ورأى الصوابَ وذاكَ بعد تَحَيُّرِ
فالأفقُ بين مُذَهَّبٍ ومُفَضَّض[3]   والجو بين مُكَوفَرٍ ومُعَنْبَرِ
والأرضُ حاسرةُ القناع كأنها   خَوْد[4] تَبَرَّجُ في رداءٍ أخْضرِ
تَزْهو بما عَمر الخليفةُ فوقَها   علَماً لأحكام البَشِير المُنْذِرِ
بالجانب الشرقي بالشاطي الذي   هو طورُ سينا كل صاحب مِنْبرِ

منها[5]:

ما حقُ دجلةَ أن تفوه بلفظةٍ   قُهرت وأي مُسَاجِلٍ لم يُقْهَرِ
غَلب العَطاء الماء فيها وانثنى   سَدّاً يفوقُ صناعةَ الإسكندرِ

---

(١) تصحفت في المطبوع إلى: «مطهر».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «الغصر».
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «مفضض ومذهب».
(٤) الخَوْد: الحسنة الخَلْق، الشابة.
(٥) في المطبوع: «ومنها» فالواو زائدة.

إن أصبحت بَحْراً فإن بنانه ... بإفاضة المعروف خمسة أبْحُرِ
وضعَ الأمامُ بها أساسَ بنائِهِ ... والموجُ بين مُجَمْجِمٍ ومُزَمْجِرِ
قَصْراً ومدرسةً لمن طلبَ الغِنَى ... أو رامَ شأو العالِم المُتَبَحِّرِ
هي جنةُ الفِرْدووس يجري تَحْتَها ... من ماءِ دجلة ماء نهر الكَوْثَرِ
حصباؤها دُرُّ النِّظام وتربها ... مِسْك الجَذُوب[1] وطينها كالعنبرِ
أضحى سُليمان الزَّمان وأهله ... مُسْتخدماً فيها بجنة عَبْقَرِ
لَبِسَ الغَبيُّ بها شهامة ماهرٍ ... وغدا المُقِلُّ مُزاحماً للمُكْثرِ
لم تخل من حَبْر وشيخٍ فاضلٍ ... يروي الحديث وساجدٍ ومُعَفِّرِ
قد كانت الفُقهاءُ قبل بنائِها ... في كُلِّ قُطْر واحدٌ لم يُذكرِ
فَرَقًى يشق على المريد طلابُها ... في الشَّرع والمطلوب كالمعذَّرِ
فاليوم قد جُمِعَت أمورُ الدين في ... أرجائِها وأُزيلَ عُذْر المُقْصِرِ

وأورد بعده جماعةٌ كثيرة.

ثم ذكر المُدرسان المُقَدَّم ذِكْرهما الدروسَ كلٌّ واحدٍ منهما على سُدَّته، والنائبان كل واحد منهما تحت السُّدّة، ثم قُسِمَت الأرباع فَسُلِّمَ رُبْعِ القِبْلة الأيمن إلى الشافعية، والربع الثاني يَسْرة القبلة للحنفية، والربع الثالث يمنة الداخل للحنابلة، والربع الرابع يسرة الداخل للمالكية. وأُسكِنَت بيوتُها وغُرفها وأُجرِيَ لهم الجراية الوافرة، عملاً بشرط الواقف، ثم نهضَ نصير الدين، وأرباب الدولة والحاضرون وكان يومئذ الخليفة جالساً في الشباك الذي في صدر الإيوان، ينظر جميع ما

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «الجندب».

جرت الحالُ عليه.

تلخيص شَرْط[1] هذه المدرسة

شُرِطَ أن يكون عِدّة الفقهاء مئتين وثمانية وأربعين متفقهاً، من كل طائفة اثنان وستون بالمُشاهرة الوافرة والجراية الدَّارة واللحم الرَّاتِب والمَطْبخ الدائِر إلى غير ذلك من الحلواء، والفواكه، والصابون، والبزر، والفُرش، والتعهد.

وشُرِطَ أن يكون في دار الحديث التي بها شيخٌ عالي الإسناد، وقارئان، وعشرة أنفس يشتغلون بعلم الحديث النبوي، وأن يُقرأ الحديث في كل يوم سبت واثنين وخميس من كل أسبوع، وشُرِطَ لهم الجراية، والمشاهرة، والتعهد أسوة بالفقهاء.

وشُرِطَ أن يكون في الدار المتصلة بالمدرسة، ثلاثون صبياً أيتاماً يتلقنون القرآن المجيد من مقرىء مُتْقِن صالح، ويحفظهم معيدٌ معه، ولهم من الجراية، والمُشاهرة، والتعهد، ما للمشتغلين بعلم الحديث.

وشُرِطَ أن يُرَتَّبَ بها طبيب حاذق مُسلم، وعشرة أنفس من المسلمين يشتغلون بعلم الطب، ويوصل إليهم مثل ما للمقدم ذكرهم، وأن يكون الطبيب يطب من يعرض له مرض من أرباب هذا الوقف، ويُعْطَى المريضُ ما يُوصف له من أدوية وأشربة وغير ذلك.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «شروط».

وشُرِطَ أن يكون بها من يَشْتَغل بعلم الفرائض والحساب، إلى غير ذلك، مما إذا استُقْصِيَ ذِكْرُه، طالَ تَعْدادُه[1].

ذكر عدة حوادث

في تاسع رَجَب رُتِّبَ القاضي أبو النجيب عبدالرحمن ابن القاضي يحيى بن القاسم التّكريتي ناظراً في مصالح المدرسة المستنصرية، ورُتِّبَ العَدْلُ عبدالله بن ثامر مُشْرِفاً عليه، ورُتِّبَ مَعَهما العَدْلُ أبو منصور الفَضْل[2] بن محمد كاتباً، ورُتِّبَ العَدْل علي[3] بن أبي البدر خازناً، وخُلِعَ على الجميع.

وفي شهر رمضان، وصل محي الدين يوسف ابن الجَوْزي من مِصْرَ وخُلِعَ عليه بدار الوزارة، خِلْعَة التدريس على الحنابلة، بالمدرسة المستنصرية، وحَضَر المدرسة بالخِلْعة ومعه جميع الولاة والحجاب فجلسَ على السُّدّة وخطبَ وذكرَ دروساً.

وفي ذي القعدة، توفي محي الدين أبو المظفر ابن البُوقي، أصله

---

(١) وقف الذهبي على نسخة كتاب وقفها وهو في خمسة كراريس، وساق بعضه، وقال: «ولا أعلم وقفاً في الدنيا يقارب وقفها أصلاً سوى أوقاف جامع دمشق، وقد يكون وقفها أوسع... فكذا فليكن البر وإلا فلا، وحدثني الثقة أن ارتفاع وقفها بلغ في بعض السنين وجاء نيفاً وسبعين ألف مثقال ذهب» (تاريخ الإسلام ٦٤/ ٧-٩).

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «الفاضل».

(٣) سقط من المطبوع.

من واسط من أولاد الفقهاء[1] ، أحب التصرف ودخل فيه فخدم عدة خدمات، آخرها صدرية بلاد خُوزستان، بقي على ذلك مدةً ثم عُزِلَ.

وفيها، وصل الأمير مظفر الدين بَهْنام الرُّوميُّ الناصريُّ زعيمُ[2] تُسْتَر معزولاً، ووُلِّيَ عوضه الأمير علاء الدين ألدكُز النَّاصري شحنة بغداد، ووُلِّيَ ظهيرُ الدين الحسن بن عبدالله، ناظراً في أعمال خُوزستان ومتولياً لديوانها.

وفيها، خُلِعَ على أمير الحاج شمس الدين قَيْران[3] وتوجه بالحاج، فلما وصلوا بعض المنازل بلغهم أن العرب الأجاودة[4] طموا الآبار في منزل السَّلْمان[5] ، وعزموا على أخذهم، فاشاروا على أمير الحاج

---

(١) انظر إكمال الإكمال لابن نقطة، الورقة ٥٣(ظاهرية). وبيت البوقي هؤلاء فقهاء شافعية اشتهر منهم الفقيه أبو علي الحسن بن هبة الله بن يحيى الواسطي المتوفى سنة ٥٨٨هـ (تاريخ ابن الدبيثي، الورقة ٢٠باريس٥٩٢٢، والتكملة للمنذري ١/ الترجمة١٧١)، وأخوه ابو العلاء محمد بن هبة الله المتوفى سنة ٥٩٠هـ (تاريخ ابن الدبيثي، الورقة ١٥٧باريس ٥٩٢١، والتكملة١/ الترجمة٢٤٣). وظل هذا البيت معروفاً إلى القرن الثامن الهجري، كما يستدل من ترجمة حفيد الأخير، وهو فخر الدين أبو الفتح علي بن يوسف بن محمد بن هبة الله البغدادي المعروف بابن البوقي في «تلخيص مجمع الآداب» لابن الفوطي ٤/ الترجمة ٢٢٥٦.

(٢) الزعيم في مصطلحات ذلك العصر هو الحاكم أو المتولي.

(٣) تحرف في المطبوع إلى: «قركان»، وهو قيران الظاهري.

(٤) تصحفت في المطبوع إلى: «الأحاودة» بالحاء المهملة، والصواب ما أثبتناه من الأصل، وهو اسم قبيلة، فثمة قبيلة تعرف بالأجود كانت تُعد- في القرون التالية- من تحالف المنتفق.

(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «منزل سلمان»، ومنزل السَّلْمان موضع قديم على الطريق المؤدية من العراق إلى نجد، قال ياقوت ناقلاً عن أبي عبيد السكوني: «السَّلمان ماء قديم جاهلي وبه قبر نوفل بن عبد مناف، وهو طريق إلى تهامة من العراق في =

بالعود إلى بغداد، فاستفتَى مَن كان في الحاج من الفقهاء في ذلك، فأفتوا بجواز الرجوع، فرجع بالناس فلما وصلوا ذكروا أنهم طَلَبوا منهم المصالحة على مالٍ، وتجاوزوا حد الكثرة فيه، وطلبوا إطلاق محبوسين لهم ببغداد، وأَخْذ وجوه الحاج رهائنَ على إطلاقِهم، وتَرَدَّدَت الرُّسَل بينهم في ذلك، هذا كله والحاج نازلون على ماء قليل يصل إلى بعضهم بالقوة والجاه، وتمادت الأيام وتحقق فوات الحج، فَعَدَلوا عن مُصالحتهم، وتوجهوا عائدين، فمات منهم خلقٌ كثير، ومُعظم الجمال، وأحرقوا من أزْوادهم وأمتعتهم قبل رحيلهم شيئاً كثيراً لئلا تأخذه العرب، فقال الفقيه أبو الحسن علي[1] بن البطريق قصيدة، كتبها إلى الخليفة يُحَرِّضُه على قتال العَرَب، هذه الأبيات منها:

الكُفْرُ في التُّرك دون الكُفْر في العَرَب ... أليسَ منهم إذا عُدُّوا أبو لَهَبِ
أليسَ منهم أبو جَهْل وبنتهم ... عَدوّة المُصطفى حَمالةُ الحَطَبِ
فيا إمام الهُدَى يا خَيْرَ مَن نُظِمَت ... له المدائح يابن السَّادة النُّجُبِ
يا أيها القائمُ المنصورُ أنتَ إذا ... حضرتَ وجهَ رسولِ الله لم تَغِبِ[2]
فاغز الأعاريب بالأتْراك مُنْتَقِماً ... منهم ولا تَرْعَ فيهم حُرمة النَّسَبِ
فقد غَزَاهم رسولُ الله في حَرَمِ الـ ... ـله المنيعِ بإذنِ الله وهو نَبي
وما رَعَى فيهم إلاّ ولا نَسَباً ... ولم يقل: إنَّ أُمي منهم وأبي

= الجاهلية»، وذكر أنه «فوق الكوفة». قلنا: وهو الموضع المعروف اليوم بنقرة السلمان، ويقع في بادية العراق الغربية، وكان يتخذ معتقلاً سياساً لمدة طويلة، ثم ألغي.

(١) توفي سنة ٦٤٢هـ، كما في «فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي ٣/ ١١٢، وغيره.

(٢) تصحفت في المطبوع إلى: «تعب».

إن ادَّعوا أنَّهم قد أسلموا فقد ار   تدوا بمَنْعِهم للحج عن كَثَبِ[1]

وكانَ قد وصلَ تابوت مظفر الدين كُوكبري صاحب إرْبِل ونُفِذَ صُحبة الحاج ليُدفن في مكة فلما رجع الحاج، دُفِنَ في مشهد علي عليه السلام.

وفيها، نُقِلَ تاجُ الدين مُعَلَّى من صَدْرية المخزن إلى صدرية ديوان الزِّمام[2]، ونُقِلَ عميدُ الدين بن عباس[3] من الإشراف عليه هناك، وجُعِلَ مُشرفاً عليه في الديوان.

ووُلِّي جمالُ الدين عبدالله ابن الناقد صَدْراً بالمخزن نقلا من الحُجْبَةِ به، وخُلِعَ عليه في دار أخيه نصير الدين، ورُتِّب فخر الدين أحمد ابن الدَّامَغاني مُشْرفاً عليه نَقْلاً من إشراف ديوان الزِّمام، وخُلِعَ عليه.

وفيها، توفيِّ أبو عبدالله العباس[4] ابن الخليفة الظاهر.

وتوفي أيضاً الشيخ أبو العباس أحمد[5] بن ثَبَات الهُمَاميُّ

---

(١) في هذه القصيدة شعوبية واضحة، تدل على جهل قائلها بفضل العرب على غيرهم، بما خصهم الله من حمل الرسالة وتبليغها، وجعل الرسول ﷺ منهم، وجعل لغتهم هي لغة هذا الدين، كما بينه مفصلاً شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه النافع «اقتضاء الصراط المستقيم».

(٢) هو الديوان الذي يتولى الإشراف على دواوين الدولة العباسية المختلفة.

(٣) هو عميد الدين أبو المظفر منصور بن أحمد بن عباس الدجيلي المتوفى سنة ٦٥٤هـ (تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة١٤٢٥).

(٤) تاريخ الإسلام ٦٤/ ٥٤، والعسجد المسبوك ٤٦٢.

(٥) التكملة المنذرية ٣/ الترجمة٢٥٣٨، وتاريخ الإسلام ٦٤/ ٣٩، والوافي ٧/ ١٩٩، وهو أحمد بن علي بن ثَبَات، وثبات بفتح الثاء المثلثة والباء الموحدة المخففة، قيده المنذري، وابن ناصر الدين في توضيح المشتبه ٢/ ٨٧.

الواسطيُّ. كان أحد عُدول واسط، وتولى قضاء الهُمامية مدة ثم ترك ذلك، وقَدِمَ بغدادَ، وأقامَ بالمدرسة النظامية نحواً من أربعين سنة، يُقرىء الناس علم الحساب والفَرَائض، وصَنَّفَ في ذلك كُتُباً، وكان لا يخرج من المدرسة إلا لصلاة الجُمُعة، مضى على ذلك عُمُره إلى أن توفِّي، وكان شيخاً باردَ الكلام جداً، من يسمع كلامه يخاله أبله، فإذا أملَى مسائل الحِساب أتى بكل حَسَن.

وتوفي مجد الدين محمد[1] بن زعرور. كان أولاً يتصرف في أعمال السَّواد، ثم رُتِّبَ نائباً بالجانب الغربي مدةً، ثم وَلِيَ نظارةَ واسط وأقامَ بها سنين، ثم فُصِلَ عنها فأقام ببغداد مدةً، ثم عُيِّنَ عليه صَدْراً بنهر عيسى ونهر مَلِك[2] وهيت والأنبار، وجُعِلَ له ديوانٌ مُفْردٌ، فكانَ على ذلك إلى أن توفِّي.

وتوفي تاج الدين أبو الحسن علي ابن الأنباريِّ الواسطيُّ. وُلِدَ بواسط وخدم في أعمالها، ثم قَدِمَ بغداد وخدم ناظراً في ديوان العقَار، ثم رُتِّب ناظراً بديوان واسط، ثم عُزِلَ ورُتِّب مُشرفاً في البلاد الحِلّية مدةً، ثم نابَ في أعمال المخزن، ثم وَلِيَ إشراف الديوان، ثم نُقِلَ إلى صدرية ديوان الزِّمام، فلم يزل على ذلك إلى أن مات، وكان ظالماً متحيفاً.

وفيها، توفي أبو عبدالله محمد[3] بن يحيى بن فَضْلان. كان فقيهاً

---

(١) تلخيص مجمع الآداب ٥/ كتاب الميم ص٢٣٣.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «الملك».

(٣) تاريخ الإسلام ٦٤/ ٦٩-٧٠، والعبر ٥/ ١٢٦، والمختصر المحتاج ١/ ١٦٢، وسير =

عالماً، دَرَّسَ بعد أبيه بمدرسة فخر الدولة بن المطلب، ورُتِّبَ كاتباً بدار التَّشريفات، ثم تولى تدريس المدرسة النِّظامية والنَّظَر في أوقافها إضافةً إلى[1] دار التَّشريفات، ثم عُزِلَ عن النِّظامية خاصة، وتوفَّرَ على خدمته بدار التَّشريفات وتدريس دار الذهب، ورَفَعَ الطَّرْحة. ثم قُلِّد قضاءَ القُضاة، ورُدَّ إليه النَّظَر في ديوان الحِسْبة، والنَّظر في أوقاف المَدَارس والأربِطة، فلم يزل على ذلك إلى أن تُوفي الخليفة الناصر لدين الله. فلما بُويع الظاهر بأمر الله، عزَلَهُ فَلَزِمَ منزلَهُ لا يخرجُ منه إلا لصلاةِ الجُمُعة. ثم استُدعي ووُلِّيَ نظارةَ المارستان العَضُدي، فكان على ذلك شهوراً، ثم عَزَلَ نفسَهُ ولَزِمَ بيتَهُ إلى أن استُدْعِيَ ووُلِّيَ النظر بديوان الجَوَالي واستيفاء ثروات أهل الذمة. ثم وُلِّيَ تدريس مدرسة الأصحاب[2] ، فتردد إليها مُدّةً ثم تركها، وتوفَّر على ديوان الجَوَالي،

= أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٧، والعسجد المسبوك ٤٦٣، وطبقات السبكي ٨/ ١٠٧-١٠٨، وشذرات الذهب ٥/ ١٤٦.

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «في».

(٢) هي المدرسة التي أنشأتها السيدة زمرد خاتون المتوفاة سنة ٥٩٩هـ، أم الخليفة الناصر وزوجة المستضيء، وافتتحها سنة ٥٨٩هـ في موقع مجاور لتربتها قرب تربة معروف الكرخي، وألحقت بها دوراً خاصة بالمدرسين والفقهاء والقومة، وأجرت على الجيمع الرواتب الحسنة، فعُدت بعد النظامية والمستنصرية منزلة. واستمر التدريس فيها قائماً طيلة العهد العباسي والمغولي والجلائري، وبقي بنيانها ماثلاً إلى العهد العثماني، حيث أمر والي بغداد سليمان باشا الكبير ١١٩٤-١٢١٧هـ بنقضها واستعمال انقاضها في بناء سور بغداد الغربية. وقد وصف مبانيها السيد محمود شكري الآلوسي بوصفها مسجداً بقوله: «كان واسعاً، رصين البناء، قوى الأركان» (انظر: الجامع المختصر ٩/ ١٢٢، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٨٠، ومرآة الزمان ٨/ ٥١٣، ومساجد بغداد للآلوسي١٦٥).

ثـم نُفِـذَ فـي رسـالـة إلـى ملـك الـرُّوم، فلمـا عـادَ رُتِّـبَ مـدرس الطـائفـة الشافعية بالمدرسة المستنصرية فكان على ذلك إلى أن توفي.

حُكِيَ عنه أنه كتبَ للخليفة الناصر لدين الله لما كان يتولَّى ديوان الجوالي رقعةً طويلةً يقول فيها: مذهب الشافعي رضي الله عنه يقضي أن المأخوذ من أهل الذمة، أعني اليهود والنصارى، في كل سنة أجرة عـن سُكنـاهـم فـي دار السـلام، والارتفـاق بمـرافقهـا لا يتَقَـدَّر فـي الشَّـرْع بمقدار معين في طرف الزيادة، ويتقدَّر في طرف النُّقصان بدينار، فلا يؤخذ من أحد منهما على الاطلاق أقل من دينار ويجوز أن يؤخذ ما يزيد على الدينار إلى المئة، حسب امتداد اليد عليهم مهما أمكن، فإن رأى أن يتضاعف على كل شخص منهم ما يؤخذ منه، فللآراء الشريفة علـوهـا فـي ذلـك، وهـذا لا يبيـن عليهـم لا فـي أحـوالهـم ولا فـي ذات أيديهم، لأن الغالب على الجميع التَّخفيف في القدر المأخوذ منهم، وهم ضروب وأقسام، منهم من هو في خدمات الديوان وله المعيشة السَّنِيـة غيـر بَـرَكـة يـدة الممتـدة إلـى أمـوال السلطـان والـرعيـة مـن الـرشـا والبَـرَاطيل، ولعـل الـواحـد منهـم يُنفـق فـي يـومـه القَـدر المـأخـوذ منه فـي السنة، هذا مع ما لَهُم من الحُرْمَة[1] الزائدة والجاه القاطع والتَّرقي على رِقاب خَوَاص المُسلمين. وقد شاهدَ العبدُ وغيرُه من الفُقهاء الحاضرين في المخزن لتناول البِّر المُتَقَبَّل: أن ابن الحاجب قَيْصَر، أقامَ ابنَ مُحرز الفقيه من طَرَفِ موضعٍ كان به، وأقعدَ مكانه ابن زُطينا كاتب المخزن

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «الحرية».

لمكان خِدْمته، وقد رُوِيَ عن عليٍّ عليه السلام أنَّه قال: «أُمِرنا أن لا نساويهم في المجلس ولا نُشَيِّع جنائزَهُم ولا نعودَ مرضاهم ولا نبدأهم بسلام». وقد كان ابن مَهْدي استفتَى العبدَ وغيرَهُ، في تولية ابن سَاوَا النَّظر بواسط، فقال له العَبْدُ: لا يجوز ذلك، وذَكرَ له قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أبي موسى الأشعري، وذلك أنه عرضَ عليه حِسْبةَ عَمَلٍ من الأعمال فأعجبته، فقال: مَن كاتب هذه؟ وكان عمر جالساً في المسجد، فقال له أبو موسى: رجل بباب المسجد. فقال عمر: ما باله لا يدخل المسجد أجنب هو؟ قال: لا إنما هو نصراني. فغضب عمر، وقال: أتقربونهم وقد أبعدهم الله، وتأتمنونهم وقد خَوَّنهم الله، وترفعونهم وقد وَضَعَهُم الله؟ لا يعمل لي هذا عَمَلاً في بلد من بلاد الإسلام.

ثم ليس لهم في بَلَدٍ من الحُرْمة والجاه والمكانةِ ما لهم في مدينة السَّلام، فلو تضاعف المأخوذُ منهم مهما تضاعف، كان لهم الرِّبح الكثير.

ومنهم الأطباء أصحاب المكاسب الجزيلة، بترددهم إلى منازل الأعيان، وأرباب الأحوال ودخولهم على المتوجهين في الدولة، والناس يتحملون فيما يعطون الطبيب زائداً على القَدْر المُسْتحق، وهو أمر من قبل المروآت فلا ينفكون عن الخِلَعِ السَّنية والدنانير الكثيرة والطُّرف في المواسم والفصول مع ما يحطون في المعالجات ويفسدون الأمزجة والأبدان، ويخرج الصبي منهم ولم يقرأ غير عشر «مسائل

حُنين»[1] ؛ وخمس قوائم من «تذكرة الكَحَّالين»[2] ، وقد تَقَمَّصَ ولَبِسَ العِمامة الكَبيرة وجلسَ في مقاعد الأسواق والشوارع على دكةٍ حتى يُعرف، وبين يديه المِكَمَّة[3] والمِلحدان[4] ، يؤذي هذا في بَدَنه ويُجَرِّب على ذا في عينه فيفتكُ من أول النهار إلى آخره ويمضي آخر النهار إلى منزله ومِكَمَّتُه[5] مملوءة قراضة[6] ، فإذا عُرِفَ بقعوده على الدَّكَة وصارَ له الزبون، قام يدور ويدخل الدُّور.

ومنهم أرباب المعايش من العَطَّارين والمُخَلِّطين والكَسَّارين أصحاب المكاسب الظاهرة والارتفاقات الكثيرة بأموال التجار المسلمين، وأخْذِهم من الحُجُر بالمدة، وما يَقفُّوا[7] في ميزان الذهب، وميزان الأرْطال، ومايَغُشّون في الحوائج ويدغلون[8] .

ومنهم أصحاب الحِرَف والصِّناعات من الصَّاغة وغيرهم وما يتقلبون فيه من الذَّهب والفِضة، ويَسْرقون الذَّهب ويجعلون عوضه

(١) هو كتاب «المسائل في العين» تأليف حنين بن إسحاق العبادي المتوفى سنة ٢٦٠هـ.
(٢) كتاب مشهور في علاجات أمراض العين، تأليف علي بن عيسى الكحال المتوفى سنة ٤٣٠ (عيون الانباء ١/ ٢٤٧).
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «المكحلة»، والمِكمة: شبة كيس، يُكم به الفم، من حيوان أو إنسان، وقد يستعمل لأغراض أخرى.
(٤) مركب من «ملح» و «دان» وهو الوعاء الذي يوضع فيه الملح، مثل سكردان، وشمعدان ونحوهما، فكأنه الوعاء الذي توضع به أدوية العين.
(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «مكحلته».
(٦) هو ما يُقرض من الدنانير الذهبية، وكانوا يتعاملون بها.
(٧) تحرفت في المطبوع إلى: «يعفوا». ويقال: قَفَّ الصيرفي: سرق الدراهم بين أصابعه، فهو قَفّاف. ولو قال: «وما يقفون» لكان أصح، إذ لا وجه له.
(٨) أي: يخونون.

المِس[1] ويعدلونه ويسرقون الفضة ويجعلونَ عِوَض ذلك في المواضع المستورة بحسب احتمالها، تارة قاراً وغير ذلك.

ومنهم الجهابِذَة وما يَسْرقون في القبض والتَّقبيض.

ومنهم الصيارف واحتجاجهم ببضاعة دارِ الضَّرْب مع مالَهُم من التبسط في المُسلمات والمسلمين وبذل جزيل المال في تحصيل أغراضِهم في الفَساد ورفاهية العيش، والتلذذ في المآكل والمشارب.

ثم مازالوا على اختلاف الزَّمان يؤخذون بالصَّغَار ولُبْس الغيار الذي أوجبه الشَّرْعُ عليهم. وكتبَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أُمراء الأمصار أن يحملوا أهل الذمة على جَز نواصيهم وأن يختموا أعناقهم بخواتيم[2] من رصاص أو حديد، وأن يركبوا على الأكف[3] عُرْضاً، وأن يشدوا الزَّنانير على أوساطهم ليتميزوا بذلك عن المسلمين. وعلى ذلك جرى الأمر في زمن الخلفاء الراشدين. وآخر من شَدَّدَ عليهم المقتدي بأمر الله وأجراهم على العادة التي كانت في زمن المتوكل، فعلَّق في أعناقهم الجلاَجل ونَصَبَ الصُّور والخَشَب على أبوابهم لتتميز بيوتُهم عن بيوت المسلمين، وأن لا يساوي بنيانهم بنيان المسلمين وألزمَ اليهود لبس الغِيار والعمائم الصُّفر، وأما النساء فالأزر العَسَلية، وأن تخالف المرأة منهم بين لوني خُفَّيْها، فيكون[4] واحد أسود والآخر

(١) المس: النحاس.
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «خواتم».
(٣) جمع: إكاف، وهي البرذعة التي توضع على الحمار أو البغلة.
(٤) سقطت من المطبوع.

أبيض، وأن يجعلوا في أعناقهن أطواقا من حديد إذا دخلن الحمامات، وأما النصاري فلُبْس الثياب الدُّكن والفَاختية وشَد الزنانير على أوساطهم وتعليق الصُّلبان على صدورهم، وإذا ارادوا الركوب لا يُمَكَّنوا من الخَيْل، بل البغال والحَمير بالبراذع دون السروج عُرْضاً من جانب واحد.

فهؤلاء قد حُطَّ عنهم هذا كله فلا يُقابل ذلك بتضعيف ما يؤخذ منهم، وهؤلاء في أكثر البلاد يُلْزمون الغِيار ولا يُمَكَّنون[1] من الدخول إلا في أرْذل الصَّنائع وأزرأ[2] الحِرَف. أما في بُخارا وسَمَرْقَند فمنقو[3] الكُنُف والمجاري ورفع المَزَابل ومَسَاقط الفَضَلات هم أهلُ الذمة. وأقرب البلاد إلينا حَلَب، وهم بها عليهم الغيار.

ومن حُكْم الشَّرْع أنه إذا أُخذت الجزية منهم يدفعها المُعطي منهم وهو قائمٌ والآخذُ قاعدٌ يضعها في كَفِّه ليتناولها المُسلم من وسط كفه: تكون يد المسلم العُليا ويد الذمي هي السُّفلى، ثم يمد بلحيته ويضرب في لَهَازمه ويقول له: أدِّ حق الله يا عدو الله يا كافر[4]. واليوم منهم من لايحضر عند العامل بل ينفذها على يد صاحبه.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «يتمكنون».

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «أرذل».

(٣) كتبت في المطبوع : «فمنقوا» خطأ.

(٤) كثير مما ذكر ابن فَضْلان - رحمه الله- لا أصل له في الشرع، لا في الكتاب ولا في السنة، ولا يجوز معاملة أهل الذمة هكذا، فراجع الكتاب النفيس الذي كتبه الأستاذ الدكتور عبدالكريم زيدان: «أحكام الذميين والمستأمنين في ديار الإسلام»، ففيه رد على مثل هذه الأفاعيل وبيان موقف الشرع المطهر منها.

الصابئة قوم من عَبَدة الكواكب يسكنون في البلاد الواسطية لا ذِمة لهم، وكان في قديم الزمان لهم ذمة، فاستفتَى القاهرَ بالله أبا سعيد الإصطخريَّ، من أصحاب الشافعي في حقهم، فأفتاه بإراقة دمائهم وأن لا تُقْبل منهم الجزية، فلما سَمِعوا ذلك[1] بذلوا له خمسين ألف دينار، فأمسكَ عنهم. وهم اليوم لا جزية عليهم ولا يُؤخذ منهم شيء، وهم في حُكْم المسلمين والأمر أعلى.

فلما وقفَ الخليفةُ على رقعته لم يعد عنها جواباً.

ولما توفي ابن فَضْلان رُتِّب عوضه في تدريس المدرسة المُستنصرية قاضي القضاة أبو المعالي عبدالرحمن بن مُقْبِل الواسطي مضافاً إلى القضاء.

وتوفي علي[2] بن إبراهيم ابن الأنباري الذي كان صاحب الدِّيوان.

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) تاريخ ابن النجار، الورقة ١٤٦(من مجلد باريس)، وتقدمت ترجمته قبل قليل (ص٩٠)، فلا معنى لإعادته هنا.

سنـــة
اثنتين وثلاثين وست مئة

فيها، رُتِّبَ فخرُ الدين أبو سَعْد[1] المبارك ابن المُخَرِّمي وكيلَ باب طِرَاد والنَّظر بدار التَّشريفات عوض علي ابن العُنَيْزِي[2] نَقْلاً من نيابة ديوان الزِّمام.

وفيها، عُزِلَ الأمير شمس الدين علي بن سُنْقُر الطَّويل عن الإمارة ولزم بيته وقصرَ نفسه فيه.

وفيها، تُقُدِّمَ بإحضار جماعةٍ من الولاة وأرباب الدولة إلى دار الوزارة، ثم جماعة من التجار والصيارف، وأُحْضِرت دراهم فضة وأُلقيت على نَطْعٍ بين يدي نصير الدين ثم نهض قائماً والجماعة، وعَرَّفهم أن الخليفةَ أنعمَ في حق رعيته وأنقذهم من التعامل بالحَرَام وتجنُّب الآثام، وأغناهم عن الصَّرْف المُشْتَمِل على الرِّبا بالمعاملة بهذه الدراهم عِوَضاً عن القُراضة، وقَرَّرَ سِعْرَها كل عشرة دراهم بدينار، وأُعْطِيَ الصيارفُ منها ما يعاملون الناس به[3].

---

(١) تحرف في المطبوع إلى: «سعيد»، وهو أبو سعد المبارك بن يحيى بن المبارك الآتية وفاته في سنة ٦٦٤هـ من هذا الكتاب.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «العنبري».

(٣) انظر الخبر بتفاصيل أوفى في تاريخ الإسلام ٦٤/ ١٠.

وفيها، خَتَم الأمير أبو أحمد عبدالله وَلَدُ الخليفة المستنصر بالله القرآن المجيد على مؤدبه العَدْل أبي المظفر علي بن النَّيَّار وأُحضر له خِلْعة: قميص أطلس وبقيار قَصَب بمغربي، فامتنع من لبسه تورعاً لِمَا وردَ في ذلك من النَّص الدال على التحريم، وأُحضر له قميص مُصمت غزلي وبقيار قَصَب بحرير، وأُنْعِمَ عليه بألفي دينار، وفرس عربي. وخُلِعَ على ولد له صغير وأُعطي مئتي دينار ونُفِذَ[1] إلى داره ما حمله اثنان وأربعونَ حَمالاً. ثم عُمِلَت دعوة عظيمة بلغت الغرامة عليها عشرة آلاف دينار. ثم خُلِعَ على وكيله العَدْل عبدالوهاب بن المُطَهَّر وعلى ولده وعلى جميع الخَدَم والحاشية.

وفيها، نُقِل تاج الدين علي ابن الدَّوامي من ديوان عَرْض الجَيْش إلى صَدْرية ديوان إرْبل وخُلِعَ عليه وتوجه إليها.

وفيها، وُلِّيَ قُطب الدين سنجر الناصري شحنكيةَ بغدادَ.

ووصل رسولٌ من بدر الدين لؤلؤ صاحبِ المَوْصل، ومعه تحفٌ وألطافٌ وكَرَاع كثير، وسأل تزويج ابنته بمجاهد الدين أيبك الخاص المُستنصري المعروف بالدويدار الصغير، فأُحضِرَ قاضي القضاة أبو المعالي عبدالرحمن بن مُقْبِل ونائباه عبدالرحمن بن عبدالسلام بن اللَّمْغاني وعبدالرحمن بن يحيى التَّكريتي، وحضر مجاهد الدين الدويدار[2] ومعه جماعةٌ كبيرةٌ من خَدمِ الخليفة وأصحابِ الشَّرابي

(١) تحرف في المطبوع إلى: «أنفذ».

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «الديويدار».

وحاشية البَدْرية، وجلسَ على يمين نصير الدين نائب الوزارة، وخطبَ الخطيب أبو طالب الحُسين بن المُهْتَدي بالله خطبة النِّكاح، وتولى العقد القاضي ابن اللَّمْغاني، وكان وكيل بدر الدين لؤلؤ رسولُهُ أمين الدين لؤلؤ، والصّداق مبلغه عشرون ألف دينار، وكُتِبَ كِتاب الصّداق في ثَوْبٍ أطلس أبيض، وعُمِلَت دعوةٌ عظيمةٌ، ثم نهضَ مُجاهد الدين، وخَلَعَ نصير الدين على من باشرَ العَقْدَ من القُضاة والشُّهود والوكلاء. وفي هذا الإملاك أنشد جماعةٌ من الشعراء، منهم عبدالحميد بن أبي الحديد أنشد أبياتاً يقول فيها:

أهْـلاً بيـوم حَسَـن المَنْظَـرِ قـد قَـرَنَ الـزُّهـرةَ بـالمُشتـري
لا سَلَبـا ظِـلَّ غمـام الهُـدَى شَمْـس الـوجـودِ النَّيِّـرِ الأكبـرِ

وفيها، عُزِل فخر الدين أبو طالب أحمد ابن الدَّامَغاني عن إشراف الدِّيوان فلزم منزلَهُ.

وفيها، قُتِلَ رجلٌ نصرانيٌّ كان يسكن في درب الشَّاكرية[1] ، قتلَهُ غلامٌ له وأظهرَ أنه قد سافرَ، فطال العَهْدُ بذلك، والغُلامُ في داره يتصرف فيها على حسب إيثاره، فارتيبَ به، فأُخذَ وقُرِّرَ بالضَّرْب، فاعترف بأنه قتله وألقاه في بئرِ داره، فوقع الأقتصار على تخليده السجن، لأن الغُلام المذكور[2] كان مُسْلماً عملاً بمذهب الشافعي

---

(١) محلة في الجانب الغربي من محلات الحربية، قال ياقوت: «إذا جاوزت جامع المنصور فجميع تلك المحال يقال لها الحربية مثل النصرية، والشاكرية، ودار بطيخ، والعباسيين، وغيرها» (معجم البلدان ٢/ ٢٣٧).

(٢) سقطت من المطبوع.

وأحمد في ذلك[1] .

وفيها، رُتِّبَ الأوْحد الكِرْمانيُّ الصُّوفيُّ شيخاً للصوفية برباط المَرْزُبانية[2] ، وخُلِعَ عليه وأُعطيَ بَغْلةً، ونُفِذَ معه حاجب إلى هناك، وهو شَيْخٌ حَسَن السَّمْت، متكلمٌ بلسان أهلِ الحقيقة وأرباب الطَّريقة، قَدِمَ بغداد ونزل بجامع ابن المطلب[3] وكان الناسُ يَقْصدونه ويحضرون عنده من الفقراء والصوفية، فاشتُهِرَ ذِكْرُه.

وفيها، عُزِل أميرُ الحاج قَيْران الظاهري عن إمارة الحاج خاصة،

---

(١) استناداً إلى حديث رسول الله ﷺ الصحيح: «لا يُقتل مؤمن بكافر» (انظر المسند الجامع ١١/ ١٤٥حديث ٨٥٠٢). ولكن هذا لا يعفيه من عقاب الله تعالى، فقد روى أحمد ٢/ ١٨٦، والبخاري ٤/ ١٢٠و٩/ ١٦، والنسائي ٨/ ٢٥، وابن ماجة (٢٦٨٦) وغيرهم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص: «من قتل معاهداً، لم يجد ريح الجنة».

(٢) بناه الخليفة الناصر لدين الله في الجانب الغربي على شاطىء نهر عيسى، وأراد أن ينقطع فيه حينما حاول اعتزال الخلافة، ثم عدل عن ذلك، فسُلِّم إلى الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي فسكنه مع جماعة من الصوفية (انظر: الجامع المختصر ٩٩، ومرآة الزمان ٨/ ٥١٣، وبشار عواد معروف: العثور على أثر مفقود لابن الساعي، مجلة المورد، السنة الثالثة، العدد الثالث، بغداد ١٩٧٤).

(٣) هو الجامع الذي أنشأه فخر الدين أبو المظفر بن الحسن بن هبة الله بن المطلب المتوفى سنة ٥٧٨هـ على شاطىء دجلة، قرب قصر عيسى القديم في المحلة المعروفة بهذا الاسم سابقاً، وهي اليوم سوق الجديد بالكرخ. وفي مختصر مناقب بغداد لابن الجوزي (ص٢٣) أنه عَمَّره واستأذن المستضيء بأمر الله في عقد الجمعة فيه فأذن في ذلك بشرط فتوى الفقهاء بجواز ذلك، فأجاز بعضهم، فأُقيمت الجمعة فيه في أواخر سنة ٥٧٢هـ ثم منع المستضيء من الصلاة فيه، فلما ولي الناصر لدين الله سئل في ذلك فأجاب، فصُلِّي فيه في أواخر سنة ٥٧٥هـ، وابن المطلب هذا هو الذي أنشأ المدرسة المعروفة بالفخرية وبدار الذهب، وقد ورد ذكرها في أخبار سنة ٦٢٦هـ من هذا الكتاب.

ووُلِّيَ عوضَهُ الأميرُ حسام الدين أبو فراس بن جعفر بن أبي فراس وحج بالناس في هذه السنة.

وفيها، تُوفي الشيخُ شهابُ الدين أبو حفص عُمر[1] بن محمد بن عبدالله السُّهْرَورديُّ الصوفي الواعظ. ولد بسُهْرَوَرْد[2] ونشأ بها، وقَدِمَ بغدادَ واستوطنها. وهو ابن أخي الشيخ أبي النَّجيب السُّهروردي، صحبه كثيراً وعنه أخذَ علم الصُّوفية والوَعْظ ومعرفة الحقيقة والطَّريقة. وصَنَّف في شرح أحوال الصوفية كتاباً حسناً[3]، وتكلم في الوعظ بباب بَدْر ومدرسة عمه أبي النَّجيب[4]، وتولَّى عِدَّة رُبُطٍ للصوفية، منها رباط الزَّوْزَني[5] ورباط المأمونية، وبَنَى له الخليفة الناصر لدين الله

(١) تاريخ ابن الدبيثي، الورقة ٢٠٢(باريس ٥٩٢٢)، والتقييد لابن نقطة، الورقة ١٧٦، ومرآة الزمان ٨/ ٦٧٩، وتكملة المنذري ٣/ الترجمة ٢٥٦٥، وذيل الروضتين ١٦٣، وأخبار الزهاد لابن الساعي، الورقة ٩٥-١٠٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤٦، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٧٣، وتاريخ الإسلام ٦٤/ ٩٦-٩٩، والمستفاد للدمياطي ٣٦٦، وطبقات السبكي ٨/ ٣٣٨، وطبقات الإسنوي ٢/ ٦٣، والبداية لابن كثير ١٣/ ١٣٨وغيرها.

(٢) بلدة قريبة من زنجان بالجبال.

(٣) هو كتاب «عوارف المعارف».

(٤) توفي أبو النجيب سنة ٥٦٣هـ. وقد بقيت هذه المدرسة قائمة حيناً من الدهر، ثم تحولت لتكون مسجداً عُرف بمسجد نجيب الدين. ويقع هذا المسجد قريباً من دجلة، يفصله عن دجلة اليوم نادي الضباط الأعوان. ووصف السيد محمود شكري الآلوسي هذا المسجد بقوله: «واسع الساحة فيه مدرسة وحُجر وفيه إمام ومؤذن وخدم، وفيه قبر الشيخ نجيب الدين السهروردي الصديقي... ودفن في هذا المسجد وكان يؤمئذ مدرسة له، ولم أر على جدرانه شيئاً من الكتابات» (مساجد بغداد وآثارها٧٩).

(٥) ينسب هذا الرباط إلى الصوفي أبي الحسن علي بن محمود بن إبراهيم الزوزني =

رباطاً بالمرزبانية على نهر عيسى، وبنى إلى جنبه داراً واسعة وحماماً وبستاناً يسكنها بأهله. ونَفَّذَهُ الخليفة رسولاً إلى عدة جهات، وكان الملوك الذين يَرِد عليهم يبالغون في إكرامه وتَعْظيمه واحترامه اعتقاداً فيه وتبركاً، ودُفِنَ في الوردية[1] في تُربة عُمِلَت له هناك على جادة سُور الظَّفَرية[2]، ومات عن اثنتين وتسعين سنة، ولم يُخَلِّف شيئاً من عُروض الدُّنيا بعد أن حَصَلَ له منها الشيءُ الكثيرُ فأخرجه جَميعَهُ، لأنه كانَ كريمَ النَّفْس. وكان مَهِيبَ الشكل، طيِّبَ الأخلاق، كثيرَ العبادة.

وتوفي، عبدالسلام[3] بن أبي عصرون التَّمِيميُّ الحَلَبِيُّ الفقيه

= (٣٦٦-٤٥١هـ) وكان من كبار صوفية بغداد، وقد بُني الرباط لأبي الحسن علي بن إبراهيم الحُصْري (المتوفى سنة ٣٧١) وكان شيخ الصوفية في وقته (المنتظم ٧/١١١، والسمعاني: الأنساب ٤/١٧٢). وكان يقع مقابل جامع المنصور، وقيل: على باب الجامع المذكور، بينها فسحة. وقد نشأت قرب الرباط مقبرة سميت مقبرة الصوفية (المنتظم ٨/٣٢٥و١٠/١٣٦، والأنساب٤/١٧٢، ومرآة الزمان ٨/ ١٨٠، والجامع المختصر٩/٣٢، والمختصر المحتاج إليه ٢/١٤٦). وقد لبث الرباط قائماً إلى أن هدمه فيضان سنة ٦٥٤هـ فانقطعت أخباره بعدها (الجامع المختصر٣١٨).

(١) ذكرها ياقوت (معجم البلدان٥/ ٣٧١) بقوله: «مقبرة ببغداد بعد باب أبرز من الجانب الشرقي قريباً من باب الظفرية». قلنا: وهي التي سميت، في الحقبة التالية، بمقبرة الشيخ عمر السهروردي لدفنه فيها واشتهار قبره هناك.

(٢) الظفرية: محلة وصفها ياقوت (معجم البلدان ٤/ ٦١) بقوله: «محلة شرقي بغداد كبيرة وإلى جانبها محلة أخرى كبيرة يقال لها قَرَاح ظَفَر، وهي في قبلي باب أبرز، والظفرية في غربيه، أظنهما منسوبتين إلى ظفر أحد خدم دار الخلافة». قلنا: وإلى هذه المحلة نُسِبَ الباب المجاور لها من أبواب بغداد الشرقية، وهو الذي عُرِف فيما بعد بالباب الوسطاني، وهو قائم إلى اليوم.

(٣) مرآة الزمان ٨/٦٩٢و٦٩٤، وتكملة المنذري ٣/الترجمة ٢٥٧١، وذيل الروضتين ١٦٢، وتاريخ الإسلام ٦٤/٨٧-٨٨، ونثر الجمان للفيومي ٢/الورقة ٦١، ونزهة=

الشافعيُّ المُفْتي المدرِّس. من بيتٍ مشهورٍ بالعلم والقَضَاء والرئاسة والتقدُّم عند الملوك بحلَب. وكان فاضلاً ذا أموال فائضة وعنده سَعة نفسٍ، وكان يقول الشعر.

وتوفي، أبو سليمان داود[1] بن يوسف بن أيوب بن شادي المعروف بالملك الزاهر صاحب إلبيرة.

وتوفي، أبو حفص عُمر[2] بن محمد بن أبي نصر الفَرْغانيُّ الفقيه الحنفيُّ. شيخٌ صالحٌ قَدِمَ بغدادَ وأقامَ بها مدةً برباط الزَّوْزَني المجاور لجامع المنصور. ثم انحدر إلى واسط وأقام عند بني الرفاعي، سائحاً متعبداً وانتفع به بنو الرفاعي واشتغلوا عليه، ثم عاد إلى بغداد بعد سنين، وأصْعَد إلى سنجار فاقامَ بها مدةً يقرأ عليه في جامعها الفقه والأدب. ثم عادَ إلى بغدادَ وأقامَ برباط العَمِيد مدةً، ثم نُدِبَ إلى تدريس الطائفة الحنفية لما فُتِحَت المدرسة المستنصرية، فلم يزل بها إلى أن مات. قيل: دخل إليه الشيخ محمد ابن الرفاعي فَصَبَّحَهُ غَلَطاً وكان مساءاً فقال ارتجالاً:

= الأنام لابن دقماق، الورقة ١١، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٧وغيرها.

(١) تكملة المنذري ٣/الترجمة ٢٥٧٢، وبغية الطلب لابن العديم ٥/الورقة ٣٠١، ووفيات الأعيان، الترجمة ٤٢١٠، والمختصر لأبي الفدا ٣/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام ٦٤/ ٨٤، ونثر الجمان ٢/الورقة ٦٦، ونزهة الأنام لابن دقماق، الورقة ١١، والسلوك للمقريزي ١/ق١/ ٢٥٠، وهو الثاني عشر من أولاد السلطان الهمام الناصر صلاح الدين الأيوبي.

(٢) إنباه الرواة للقفطي ٢/ ٣٣١، وتاريخ الإسلام ٦٤/ ٩٩، والعسجد المسبوك ٤٦٦ وغيرها.

أتاني مساءً نورُ عيني ونُزْهَتي فَفَرَّجَ عني كُربتي وأزَاحا
فَصَبَّحتُه عند المساء لأنه بِطَلْعَتِهِ ردَّ المساءَ صباحا

ذِكْر فَتْح المدرسة الشَّرَفية الشَّرابية بواسط[1]

في[2] هذه السنة في سابع عِشْري[3] شعبان، فُتِحَت المدرسة التي أمرَ بإنشائها شرفُ الدين أبو الفضائل الشَّرابي للشافعية بالجانب الشَّرقي من واسط على دجلة مجاورة لجامعٍ كانَ داثراً، فأمر بتجديد عِمارته، وَرتَّبَ بها[4] مدرساً العَدْل أحمد بن نجا الواسطيَّ، ورُتِّبَ بها مُعيدان واثنان وعشرون فَقِيهاً وخُلِعَ على الجميع، وعلى من تولَّى عِمارتها من النُّواب والصُّنَّاع والحاشية الذين رُتِّبوا لخدمتها، وعُمِلَ فيها دعوة حسنة حضرها صاحبُ الديوان ابن الدّباهي والناظر بواسط والقاضي والنَّقيبان والقُرَّاء والشُّعراء. وكان المتولي لعمارتها والذي جُعِلَ النظر إليه وإلى عَقِبه في وَقْفها أبو حفص عُمر بن أبي بكر بن إسحاق الدُّورقي.

(١) انظر عنها: المدارس الشرابية، للعلامة الدكتور ناجي معروف- يرحمه الله تعالى-.
(٢) وقع في المطبوع: «وفي»، والواو لا وجود لها في النسخة الخطية.
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «عشر»، يعني: في السابع والعشرين.
(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «به».

سنـــة
ثلاث وثلاثين وست مئة

في المُحرم، وصلَ الملكُ الناصر ناصر الدين داود ابن الملك المُعَظَّم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب إلى بغداد، واجتازَ بالحِلّة السَّيفية وبها الأمير شرف الدين علي بن جمال الدين قَشْتَمُر زعيمُ الحِلّة، فتلقاهُ بالإكرام والمَدِّ والإقامات، وعَمِلَ له دعوةً عظيمةً بلغَ الخَرْجُ عليها زيادة على اثني عشر ألف دينار. ثم توجه منها إلى بغدادَ فخرجَ إلى لقائه النَّقيب الطاهر قُطب الدين أبو عبدالله الحُسين ابن الأقساسي، وخادمان من خدم الخليفة، وجميع الحُجَّاب والدُّعاة، فدخل وقَبَّلَ عَتَبَة باب النُّوبي، ثم قَصَدَ دار الوزارة ولقي نصيرَ الدين نائبَ الوزارة، فاحترمَهُ وبَجَّلَهُ وخَلَعَ عليه خلعةً أُحْضِرَت من المَخْزن، وهي قباءٌ أطلس، وسربوش[1]، وقُدِّمَ له فرسٌ عربيٌّ بمركب ذهباً وأُسْكِنَ في دارٍ بمحلة المقتدية[2] تعرف بمَعَدِّ المُوسوي.

---

(١) كلمة فارسية الأصل مركبة من مقطعين: «سر» بمعنى رأس، و«بوش» اسم مصدر من (بوشيدن)، وهو اللباس، فيكون معناها: غطاء الرأس. وقد تكتب «شربوش» بالشين المعجمة- كما بخط الذهبي في تاريخ الإسلام- وهي الطربوش.

(٢) محلة في شرقي بغداد، ذكر ياقوت (معجم البلدان ٤/ ٣١٥) أنها كانت تقع عن يسار الطريق النافذ من عقد المصطنع (قاضي الحاجات في الشورجة) إلى باب الأزج (باب الشيخ) بينما تقع محلتا درب النهر واللوزية عن يمينه. وقد استحدثها الخليفة =

وسبب قدومه إلى بغدادَ أنه كان قد مَلَك دمشق بعد وفاة أبيه الملك المُعَظَّم بعهدٍ منه له، فقصدَهُ عَمَّاه الكامل أبو المعالي محمد صاحبُ مصر يومئذٍ والأشرف أبو الفتح موسى ابنا العادل أبي بكر، والأشرف حينئذ صاحبُ حَرَّان والرُّها وخِلاط وغير ذلك، ونزلا بعساكرهما ظاهرَ دمشق مُحَاصِرَيْنِ لها، وأقاما على ذلك شهوراً وذلك في سنة ست وعشرين وست مئة. فلما طالَ حصارُ البَلَد وضاقَ على أهله وكَثُر عَبَث العَسَاكر وفَسادهم وتَخْريبهم نزلَ ناصرُ الدين على حُكْمِهما، وفتحَ لهما البلد وخلاه، فلما تمكنا من البلد سَيَّراه إلى الكَرَك في جماعةٍ من أصحابه، فحضرَ ليُنْهِي حالَهُ إلى الخليفة، فوعدَهُ بإصلاح أمرِه، ثم أنْفَذَ إليهما في المعنى فأجابا إلى ذلك. وسألَ ناصرُ الدين في مدة إقامته ببغداد أن يحضر المدرسة المستنصرية فأمر الخليفةُ بعمل دعوةٍ وإحضار فُقهاء المدارس، ثم أُحْضِرَ[1] ناصر الدينَ، فجلس على طَرَف إيوانها الشَّمالي ووقفَ مماليكُه وأصحابُه في رُبعي المالكية والحنفية، ووقفَ عندَ كُلِّ طائفةٍ حاجبٌ، وحضَر قُرَّاء الديوان وقُرِئت الختمات، وأنشدَ جماعةٌ من الفُقهاء قصائد. ثم قُدِّم المشروب وبعده أنواعُ الأطعمة فتناولَ ناصرُ الدين من ذلك بعد أن قَبَّلَ الأرضَ مِراراً، فلما فَرَغوا من ذلك انصرفَ إلى دارِه.

وفي ثامن عَشَر شعبان، تُقُدِّم إلى أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجَوْزي بالجلوس في الرِّباط المجاور لمعروف الكَرْخي المقابل لتُربة

= المقتدي بالله (٤٦٧-٤٨٧هـ) فنُسِبت إليه.

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «حضر».

واقفته[1] وحضرَ ناصرُ الدين. ولما انقضَى المجلس مُدَّ سِمَاطٌ عظيمٌ، ثـم خُلِعَ عليه في حادي عشريه في دار الوزارة وقُدِّمَ لـه فَرَسٌ عربيٌّ بمركب ذهباً ومشدّة[2]، وأُعطي عَلَماً بمشاد، وجُفتايين[3]. وخُلِعَ على جميع أصحابه وأتباعه ومماليكه، وأُعطِيَ عدة أرؤس من الخيل وثياباً كثيرةً وخمسةً وعشرين[4] ألف دينار، وخمسين جملاً، وكَرَاعاً كثيراً، وآلات، ومفارش، وغير ذلك. وتوجه إلى مُستقره وقد أُصْلِحت الحال بينه وبين عميه الكامل والأشرف[5].

وفي سَلْخ ربيع الأول، وصلَ الأمير رُكن الدين إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل إلى بغدادَ وخرجَ إلى لقائه النَّقيب الطاهر الحسين ابن الأقساسي وخادمان من خدم الخليفة وموكب الديوان، فلقيه ظاهر[6] البَلَد، ودخلَ معه إلى باب النُّوبي، فَقَبَّل العَتَبَة، ودخل إلى نصير الدين نائب الوزارة، فاكرمه وخَلَعَ عليه قباء أطلس وسَرْبوش شاهي، وقُدِّمَ له فرسٌ بعدةٍ كاملةٍ وأُسكن دار الأمير علي بن سُنْقُر الطَّويل بدرب فَرَاشا، وأُسْكِنَ الأمراءُ الذين كانوا صُحبته في دورٍ. وبعد

---

(١) واقفته هي زمرد خاتون والدة الخليفة الناصر لدين الله.

(٢) قال الذهبي: بمشدّة حرير، يعني الحزام الرقبة.

(٣) هكذا في الأصل، وفي «تاريخ الإسلام» بخط الذهبي مجودة: «خَفْتاتين»، لعلها من كلمة «خفتان» وهو القفطان (انظر معجم دوزي ٤/١٤٧-١٤٩، والحاشية ٣٧٤)، والمؤلف والذهبي ينقلان من تاريخ ابن الساعي.

(٤) في الأصل: «وعشرون» وليس بشيء، فأصلحناها.

(٥) انظر تاريخ الإسلام ٦٤/١١-١٢.

(٦) تحرفت في المطبوع إلى: «بظاهر».

أيامٍ قصدَ زيارة أُخته زوجه الأمير علاء الدين أبي شجاع ألطبرس[1] الدويدار، فَعَمِلَ له دعوةً جميلةً عَمَّت جميعَ أصحابه، وخَلَعَ عليه وأعطاه أحدَ عشر رأساً من الخَيْل العَرَبيات، وعَشْر جُوَن[2] فيها من أنواع الثياب، وخمسةَ آلاف دينار، وخَلَعَ على جميع أصحابه وأتباعه ومماليكه.

وفي سابع عشر ربيع الآخر، حضرَ بالبدرية عند شرف الدين إقبال الشَّرابي، فَخَلَعَ عليه وعلى جميع أصحابه ووَصَلَهُ بذهبٍ كثير وخَيْلٍ وتُحفٍ وهَدَايا.

وفي العشرين من الشهر حضرَ في دار نصير الدين نائب الوزارة فَخُلِعَ عليه وقُلِّدَ سيفاً وأُعْطِيَ فَرَساً بعدةٍ كاملةٍ وخُلِعَ على جميع أصحابه وأُنْعِمَ عليه بقَدر صالح من العَيْن برسم نَفَقة الطَّريق. ثم توجه مُصْعداً في ثامن عِشْري[3] الشهر. وفي مُدّة مقامه ببغدادَ عُمِلت له دعوة في رباط الخِلاطية، فحضرَ هُناك وتَفَرَّجَ في الرِّباط، ثم عُمِلَت له دعوة أخرى في رباط والده الخليفة الناصر لدين الله، ثم عُمِلَت له دعوة أُخرى في المدرسة المستنصرية فحضرَ وجلسَ على إيوانها، وقَرَأَ القُرَّاء، وذكرَ المدرسون الدُّروس، ثم طيف به في رواقها.

وفيها، عُزِلَ علي بن غَزَالة المدائني عن النَّظر بواسط، ووُلِّيَ عوضه علي بن الشاطر الأنباري، ووُلِّي الأمير بكتين النَّاصري

---

(١) تحرف في المطبوع إلى: «الطبرسي».

(٢) جمع جونة، وهي الخابية المطلية بالقار (كما في اللسان).

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «عشر».

شحنكيتها.

وفيها، وصل الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بن عمر المغربي الأصل الشَّرِمْساحيُّ[1] المولد الأسكندراني المنشأ والدار، إلى بغدادَ ومعه أهله ووَلَدُه وجماعةٌ من الفقهاء المالكية، فلُقِيَ بالقبول من الديوان، ثم أُحضر دارَ الوزارة وأُحضر جميعُ المدرسين، فذكر مسألة تفرع منها عدة مسائل على مذهب الإمام مالك بن أنس وبَحَثَ[2] الجماعة معه، واستجادوا كلامَه، فَخُلِعَ عليه وأُعطي[3] بغلة بعدةٍ كاملةٍ أُسوة بالمدرسين بالمدرسة المستنصرية، ووُلِّي[4] التدريس على الطائفة المالكية بالمدرسة المستنصرية. وتُقُدِّمَ بحضور أرباب الدولة والمدرسين بسائر المدارس والفُقهاء فحضروا، فخطبَ خُطبةً بليغة، وذكر اثني عشر درساً وختمها بدرسٍ من الوعظ، فأعربت[5] دروسُهُ عن فَضْلٍ ظاهرٍ وجُعِلَ له في كل رَجَبٍ مئة دينار، وخُلِعَ على أخيه وجُعِلَ مُعيداً لدرسِه، ثم خُلِعَ على الفقهاء الذين وصلوا صُحبته وأُثبتوا.

وفي ربيع الآخر، نُقِلَ القاضي فخر الدين أبو سعد[6] المبارك ابن

---

(١) منسوب إلى «شارِمْساح» قرية كبيرة من كورة الدقهلية بمصر، والنسبة إليها: «شارِمْساحي».

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «وبحثت».

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «وأمطي».

(٤) من هنا إلى قوله: «بالمدرسة المستنصرية» سقط كله من المطبوع.

(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «وأعربت».

(٦) تحرف في المطبوع إلى: «سعيد».

المُخَرِّمي من وَكَالة باب طِرَاد[1] ، ونَظَرِه بدار التَّشريفات إلى صَدْرية المَخْزن، وخُلِعَ عليه، وأُعطِيَ مَرْكوباً بعدة كاملة وأُنعم عليه بألف دينار وأُسْكِنَ في الدار المنسوبة إلى الوزير عُبيدالله بن يونس المجاورة للديوان، ورُتِّب عليّ بن غَزَالة المدائني مُشْرفاً عليه، ورُتِّبَ هبة الله بن خُلَيْد كاتباً معه، وخُلِعَ عليهما، ثم نُقِلَ فخرُ الدين ابن المُخَرِّمي إلى صَدْرية ديوان الزِّمام، ونُقِلَ ابنُ غَزَالة إلى الإشراف عليه، وخُلِعَ عليهما، وانحدرا إلى واسط.

واستناب نصيرُ الدين ابن الناقد نائبُ الوزارة أخاه أبا الفضل في الوكالة.

وفيها، وُلِّي ألاميرُ سراجُ الدين سَرَابة النَّاصري شحنكية البصرة.

وفيها، تكامل بناء الإيوان الذي أُنشىء مُقابل المدرسة المستنصرية، وعُمِلَ تحته صُفَّة يَجْلِس فيها الطَّبيب وعنده جماعتُهُ الذين يَشْتغلون عليه بعلم الطِّب، ويَقْصده المرضى فيداويهم. وبُنِيَ في حائط هذه الصُّفَّة دائرةٌ وَصُوِّرَ فيها صُورة الفَلَك، وجُعِلَ فيها طاقات لِطافٌ لها أبواب لطيفة، وفي الدائرة بازان من ذَهَب في طاسَتَين من ذَهَب، ووراءَهُما بُنْدُقتان من شَبَه[2] لايُدركهما النَّاظرُ، فعند مُضِي كل ساعة

(١) طرَاد على وزن كتاب، قيّده السيد الزبيدي في (طرد) من «تاج العروس»، وغلّط من شدَّدَ راءه. وهذا الباب يظهر أنه أحد أبواب السور الداخلي لدار الخلافة، فقد ذكر ياقوت في «المشترك وضعاً» أن سوراً آخر بين سور حريم دار الخلافة وقصور الخلافة فيه عدة أبواب، ذكر أسماء ثلاث منها، ثم قال: «وغير ذلك»، فلعل هذا منها.

(٢) الشبه: معدن يشبه الذهب في لونه.

يَنْفَتِحُ فَمُ[1] البازين ويَقَعُ منهما البُنْدُقتان، وكلما سَقَطت بُنْدُقة انفتح بـابٌ مـن أبـواب تلـك الطـاقـات، والبـاب مُـذَهَّـبٌ[2] ، فيصيـرُ حينئـذ مُفَضَّضاً، وإذا وَقَعت البُنْدُقتان في الطاستين تَذْهبان إلى مواضعهما، ثم تطلع أقمار[3] من ذَهَب في سماء لازوردية في ذلك الفَلَك مع طلوع الشمس الحقيقية، وتَـدُورُ مع دورانها وتَغِيب مع غيبوبتهـا، فإذا جاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خَلْفها كلما تكاملت ساعةٌ تكاملَ ذلك الضَّوء في دائرةِ القَمَر، ثم يبتدىء في الدائرة الأُخرى إلى انقضاء الليل وطُلُوع الشَّمسْ، فَيُعْلَم بذلك أوقات الصلوات[4] . ونَظَم الشُّعراء في ذلك أشعاراً، منها قول أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي من أبيات مدح بها الخليفة:

يـا أيّهـا المَنْصـور يـا مـالكـاً ... بـرأيـه صَعْـب الليـالـي يَهُـونْ
شَيَّــدتَ لله ورِضْــوانِــه ... أشْـرَفَ بُنْيـان يـروق العُيُـونْ
إيـوان حُسْـن وَضْعـه مُـذْهـش ... يَحَـار فـي مَنْظـرِه النَّـاظـرونْ
صُــوِّر فيــه فَلَــكٌ دائــر ... والشَّمْسُ تجري ما لها من سُكُونْ
دائــرةٌ مــن لازَوَرْدٍ حَكَــت ... نُقطـة تبـرٍ فيـه سِـرٌّ مَصُـونْ
فتلـك فـي الشَّكـل وهـذي معـاً ... كَمثـل هـاءٍ ركبـت وسـطَ نـونْ

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «فما».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «من ذهب».
(٣) في خلاصة الذهب المسبوك (٢١٢): «شموس»، ولعله الأصوب.
(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «الصلاة». وانظر عن هذا الخبر: خلاصة الذهب المسبوك ٢١٢، والعسجد المسبوك ٤٧١-٤٧٢، والجميع ينقل من مصدر واحد هو تاريخ ابن الساعي.

وفيها، حَضَر عند قاضي القضاة أبي المعالي عبدالرحمن بن مُقْبِل الواسطي حاجبُ الديوان وشافَهَهُ بالعَزْل عن القضاء وتدريس المدرسة المستنصرية، وأمرَهُ بالانتقال من الدار التي يسكنها[1] القُضاة، ووُلِّيَ عوضه أبو الفضل عبدالرحمن بن عبدالسلام ابن إللَّمْغاني أقضى القضاة[2].

وفيها، عادَ تاجُ الدين أبو الفتوح علي ابن الدَّوّامي من إرْبِل مُفارقاً للخِدْمة بها.

وقد تَقَدَّم ذِكْر إصْعاده إليها متولياً لأعمالها وصَدْراً لديوانها، فلما نُقِلَ فخرُ الدين أبو سعد[3] المبارك ابن المُخَرِّمي من صدرية المَخْزن إلى صدرية ديوان الزِّمام رُتِّبَ تاج الدين في صَدْرية المخزن وخُلِعَ عليه وقُلِّدَ سَيْفاً وأُعْطِيَ فَرَساً.

وفيها، وَصَلت الاخبار من إرْبِل أن عساكر المَغُول اجتازوا بها قاصدين المَوْصل، فحاربهم عَسْكر إرْبل وقُتِلَ من الفريقين وجُرِحَ جماعةٌ، ثم انفصلوا قاصدين أعمال المَوْصل، فعاثوا بها أشَدَّ العَيْث وقَتَلوا ونهبوا وأسروا، فأمر الخليفةُ بتجهيز العساكر والتوجه إلى تلك الجهة واستنفار الأعراب من البوادي والرجالة من جميع الأعمال. فلما حضروا فُرِّقت عليهم الأموال والسِّلاح وجُعِلَ مُقَدَّم العساكر الأمير جمال الدين قَشْتُمَر وتوجهوا، فلما وصلوا الدَّرْبَند، بلغهم أن المغول

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «سكنها».

(٢) تاريخ الإسلام ٦٤/ ١٢، والعسجد المسبوك ٤٧٢.

(٣) تحرف في المطبوع إلى: «سعيد».

قد عادوا راجعين إلى بلادهم فرجع حينئذ قَشْتَمُر والعَسْكر إلى بغداد[1].

وفيها، صُرِفَ محمد بن الغيم[2] من الوكالة ورُتِّبَ عِوَضه ابن الطَّبّال الدلّال، وظَهَرت منه نَجَابةٌ ومعرفةٌ وجلادةٌ تامة.

وفيها، توفي أبو عبدالله محمد بن المرشد شيخ من أهل المَرِيَّة قرية من أعمال البصرة[3]، يَعْرِفُ الفقه على مذهب الشافعي. تولى قضاء واسط سنين عدة في الأيام النَّاصرية ووُلِّيَ الإشراف بديوان واسط، وعُزِلَ في الأيام المُستنصرية، وكان عنده دعابة ومَزْح وكَيْس وتواضع، قَدِمَ بغداد بعد عَزْله وهو شيخ طُوال قَلِيل البَصَر، وقَصَد يوماً كمال الدين عبدالرحيم بن ياسين فَطَرَق الباب، فقال: مَن بالباب؟ فقال: ثلاثة عُميان. فأذن له، فلما دخل رآه وحده، فاستفسره، عما قال فقال: أنا الثلاثة العُميان، لأنِي غريب والغَريب كما يُقال أعمَى، وطالبُ حاجةٍ وطالب الحاجة أعمى لا يَرَى إلا قضاءَها، والعَمَى الحقيقي فُمشَاهد. وكان ابن ياسين ضعيفَ البَصَرِ[4] جداً، فقال له: ياسيدي صِرنا أربعة. كانت وفاته في المَرِيَّة، وقد أضَرَّ وعمره ثمانون سنة.

---

(١) العسجد المسبوك ٤٧٠ باختصار.

(٢) تصحف في المطبوع إلى: «الغنم».

(٣) ذكرها ياقوت في «معجم البلدان» وذكر أنها قرب نهر دقلة في أجم القصب، بقربها قرية يقال لها: الهَنِيئة.

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «النظر».

وتوفي جمال الدين أبو الحسن عبدالله بن الناقد أخو نصير الدين نائب الوزارة. رُتِّبَ أولاً حاجباً بالديوان ثم نُقِلَ إلى حُجْبَة المخزن ثم وُلِّي صَدْرية المخزن وكان على ذلك إلى أن توفي، صَعَد ليلةً إلى غرفةِ داره فعَرَضَ له فالجٌ فلم يتمكن من النزول فبقي على ذلك أياماً ومات في صفر.

وتوفي، بعده أخوه نور الدين أبو الفضل يحيى. كان أحد الحجاب بالدِّيوان، ونابَ عن أخيه نصير الدين نائب الوزارة في الوكالة في هذه السنة، وتوفي في ذي الحجة.

وفيها، توفي أبو صالح نصر[1] بن أبي بكر عبدالرزاق[2] بن أبي محمد عبدالقادر الجِيليُّ الفقيه الحنبليُّ الواعظ، شيخُ وَقْتِه ومُقَدَّمُ مذهبِه. من بيت العلم والصَّلاح، سَمِعَ الحديث ورواه، وتفقه على أبيه، وعلى الشيخ النُّوقاني الشافعي، وتكلم في مسائل الخلاف، ودَرَّسَ في مدرسة جدّه بباب الأزَج[3] والمدرسة

(١) تكملة المنذري ٣/الترجمة ٢٦٦٧، وتلخيص ابن الفوطي ٤/الترجمة ١٢٩٥، وتاريخ الإسلام ١٥٦/٦٤، وسير أعلام النبلاء ٣٩٦/٢٢، والعبر ١٣٦/٥، والذيل لابن رجب ١٨٩/٢، وغيرها.

(٢) وقع في المطبوع: «نصر بن أبي بكر بن عبدالرزاق»، وهو خطأ بيّن.

(٣) هي أقدم مدارس الحنابلة ببغداد، وأعظمها شأناً، وأكثرها أوقافاً، وأطولها عمراً. بناها أبو سعد المبارك المُخَرِّمي قاضي باب الأزج المتوفى سنة ٥١٣هـ بأقصى المحلة المعروفة بباب الأزج، قريباً من محلة الحلبة الواقعة في الغرب منها. ثم دَرَّسَ فيها الشيخ أبو محمد عبدالقادر بن أبي صالح الجيلي ثم البغدادي الحَسَني الزاهد المتوفى سنة ٥٦١هـ، وفيها دفن، فعُرِفت به ونُسِبت إليه، وهي المعروفة منذ قرون بجامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني، ولما يزل هذا الجامع عامراً فخماً إلى يومنا هذا.

الشَّاطِئية[1] بباب الشَّعِير[2]، وتكَلَّم في الوعظ، وشَهِدَ عند قاضي القضاة ابن الدَّامَغَانِي، وقُلِّد قضاءَ القُضاة في خلافة الظاهر بأمر الله، ولم يُقَلَّد قَضاء القضاة حنبلي سواه. فسارَ سيرةً حَسَنة من فتح بابه، ورفع حُجَّابِهِ، والجُلوس للناس عُموماً، والأذان على بابه، والصَّلاة بالجماعة، والخروج إلى صَلاة الجُمُعة راجلاً، ولُبْسِ القُطْن وتجنُّب لُبْس الإبريسم. ثم عُزِلَ في سنة ثلاث وعشرين، فانتقلَ إلى مدرسته، وجلسَ على عادته يذكر الدروس ويُفتي الناس. ولما تكامل بناء الرباط المُسْتَجد بدير الرُّوم، جُعِلَ شيخاً على مَن به من الصُّوفية فلم يزل على ذلك إلى أن توفي، ودُفِنَ في دَكَّة الإمام أحمد رضي الله عنه، فأنكرَ الخليفةُ ذلك، وأمرَ بتحويله فَحُوِّلَ ليلاً، ودُفن قريباً منه، خارجاً عن تربته. ولما عزل عن القضاء قال أبياتاً أولها:

---

(١) من مدارس الحنابلة، لا يُعلم تاريخ إنشائها، والراجح أنها افتُتحت بعد زيارة ابن جبير الأندلسي لبغداد سنة ٥٨٠هـ بدليل عدم ذكره لأي مدرسة في الجانب الغربي منها، كما لا يُعلم تاريخ اندثارها، والظاهر أنها اندثرت باندثار محلة باب الشعير نفسها (رحلة ابن جبير ١٨٣).

(٢) باب الشعير: محلة قديمة، كانت على شاطىء دجلة الغربي، عند الباب الشرقي من مدينة المنصور المدورة، المسمى بباب خُراسان. وكانت من المواضع التي عمرها المنصور سنة ١٥٦هـ (العيون والحدائق ٣/ ٢٦٥طبعة دي غويه). ومنها عقد جسره الأول سنة ١٥٩هـ، ويوافق محلها آنذاك محلة الشالجية الحالية. وظلت كذلك إلى القرن السابع الهجري، ثم أخذت بالانتقال تدريجياً إلى ناحية الغرب حيث غدت في شمال مدينة المنصور المدورة قريباً من الحربية في أرض (مدينة السلام) الجديدة، قال ياقوت «باب الشعير محلة ببغداد فوق مدينة المنصور. قالوا: كانت ترفأ إليها سفن المَوْصل والبصرة، والمحلة التي ببغداد اليوم (٦٢٦هـ) وتعرف بباب الشعير هي بعيدة من دجلة بينها وبين دجلة خراب كثير والحريم وسوق المارستان».

حَمِـدت الله ـعـزّ وجَـلّ ـ لَمّـا قضى لي بالخَلاص من القضاءِ

وفيها، توفي أبو منصور مُعَلَّى[1] ابن الدّباهيِّ الفَخْريُّ، من قرية تعرف بـالفخـريـة مـن أعمـال نهـر عيسـى. مـن أهـل بيـتٍ ذوي رئـاسـة وتِنَاية[2] . ومُعلى هذا رُتِّبَ ناظراً بدُجَيْل، ثم بنهر عيسى، ثم نُقل إلى صَدْرية المَخْزن، ثم نُقل إلى صَدْرية ديوان الزِّمام، فكانَ على ذلك إلى أن أُمِرَ بملاحظة إرْبل وأعْمالِها، فتوجَه إليها في هذه السنة فتوفي بإرْبل ودُفن بها.

وحج بالناس في هذه السنة: الأمير أبو فراس بن جعفر بن أبي فراس.

وفيها توفي عز الدين ابن الأثير الجَزَري صاحب «الكامل في التاريخ» بالمَوْصل[3] .

---

(١) العسجد المسبوك ٤٧٤، وهو معلى بن سعادات بن علوان بن عقيل.

(٢) التناية: الدهقنة، يقال لصاحب العقار والضياع: التاني.

(٣) هذا غلط محض، فعز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير توفي سنة ٦٣٠هـ لم يختلف في ذلك أحد، وترجمته مشهورة في الكتب المستوعبة لعصره (انظر التكملة المنذرية ٣/ الترجمة ٢٤٨٤ والتعليق عليها).

سنــة
أربع وثلاثين وست مئة

في خامس صَفَر، وصَلَ إلى بغدادَ نورُ الدين أرسلان شاه ابن عماد الدين زَنْكي صاحب شَهْرَزُور، فخرجَ موكبُ الدِّيوان إلى لقائه وفي صَدْرِه عارضُ الجيوش أبو علي الحسن[1] بن المختار وخادمان من خدم الخليفة، فلقيه ظاهر[2] السُّور، ودخل معه، وقَصَدَ باب النُّوبي، وقَبَّلَ العَتَبة، ثم دخل إلى نصير الدين ابن الناقد نائب الوزارة، فرفعَ قَدْرَه، وخَلَعَ عليه، ثم خرجَ ومضى إلى دار عُيِّنت له بمحلة المُقْتَدية منسوبة إلى النَّقيب الطاهر مَعَدّ الموسوي وأُسْكِنَ أصحابُهُ في دور مُجاورة[3]. وكان جميلَ الصُّورة، ظريفَ الشَّكل، لطيفَ القَدِّ. واستدعي في حادي عِشْري الشهر إلى البَدْرية، فحضرَ عند شرف الدين إقبال الشرابي فَشَرَّفَهُ بلباس الفُتوة نيابةً ووكالةً عن الخليفة وخَلَعَ عليه. وفي رابع عِشْريه، عُمِلَ له دعوة بالمدرسة المستنصرية وحضَرَ إليها وجلسَ على طرف إيوانها الصغير، وفُرِّقَت الرَّبعات، وقُرِئت الختمات، وذكر المدرسون بها الدروس، ثم نهضَ فدخلَ دارَ كُتُبها، فجلس بها

(١) تحرف في المطبوع إلى: «أبو الحسن علي».
(٢) تحرف في المطبوع إلى: «بظاهر».
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «مجاور».

ساعة، ثم خرجَ متوجهاً إلى داره. واستُدْعِيَ في خامس عِشْري الشهر إلى دار الوزارة وخُلِعَ عليه وقُلِّدَ سَيْفاً وحُمِلَ على فرسٍ بمركب ذهباً وعدة كاملة، وأُعْطِيَ خمسة أحمال كوسات[1] ونَقَّارات وما يُناسب ذلك من الأعلام وغيرها، وأُنْعِمَ عليه بخمسة آلاف دينار، وأُذِنَ له في العَوْدِ إلى بلده، فتوجه في ذلك اليوم.

وفي ربيع الأوَّل، خَتَم الأميرُ أبو القاسم عبدالعزيز ولدُ الخليفة المستنصر بالله القرآنَ المجيد، على مؤدِّبه العَدْل أبي المظفر علي بن النَّيَّار، وجَرَت الحال في الدَّعوة والخِلَع[2] على ما تقدم شَرْحه في خَتْمةِ أخيه.

وفيه، عُزِلَ تاجُ الدين علي ابن الدَّوّامي عن صَدْرية المَخْزن مُراسلةً بحاجبٍ، وكان في عَقَابيل مَرَض، وَرُتِّبَ عوضه أبو نَضْلَة هاشم بن علي ابن الأمير السيد العلوي، ثم وُلِّي تاجُ الدين في شهر رَجَب حُجْبَة باب النُّوبي وأمْر الشُّرطة.

وفيها، قصدَ جماعةٌ[3] عِيادة مريضٍ وهو على سَطْحِ داره، فقعدوا عنده ساعةً، فوقعَ السَّقْفُ، ووقعوا كلهم فماتوا جميعهم إلا المريض.

كَم من مريضٍ قد تحاماه الرَّدَى فَنَجا ومَاتَ طبيبُهُ والعُوَّدُ

وفيها، وصل أميرُ الحاج أبو فراس ابن أبي فراس ومعه العَرَب الأجاودة الذين تَعَرَّضوا لأذية الحاج ومنعوهم الحج في سنة اثنتين

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «كوساة».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «وخلع».
(٣) ذكر الذهبي أنهم كانوا سبعة (تاريخ الإسلام ٦٤/ ١٤).

وثلاثين وست مئة، وكلٌّ منهم قد كَشَفَ رأسَهُ وجَعَلَ على عُنقه كفنَهُ وبيده سيفه ومعهم نساؤهم وأولادهم، فقصدوا باب النُّوبي وقَبَّلوا الأرضَ ورمى النساء براقعهن وضَجُّوا[1] بالبكاء والتضرع، فَعُرِّفوا قبول تَوْبتهم والعفو عنهم، وأُنعم عليهم بالكسوات وغيرها، وعادوا إلى أماكنهم.

وفيها، حضر عبدالله الشِّرِمْساحي مدرسُ المالكية بالمدرسة المستنصرية بالبَدْرية عند شرف الدين إقبال الشَّرابي وأَنْعَمَ عليه بلباس الفتوة نيابةً ووكالةً عن الخليفة.

وفي هذه السنة، قصدَ مَلَك الرُّوم مدينة آمِد وحَصَرَها وضَيَّقَ على أهلها، وجَرَى بين العَسْكرين قتالٌ، وقُتِلَ من الفريقين خَلْقٌ كثيرٌ وقَلَّت الأقوات وتعذَّرت على أهل البلد، فأرسل صاحبُها إلى الخليفة يُعَرِّفه ذلك، ويسأله مراسلة ملك الروم في الكَفِّ عنه. فأمر الخليفة بإنفاذ أبي محمد يوسف ابن الجوزي، فتوجه نحوه، قال: لما وصلتُ إليه وجدتُ عساكره قد أحاطت بمدينة آمِد وأهل البلد في ضر عَظيم، فعرضتُ عليه مكتوب الديوان، فذكر أن أولئك هم الذين ابتدأوا وقتلوا أصحابه، قال: فاخرجتُ خَطَّ الخليفة بقلمه وتلوتُ قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص] وقَبَّلتُهُ وسلمته إليه، فقام ووضعه على عينه ورأسه، وقرأه، وأمر في الحال بالكَفِّ عن القتال والرحيل عن البلد.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وضججن».

وفيها، أمر الخليفة بعمل مُزَمَّلة بالقُرب من قبر أحمد بن حنبل رضي الله عنه لأجل الزوار الواردين، فلما تكامل بناؤها فُتحت وجُعل فيها الحِباب ومُلِئت من الجُلاّب، ورُتِّبَ فيها قَيِّمٌ يقومُ بمصالحها. ونظمَ الشُّعراء في ذلك قصائد منها ما قاله جعفر بن مَهْدويه الكاتب من قصيدة يمدح بها الخليفة:

وقَبْر أحمد قد طَرَّزْتَ حليتَهُ ... بحليةٍ زَيَّنت منه مبانيهِ

ثم اتخذتَ لنا فيه مُزَمَّلة ... تدل أنكَ يوم الحَوْض ساقيهِ

فاسلم فدتك الرَّعايا يا إمام هُدَىً ... تهْدِي إلى الحق مَنْ قَدْ ضَلَّ في التيهِ

وفيها، قَلَّدَ أقضى القضاة عبدالرحمن بن اللَّمْغاني عليّ بن البَصْري قاضي دجيل قضاءَ واسط وأعمالها.

وفيها، وصل الأمير عز الدين قَيْصَر الظاهري مُخْبِراً بوصول ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب المَوْصل، وكان قد نُفِذَ لأحضارها لتُزَف على زَوْجها مجاهد الدين أيبك المُستنصري المعروف بالدويدار الصَّغير، فخرج إلى تلقيها بدر الظاهري المعروف بالشِّحْنة أحد خدم الخليفة وفي صحبته ثلاثون خادماً، والأمير بدر الدين سُنْقُر جاه أمير آخور الخليفة، وجماعة من المماليك، والحاجب أبو جعفر أخو أستاذ الدار، ومؤيد الدين محمد ابن العَلْقَمي، فتلقاها بدر الشحنة في المِزْرَفَة[1] وعادوا الجماعة معه، وانحدرت هي في شُّبارة حُمِلَت لها إلى هناك في جماعةٍ من خَدَمها وجواريها، وصعدت في باب البُشْرى ليلاً، وقد أُعِدَّ

(١) قرية في شمالي بغداد، ذكرها ياقوت في «معجم البلدان» باقية إلى اليوم.

لها بغلة، فركبت واجتازت بدار الخلافة، وخرجت من باب النُّوبي إلى دار زوجها مجاهد الدين بدرب الدَّوَاب(١) ، وهي الدار المنسوبة إلى أحمد ابن القُمّي، فنثرَ عليها خادمٌ لزوجها ألف دينار عند دخولها الدار.

وفي رابع جُمادى الآخرة، خَلَعَ الخليفةُ على مجاهد الدين بين يديه، وقُدِّمَ له مركوبٌ بعدة كاملة، فخرج وقَبَّلَ حافرَهُ، وركب من باب الأتراك(٢) ورفع وراءَهُ أربعةُ عشر سيفاً إلى غير ذلك من الحِرَاب والنشاب، وأُشْهِرت السيوف من باب دار الضَّرْب، وخرجَ معه جماعةٌ من خدم الخليفة والحاجب أبو جعفر ابن العَلْقَمي أخو أستاذ الدار ومُهْتَر الفَرّاشين(٣) وحاجب ديوان الأبنية(٤) وغيرهم، وتوجه إلى دارِه، فلما اجتازَ بباب البدرية، نثرَ عليه خادمٌ من خدم الشَّرابي أربعة آلاف دينار، ولما اجتاز بدرب الدَّواب، نُثِرَ عليه في عدة مواضع من دار الأمير جمال الدين قَشْتَمُر ودار ابنته زوجة الأمير نصرة الدين كج(٥) أرسلان، وكان وراءه الأعلام والطُّبول والكوسات.

---

(١) كان الدكتور مصطفى جواد - رحمه الله- قد رجح أن يكون درب الدواب هذا داخل حريم دار الخلافة، (تلخيص مجمع الآداب بتحقيقه ج٤ق١ص٨٠٦). والذي نراه، في ضوء ما ذكره المؤلف أنه كان خارج الحريم لا داخله، فباب النوبي هو من أبواب سور الحريم، والخارج من هذا الباب لا يُعد في حريم دار الخلافة بأي حال.

(٢) الراجح أنه أحد أبواب السور الداخلي لدار الخلافة، كما بينا سابقاً.

(٣) كأنه يريد: كبير الفراشين، يقال: هَتَرَهُ الكِبَر يَهْتره.

(٤) هو الديوان المختص ببناء عمارات الدولة وترميمها.

(٥) تحرف في المطبوع إلى: «كنج».

وفي عشية هذا اليوم، نُفِذَ له أحد عشر طَبْلاً للخلق، وأحد عشر قَصْعة، وزوج صَنْج برسم طبل النّوبة في الصلوات الثلاث. وزُفَّت عليه زوجته، فاجتمع له فَرْحتان: فرح الإمارة وفرح العُرس، ولم يبلغ أحدٌ من أبناء جنسه مع حَدَاثة سنة ما بلغَ. ومن الغد عُرِضَت عليه الهدايا من رَقِيق التُّرك، والخَدَم، والحُبُوش، وأنواع الثِّياب، والطِّيب، والخَيْل، وآلة الحرب وغير ذلك، من جميع الزُّعماء وأرباب الدولة وخدم الخليفة وسائر المماليك، ثم الوزير والشَّرابي وأستاذ الدار والدويدار[1] الكَبِير، ولم يُنْفِذ له أحدٌ شيئاً إلاّ وخَلَع على المُنْفَذ على يده. ثم ركب وبين يديه الأمراء والمماليك، ورُفِعَ وراءَهُ السِّلاح، وقُيِّدت بين يديه الخَيْل المَجْنُوبة، وشُهرت حوله السُّيوف، وسعى الكيانية وبأيديهم الحِراب والأطْبار، والجاووشية[2] بأيديهم الجواكين[3] الذَّهب والفِضَّة، وقصدَ دارَ الخلافة فَخَدَم وعادَ، ثم ركب عشية هذا اليوم وقصدَ دار الخليفة فَخَدَم، وخرجَ وقت عشاء الآخرة في الأضواء والشموع، واستمر دخوله إلى دار الخليفة في كل يوم بكرة

---

(١) تحرف في المطبوع إلى: «الديودار».

(٢) جمع جاووش، وهي لفظة تركية مأخوذة من الإيغورية القديمة، وتعني حرفيا: النداء أو التصريح. وكانت تطلق أولاً على الرسول المكلف بإذاعة أمر السلطان، ثم اتخذت معاني أخرى، منها: أن الجاووشية طائفة من حجاب الدواوين كانت تسير في طليعة المواكب الرسمية، وربما عدت جزءً من الحرس الرسمي في المحافل التي يغادر فيها السلطان القصر أو حين يستقبل الوزراء... الخ، ولعل هذا المعنى هو الأقرب إلى ما أراده المؤلف.

(٣) جمع جَوكان، المأخوذة عن الفارسية چَوْكان، وتعني الصولجان. ويتفق هذا الوجه مع مهمة الجاووشية في ذَلك العهد، بوصفهم من ضباط الاستعراضات.

وعَشِيّة على هذا الوَضْع.

وفي عاشر الشهر، خُلِعَ على أخواجته أبي علي الحسن[١] بن المختار العَلَوي، وعلى وكيله ماري بن صاعد بن توما النَّصْراني، وعلى نواب ديوانه، وجميع الأمراء الذين أُضيفوا إليه وعلى[٢] حاجبيه وعلى جميع مماليكه والمماليك الذين أضيفوا إليه أيضاً، ثم على أتباعه وحواشيه وغلمان البَدْرية[٣] ومُقَدَّمها، وبوابي دار الخلافة الذين جَوَازُهُ عليهم. ولم يزل مُقيماً في هذه الدار إلى أن تكاملت عِمارة الدار المنسوبة إلى علاء الدين تتامش على دجلة وما أُضيف إليها مما جاورها، فانتقلَ إليها في ذي القعدة من السنة، وأَنْعَمَ الخليفةُ عليه بإصطبله المُقابل لها على دجلة.

وفيها، اسْتُحْجِبَ عبدالرحمن بن يحيى ابن المُخَرِّمي أخو صاحب الديوان وجُعِلَ أسوةً بحُجاب المناطق.

وفيها، قصد الخليفةُ مشهد موسى بن جعفر عليه السلام في ثالث رَجَب، فلما عادَ أبرزَ ثلاثةَ آلاف دينار إلى أبي عبدالله الحُسين ابن الأقساسي نقيب الطالبيين وأمرَهُ أن يُفَرِّقَها على العلويين المقيمين في مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحُسين وموسى بن جعفر عليهم أفضل الصلاة[٤] والسلام.

---

(١) تحرف في المطبوع إلى: «أبي الحسن علي».

(٢) من هنا إلى قوله: «أضيفوا إليه» سقطت كلها من المطبوع.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «البلدرية»!

(٤) قوله: «أفضل الصلاة» سقط من المطبوع.

وفي رَجَب، أُعيد فخر الدين أبو طالب أحمد ابن الدَّامَغاني إلى إشراف المَخْزن، وخُلِعَ عليه.

وفيها، وصل بِشْر خادم الأمير ركن الدين إسماعيل ابن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ونَفَران من رُماة البُنْدُق ومعهم طائرٌ قد صَرَعَهُ ركنُ الدين وانتسَبَ في[1] ذلك إلى شرف الدين إقبال الشَّرَابي، فَقَبَّلَهُ وأمر بتعليقه فعُلِّقَ تجاه باب البَدْرية وأن يُنْثَر عليه ألفا دينار، ثم خُلِعَ على الخادم والواصلين صُحْبَته وأعطاهم ثلاثة آلاف دينار.

وفيها، توفي محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالرحمن[2] . . . المعروف بابن العَجمي. وهو من بيت رئاسة بها. . . قديمة. . . وله شعر حسن فمنه:

سَقَـــــى اللهُ. . . . . إذا العيش غَضٌّ والحبيبُ قريبُ
لحـ. . . . . فـــي ريـــاضـــة ويدعو لنا داعي الهوى فنُجيبُ

وفيها، توفي الملك العزيز محمد[3] بن غازي بن يوسف بن أيوب بن شادي صاحبُ حَلَب. كان قد توفِّي أبوه الملك الظاهر غازي وهو طفلٌ فعُهِدَ إليه وجُعِلَ أتابكه ومربيه والقائم بأمره وتدبير دولته خادماً اسمه طُغْرل ولقبه شهاب الدين، فقام بتربيته، وبالَغَ في حراسة دولته، وأحسن السِّيرة في الرعية إلى أن كبر وصارَ من أحسن الشَّباب صورةً،

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) هكذا في الأصل.

(٣) مرآة الزمان ٨/٧٠٣، وتاريخ الإسلام٦٤/١٩٩، والبداية والنهاية ١٣/١٤٥، والعسجد المسبوك ٤٧٨، والنجوم الزاهرة ٦/٢٩٧وغيرها.

فاخترمته المَنِيَّةُ في عُنْفوان شَبابه وقد جاوز عشرين سنة من عُمُره وخَلَّف ولداً صغيراً فعُهِدَ إليه. ومن العَجَب أن الملك الظاهر غازي لما مَرض أرسلَ إلى عمه العادل أبي بكر محمد صاحبِ مَصْرَ والشام رسولاً يطلب منه أن يَحْلف لولده محمدٍ هذا، فقال العادل: سُبحان الله أي حاجة إلى هذه اليمين؟ الملك الظاهر مثل بعض أولادي! فقال الرسول: قد طلبَ هذا ولا بأسَ بإجابته. فقال العادل: كم من كَبش في المَرْعى وخروف عند القصاب. وحلف له فتوفِّي الظاهر والرسول عند العادل ولم تطل أيام الملك العزيز[1] محمد. بلى[2] ، واستمرت عشرين سنة.

وفيها، توفيت ست شمائل[3] واسمها شَجَر[4] الدر التركية، كانت حَظِيَّة الخليفة الناصر لدين الله مُقَرَّبة إليه وكانت تكتب خطاً جيداً وكانت تقرأ له المطالعات الواردة عليه لَمّا تغير نَظَره ويملي عليها الأجوبة[5] ، ودفنت في تربة الخِلاطية.

وفيها، توفي الملك كيقُباذ[6] بن كيخسرو بن قِلج أرْسلان بن

---

(١) تحرف في المطبوع إلى: «عبدالعزيز».

(٢) من هنا إلى آخر الفقرة سقطت من المطبوع.

(٣) في تاريخ ابن العبري (٤٢١)، وتاريخ الحكماء لابن القفطي (١٤٤): ست نسيم.

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «شجرة».

(٥) قال الموفق عبداللطيف البغدادي: «وكان له جارية قد عَلَّمها الخط بنفسه، فكانت تكتب مثل خطه، فكانت تكتب على التواقيع بمشورة القهرمانة» (سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٠١)، وذكر ابن الأثير (١٢/ ٤٤٠) أنه بقي ثلاث سنين عاطلاً عن الحركة بالكلية، وقد ذهبت إحدى عينيه، والأخرى يبصر بها إبصاراً ضعيفاً.

(٦) مرآة الزمان ٨/ ٧٠٣، وذيل الروضتين ١٦٥، وتاريخ الإسلام، الورقة ١٥٣ (أيا =

مسعود بن قِلج أرْسلان السُّلْجوقي صاحب قُونية وأقصرا[1] وسِيواس وغير ذلك من بلاد الروم. ومَلَك بعده أخوه كَيْكَاوس، وكان كيقُباذ أول ما مَلَكَ قد حَبَسَ[2] كيكاوس، فلما مَرض أحضره وأوصاهُ[3] بأولاده.

ذِكْر حَصْر إرْبِل

في سابع عشر شوال، وصلَ الخبرُ من إرْبِل على جَنَاح طائرٍ بنزولِ عَساكر المغول على إرْبِل والإحاطة بها وتَحَصُّن أهل البلد بغَلْق الأبواب وصعود القَلْعة، فأُمِرَ[4] الأمير شمسُ الدين أصْلان تَكِين النَّاصري بالتوجه إلى هناك جَرِيدةً، ونُفِذَ معه ثلاثة آلاف فارس بغير ثُقل، فتوجهوا في العشرين من الشهر، وتوجه بعدهم الأمير مُجاهد الدين أيبك الدويدار في جماعةٍ من مماليكه جَرِيدةً، ونُفِذَ صحبته ابن كُر

= صوفيا ٣٠١٢)، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٤، والبداية والنهاية ١٣/١٤٦، والعسجد المسبوك ٤٧٨ وغيرها.

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «آقصراي». وقونية من أشهر مدن الأناضول، ذكرها ياقوت، فقال: «من أعظم مدن الإسلام بالروم، وبها وبأقصرا سكن ملوكها». يعني: أمراء سلاجقة الروم، وكانت قد دخلت في حكمهم منذ منتصف القرن السادس للهجرة، ولهم فيها آثار مهمة. وفي حدود سنة ٦٥٤هـ تولت حكمها الأسرة القرامانية إلى أن ضمها العثمانيون إلى دولتهم في مطلع القرن العاشر الهجري.

(٢) في المطبوع: «أول مالك» ثم فراغ بعدها أجحف به التصوير، وقد عرفنا النص من مصادر ترجمته فكتبناه على الوجه الصحيح.

(٣) لم يعرفها ناشر المطبوع، وعرفناها من سياق ترجمته في المصادر.

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «وأمر».

الإرْبِلّي، ثم خرجَ شرفُ الدين الشَّرابي ومعه جماعةٌ من الأُمراء والمماليك وتوجه أيضاً نحوهم. وأحضَرَ نصيرُ الدين نائبُ الوزارة المدرسين والفقهاء واستفتاهم: إذا اتفق الجِهاد والحج أيهما أولى؟ فأفتوا[1] بأن الجهاد أولى. فأُبْطِلَ الحجُ في هذه السنة، وأَمَرَ المدرسين والفقهاء ومشايخ الرُّبط والصوفية برمي النشاب والاستعداد للجهاد، ووُلِّي الأمير أيدمر الأشقر الناصري شحنة بغداد، ووقع الاستظهار بنصب المناجيق على سُور بَغْداد وأُصْلح الخندق.

وأما المغول فإنهم نزلوا على إرْبِل وحَصَرُوها ونَصَبُوا المناجيق عليها، وقَصَدُوا جهةً من السور فهدموا منه قطعةً كبيرة، ودخلوا البَلَد عَنوةً وقَهْراً، فتحصن أهلُهُ ومُعظم العَسْكر بالقَلْعة، وقاتلوهم أشدَّ قِتال، وأمَدَّ المغول بدرُ الدين صاحبُ المَوْصل بما يحتاجون إليه من مِيرة وآلة وغيرها، وأعوز أهلُ قَلْعة إرْبل الماءَ، فتلف منهم أُلوف كثيرة بالعَطَش، ولم يمكن دفنهم لضيقة الموضع ولا إلقاؤهم لئلا يسدوا الخَنْدق فأُحْرِقوا بالنار. ثم عاثوا في البلد أشدَّ العَيْث نَهْباً وأسْراً وإحراقاً وتَخْريباً، ثم اهتموا بالقَلْعة وجَدُّوا في نَصْب المناجيق عليها، فبلغهم وصول عساكر الخليفة، فرحلوا راجعين إلى بلادهم في سادس ذي الحجة فورد الخبر إلى الشرابي بذلك[2]، فرجع والعساكر والأُمراء في خدمته إلى بغداد فدخلها في ثالث عشر المحرم سنة خمس وثلاثين.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وأفتوا».

(٢) وقع في المطبوع: «بذلك إلى الشرابي».

سنـــة

خمس وثلاثين وست مئة

في[١] المحرم، عُزِلَ علاءُ الدين هاشم ابن الأمير السيِّد من صَدْرية المَخْزن، ورُتِّبَ عوضه فخرالدين محمد بن أبي عيسى نَقْلاً من صدرية دُجَيل.

وفيها، حَصَرَ[٢] أسد الدين شيركوه صاحب حمص عانة وأخذها صُلْحاً ورتب بها نائباً.

وفيها، وُلِّي أقضى القضاة أبو الفضل[٣] عبدالرحمن ابن اللَّمْغاني تدريس الطائفة الحنفية بالمدرسة المستنصرية عِوَضاً عن ابن الأنصاري الحَلَبي، فإنَّه سألَ الإذن له في العَوْد إلى بَلَده بأهله وأولاده فأُذِنَ له، وكانت مدة تدريسه بالمدرسة المذكورة واحداً[٤] وعشرين شهراً.

وفيها، في تشرين الأول جاء رَعْد هائل وبَرْق عظيم، ووقعت صواعق كثيرة، منها صاعقة أصابت إنساناً ظاهر[٥] سُور سُوق السُّلطان

---

(١) وقع في المطبوع: «وفي»، والواو لا أصل لها.

(٢) تصحفت في المطبوع إلى: «حَضَر».

(٣) سقطت الكنية من المطبوع، وهو معروف بهذه الكنية كما في مصادر ترجمته.

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «أحدا».

(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «بظاهر».

قريباً من سُوق الخيل[1] كان على بَغْلٍ فأحرقت بعضَ صَدْره ونصِف البَغْل فوقعا ميتين، ووقعت صاعة أُخرى في دار يهودي بخربة ابن جَرْدَة، وأُخرى على نَخلات بباب مُحَوَّل فأحرقتها، كل ذلك في ساعةٍ واحدةٍ. ووقعت صاعقة أُخرى في شباط على الرواق بالمدرسة المستنصرية فَشَعثت منه مَوْضعاً.

وفيها، رُدَّ أمر حُجَر البَيْع إلى تاج الدين علي ابن الدَّوامي حاجب باب النُّوبي يومئذ.

وعُيِّنَ الأمير شمس الدين أصلان تكين زعيماً ببلاد خوزستان، عِوَضاً عن الأمير علاء الدين إيلدكُز المعروف بطاز، وكانت مدة ولايته ثلاث سنين وخمسة أشهر.

وعُزِلَ، منصور بن عَبَّاس عن صَدْرية الدِّيوان المُفْرَد بنهر مَلِك[2] ونهر عيسى وهيت، ورُدَّ أمرها إلى صاحب الديوان فخر الدين أبي سَعْد[3] المبارك ابن المُخَرِّمي.

وفي ربيع الآخر، تُقُدِّمَ إلى المدرسين والفقهاء ومشايخ الرُّبط والصوفية وأرباب الدولة من الصُّدور والأُمراء بحضور جامع القَصْر لأجل الصلاة على ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب المَوْصل زوجة الأمير

---

(١) قوله: «قريباً من سور سوق السلطان» يدل على أن سوق الخيل كان خارج سور بغداد الشمالي، قريباً منه- وهو أمر طبيعي أن تباع الخيل في مدخل المدينة -والراجح أنه يوافق اليوم أرض قاعة الشعب وشيئاً من ساحة باب المعظم.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «الملك».

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «سعيد».

علاء الدين ألطبرس[1] الدُّويدار الكبير وصُلِّي عليها في القِبْلة، وشَيَّعَ الكُلُّ جنازَتها، إلى المَشْهَد الكاظمي، ودُفِنت إلى جانب ولدها في الإيوان المقابل للداخل إلى مَصَف الحضرة المُقَدَّسة في ضريحٍ مُفْرد. قيل: إنها كانت نُفَسَاء، عن نَيِّفٍ وعشرين سنة، ومدة مقامها في بغداد عشر سنين، وعُمِلَ العزاء في دار الأمير علاء الدين، وحَضَرَ النَّقيب الطاهر الحُسين ابن الأقساسي وموكب الديوان، وأقامه من العَزَاء، ونُفِذَ المحتسب أبو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي إلى بدر الدين لؤلؤ ليقيمه من العَزَاء.

وفي جُمادى الأولى، عُقِدَ العَقْد في دار الوزارة على ابنة سُليمان شاه بن بُرْجُم بمظفر الدين محمد ابن الأمير جمال الدين قَشْتَمُر، وأُحْضِرَ أقضى القضاة عبدالرحمن ابن اللَّمْغاني ونوابه، وكان مبلغ الصَّداق ألف دينار.

وفيها، كَثُر شَغَب العوام ببغداد، وقُتِلَ جماعةٌ من الناس في عدة أماكن، فوُلِّيَ عمادُ الدين طُغْرل الناصري شحنكية بغداد، فسكَنَ الناس.

وفيها، دخل دار الوزارة مملوكٌ من مماليك الخليفة وهي مغتصة بالزحام لأجل السلام فقَصَدَ صُفَّة المسند وطَبَّقَ[2] دواة الوزير، فانزعجَ الحاضرونَ، ولم يشكُّوا أنَّه مأمور، وذلك عنوان العَزْل، وطالت[3]

(١) تحرف في المطبوع إلى: «الطبرسي».
(٢) هكذا في الأصل، ولها وجه في اللغة، وفي المطبوع: «أطبق».
(٣) هكذا في المخطوط، وفي المطبوع: «وتطالت».

الأعناق إلى ما وراء ما فعل، فبدا[1] منه ما يدل على تَغَيُّر عَقْله، فقام إليه أحد الحُجَّاب وجَذَبَه بيده، وأنزلَهُ من الصُّفَّة، وعُرِّفَ الوزير هذه الصورة، فأنْهَى ذلك إلى الخليفة، فتَقَدَّمَ بهلاك المملوك، فشفعَ الوزيرُ فيه، ووقعَ الاقتصارُ على حَبْسِهِ بالمارستان أُسوة بالمجانين.

وفيها، اتصل مؤيد الدين أبو طالب محمد ابن العَلْقَمي وولده عز الدين أبو الفضل أحمد بابنتي الوزير مؤيد الدين محمد بن محمد القُمِّي، وكان الاجتماع بهما في شعبان، وكان قد أُفرجَ عنهما، ورُدَّت عليهما أملاكُهُما وما اجتمع من أُجرتها وهو سبعة آلاف دينار، في صَفَر من السنة.

وفي شعبان، رُتِّب شمسُ الدين عبدالعزيز بن محمد بن خُلَيْد مُشْرفاً بدار التَّشريفات نَقْلاً من الكِتابة بها، ورتب مجد الدين علي ابن أبي الميامن بن أمْسَينا الواسطي كاتباً بها، وقُلِّد العَدْل الخطيب أبو طالب الحُسين بن أحمد ابن المُهْتَدي بالله نقابة العباسيين.

وفي آخر شعبان، انتَهى عمارة[2] باب جامع القَصْر مما يلي الرَّحْبة وفُتِحَ، وفُتِحَت المُزَمَّلَة التي عُمِلَت بالجامع المذكور أيضاً.

وفيه، نهضَ على بدر الدين لؤلؤ صاحب المَوْصل نَفَران من الباطنية ليقتلاه، فجرحه أحدُهما في يده، فَقُبِضا وقُتِلا، وأَخَذَ في التَّحَرُّز بعد ذلك والاستتار.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «فبدأ».

(٢) هكذا في الأصل، وغُيِّرت في المطبوع إلى: «انتهي من عمارة».

وفيها، نُقِلَ العَدْل أبو طالب أحمد ابن الدَّامَغانني من إشراف المَخْزن إلى ديوان عَرْض الجَيْش المُختص بالغُرَباء، وتَفَرَّدَ أبو علي الحَسَن بن المختار العَلَوي بديوان عَرْض العَسَاكر البَغْدادية، فصار حينئذ للجيش عارضان، وكان قد جُعِلَ لديوانِ المجلس حاجبان، فقيل في ذلك:

هذه دولةٌ حَوَت كُلَّ حُسْنٍ وجْهُهَا مُشرقٌ بديعُ المعاني

فلها حاجبان زِيدا جَمَالاً ولها من جَمَالها عارِضان

وفيه، عُلِّق طائرٌ بباب بَدْر، قيل: إنه رَمَاه كَيْخسرو بن كيقُباذ ملك الرُّوم، ونُثِرَ عليه ألف دينار، تولى ذلك عبدالله بن المُخْتار.

وفيها، توفي شمس الدين ألتمش ابن قُطب الدين أيْبك مملوك شهاب الدين محمد بن سام الغُوري مَلِك الهند، ومَلَكَ بعده ولده ركن الدين فَيْروزشاه، فلم يستقم له ألامر، وتَفَرَّق عنه العَسْكر، فقبضت عليه أختُه، ومَلَكت بعده، وأطاعها الجُنْد والرعية وتَلَقَّبت «رضية الدنيا والدين»، واستقامَ لها الأمر[1].

وفيها، توفي الأمير شرف الدين علي ابن الأمير جمال الدين قَشْتَمُر، أمه إيران خاتون ابنة أبي طاهر ملك اللر. كان قد مَرِضَ وشُفِيَ، وركب وخُلِعَ على الطَّبيب، فلما نَزَلَ عرض له ألمٌ في فؤاده واعتقالُ طَبْعٍ، فمات. وكان شاباً جميلاً كَريماً شُجاعاً، قد أُمِّرَ وأُضيفَ

(١) في تاريخ الإسلام للذهبي: «وفيها قدم بغداد الرسول من ملكة الهند بنت السلطان شمس الدين ايتامش. . . (ثم ذكر الخبر بمعناه) ١٦/٦٤.

إليه عدة من المماليك، ورُفعَ وراءه سَيفان، وتَوَفَّر إقطاعُه، فاخترمته المَنِيَّةُ في عُنفوان شَبَابه، ودُفِنَ عند والدته بمشهد الحُسين عليه السلام، واستُدعِيَ جمالُ الدين قَشْتَمُر إلى دار الوزارة، ومعه ولدُه مظفر الدين محمد وولد ولده شرف الدين علي المُتَوفَّي، وهو فخر الدين بُغدي[1] ، فَخُلِعَ على مظفر الدين وجُعِلَ أميراً على مئة فارس، وعُمُره يومئذ ثلاث عشرة سنة، وخُلِعَ على فخر الدين بُغدي وجعل أميراً على عدة خمسين فارساً، وعُمُره يومئذ خمس سنين، ثم خُلِعَ على الأمير جمال الدين قَشْتَمُر، كل ذلك جَبْراً لقَلْبِه، من فَجْعَتِه بولده.

وفيها، توفِّي الملكُ الأشرف أبو الفتح موسى[2] ابن الملك العادل

---

(١) وقع في المطبوع: «مغدي»، وأشار الدكتور مصطفى جواد -رحمه الله- في الحاشية إلى قول صاحب «الفخري» (ص٤٠): «حدثني الأمير بغدي بن قشتمر». قلنا: هو بُغدي -بضم الباء الموحدة- وسيأتي ذكره مراراً. وترجمه ابن الفوطي في «تلخيص مجمع الآداب» (٤/ الترجمة ٢٠١٩)، وذكر وفاة والده والتعزية وتوليته، وأضاف: «وبقي بعد أخذ بغداد، وصنَّف كتباً في البزدرة والبيطرة والصيد والقنص. . . وتوفي ببغداد في رابع عشر رمضان سنة خمس وثمانين وست مئة، وحُمِلَ إلى مشهد الحسين بن علي عليه السلام، فدفن عند جده».

ومن المفيد ذكره أن الذهبي ألحق ترجمته في حاشية نسخته من كتابه العظيم «تاريخ الإسلام» في وفيات سنة ٦٨٥هـ نقلاً من كتاب لابن الفوطي، ليس هو «تلخيص مجمع الآداب»، قال: «بغدي بن علي ابن مرزبان العراق قشتمر الناصري، الأمير فخر الدين البغدادي من بقايا الأمراء الخليفتية، قال ابن الفوطي: مات في نصف رمضان ودُفن عند جده بمشهد الحسين عليه السلام، لم يُقتل فيي وقعة بغداد، وخلص بسبب رجل خوارزمي كان جد هذا قد أحسن إليه، فجاء في جيش هولاكو ولد هذا الخوارزمي، فسأل: من يكن من أولاد قشتمر، فأجارهم، ولفخر الدين مصنف في البزدرة» (الورقة ١٣٨ من نسخة أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٢) مرآة الزمان ٨/ ٧١١، والتكملة للمنذري ٣/ الورقة٢٧٧٥، وذيل الروضتين١٦٥،=

أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي صاحب دمشق. مَلَكَ بعد وفاة أبيه ديارَ الجزيرة ومَيَّافارقين وخِلاط، واستقرَّ مُلْكه بها، ثم مَلَكَ سِنْجار صُلْحاً، وقَصَدَ بلاد المَوْصل وسار يريد إرْبل، فراسله الخليفة الناصر لدين الله بالرجوع عنها والصلح، فأجاب إلى ذلك على أن يُخْطَب له ويُضْرَب الدينار باسمه، فأجابَ مظفر الدين كُوكبري إلى ذلك، فلما عادَ إلى حران، راسلَ الخليفة يسأل تشريفَهُ بالفُتوة، فَنَفَّذَ إليه من فَتَّاه بطريق الوَكالة. وكان عنده أدبٌ وفَضْلٌ مع ظرافةٍ ولطافةٍ وكرمٍ فائض، وكان مُتعففاً عن أموال الرَّعية مُنْعَكفاً على ملاذه، مُشْتَهِراً بحبُ الغِلْمان الأتراك والمَيْل إليهم، مُسْتَهتراً بهم، وله فيهم أشعار كثيرة، ليست بالجيدة، فمما قاله في غُلام تركي كان على خزانته:

أفدي قَمَراً تَحار فيه الصِّفَةُ ... يَسْخُو بِدَمِي وهو أمينٌ ثقةُ
ماذا عَجَبٌ يحفظُ مالي ويَرَى ... رُوحي تَلِفَتْ به ولا يلتفتُ

وكانت وفاته بدمشق في محرم[1]، وقد جاوز الستين سنة من عُمُره، واستولى أخوه الملك الصالح إسماعيل على دمشق بعده.

وفيها، توفي ظهير الدين الحسن بن علي بن عبدالله. من أعيان المُتَصَرِّفين، خدم أولاً خواجة الأمير علاء الدين تتامش، ثم تولّى عَرْض ديوان الجيش، ثم عُيِّنَ عليه في وزارة بلاد خُوزستان، ثم عُزِلَ واعتُقِلَ هناك في سنة ست وعشرين، فكان على ذلك إلى أن توفي

= ووفيات الأعيان ٥/ ٣٣٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٢٢، وتاريخ الإسلام ٦٤/ ٢٥٠، والسلوك ١/ ١/ ٢٥٦وغيرها مما ذكر في «التكملة».

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «المحرم».

الخليفة الناصر لدين الله[1] ، فأُفْرِجَ عنه ووصلَ إلى بغداد، فوُلِّي صَدْرية ديوان عَرْض الجَيْش، ثم نُقِلَ إلى صَدْرية ديوان إرْبل فكان بها، ثم سأل أن يُعْفَى من الخِدمة بها فأُعفي، ثم أُعيد إلى بلاد خُوزستان فكان بها إلى أن مات.

وفيها، توفِّي الملك الكامل أبو المعالي محمد[2] ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي صاحبُ مصر والشام. كان فاضلاً أديباً متفقهاً، وسمع الحديث ورواه، وكان مُعَظِّماً لأهل العِلْم، محباً لهم، يُحْضِرُهم مجلسَهُ في كل اسبوع يبحثون عنده ويتناظرون ويتكلم معهم، ويشركهم في بحثهم، ويلزم معهم أدب المُناظرة ويخاطبهم أحسن خطاب، وله شعر جيد، منه: ما كتبه إلى أخيه الأشرف حيث كان على دِمياط:

يا مُشْعِفي إن كنتَ حقاً مُشْعفي ... فارحل بغير تَفَنُّد وتَوَقفِ
واطوِ المنازلَ والدِّيارَ ولا تُنِخْ ... إلا على باب المَلِيك الأشرفِ
قَبِّل يديه لا عُدمت وقُل له ... عني بحسن تعطف وتَلَطُّفِ
إن تأتِ صنوك عن قريب تَلْقه ... ما بين حد مُهَنَّد ومثقف
أو تبط عن إنجادِه فلقاؤه ... يومَ القيامة في عِراص المَوْقفِ

ولما توفي أبوه، حذا حذوة في التيقظ والحِراسة وحُسن التَّدبير

(١) في هذا الخبر غلط بيّن، فإن الناصر لدين الله توفي سنة ٦٢٢، فلعل اعتقاله كان في سنة ست عشرة وست مئة، لا في سنة ست وعشرين؟

(٢) التكملة للمنذري ٣/ الترجمة ٢٨٢٢، وسير أعلام النبلاء ١٢٧/٢٢ وفيهما مصادر ترجمته.

وسياسة المُلْك، فأخذَ اليمن ومكة تَغَلُّباً، ونَفَّذَ إليها ولدَهُ الملك المسعود أبا المظفر[1] يوسف. ولما أخذ الفرنج دِمْياط وتَمَلَّكُوها، جَرَّدَ عَزْماً ماضياً، وخرجَ بنفسه وجمعَ العساكر، وانتقلَ بهم وبجميع أهل البَلَد وبنى مدينة مُسْتأنفةً وبنى بها جامعاً ومدارس وأربطة وحَمَّامات وخانات، ونقل إليها النَّاسَ على أختلافهم، ولم يزل مُحاصراً لها مُضَيِّقاً على من بها حتى أخذها، وقبضَ على الفِرَنج وأخذَهم أسرى، ودخلَ القاهرة وهم بين يديه، ثم مَنَّ على مَن أسَرهُم من ملوكهم وأحسن إليهم، وأطلقَهُم على أشياء قَرَّرَها، ولو لم يكن له إلا هذا لكَفَى، فإنهم لما ملكوا دمياط أشرف باقي البلاد على الأخْذ، ولو أُخِذت مِصر لم يَبْق[2] بالشام معهم مُلْك لأحد. وكانت وفاته في شعبان بدمشق، وقد جاوزَ الستين من عُمره، وكانت مدة مُلْكه منذ ملك مصر أربعين سنة، وعَهد إلى ولده العادل محمد.

ذكر وصول عَسَاكر المغول إلى نواحي العراق

في صَفَر، وَصَلت الأخبار إلى أهل إرْبل، أن عساكر المغول عادوا إلى قَصْدهم في جَمْع كَثير، فانتزحَ مَن كان بها وبالقلعة أيضاً، فلما رأى زعيمُها الأمير شمس الدين باتكين خلو البلد، أمر بخروج العَسْكر المُقيم هناك إلى ظاهر البَلَد، ثم الاستعداد للحِرَاسَة، فعدلوا حينئذٍ عن

---

(١) تحرف في المطبوع إلى: «بالمظفر».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «لما بقي».

إرْبل وقصدوا دَقُوق، وانبثوا في أعمال بغداد، وعاثوا بها أشد العَيْث. فوصلَ الخبر إلى بَغْداد فخرجَ شرفُ الدين إقبال الشَّرابي مُبْرزاً إلى ظاهر البَلَد، وأَمَر خطيبَ جامع القَصْر أبا طالب ابن المهتدي بأن يُحَرِّض في خطبته على الجهاد، ففعلَ ذلك، فبكى النَّاسُ لما سمعوا كلامَهُ، وأجابوا بالسَّمْع والطاعة، وقَدِمَ أهلُ السَّواد من دَقُوق وغيرِها إلى بَغْداد، مُعتصمين بها، وتضاعفت أجرة المساكن، وأنزعجَ الناسُ لذلك، وتتابعَ خُروج الأُمراء والعَسَاكر إلى ظاهر البَلَد، وركبَ الخليفةُ المُسْتَنصر بالله إلى الكشك[1]، فنزلَ به وظهرَ للأُمراء، وأمرهم بالمَشورة[2]، فقال كل واحد ما عنده، وسَهَّل الأمير جمالُ الدين قَشْتَمُر الأمرَ في لقائهم، وعَيَّن الشرابي على جماعةٍ من الأُمراء لقَصْدهم، فتوجهوا إلى القُلَيْعة ونزلوا بها، فبَلَغَهُم أن المغول في جَمْع كثير وهم بالقُرب من الجَبَل، فساروا نحوهم فلما قاربوهم تَعَبّوا ميمنة وميسرة وقَلْباً، فلما شاهدت عساكر المغول ذلك ولوا راجعين، فتبعهم جماعةٌ من العَسْكر فقتلوا منهم جَمْعاً كثيراً وأسروا منهم جماعة، وغَنِموا من دوابهم وأثقالِهم، وأرسلوا إلى الشَّرابي برؤوس كثيرة،

(١) الكشك: كلمة فارسية- تركية بمعنى القَصْر (وعُرِّبت قديماً بالجوسق)، وقد يختص بها القصر الريفي الذي يبنى لأغراض الترويح خارج المدن، وسيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٩٥ أن هذا الكشك كان يقع بظاهر باب الحلبة، وهذا الباب هو الذي عرف في العهود المتأخرة بباب الطلسم وقد أزيل سنة ١٩١٧م، قال يعقوب سركيس (مباحث عراقية ١/ ٣١١): ولعله الكشك الذي أخبرنا ببنائه الذهبي في حوادث سنة ٥٥٨هـ (١١٦٢م) إذ قال: «وفيها بُني كشك للخليفة وآخر للوزير وانفق عليهما مال عظيم».

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «المشورة».

فضُربت البِشَارة عند مُخَيّمه، وخَلَعَ على الواصلين بالخبر، واستأذن الشَّرابي في دخول البَلَد فأُذِنَ له، فدخلَ في مستهل ربيع الأول، هو والأمير جمال الدين قَشْتَمُر والعَسْكر، وأُذِنَ لنور الدين أرسلان شاه ابن عماد الدين زَنْكي صاحب شَهْرَزُور في العَوْد إلى بَلَده، وخُلِعَ عليه وعلى أصحابه، وتُقُدِّمَ إلى تاج الدين محمد بن الصَّلايا العَلَوي بالتَّوجه إلى إرْبل، وتجديد سُورها، وعِمارة ما خَرب من دورها، ونُفِذَ معه كَرْكَر النَّاصري ليكون مُسْتَحفظاً بقلعتها، وعُيِّنَ على الأمير أيدمر الأشْقَر النَّاصري زَعيماً بها، وكان زَعيمها الأمير شمس الدين باتكين قد فارقَها.

ثم تُقُدِّمَ بعمارة سُور بغداد وقُسِمَ بين أرباب الدَّولة فَسُلِّم إلى نُوَّاب ديوان الأبنية منه قِطْعة مما يلي دار المُسَنَّاة، وقُسِمَ العمل بين ثلاثة، وهم فخر الدين المُبارك ابن المُخَرِّمي صاحب الدِّيوان، وابن أبي عيسى صَدْر المخزن، وتاج الدين علي ابن الدَّوامي حاجب الباب، ووقعَ الحَثّ على ذلك.

ثم وصل الخبر في شهر رَجَب المبارك أن عساكر المغول قد سارت نحو بغداد، فتُقُدِّم إلى الأمراء بالخروج إلى ظاهر البَلَد، فخرَجَ الأمير جمال الدين بَكلك النَّاصري، والامير جمال الدين قَشْتَمُر وغيرهما من الأُمراء، وخيموا ظاهر البَلَد. وكاتب الخليفةُ ملوكَ الأطراف يستنجدهم ويُعَرِّفهم الحال، فوصلَ في شهر رَمَضان ولدا الملك الأمجد فَرّخشاه صاحب بَعْلبك، وهما الملك السعيد شاهنشاه

والمظفر عمر ومعهما ألف فارس، فخرجَ الموكب إلى لقائهما فدخلا وقَبّلا العَتَبة فَخُلِعَ عليهما، وعلى الأُمراء الواصلين صحبتهما، ثم خرجا ونزلا[1] في المُخَيَّم بظاهر السُّور.

ثم وصل بعده، الملك المُشَمِّر خَضِر ابن صلاح الدين صاحب دِمشق ومعه ست مئة فارس، وتُلُقِيَ، ودخل البلد، وخُلِعَ عليه، وعلى أصحابه، وخرجَ إلى ظاهر السُّور. وخَرَج شرفُ الدين إقبال الشَّرابي أيضاً إلى مُخيمه، وتكَمَّلَت العَسَاكر عِنده، فأمرهم بالمسير إلى لقاء المغول، فساروا في شوال، وكانت عدتهم سبعة آلاف فارس، فوصلوا قَريباً من جبل خانقين، فبلغ جمال الدين بكلك، أن عِدّة عساكر المغول خمسة عشر[2] ألف فارس، فَسَار ليلَهُ أجمع ليُدركهم نازلين، فكَبَسَهُم، فلما أسفر الصُّبح، عَبَر هو والأُمراء الذين معه والعَسْكر قَنْطرةً هناك، فلما تكاملوا عبور القَنْطَرة، بان لهم غبار عساكر المغول وهم سائرون نحوهم، فواقعوهم على تَعَب وسَهَر، واقتتلوا قتالاً شديداً فانكسرت[3] مَيْمنة المَغول ومَيْسرتهم ولم يَبْق إلا القَلْب فحينئذ ظَهَرت كوامن كانت لهم وأحاطوا بعَسْكر بغداد وكانوا قد لججوا وراء المُنهزمين، فانهزَمت حينئذ عساكر بَغْداد، وقُتِلَ منهم خَلْق كثير، فالتجأوا إلى دَحْلةٍ[4] قريبةٍ من مَوْضع الوَقْعة، فهلكَ مُعظمهم جُوعاً

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وأُنزلا».
(٢) سقطت من المطبوع.
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «وانكسرت».
(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «دجلة» -بالجيم- واحتار الدكتور مصطفى جواد فيها فوضع علامة استفهام بعدها، والدحلة: الهوة تكون في الأرض وفي أسافل الأودية، =

وعَطَشاً، وعادَ مَن سَلِمَ منهم إلى بَغْداد، وقُتِلَ جمال الدين بكلك وطيبرس[1] وطُغْرل الحَلَبي وقَيْصر الظاهري وبهاء الدين علي الإربلي وكَيْكَلْدي بن قَرَغوي، وجماعة من كبار الزُّعماءء يطول ذِكْرهم. وكانت هذه الوَقْعة يوم الخميس ثالث ذي القعدة، ووصلَ الخبرُ على جَنَاح طائرٍ يوم الجُمُعة رابعه، فانقلبَ البَلَد وماجَ بأهله ووَصَلَ إثر الطائر أهلُ طريقِ خُراسان والبَنْدنيجين[2] ، وغيرهم مُنْتَزِحين عن أوطانهم، وقَدِمَ ابنُ أبي عيسى صَدْر المخزن ومُشْرفه والعُمال والنواب، وكَثُر الرَّهَج وضَجَّ الناسُ، فتقدم الخليفة إلى كافة الأُمراء بالتبريز، وفُتِحَت أبواب السُّور، فخرجُوا في تلك الليلة وخرجَ الشَّرابي، وخَيَّموا جميعهم بالقُرب من الملكية[3] . وخرج الخليفة لينظر المُخيم والعَسْكر، فبلغَ الشرابي ذلك فركب عَجِلاً للقائه، فظن الناس أن ركوب[4] الشَّرابي لأمرٍ حَدَث، فركب مُعْظم العَسْكر مُنْزَعجين، ووصلَ الخبر إلى عوام البلد وخَواصه، فخرجَ أكثرهم مُتَسَلِّحين، فلما عَرَفوا حقيقة الحال سَكَنُوا واطمأنوا.

وأما المغول فإنهم حازُوا الغنائم وعادوا راجعين من خانقين

= فيهاضيق، ثم تتسع. وقد جَوّد الناسخ ضبطها ففتح الدال المهملة ووضع تحت الحاء المهملة حاءً صغيرة علامة إهمالها.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «طبرس».

(٢) بلدة في طرف النهروان من ناحية الجبل، على الحدود الإيرانية تقريباً، تعرف اليوم بمندلي.

(٣) هو موضع قريب من الكشك.

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «ركب».

وراسلوا الخليفة فَوَصَل رسولُهم في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وست مئة، فأُنْفِذَ العَدل جعفر بن محمد بن عباس البطائحي ناظر التَّركات، صُحبة الرسول الوارد من جرماغون مُقَدّمهم، وكان عَوْده في سنة سبع وثلاثين. واجتمع به بالقرب من قَزْوين، وأُذن للشرابي والأُمراء والعساكر بالدخول إلى البَلَد، فدخلوا في آخر ربيع الآخر.

ولم يحج أحد في هذه السنة أيضاً.

سنــة
ست وثلاثين وست مئة

في هذه السنة، مَلَكَ المَلِكُ الصَّالح أيوب ابن الملك الكامل أبي المعالي محمد ابن العادل مدينةَ دمشق، ودخلَها واستولَى عليها. وسَبَبُ ذلك أنَّه لما تُوفِّي الكامل أبو المعالي محمد ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب صاحب مصر والشام في السنة الماضية، وانتقل مُلْكُه إلى ولده وولي عَهْده العادل محمد استنابَ في دمشق الملكَ الجَواد يونُس بن مَمْدُود ابن العادل أبي بكر محمد[1] بن أيوب، على أن يحفظها عليه ويخطب له فيها، فلما استولَى عليها خُوِّفَ العادل محمد منه، وقيل له: لم يَبْقَ لكَ في دمشق شيء. فراسله ليسبر الحال، فوجدَها كما قيل له. ثم إنَّ الملك الصالح أيوب صاحب سِنْجار راسلَ الملكَ الجواد، وطلبَ منه دمشق على أن يُعَوِّضَهُ عنها سِنْجار، فأجابَهُ إلى ذلك، وسَلَّمَها إليه، وانتقلَ منها إلى سِنْجار. فلما استقرَّ الملكُ الصالحَ في دمشق ومَلَكَها، حَدَّثَ نفسَهُ بأخذِ مصرَ من أخيه العادل محمد، وكان هو الأكبر والأنْجَب، واستَفْسَدَ جماعةً من الأُمراء المِصْريين، ووعدَهُم الإحسانَ فأجابوه إلى ما أرادَ، فبلغَ ذلك أخاه العادل، فأرسل إلى الخليفة يُعَرِّفه ذلك ويسأله التَّقَدُّم إلى أخيه

(١) سقطت من المطبوع.

بالكف عما عَزَمَ عليه من قصده، فأمر الخليفة بإنفاذ أبي محمد يوسف ابن الجَوْزي في المَعْنَى، فتوجهَ إليه وقَرَّرَ معه القَنَاعة بدمشق وتَوْفير مصر على أخيه، فاشترطَ أشياء، من جُملتها حصّته من تَرِكَة أبيه، فأجابه أخوه إلى ذلك واصطَلَحا، وعاد الملكُ الصالح إلى دمشق.

وفيها، قُتِلَ السُّلطان ناصر الدين أَرْتُق[1] بن أرْسلان بن ألبي بن تمرتاش بن أيلغازي بن تمرتاش بن ألبي بن أرْتق صاحب ماردين. كان قد مَلَكَها بعد وفاة أخيه حُسام الدين أيلغازي، وكان حينئذ دونَ البُلوغ، واستولى عليه بدر الدين لؤلؤ الرُّومي مملوك أخيه حسام الدين المذكور، ثم زَوَّجَ والدته بنظام الدين أحد الأُمراء، وكان الاسم في المُلْك لناصر الدين، والحُكْم لبدر الدين وحسام الدين المَذْكُورَيْن. فلما اشتد وكَبُر، أعْمَلَ الحِيلة في قَتْلِهما وواطأ على ذلك جماعةً من المماليك ففعلوا ذلك، وكان قتلهما في سنة ست مئة، وانفردَ بالحُكْم واستقامَ له الأمرُ بعدَهُما، وانتظمت أحواله وَصَفَا له المُلْك، وصارَ له من الوَلَد أربعة: نجم الدين غازي، وحُسام الدين، وقُطب الدين يحيى، والمُعظم عيسى. فوقع من نجم الدين غازي أمرٌ أنكره والده ناصر الدين عليه، وأبْعَده عنه فمضَى إلى حَلَب، وصَحِبَ الفُقراء ودَرْوَزَ[2]

(١) تحرف في المطبوع إلى: «يولق». وقد ترجمه غير واحد من المؤرخين المستوعبين لعصره، مثل سبط ابن الجوزي في المرآة ٨/ ٧٣٠، والذهبي في تاريخ الإسلام ٦٤/ ٢٦٢، والعبر ٥/ ١٤٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٦، والصفدي في الوافي ٨/ ٣٣٦، وصاحب العسجد المسبوك ٤٨٥ وغيرهم.

(٢) دروز: تعاطى الكدية، كأنها مأخوذة من دروازة، وهي الباب بالفارسية، فدروز: أي طرق الأبواب واستجدى.

معهم في الأسواق، وحَلَق شَعْرَهُ[1] ، فبلغ ذلك والده، فأرسلَ إليه مَن قبضَ عليه وحَبَسَه في بُرْجٍ بقلعة تُعرف بالبارعية بينها وبين ماردين مسيرة يومين. وكان لنجم الدين غازي هذا ولد وهو عند جده ناصر الدين، وكان شديد المحبة له والشَّفَقة عليه، فواطأ هذا الولد ستةَ نَفَرٍ من المماليك التُّرك على قتل جده ناصر الدين، فوافقوه على ذلك، وانتهزوا الفرصة في قَتْله وهو سَكْران فخنقوه، فَنَفَّذَ في الحال من أفرج عن أبيه نجم الدين غازي، وأحضره إلى ماردين وحَلَّفَ له الأُمراء والجُنْد، فاستولى على ماردين وحَبَس الأكبر من إخوته، واستقامَ له الأمر.

وفيها، رُتِّبَ محمد بن علي بن سَلْمان القُوساني ناظر ديوان واسط نَقْلاً من إشراف دُجَيْل، ورُتِّبَ محمد بن خُلَيْد مُشْرفاً عليه.

وفيها، توفي أحمد ابن الهَرَوي النَّحويُّ المعروف باليَحْمور. كان قد سافرَ إلى البِلاد وحَجَّ وجاورَ وقَدِمَ بغدادَ وأظهر الجنون وتَعَاطى البَله وعانَى سُؤال الوُعّاظ بالعبارات المُنَمَّقة، وصار له بذلك سُوق عند العوام، ونُقِلَ عنه أنه يَنْقل[2] أحوال البَلَد، فأُخِذَ وحُبِسَ في المارستان، ثم ظهرت براءته فَخُلِّيَ سبيلُه، وجُعِلَ له رَسْم في كل سنة مبلغه ثلاثون ديناراً، فلما مات وُجِدَت القَرَاطيس بحالها ما شَذَّ منها إلا ما ابتاعَ به كُتُباً، وكان يَسْتَعطي من الناس ويُدَرْوِز ما يَقْتَات به.

---

(١) كان بعض الصوفية يحلقون شعورهم، ومنهم: المحلقون، وهم القَلَنْدرية، إحدى الطوائف الفاسدة من الصوفية.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «يثقل»، وينقل أحوال البلد: يتجسس للعدو.

وفيها، شُرِعَ في عَمَل تُربة ورباط[1] على شاطىء نهر عيسى[2] بباب قَطُفْتا[3] وشارع[4] ابن رِزْق الله[5] في البُستان المعروف قديماً ببُستان سُنْقر المقتفوي[6] الركبسلار[7]، وتولى عمارته تاج الدين علي ابن الدَّوامي حاجب باب النُّوبي.

---

(١) هما للسيدة هاجر زوجة الخليفة المستنصر بالله وأم المستعصم المتوفاة في هذه السنة، كما سيذكره المؤلف في سنة ٦٥٠هـ.

(٢) منسوب إلى عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس، عم الخليفة المنصور، وكان قصره على شاطىء نهر الرفيل عند مصبه في دجلة، فنُسِب إليه، قال ياقوت: «هو اليوم في وسط العمارة من الجانب الغربي وليس للقصر أثر الآن، إنما هناك محلة كبيرة ذات أسواق تسمى قصر عيسى». قلنا: ولما كان مصب نهر عيسى يصاقب جامع قمرية، فمحله سوق الجديد اليوم هي محلة قصر عيسى آنذاك.

(٣) قطُفْتا: محلة من محال الجانب الغربي من بغداد، قال ياقوت: «هي محلة كبيرة ذات أسواق بالجانب الغربي من بغداد، مجاورة لمقبرة الدير التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي بينها وبين دجلة أقل من ميل، وهي مشرفة على نهر عيسى، إلا أن العمارة بها متصلة إلى دجلة، بينهما القُرَيَّة محلة معروفة». فقطفتا إذن كانت في الشرق من مقبرة الدير (مقبرة معروف الحالية) والقُرَيَّة (بالتصغير) هي محلة السِّيف في الكرخ (عند عمارة وقف داود باشا الشاطئية أسفل جسر الشهداء) فيوافق محلها اليوم الأرض المحدودة بين مقبرة معروف ومحلة السِّيف من محلات الكرخ الحالية.

(٤) تَحرف في المطبوع إلى: «وبشارع».

(٥) ورد ذكر هذا الشارع في وقفية الجزء الخامس من كتاب «العيون والنكت» للماوردي المؤرخة في سنة ٦٥٢هـ (نسخة مكتبة باش أعيان في البصرة برقم ٣٧٢) على المدرسة البشيرية، حيث جاء فيها: «وأمرتُ أن يكون بالمدرسة الميمونة التي أمرت بإنشائها بظاهر محلة شارع رزق الله».

(٦) تحرف في المطبوع إلى: «المعنوي»، وقال العلامة الدكتور مصطفى جواد في تعليقه: «لعله المقتفوي»، وهو هكذا في النسخة الخطية، مما يدل على أنه لم يراجع هذه النسخة.

(٧) تحرف في المطبوع إلى: «الركبدار».

وفيها، دخلت امرأةٌ طَرَّارَة[1] داراً في المأمونية وأخذت صندوقاً مملوءاً ثياباً ومَصَاغاً، وجعلته على باب الدار، فاجتازَ عليها حَمَّال فأشارت إليه بحمله مَعها إلى بيتها، فحمله وعادَ مُجتازا على تلك الدار، فرأى الناس مُجتمعين فلما عرف حالهم، قال: أنا حملتُ الصُّندوق مع جارية خَرَجت من هذه الدار. فمضوا معه، فأراهم الدار التي حَمَل الصُّندوق إليها، فدخلوها فوجدوا الصندوق لم يُفْتَحَ، فأخذوه وقبضوا على المرأة.

وقيل: إنه في زمن الوالي أبي الكَرَم[2] زَوَّجت امرأة ابنتَها وكان لها عند الصائغ فَرْدَة سِوار، وكان بيتها في الكَرْخ، فعبرت إلى الصَّائغ[3] في الجانب الشرقي وأخذت السوار، وأرادت العود إلى بيتها، فرأت الجَسْر قد قُطِعَ فحارت في أمرها، فرأتها امرأةٌ، متحيرة فعرضت عليها المبيت عندها فأجابت، ودخلت إليها فجعلتها في غُرفة الدار[4] ، فلما مضَى مُعظم الليل، طُرِقَ البابُ، فنزلت المرأة صاحبة الدار وفَتَحَت، فدخل جماعة معهم ثياب وخَشْل[5] ، فنظرت المرأة ما مَعَهم فعرفته جميعه وهو بعينه رَحْل بنتها[6] ، قالت المرأة: فحصل

---

(١) هي التي تطر الدروب وتحتال فيها على الناس، والجمع طرارات.

(٢) كان ذلك في سنة ٥٣٢، كما في «كامل» ابن الأثير ١٠/ ٢٦.

(٣) من هنا إلى قوله: «إلى بيتها» سقط كله من المطبوع.

(٤) أي: في الطابق الثاني من الدار.

(٥) الخشل: الخلاخيل، وكأنه هنا مصاغ العروس.

(٦) أي: جهاز عرسها.

عندي من الخوف مالا أحسن أشرحه[١] ، وكلما صَعدت صاحبة الدَّار وَهَّمْتها أني نائمة، فلما طلعَ الصُّبْح خرجتُ ومضيتُ إلى أبي الكَرَم الوالي وعَرَّفته ذلك، وأريته فَرْدة السِّوار، وقلت: إن الفردة الأُخرى عندهم، فركب ومضيتُ معه فَكَبس الدار وأخذ الرَّحْل فَسَلَّمه إليَّ، فأخذته ومَضيت.

وفيها، توفي النقيب الطاهر أبو علي الحَسَن ابن النَّقيب الطاهر أبي تميم مَعَدّ. نابَ عن أبيه في إشراف المَخْزن في الأيام الناصرية، فلما تُوفي والده في سنة سبع عشرة، مضَى المَوْكب إليه في جَمْعٍ من الحُجاب والدُّعاة، وفي صدرهم عارض الجيش سَعيد بن عَسْكر الأنباري إلى داره بالمُقْتدية في اليوم الثالث من وفاة والده[٢] ، وأقامه من العَزاء، وعَرَّفَه أنَّ الخليفة قد قَلَّده ما قَلَّد أباه، فركبَ إلى دار الوزارة، فَخُلِعَ عليه خِلْعة النَّقابة، وكان عمره يومئذ خمساً وعشرين سنة حين بَقَل عذاره، وكان له رُوَاءٌ ومَنْظر حَسَن وصورةٌ جَميلة. ولم يزل على نَقَابته وإشراف المَخْزن إلى سنة ثلاث وعشرين، فَعُزِل عن إشراف المخزن، ثم عُزِل في سنة أربع وعشرين عن النَّقابة، ثم أُعيد إلى إشراف المخزن في سنة ست وعشرين، وعُزِل عنه في سنة تسع وعشرين، ولم يُستخدم بعدها، وانتَقَل، من المُقْتدية وأقامَ بالكَرْخ عند أنْسابه إلى أن توفِّي في عُنفوان شَبَابه.

(١) في المطبوع: «شرحه»، وأثبتنا ما في الأصل.

(٢) في الأصل: «والدته» ولا يستقيم.

وفيها، توفي أبو منصور عبدالواحد[1] بن الحُصَين المعروف بابن الفقيه الدَّسْكَرِيُّ الأصل، المَوْصِلِّي المولد، البَغْداديُّ المنشأ، المُحَوَّلِيُّ الدار والوفاة، والدَّسْكرة المنسوب إليها: قريةٌ من أعمال طريق خُراسان[2]. وكان أديباً فاضِلاً شاعراً فَصِحياً، يكتب خطاً حَسَناً على طريقة ابن البَوَّاب، طلبَ من بعض الخُطباء قَصَباً من بُسْتانٍ له فدافعه ولم يعطه فكتب إليه:

إنَّ الخطيب أدامَ الله رِفْعته ... وزادَهُ بَسْطةً في العلم والأدَبِ
طَلَبتُ من شِرب بُستان له قَصَباً ... فَظَنَّني طالباً شِرباً من القَصَبِ
فظلتُ أوسعه مَدْحاً ويُوسِعُني ... مَطْلاً كلانا طويل الباع في الكَذِب
ثم افترقنا ولم أحْصل بفائدةٍ ... مما طلبتُ سوى التَّسْويف والتَّعَبِ
فلستُ أدري وخَيْر القول أصدقه ... هل قد سخرتُ به أم كان يَسْخر بي

ومن شعره:

مُذْ عَقْربت صدغاهُ واستَجْمَع الـ ... ـنَّمْل إلى دار اللمى الأشْنَب
تَقَدم الحاجب أن يَكْتب الـ ... ـعارضُ بالأدْهَم[3] في الأشهب

---

(١) التكملة للمنذري ٣/ الترجمة ٢٨٧٤، والتاريخ المجدد، لابن النجار، الورقة ٣٣ (من مجلد الظاهرية)، وتلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٢١٨٩، وفوات الوفيات ٢/ ٤٠، ونثر الجمان للفيومي ٢/ الورقة ١٠٥، ونزهة الأنام، لابن دقماق، الورقة ٣٧، وتاريخ الإسلام للذهبي ٦٤/ ٢٧٥، وهو: عبدالواحد بن إبراهيم بن الحسن... ابن الحُصَين.

(٢) يقال لها: دسكرة الملك، قرية من شهربان (معجم البلدان ٢/ ٤٥٥).

(٣) لم يعرف الدكتور مصطفى جواد -رحمه الله- قراءتها -يومئذٍ- فكتب: «الأوهم»، وكتب معلقاً: كذا ما في الأصل. وليس الأمر هكذا في الأصل الذي لم يراجعه، ففيه كما كتبنا: ويقال فرس أدهم وفرس أشهب، وهو أمر معروف، لكنه كان يومئذٍ =

يـا أُمَـراءَ الحُسْـنِ لا تَـرْحَلُـوا فالقَمَر الأرضي في العقرب[1]

ولـم يخرج الحجاج من بغداد في هذه السنة أيضاً، بمجرد الاهتمام في أمر المغول ومراسلاتهم والاستعداد لذلك.

= مبتدئاً.

(١) ذكر ابن النجار مقطَّعات أخرى له، وكان صديقاً له.

سنـــة
سبع وثلاثين وست مئة

فيها، وصَل الملك الجَوَاد سُليمان بن مَمْدود ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب صاحب سِنْجار إلى بَغْداد، وخَرجَ إلى لقائه موكب الديوان، ودخل معهم وقَبَّلَ العَتَبة بباب النُّوبي، ودخل إلى الوزير ابن النَّاقد، فَخُلِعَ عليه وأُعطِيَ فَرساً وخُلِعَ على جماعةٍ من خواصه وأصحابه وأُسكِنَ دار بَهْنام بقَراح ابن رَزِين[1]، فوصلَ الخبرُ إليه أن بدر الدين لؤلؤاً صاحبَ المَوْصل استولى على سِنْجار ومَلَكها، وقد كان راسَلَهُ قبل ذلك والتَمس منه أن يُسلِّم إليه سِنْجار صُلْحاً على مال يؤديه إليه، فأجابه إلى ذلك، فنَفَّذَ بدر الدين إليه ولدَهُ ركنَ الدين إسماعيل والمال معه فَسَلَّمه إلى الجواد، فأخَذَهُ ودافعه عن تسليم البَلَد، واستناب فيه أحد أُمرائه وتوجه إلى بغداد، وتَرَكَ إسماعيل في البَلَد، فتحدث على جماعةٍ من الأُمراء، فأجابوه إلى ما طَلَب، وأظهروا عِصيان الجَوَاد، فنازعهم آخرون وجَرَت بين الفريقين حَرْبٌ أسفرت عن

(١) القراح في الأصل: البستان، فأهل بغداد يسمون البستان قراحاً، وفي بغداد عدة محال تسمى بقراح مضاف إلى رجل يُعرف باسمه، لأنها كانت قديماً بساتين. وذكر ياقوت (معجم البلدان ٤/ ٣١٥) أن قراح ابن رزين محلة بالجانب الشرقي تقع بين درب النهر واللوزية يميناً والمحلة المقتدية شمالاً. وذكر ابن عبدالحق في «المراصد» (١٠٧١) أنه أقرب المحال في وسط البلد.

تسليم البلد إلى ركن الدين إسماعيل، وصَعدَ القَلْعَة واستقرَّ ملكهُ بها. فلما عَرَف الملك الجواد بذلك استأذنَ الديوان في التَّوجه، فأُذِنَ له وخُلِعَ عليه وعلى أتباعه ومماليكه وخرج متوجهاً إلى عانة وليسَ له يومئذ سواها.

وفيها، وصل رسولٌ من نور الدين عُمر بن علي بن رَسُول صاحب بلاد اليمن ومعه تُحفٌ وهَدَايا، فأدَّى رسالتَهُ، وذَكَرَ أنَّه وصلَ إليه رجلٌ هاشميٌّ على زَعْمِه أظْهَرَ أنَّه رسولٌ من الدِّيوان ومعه خِلْعة، فقال له السلطان: عادة الديوان إذا شَرَّف سُلطاناً بخِلْعة يُنْفُذ له تَقْليداً بالبلاد لتكون ولايته شَرْعية، فقال: هذا يحتاج إلى سؤال، فاكتب والتمس ذلك حتى أُنفِذَه مع مملوكي، فكتبَ وسَلَّم المكتوب إلى الرسول فأوهمَ أنَّه يُنْفِذُه، ثم اختفى فلم يُعْلَم له بخبر[1]. فوقعَ التَّعَجب من ذلك، وخُلِعَ على الرسول وأُذِنَ له في العَوْد.

وفيها، صُلِبَ إنسان أعجميٌّ خَيّاط كان في خِدْمة الأمير جمال الدين قَشْتَمُر كان قد جرح جاراً له فمات. وكان هذا الخياط قد بَرَعَ في الصِّناعة وعَمِل أشياء عجيبة منها: أنه حَبَسَ نَفْسَه في صُندوق ومعه ثَوْب غير مُفَصَّل وعُلِّقَ الصُّندوق مقابل باب جمال الدين قَشْتَمُر من أول الليل ثم حُطَّ وَقْت الصُّبْح وقد فُصِّل الثَّوبُ وخُيِّط قِباءاً وطُوي. وكان الخياط شَيْخاً قَصِيراً جداً أعرج أَحْدَب غير محمود الطريقة[2].

---

(١) تحرف في المطبوع إلى: «خبر».

(٢) ورد هذا الخبر في العسجد المسبوك (٤٩٠) أكثر تفصيلاً، وكله منقول من تاريخ ابن الساعي، بلا شك، وإن لم يشيرا إلى ذلك.

وفيها، قُتِل بباب النُّوبي ثلاثة أنْفُس ضُرِبَ أحدهم عدة ضَربات فلم يؤثر فيه السَّيف، وكان في وَسَطه خَيْط، فَقُطع الخَيْط فوُجد فيه حِرْز، ثم ضُرِبَ ضربة واحدة فانفصلَ وبعد انفصال النصفين سُمِعَ وهو يَتَشاهد.

وفيها، رُتِّب العَدْل يحيى بن سَعْد اليَزْدي[1] شيخاً للصوفية برباط الخِلاطية وخُلِعَ عليه.

وفيها، تُوفِّي ابن سَلْمان القُوساني ناظر واسط، وأُفرجَ عن الصَّفي أحمد ابن الطَّبّاخ، وخُلِعَ عليه ورُتِّبَ عوضه.

وفيها، استولى نور الدين عُمر بن رَسُول صاحب اليمن على مكة شَرَّفها الله تعالى. و[2] نور الدين هذا أصله تُركماني، وُلِدَ باليمن ونشأ بها وخَدَم مع صاحبها الملك المسعود يُوسُف ابن الملك الكامل محمد ابن العادل أبي بكر محمد بن أيوب، فلما ماتَ الملك المَسْعود عَلَت همتُهُ وقَوِيت شوكتُهُ واستولى على البِلادِ ومَلَكها تَغَلُّباً، وقطعَ خُطبة الكامل، فلما مات الكامل في السنة الحالية استولى في هذه السنة على مكةَ وطَرَدَ نُوَّاب الكامل عنها.

وفيها، حضر الأمير سُليمان ابن نظام الملك متولي المدرسة النِّظامية مجلسَ أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي بباب بَدْر، فَطابَ وتَواجَدَ وخَرَّق ثِيابَهُ وكشفَ رأسَهُ، وقام وأشهدَ الواعظَ والجماعةَ أنَّه

---

(١) في المطبوع: «النردي» خطأ.

(٢) سقطت الواو من المطبوع.

قد أعتقَ جميعَ ما يملكه من رَقيق، ووَقفَ أملاكَهُ، وخرجَ عن جميع ما يملكه. فكتبَ إليه النَّقيب الطاهر أبو عبدالله الحُسين ابن الأقساسي أبياتاً طويلة، يقول فيها:

يا ابنَ نِظام المُلك يا خَيْر مَن ... تـابَ ومـن لاقَ بـه الـزُّهْـدُ
يـا ابـنَ وزيـر الـدَّولتيـن الـذي ... يَـرُوحُ للمجـدِ كمـا يَغْـدو
يـا ابـن الـذي أنشـأ مـن مـالِـهِ ... مـدرسـةً طـالِعُهـا سَعْـدُ
قـد سَرَّنـي زُهـدكَ عـن كُـل مـا ... يَـرْغـبُ فيـه الحُـرُّ والعَبْـدُ
بـانَ لـكَ الحـقُّ وأبصـرت مـا ... أعيننـا عـن مِثْلِـه رُمْـدُ
وقُلْـتَ للـدنيـا: إليك ارجعـي ... مـا عـن نُـزوعـي عَنْـكِ لـي بُـدُّ
مـا لَـذَّ لي بُعْـدك حتـى استَوى ... فِـي فِـيَّ مِنْـكِ الصَّـابُ والشَّهْـدُ
شيمتُـك الغَـدْرُ كمـا شِيمتـي ... حُسـن الـوفـاء المَحْـض والـودُّ
لا الخَشِـنُ العَيْـش لـه مُتعـة ... فيـكِ ولا مَـن عَيْشُـه رغـدُ
عَزْمك في الزُّهد مثيرُ[1] القُوى ... يَعْضُـده التَّـوفيـق والـرُّشْـدُ
وأنـتِ فـي بَيْـت كمـا يشتهـي ... كـالخِيْس فيـه الأسَـدُ الـوَرْدُ[2]
لا يُقْصَـدُ النَّـاسُ إلـى دُورهـم ... لكـنْ إلـى منـزلـكَ القَصْـدُ
وخِـدْمـةُ النـاس لهـا حُـرْمـة ... وكـل مـا تَفْعلـه يَبْـدُو
والنـاسُ قـد كـانـوا رُقُـوداً وقـد ... أيْقَظْتهـم فـانتبَـهَ الضِّـدُّ
وقُسِمَـت فيـك ظنـون الـوَرَى ... وكُلُّهـم للقـولِ يَعْتَـدُّ
فبعضُهـم قـالَ: يَـدُومُ الفَتـى ... وبعضُهـم قـد قـال: يَـرْتَـدُّ

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «يثير».
(٢) الخِيْس: موضع الأسد.

يقول[1] فيها:

وقد أتى تشرين وهو الذي ... إليه عَيْن العَيْش تمتدُّ
ما يسكن البَيْت وقد جاءه ... إلا مريضٌ مَسَّه الجهدُ
وكلُّ ما يفعله حِيلة ... منه ونَصْب مالَهُ حَدُّ
فقلتُ لا والله ما رأيهُ ... هذا ولا فِيكُم له نِدُّ
وإنما هذا سُليمان قد ... صَفَا له في زُهده الوِرْدُ
مثل سُليمان الذي أُعْرِضت ... يوماً عليه الضُّمّر الجُرْدُ
فعافَ أن يُدْخلها قَلْبَه ... والهَزْلُ لا يُشبهُهُ الجِدُّ

يقولُ فيها:

لِيَهنك الرُّشد إلى كُلّ ما ... يضل عنه الجاهِلُ الوَغْدُ
أسْقِطت من جَيْش أبي مرة[2] ... وأكثر النَّاس له جُنْدُ
وقمتَ لله بما يُرْتَجَى ... لمِثْلِه الجَنَّةُ والخُلْدُ
فاصْبر فما يدرك غايات ما ... يطلب إلاّ الحازمُ الجَلْدُ

وفيها، وصلَ مُنيف ابن الأمير شِيحة أمير المدينة صلوات الله على ساكنها في جماعةٍ من العَرَب صُحْبة الحاج الذين كانوا هناك، وخَرَجَ إلى لقائِه موكبُ الدِّيوان، وأُسكن في الجانب الغربي، ثم استُدْعي وشُرِّفَ بلباس الفُتوة عن الخليفة، وخُلِعَ عليه، وعادَ.

وفيها، تحيَّلَ قومٌ غرباء كانوا في حَبْس الوزير، وهو دارٌ بدرب

(١) في المطبوع: «ويقول».
(٢) أبو مرة: كنية لإبليس.

المَطْبخ[1] ونَقبوه وخَرَجوا ليلاً ومضوا لا يعلمون أين يَقْصدون فساقهم القَضَاء إلى دار حاجب باب النُّوبي تاج الدين ابن الدَّوامي، فأنكرهم الغِلْمان، وسألوهم عن حالهم فاستجاروا بهم، وقالوا: قد هربنا من حَبْس الوزير، فقبضوا عليهم وعَرَّفوا حاجب الباب فَحَبَسَهم وأنهَى حالَهم، فَتُقُدِّمَ بقطع أيديهم وأرجلهم من خِلاف.

وفيها، ظهر في بُخارا إنسان أعجمي متصوف يُعرف بأبي الكَرَم الدَّاراني كان يُرِي النَّاسَ الأعاجيب من أنواع الشَّعْبَذة، ويأمر إنساناً أن يرميه بسَهْم فتثقل يده ولا يستطيع ذلك، فَكَثُر جَمْعه وتَلَقبَ بالمَهْدي، وأَمَر بقَتْل النَّصارى واليهود ببخارا ونَهْب أموالهم، فقُتِلُوا ونُهبوا، وقال لأصحابه: إني قادر على قَتْل المَغُول وكَسْرهم بنفسي ومَن يتبعني بقُدرة الله تعالى من غير احتياج إلى سِلاح. فتبعه خَلْق كَثِير فنهضَ على شحنة بُخارا ومن معه من العَسْكر فقَتَلَهُم وانضمَّ إليه بعد ذلك جَمْعٌ عظيمٌ. فبلغ جَرْماغون خَبَره، فعَظُم عليه، ونَفَّذَ عَسْكراً وشحنةً إلى بخارا، فخرجَ إليهم أبو الكَرَم في إلوفٍ كثيرةٍ، وأمرَهُم أن لا يصحب أحد منهم سِلاحاً، فلما التقوا أحجمَ عنهم المَغُول، فأقدمَ واحدٌ من أمرائهم، وقال: أريد أن أُجرب، فإما أن أقتله فيقدم العَسْكر عليهم ويقتلوهم عن آخرهم، وإما أن أهْلِكَ كما يزعمون. ثم حَمَلَ على أبي

(1) تحرف في المطبوع إلى: «درب البطيخ»، فإذا كان حبس الوزير قريباً من دار الوزارة فيكون موقع هذا الدرب في جنوبي دار الخلافة العباسية، حيث يقع مقر الوزارة ومرافقها. ويؤيد هذا ما ذكره المؤلف من أن المكان كان قريباً من دار حاجب باب النوبي، وهذا الباب هو أحد أبواب دار الخلافة الشمالية (انظر تعليقنا عليه فيما سبق) فهؤلاء الهاربون قد سلكوا طريقاً صاعداً من جنوبي دار الخلافة إلى شمالها.

الكَرَم فقتَلَهُ، فأكبت العَسَاكر عليهم فقتلوهم فلم يفلت منهم إلا اليَسِير، ويقال: إن عدتهم كانت نحواً من ستين ألفاً[1].

وفيها، عُيِّن الأمير بدر الدين سُنْقُر جاه الظاهري زَعيماً في خُوزستان، وخُلِعَ عليه، وكانَ قد وصلَ الخبرُ على جَنَاح طائرٍ بوفاة زعيمها شمس الدين أصلان تكين الظَّاهري.

وفيها، تكامل بناء المدرسة المُجاهدية[2]، تجاه دار الدويدار الكبير وهي منسوبة إلى الدويدار الصغير، جعلها برسم الحَنَابلة، ولم يوقف عليها شيئاً.

وفيها، هرب قُطب الدين سَنْجر المُستنصري المعروف بالياغز، وصُحبته جماعة من المماليك، فلقيه أبو علي بن غَنَّام أمير عرب الشام، فقبضَ عليه وأتى به إلى بَغْداد تحت الاستظهار راكباً على

---

(١) هذه الترهات الصوفية كانت منتشرة في تلك الأعصر، ولعلها من أقوى الأسباب التي أدت إلى ضعف الحالة الجهادية عند المسلمين، وما وصلوا إليه من الذل والهوان واستيلاء أهل الكفر على بلدانهم، نسأل الله العافية!

(٢) تقع هذه المدرسة في دار الخلافة العباسية، تجاه دار علاء الدين ألطبرس الدويدار الكبير الشاطئية بجوار رباط دار الفلك. وهذه المنشآت جميعاً كانت في جنوبي دار الخلافة المذكورة، في أسفل قصر التاج الكبير. ونرجح أن يوافق موقعها أرض محلة المربعة الحالية، وقد احتوت هذه المدرسة على خزانة كتب كبرى تجمعت كتبها مما وقفه عليها العُلماء، منهم: عبدالمؤمن بن عبدالحق الحنبلي وغيره. وظلت هذه المدرسة عامرة، رغم عدم وجود وقفٍ لها، مدة طويلة، فإن آخر من وقفنا عليه من تراجم مدرسيها عاش في آخر القرن الثامن للهجرة. (ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة ٤٢٨/٢) وذكر ابن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤هـ (منتخب المختار ١٣٥) أن هذه المدرسة كانت تعد في زمانه، أكبر مدارس بغداد.

حِمار في رجله سلسلة، وكذلك أصحابه، فأوقفوا في باب البدرية إلى الليل وباتوا هناك، وجلس الشَّرابي من الغد، وأمر بإحضارهم، فلما حضروا قال: يا سنجر أي شيء سَوَّلت لك نفسك الخَسِيسة؟ ولمن خَطَر لك أن تخدم بعد الخَلِيفة؟ وقد رَبّاك وأحسنَ إليك وأدناكَ من سُدَّتِه فقابلت ذلك بما أنت أهله. فبكىَ واعتذر، وقال: الخطأ منا، والعفو منكم، فقال له: قد عُفِيَ عنكَ وعن الجماعة وتُصُدِّقَ عليكم بأرواحكم. وأمَر برفع السَّلاسل من أرجلهم، ثم قال: ليسَ الحِلْم والعفو ببعيد من أمير المؤمنين، وليس الغَدْر والخيانة ببعيدة من هذا القبيل، ثم أُذِنَ لهم في التوجه إلى بيوتهم، وأُعيدت عليهم معايشهم. وكان هذا سنجر أولاً مملوكاً لامرأةٍ تعرف بعائشة اليتيمة تربية[1] الخليفة الناصر لدين الله، رَبته صغيراً وعَلَّمته الخط وأدبته، فلما بُويع المستنصر بالله، تَقَرَّبت به وسألت قبولَهُ، فقبلَهُ وحَضِيَ عنده وصار من جملة الخَوَاص، وزُوِّجَ بجاريةٍ وأُعطي أموالاً كثيرةً، فسوَّلَ له الشيطان الإباق[2] فاستفسدَ جماعةً من المماليك، وخرجَ مُوهِماً أنه يتوجه إلى بعض مُزارعاته[3]، وكانَ قد أحب الزِّراعة وضمن قَرَايا[4] في الحلة وزَرَعَها، فودَّعَ زوجتَهُ وولداً له صغيراً، وتوجه قاصداً بلاد الشام، فَنَفَّذَ الديوان إلى الجهات، وأخذَ عليه مَفارق الطُّرق، فاتفقَ أن أبا علي بن

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «ربيبة».
(٢) الإباق: هرب العبد.
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «مزرعاته».
(٤) حمع قرية، وهو مولّد.

غَنَّام المذكور، قد وصلَ إلى الحديثة[١] لِمُهَم له، فَعرَّفَهُ مستحفظُها الأميرُ يوسف بن باتكين صورةَ الحال، فمضَى في طَلَبِه، فوجدَه قد رفعَ وراءه سَنْجقاً، وهو في صورة رسول. فدعاه إلى النُّزول وكان بالقرب من بيوته، فلم يُجِب، وطال الكلام بينهما وأفضى إلى المحاربة، فقُتِلَ منهم مملوك، وجُرِحَ جماعة، وقَبَضُوهم وغَنِموا ما معهم، فاستجار سَنْجر بزوجة ابن غنَّام فأجارته وقالت لزوجها: إما أن تطلقه، أو تمضي معه إلى الخليفة وتستوهب خِيانته. فأخذه ووصَل به إلى بَغْداد، فلما أراد الوزير أن يَخْلع عليه قال: لا ألبسها حتى يُعْفَى عن سَنْجر، فإنَّ للذمة العربية حُرمة لا تُخْفَر، فأجيب سُؤاله، وعُفِيَ عن سَنْجر كما ذكرناه، وأُحضر ابن غَنَّام إلى البَدْرية وخُلِعَ عليه وشُرِّفَ بلباس الفُتوة من الخليفة، ورجع إلى مُستقره.

وفيها، تُقُدِّم ببعض أماكن كان قد عمرها التُّركمان بظاهر بغداد مما يلي سوق السلطان مساكن ودكاكين واصطبلات وحمامات وغير ذلك، وكانت تزيد على ألف موضع.

وفيها، قُطِعت يد شَيْخ جميل الهَيْئة في زي التجار، كان يَسْكن الخانات على أنَّه تاجر ومعه فَشَّاشات[٢] يَفْتح بها الأقفال ويسرق أموال التجار، فظهر عليه شيءٌ فأُخِذَ وقُطِعَ.

---

(١) هي حديثة الفرات المعروفة بحديثة النورة، باقية إلى اليوم، وقد اندثر غيرها ممن حمل هذا الاسم.

(٢) الفَشُّ لغة: فتح القفل بغير مفتاح، والفشاشة اسم الآلة، وجمعها فشاشات، وهي مستعملة في عامية أهل بغداد إلى اليوم، ويكثر استعمالها هذه الأيام!

وفي شهر رمضان، استُدعي الأمير بهاء الدين أيْدمر الأشقر زعيم إرْبِل إلى دار الوزارة لأجل الفطور على الطَّبَق، فحضر فلما أفْطر قُبِضَ عليه وعلى جميع أصحابه، واحتيط على داره، وحُمِلَ إلى الديوان راجلا فحُبِسَ به، ثم قُبِضَ على ابن غَزَالة مُشْرف إرْبل وفِراس الواسطي كاتبها، وأُحضر الأمير مَكْلبا الحِلِّي[1] ورُتِّب زَعيماً في إرْبل وخُلِعَ عليه.

وفيه، تَقَرَّرَ مع الملك الجواد سُليمان بن مَمْدود ابن العادل صاحب عانة، تسليم عانة إلى نُواب الدِّيوان على مال عَيَّنَهُ، فَنُفِذَ له ذلك ونُفِذَ إليها العَدْل حُسين بن المُثَنَّى الهيتي قاضيها، وكان يومئذ ناظر الزناب[2] وصُحبته أميرٌ يُعرف بالطُّغرائي، فتسلماها منه.

وفيها، توفي الأمير جمال الدين قَشْتَمُر[3] الناصري ببغداد، وحمل إلى مَشْهَد الحُسين عليه السلام، فدُفِنَ هناك، في[4] تربة له فيها زوجته وولده. وكان حسن السِّيرة شُجاعاً كَريماً جَواداً مُتَعففاً، ذا همةٍ عاليةٍ كثيرَ المعروف والبِرِّ، وكان عُمُره نحواً من سبعين سنة. كان أولاً لقُطب الدين سَنْجر الناصري، وانتقلَ منه إلى الخليفة الناصر لدين الله، فأسكنه في البَدْرية، ثم جعلَهُ سِرْخَيل[5] جماعة من المماليك، وسلم إليه

---

(١) في المطبوع: «الحلي مكلبا» غلط.

(٢) هكذا في الأصل، ورجح الدكتور مصطفى جواد رحمه الله أن تكون الزبازب: جمع زبزب لنوع من السفن.

(٣) تاريخ الإسلام ٦٤/٣١٧، والعسجد المسبوك ٤٩٧.

(٤) وقع في المطبوع: «وفي» خطأ.

(٥) لفظة مركبة من «سر» الفارسية بمعنى رأس أو رئيس، و«خيل»، فيكون معناها: =

اصطبلات[1] الخاص، ونقله إلى الدار المنسوبة إلى بَنَفْشَا مجاورة باب الغَربة، ثم خُوطِب بالإمارة، وزُوِّجَ بابنة الأمير بهاء الدين أرغش المُسْتَنْجدي، وجَرَى بينه وبين الوزير نصير الدين ناصر بن مَهْدي منافرة أوجبت إبعاده عنه، فعُيِّنَ عليه في زعامة رامْهُرمز[2] ، فتوجه إليها في سنة تسع وتسعين وخمس مئة. ثم انضم إلى بيت أبي طاهر صاحب اللُّر، وتزوج بابنته وأقام عندهم مدة، فكوتب في العَوْد إلى بغداد، فعادَ من غير أن يشعرهم، وتركَ زوجتَهُ وولده منها شرف الدين علي، وكان وصوله في سنة أربع وست مئة، بعد عزل الوزير ابن مَهْدي بشهر، فأُنعِمَ عليه بالدار المجاورة لدار الوزارة، وتُقُدِّمَ إليه أن يَشْهَر حوله سيوفاً إذا ركب، وسُلِّمت الحلة إليه، وخُلِعَ عليه، ثم وُلِّيَ شَحْنكية واسط مُضافاً إلى الحِلّة، ولم يَزَل مُقَدَّما على العساكر إلى أن مات. فجلس ولده ألامير مظفر الدين محمد في داره للعزاء، وحضرَ عنده الأُمراء وأرباب الدولة وقُرَّاء الديوان، ووعظَ الشيخ أبو الفضل أحمد بن اسفنديار، فحضرَ في اليوم الرابع موكبُ الديوان وجميعُ الحُجَّاب وعارضُ الجَيْش الحسن بن المختار العَلَوي، فأقامَهُ من العَزاء، وضَفَرَ شَعْرَهُ وغَطّى رأسَهُ ومضى به إلى الديوان، فخُلِعَ عليه وعلى ابن أخيه فَخْر الدين بُغدي، وزيد في مُشاهرة مظفر الدين، وجُعِلَ أُسوة بأخيه شرف الدين علي الدارج وعلى قاعدته.

= المقدم على طائفة من الخيالة.

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «اصطبله»

(٢) إحدى كور الأهواز.

وفيها، تُقُدِّمَ بقطع الوعظ من باب بَدْر، وكان الواعظ به المُحْتسب عبدالرحمن ابن الجوزي.

وفيها، توفي الشيخ علي[1] بن حازم[2] المقرىء المعروف بالأبْلَه. كان آية في حِفْظ القرآن المجيد وتجويد قراءته، يقرأ أي سورة شاء مَعْكوساً، واختير له مَرَّةً على سبيل الامتحان، سُورة الرحمن والقَمر والجن، فقرأ الثلاث السُّور معكوساً دُفعة واحدةً، من كل سورة آية. وكانَ يقرأ من أي سُورة شاء، آيةً من أولها وآية من آخرها، ويختهما في وَسَطها. ومع هذا كله، كان عنده بَلَه ومَيْل إلى اللعب مع الصِّغار والتشبه في أفعالهم مع عُلو سنة، وكان جالساً ذات مرة وإنسان يقرأ عليه فوقعت عليه آية فلم يرد عليه، فحركه فإذا هو ميت.

وتوفي، الشيخ بهاء الدين أبو طالب سَعْد ابن اليَزْدي، شيخ رباط الخِلاطية. كان حافظاً للقرآن المجيد خَيِّراً، قَدِمَ بغدادَ شاباً وسكنَ المدرسةَ النِّظامية، وحَصَّلَ طَرَفا من العِلْم والفقه، ثم سافر إلى الشام وزارَ البيت المُقَدَّس، وصَحِبَ الفُقراء، وحَجَّ مِراراً راجِلاً. وعاد إلى بغداد، وسكنَ رباط الزَّوْزَني أُسوة بالمُتصوفة، ووعظَ في مدرسة أبي النَّجيب، وقَرَّبه الوزير ابن مهدي، ورُوسل[3] به من الدِّيوان إلى عِدَّة جهات، وسُلِّم إليه رباط أرجُوان حَظِية الخليفة المُقْتدي ووالدة الخليفة

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٣١٦/٦٤، والعسجد المسبوك ٤٩٢.

(٢) تصحف في المطبوع إلى: «خازم».

(٣) تحرف في المطبوع إلى: «فروسل».

المستظهر بالله[1]، ثم[2] نُقِلَ إلى رِباط الخِلاطية، فكانَ به إلى أن توفِّي.

وفيها، توفي عبدالعزيز[3] بن دُلَف الخازن المعروف بالنَّاسخ شيخ رباط الحَرِيم الطَّاهري. كان شيخ وَقْته ومُقَدَّم أهل زمانه بفضائلَ اجتمعت فيه، وكان يقضي حوائجَ الناس عند الخليفة وغيرِه، وكان كثيرَ الصَّلاة والصِّيام، يتلو القُرآن دائماً، وروَى الحديثَ عن جماعةٍ، ودُفِن إلى جانب مَعْروف الكَرْخي.

وتوفي، المبارك[4] بن أحمد ابن المستوفي الإربلي. شيخٌ أديبٌ فاضلٌ، جمعَ تاريخاً لإربل، ذكر فيه مَن دَخَلَها من الشُّعراء

---

(1) هكذا في الأصل، وهو وهم بيّن، فإن أرجوان هي أم الخليفة المقتدي بأمر الله، وكانت تعرف أيضاً بقرة العين، ولها بر ومعروف، وتوفيت سنة ٥١٢ (المنتظم ٩/ ٢٠٠). وكان رباطها هذا بدرب زاخا، وهو يوافق شارع المتنبي اليوم، على ما حققه العلامة الدكتور مصطفى جواد رحمه الله (انظر تعليقه على تلخيص مجمع الآداب ج٤ق١ص١٠٧٢، ودليل خارطة بغداد١٦٥).

(2) سقطت من المطبوع.

(3) تاريخ ابن الدبيثي، الورقة ١٤٩(باريس٥٩٢١)، والتكملة للمنذري ٣/ الترجمة ٢٩٢٠، وتلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٧١٣، وتاريخ الإسلام ٦٤/ ٣١٣، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٤، والمختصر المحتاج إليه ٣/ ٥٠، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٤٩٩، والذيل لابن رجب ٢١٧-٢٢٠، ونزهة الأنام لابن دقماق، الورقة ٤٤، وذيل التقييد للفاسي، الورقة ٢٠١، وغيرها، وراجع تاريخ علماء المستنصرية للعلامة ناجي معروف ٢/ ٦٩-٧٣.

(4) عقود الجمان لابن الشعار ٦/ الورقة ١٨-٣٧، والتكملة المنذرية ٣/ الترجمة ٢٩٠٨، ووفيات الأعيان ٤/ ١٤٧، وتاريخ الإسلام ٦٤/ ٣٢٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٩، وعقد الجمان للعيني ١٨/ الورقة ٢٣٣وغيرها.

والأعيان[1]. وتولّى ديوان إرْبل لزعيمها مُظفر الدين كُوكبري إلى أن ماتَ. ثم عطل ولزم دارَهُ، ثم انتقلَ إلى المَوْصل لما وردت المَغُول إلى إرْبل، فلم يزل بها إلى أن مات. وله شعر حسن، منه قوله: في جواب كتاب:

وافى كتابُك يا مولاي مُشْتَملاً ... على رِياض مَعَان نَشْرها أرِجُ
فكان أحسن من سحر تَقَلُّبه ... أجفان ظَبْي مراض حشوها غنجُ
إذا بَدَا قَيَّد الأبصار منظره ... فما لإنسان عَيْن عنه مُنْعَرَجُ
فبت أشفي به داء تضمنه ... جوانح باتَ فيها الهَمُ يَعْتلجُ
يا مَن تَغَيَّرت الدُّنيا لبعدهمُ ... فكلُّ رَحب فَسيح ضيقٌ حرجُ
استودعُ الله عَيْشاً مَر لي بكمُ ... يَرْتاح قَلْبي لذكراه ويَبْتَهِجُ
ما راقني بعدكم شيءٌ سررتُ به ... فكل مُسْتَحْسنٍ في ناظري سَمجُ

وتوفي، محمد[2] بن سعيد بن الحجاج الدُّبَيْثيُّ المحدِّث الحافظ، كان حافظاً للقُرآن المجيد مجوّداً فيه، عارفاً بالحديث، حافظاً للتواريخ، يقول الشعر، فمن شعره:

عليكَ بحُسْن الصَّبْر في كل حالةٍ ... وإن كان طَعْم الصَّبْر في حمله صَبْرا
فلن يعدم الإنسان نَيْل مرامه ... إذا قطع الأيام مُسْتعملاً صَبْرا
وعَدِّ عن الأطماع واقنع بدونها ... فكم أهلكت حِرْصاً وكم قَتلت صَبْرا

ومنه:

(١) سَمّاه: «نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل»، وصل إلينا المجلد الثاني منه، حققه ونشره الأستاذ سامي الصقار بعد أن نال به رتبة الدكتوراه.
(٢) انظر مقدمة الدكتور بشار لتاريخه: ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد (بغداد ١٩٧٤).

أخوكَ الذي يَرْعى المودة جهده　　ويثني ثناء الخير إن مَلَّ أوصافَى
وليس أخوكَ القائل[1] الهُجر إن نأى　　ولا جاعل المَكْروه للخِل أوْصافا

وفيها، توفي أبو الفتح نصر الله[2] بن محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير الجَزَرِيُّ الأصل المَوْصليُّ الدار. كان كاتباً عالماً فاضِلاً مُتَفَنِّناً في عِلْم الكِتَابة مُقْتَدراً على الإنشاء. ورد إلى بَغْداد مِراراً في رسائل من بدر الدين لؤلؤ صاحب المَوْصل، منها في هذه السنة، فمرض ببغداد ومات ودفن في صحن مشهد موسى بن جعفر عليه السلام، كان مولده سنة ثمان وخمسين وخمس مئة.

وتوفي، علي بن مُقْبِل المعروف بابن العُنَيْبري البَصْري. كان تاجراً، ثم تركَ ذلكَ وخدمَ وكيلاً لبعض أولاد الخليفة الظاهر، ثم نُقِلَ إلى وكالة باب طِراد، ثم عُزِلَ ورُتِّبَ عوضه فخر الدين أبو سَعْد المبارك ابن المُخَرِّمي، فلما نُقِلَ إلى صَدْرية المَخْزن أُعيد ابن العُنَيْبري إلى وكالة باب طِرَاد، فلم يزل على ذلك إلى أن مات، وله شعر، منه:

زَمَانك أيّها المَغْرور ماضي　　ورَبُّك بالبطالة غير راضي
فكن للخَيْر مُدَّخراً فعما　　قَلِيل سوف تَلْحق بالمواضي
أليس الأولون وكل خلق　　من الأُمم الأولى تحت الأراضي؟

وفيها، توفي أسدُ الدين شيركوه[3] بن محمد بن شيركوه، صاحبُ

(١) تحرف في المطبوع إلى: «القابل».
(٢) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٣/ ٧٢، فقد ذُكر هناك العديد من مصادر ترجمته، وهو آخر الإخوة وفاة.
(٣) التكملة للمنذري ٣/ ٥٣٥، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٩، وفيهما مصادر كثيرة، وله =

حِمْص. كان مُتَحيّفاً لرعيته، عادلاً في التجار والغُرباء، ذا دهاء ومَكْر وحيلة. قرأ شيئاً من العلم واشتغل بالفقه على مذهب الشافعي رحمه الله، ولما مات تولى ابنه إبراهيم مكانه.

وتوفي، علي[1] بن معالي الحِلّي النَّحوي المعروف بابن البَاقِلانيّ. كانَ شَيْخ وقتهِ في علم الأدب والنَّحو. قَدِمَ بغدادَ واستوطنها، وقرأ علم الكلام، وسَمِعَ الحديثَ، وكَتَبَ بخطه كثيراً، وكان شديد الحِرْص على المُطالعة مع علو سنه وضَعْف بَصَرَه. وكان حَنَفَياً فترك مذهبه وانتقل إلى مذهب الشافعي رحمه الله. كان له زوجة قد كَبرت فأشار عليه بعض أصدقائه بطلاقها فقال:

وقائلٌ لي: قد شابَت ذوائِبُها
وأصبحت وهي مثل العُود في النحفِ
لم لا تَجذُّ حِبال الوَصْل من نصف
شمْطاء من غير ما حسن ولا ترفِ

= ترجمة جيدة في تاريخ الإسلام ٦٤/٣٠٧-٣٠٨، وقد حكم حمص ستاً وخمسين سنة.

(١) إرشاد الأريب ٤/٣. وترجمه الذهبي مرتين في «تاريخ الإسلام» في وفيات السنة نفسها، قال مرة: «الحسن بن معالي بن مسعود، أبو علي الحلي النحوي، شيخ العربية في وقته ببغداد» ونقل عن ابن النجار (٦٤/٣٠٣-٣٠٤)، وقال مرة: «علي بن معالي، العلامة شيخ النحو ابن الباقلاني، الحلي المتكلم الحنفي ثم الشافعي» (٦٤/٣١٧)، والمترجم هو هو، وتبعه السيوطي فذكره في «البغية» في الحسنين، والعليين أيضاً.

فقلت: هَيْهات أن أسلو مودتها
يوماً ولو أشرفت نَفْسي على التَّلَف
وأن أخونَ عَجُوزاً غير خائنة
مقيمة لي على الإقلال والسَّرفِ
يكونُ مني قَبِيحاً أن أواصلها
جنيّ وأهْجرها في حالة الحَشَفِ

وفيها، توفي عز الدين أبو زكريا يحيى[1] بن المبارك بن علي بن المبارك بن علي بن الحُسين بن بُنْدار المُخَرِّمي. شيخٌ خَيّرٌ دَيّن، من بيتٍ معروف بالرِّواية والدِّراية والقَضَاء والعَدَالة والثَّناية والتَّصَرف والولاية. وجده بُنْدار المُخَرِّمي، كان أعجمياً، قَدِمَ بغداد واستوطنها وسكن المُخَرِّم وكانت محلة أعلى البلد[2] فَنُسِبَ إليها. وأما جده المُبارك بن علي فكان فقيهاً فاضلاً[3] عالماً عَدْلاً ثِقةً، اشتغل بالفقه حتى بَرَعَ، ودَرَّسَ وأفتى، وبَنَى المدرسة المَنْسوبة إلى تلمِيذه الشيخ عبدالقادر الجِيلي رحمه الله، وشَهِدَ عند قاضي القضاة أبي الحسن ابن الدَّامَغاني في سنة ثمان وثمانين وأربع مئة، ثم وُلِّيَ قضاء باب الأزج،

(١) تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٥٤٠، وتاريخ الإسلام ٦٤/ ٣٣٣.
(٢) ذكر ياقوت أنها بين الرصافة ونهر المعلى، وفيها كانت الدار التي يسكنها السلاطين البويهية والسلجوقية خلف الجامع المعروف بجامع السلطان (معجم البلدان ٥/ ٧١). قلنا: فيناسب موقعها اليوم الأرض الواقعة إلى الشمال من مقبرة الشهداء ظاهر باب المعظم، ومن الراجح أن أصل هذه المقبرة هي مقبرة جامع السطان. أما التسمية فهي منسوبة إلى مُخرِّم بن يزيد بن شريح، كان ينزل هذا الموضع من السواد قبل بناء بغداد، فعرف به.
(٣) على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل.

وكان نَزِهاً في ولايته.

وعز الدين يحيى هذا تَصَرَّفَ في أعمال السَّواد نَظَراً وإشرافاً، وكانَ مَشْكور السِّيرة كَيِّساً مُتَواضعاً، ركبَ في ثاني عِشْرِي[1] شهر رَمَضان إلى الجامع، فَصَلَّى الجُمُعة، وخَرَج ليركب، فلما قارب الباب وقعَ إلى الأرضِ ومات، فَحُمِلَ إلى دار ولده فخر الدين أبي سَعْد[2] المُبارك صاحب ديوان الزِّمام، ولم يكن حاضراً ببغداد، فَغُسِّل وصُلِّيَ عليه في جامع القَصْر، وحضرَ جنازته الولاةُ وأربابُ الدَّولة والأُمراء والأعيان، وشَيّعوه إلى دِجْلة، وحُمِلَ إلى مَقْبرة باب حَرْب[3] فدفن بالقرب من قبر أحمد رضي الله عنه، وقد جاوز الثمانين. وقَدِمَ ولدُه فخرُ الدين صاحب الدِّيوان بعد وفاته بثلاثة أيام.

وبطل الحج من العراق في هذه السنة أيضاً بمجرد الاهتمام بأمر المغول والاستعداد خَوْفاً من مُفاجأتهم.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «عشر».

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «سعيد».

(٣) في أعلى بغداد الغربية، وهي من أشهر مقابر الحنابلة ببغداد. ويوافق موقعها حديثاً مقبرة (الهبتة) في شمالي غربي الكاظمية.

سنــة
ثمان وثلاثين وست مئة

في هذه السنة، مَلَكَ الملكُ الصَّالح أيوب ابن الكامل محمد ابن العادل مِصْرَ، وأخذَها من أخيه العادل أبي بكر محمد، وسبب ذلك أنَّ أميراً من أمراء مِصْر يُعرف بنور الدين ابن فَخْر الدين عُثمان، كان أستاذ دار الملك الكامل وأخص الناس عنده، فلما تُوفِّي الكامل حَفِظ دمشق على وَلَده العادل أبي بكر محمد رجاء أن يستنيبه بها، فلما استولى عليها الملك الجواد كما سبق ذِكْرُهُ، فارقَها نورُ الدين وقصدَ مصر، فلم يلتفت إليه العادل محمد وحَطَّ من منزلته، فاستفسَدَ جماعةً من الأُمراء، وخرجَ بهم، وقَصَدَ الملكَ الصالح أيوب ابن الكامل بدمشق، وكان قد أخذها من الجواد على ما ذكرناه، فَحَسَّنَ له أخذ مِصْر من أخيه العادل، فَفَرِحَ بذلك وخرجَ من دمشق، وتجهَّزَ للمسير إلى مِصْر، فوجد الملك الصالح إسماعيل ابن العادل محمد بن أيوب فرصة، ونهضَ واستولى على دِمشق، وجمَعَ العساكر وقَصَد الملك الصالح أيوب فهربَ منه فوقع في أسر الملك الناصر داود[1] فحبسَهُ في الكَرَك، فندمَ حينئذ نورُ الدين على ما فَرط منه، وبلغه أن العادل أخذ أموالهُ وقبضَ أملاكه، فقصدَ الخليفة وأنْهَى حاله إليه فوعدَهُ بمكاتبة العادل

(١) سقط من المطبوع.

في رد ماله والرِّضا عنه.

ثم إن الملك النَّاصر داود ابن المُعَظَّم عيسى ابن العادل أَفْرَج عن ابن عمه الملك الصالح أيوب ابن الكامل واتفقَ معه على أنه إذا حَصَلت له مِصْر اجتهدَ في أخذ دمشق أيضاً وإعادته إليها، على أن يُعَجِّل له من مِصْر بثلاثين[1] ألف دينار، فكاتَبَا جماعةً من الأتراك الخصيصين بالعادل محمد في المَعْنَى، فاتفقوا مع جماعةٍ من الخَدَم على القَبْض عليه، وتَحَالفوا على ذلك، ثم قالوا للعادل: إنَّ الملك الصالح أيوب قد خَلص من أسر الملك الناصر[2] واتفق معه على قَصْد مصرَ، وأشاروا عليه بالتَّبْرِيز، والخروج إلى ظاهر مِصر والاستعداد لمنعهما إن قَصَداه. فخرجَ وخَرَج جميعُ العَسْكر، فلما نزل المُخَيَّم اجتمع الأتراك المُخالفونَ والخَدَمُ وهَجَموا عليه في سُرَادقه وقبضوا عليه وقَيَّدوه، وأرسلوا إلى الملك الصالح أيوب يُعَرِّفُونه ذلك، فسار حتى وصل مصر، فسلَّموا إليه أخاه الملك العادل محمداً، فدخل مِصْرَ واستقر مُلْكُه بها.

وفيها، عُزل الأمير مكلبة[3] من إرْبل عن إمارتها لِضَعْف رأيه وسُوء تَصرّفاته، ورُتِّب عوضه آقسُنْقُر النَّاصري، وكان الصَّدْر بها تاجُ الدين محمد بن نَصْر بن الصَّلايَا العَلَويُّ المدائنيُّ.

وفيها، عُزِلَ عبدالجبار بن العارض عن كِتابة العَرْض، وسُلِّم هو

(١) وقع في المطبوع: «ثلاثين».
(٢) سقطت من المطبوع.
(٣) ويكتب: «مكلبا» أيضاً.

وأولاده ونساؤه إلى حاجب الباب، ورُتِّب عوضه كمال الدين أحمد بن أمْسَينا..

وفيها، كان زفاف بدر الدين أيدغمش على ابنة الأمير المرحوم شمس الدين أصلاش تكين. وهذا أيدغمش كان قد أخذه الخليفة صغيراً لما فُتِحَت إرْبل، واعتنَى بتربيته شرف الدين إقبال الشَّرابي وأدَّبه وجَوَّد خَطَّه، وحَفِظ القُرآن والمقامات الحريرية وغير ذلك، واشترى له الأملاك السَّنِيّة، وزَوَّجه وبَنَىَ له داراً بدرب حَبيب[1] فيها عدة حُجَر وبستان وحَمَّام، وأعطاه في هذه الليلة ثلاثة آلاف دينار، وفي صَبيحتها، لم يَبْق أحد من خواص الخليفة والشَّرابي إلا ومَدَّ له شيئاً وأهْدَى له هدية.

وفيها، قُتِلَ إنسان ببغداد واتهم بقَتْله جماعةٌ، فأُخذوا فحضرَ القاتل في جُملة المتفرجين، فارتابَ به بعض الغلمان، فأُخْبرَ نائبُ الشرطة بحاله، فتقدم بأخذِه، فاعترفَ أنه القاتل، فحُبِسَ في الحُجْرة. واتفقَ في تلك الأيام أنّه احتِيجَ إلى تَطْيين سَطْح الحُجْرة، فأحضروا روزجارية[2] لبل الطين، فَشَرعوا في نَقْل الماء من الحُجرة فجاء الرجل ووقف عند البئر وأخذ صفرية[3] ماء وخرج بها، فتَوهم البوابُ أنه من

---

(١) هذا الدرب في الجانب الغربي من بغداد، وسيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٤، وكان يقع قرب دار القطن، بين الكرخ ونهر عيسى.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «روزكارية»، وإن كانت كلها بمعنى، لكن لا وجود لها في المخطوط، وهم العمال المأجورون.

(٣) الصفرية: إناء من الصفر، وهو النحاس.

الروزجارية، فَطَرَحَها على الطِّين وفَرَّ في غِمار النَّاس، فلم يُعلم له بخَبَر.

وفيها، وصلَ رسولٌ من بدر الدين لؤلؤ صاحبِ المَوْصل، ومعه طائرٌ وجماعةٌ من رُماة البُنْدق، شهدوا أنَّ الأمير إبراهيم وَلَد بدر الدين لؤلؤ، رماه بالبُنْدُق، وانتسبَ في ذلك إلى الخليفة، فَقُبِّل وعُلِّقَ بباب البَدْرية، ونُثِر عليه ألف دينار، وخُلِعَ على الواصلين معه.

وفيها، قَصَد مدينة حَلَب جماعةٌ من الخوارزمين ومعم الملك الجَوَاد سُليمان بن مَمْدود ابن العادل، فخرجَ إليهم عَسْكر حَلَب والتقوا واقتتلوا، فاستظهر الخُوارزمية عليهم، وقَتَلوا منهم جماعةً وانهزمَ الباقون، ونُهِبَت أموالُهم، وكان سبب ذلك أنَّ محمد تركان خان بن دولة شاه الخُوارزمي مَلِك الخُوازمية، خطبَ ابنة الملك العادل صاحب حَلَب، فلم تُجب[1] إلى ذلك وامَرَت بإهانة رسوله، فجمع من قِبَلَهُ[2] من العساكر وقصدَ بلادَهم. ثم إن العَسَاكر الحَلَبية اتفقوا مع صاحب حِمْص، وواقعوا الخوارزمية فهزموهم وتبعوهم، فقَصَدوا عانة، فأحْجموا حينئذ عنهم، وعادوا فلما خَلَت بلاد الخوارزمية منهم، نَهَضَ بدر الدين لؤلؤ صاحب المَوْصل على مدينة نَصِيبين فأخذها، ورَتَّبَ بها أميراً يقوم بحراستها. وأما محمد تركان خان أمير الخوارزمية، فسار من عانة إلى بغداد، فَخَرج إليه موكب الديوان، وتلقاه شمسُ الدين محمد ابن عبدالله حاجب باب المَرَاتب ظاهر السُّور، ودخلَ معه فَقَبَّل العَتَبَة،

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «يجب».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «ملته»!

ودخل دارَ الوزارة فَخَلَعَ عليه نصيرُ الدين ابن الناقد نائبُ الوزارة، وقُلِّدَ سَيْفاً وأُسْكِن داراً بدرب دينار الصغير[1] ، وكان عُمُره نحواً من عشر سنين. ووصل بعده ابن كشل خان أحد أمراء الخوارزمية وأُعْتُمِد معه مِثْلَما اعتُمِدَ مع المذكور.

وفيها، عُزِلَ عبدالكريم بن الحُسين بن أبي زَنْبَقة قاضي واسط وقُلِّد القضاء بها الفقيه محمد ابن الحموي الحَنَفي.

وفيها، قَدِمَ جمالُ الدين عبدالرحمن ابن الجَوْزي من شِيراز، وحَكَى أنَّه شاهد في قَرْية من قُرى فارس تدعى شاوور، صبياً عُمره اثنتا عشرة سنة طوله خَمْسة أذرع وأعضاؤه تُنَاسب خَلْقه، قال: وحضرَ أبواه عندي وهما كالرجال في العَادة.

وفيها، توفي جمال الدين علي ابن البُوري. كان شَيْخاً من أعيان المُتَصرفين، رُتِّبَ أولاً نائب الشّرطة بباب النُّوبي في [سنة][2] سبع وتسعين وخمس مئة، وصُرِفَ في سنة ست مئة، وحُبِسَ وطُولِبَ بمالٍ، ثم أُفرجَ عنه، فَخَدَم في الأعمال الحِلّية، ثم صُرِفَ وقَبَضَ عليه الأميرُ

(١) يُنسب إلى دينار بن عبدالله من موالي الرشيد، وهو جزء من محلة سوق الثلاثاء الواسعة الواقعة في الجانب الشرقي من بغداد، قال صاحب «مراصد الاطلاع» في (المسعودة) وهو يرد على قول ياقوت (أنهما موضعان ببغداد أحدهما بالمأمونية، والآخر في عقار المدرسة النظامية)، فقال: «وأما الذي في عقار النظامية فهو درب نافذ، به دروب غير نافذة تُعرف بدرب المسعود، ينفذ إلى درب دينار الصغير» (١٢٧٠). ولما كانت المدرسة النظامية تقع في سوف الخفافين اليوم، وجب أن يكون درب دينار الصغير هو سوق البزازين المحاذي لسوق الخفافين المذكور، وإلى جسر الشهداء.

(٢) إضافة منا، ليست في الأصل.

جمالُ الدين فَتَشَمَّر مُقْطَعَها وحَبَسَهُ ولقِيَ منه شِدّةً، ثم أُفْرِجَ عنه، ورُتِّبَ مُشْرِفاً بمناثر[1] التمور، ثم نُقِلَ إلى النَّظَر بها، وأُضيفَ إليه النَّظَر بديوان الجَوَالي في سنة ثماني عشرة وست مئة، ثم نُقِلَ إلى صَدْرية دُجيل ونهر عيسى ونهر مَلِك[2] والأنبار وهيت، وخُلِعَ عليه وأُسْكِن في الدَّار المَنْسوبة إلى الوكيل أبي السعادات ابن الناقد بالرَّحْبة، ثم أُعفِيَ من التَّرْداد إلى دار الوزارة والمُراجعه للديوان، وقُسِمَت الأعمال بينه وبين ابن الأنباري صاحب الديوان. وكان يركبُ في جَمْعٍ عَظيمٍ وبين يديه السُّيوف المشهورة على قاعدةٍ لم تكن لأحدٍ من أرباب الدولة من التَّحَكُّم والاستقلال وتَرْك المراجعة لمن[3] عدا الخليفة الناصر. ولم يزل على ذلك إلى أن توفِّي الخليفة الناصر لدين الله، فلما بُويع الظاهر بأمر الله هَجَمَ العوام على داره فَنَهَبُوها ولم يزل قاصِراً نفسَه في مَنْزله إلى أن قُبِضَ على نائب الوزارة محمد القُمِّي في سنة تسع وعشرين وست مئة، فلما وَلِيَ نيابة الوزارة نصيرُ الدين ابن الناقد وَلّاه حُجْبَة باب النُّوبي، فلم يزل على ذلك إلى سنة ثلاث وثلاثين، وعُزِلَ ولم يُسْتَخدم بعد ذلك، وكان له اهتمامٌ بالكُتُب واطلاعها، وحِفْظ ما يستحسنه منها، وكان له شِعْرٌ، فمما قاله عَقِيب نَهْب داره وأَخْذِ ماله:

قال المُنَجِّم هذا العام: فيه لنا   زَعَازع بِقِرَان النَّجْم مَعْ زُحَلِ

---

(1) وقع في المطبوع: «بعنابر»، وعلق الدكتور مصطفى جواد رحمه الله في الحاشية فقال: لعلها «بمناثر التمور» جمع منثر، وقد وردت في عمدة الطالب ١٤٦. قلنا: هي كذلك في الأصل المخطوط، مما يدل على أنه لم يقابل النسخة على أصلها.

(2) تحرف في المطبوع إلى: «الملك».

(3) تحرف في المطلوع إلى: «لما».

فقلت: أخطأتَ كُلُّ النَّاسِ في دَعَةٍ وغبْطةٍ لم تكن في الأعْصُر الأُولِ
ما كانَ جرم قِرَان الكَوْكبين سوى ما حل بي لا حِسَاب الزِّيج والجُمَلِ

وبطل الحج في هذه السنة، فلم يحج أحد من أهل العراق.

وفيها، استولى الهرم على الوزير نصير الدين بن الناقد، بحيث أنه كان يبخ في مسنده[1].

(١) في المطبوع: «في مسنده يبخ»، وهو مخالف لما في الأصل: ويبخ: أي يغط في النوم.

سنــة
تسع وثلاثين وست مئة

في هذه السنة، استولى عُمَيْر بن قاسم العَلَوي على مدينة رسول الله ﷺ وأبعد عمه شِيحة عنها.

وفيها، سَقَطَ محمدُ بن إدريس ناظرُ طريق خُراسان من بَغْلة كان راكِبها فماتَ من ساعته، كان[1] قد ورد عليه تَقَدّم فقرأه فلوَّحَ الهواءُ به، فنفرت البَغْلة، فرمته.

وفيها، رُد النَّظر في نَهْرَي مَلِك[2] وعيسى، إلى حاجب باب النُّوبي تاج الدين عليّ ابن الدَّوامي إضافة إلى ما يتولاه من أمرِ الشّرطة والعِمارة المُسْتَجَدَّة المُجاورة لقبر مَعْروف الكَرْخي وأمْرِ الباعة، وعِمارة البَلَد. وكان أمر نهر عيسى وملك[3]، مُضافاً إلى صاحب[4] الديوان فخر الدين المُبارك ابن المُخَرِّمي.

وفيها، رُتِّبَ هبة الله بن زُطَينا كاتب السَّلّة[5] عِوَضاً عن أبيه

(١) في المطبوع: «وكان»، والواو لا أصل لها في المخطوط، والخبر في العسجد المسبوك ٥٠١.
(٢) تحرف في المطبوع إلى: «الملك».
(٣) تحرف في المطبوع إلى: «الملك» أيضاً.
(٤) تحرف في المطبوع إلى: «حاجب».
(٥) هو الموظف الذي يتولى الكتابة في ديوان الزمام.

الدَّارِج.

وفيها، رُتِّبَ القاضي أبو محمد عبدالله[1] البادرائي مُدرساً بالمدرسة النِّظامية، وخُلِعَ عليه، وأُقِرَّ على خَزْن الكُتب بخزانة الخليفة، وأُذِنَ له أن يدخل المدرسة بطَرْحة أسوةً بالمُدرِسين.

وفيها، توفي جعفر[2] بن مكي بن سعيد مُقَدَّم شُعراء الديوان، وكان ذا كَيْس وتَوَاضع، طَيِّبَ الكَلام، عذبَ الإيراد يُورد الهَنَاءات[3] في المواسم والأعياد، وكان يُورد في كل ليلة من ليالي شهر رمضان قصيدة من نَظْمه على الطَّبَق بدار الوزارة[4]، فمن شعره ابتداء قصيدة:

دُنياكَ فَرْحةُ حَالم بمنامِ ... والمرءُ نَصب حوادث الأيامِ
لم يَدْر أنَّ الدَّهْرَ مَسْرورٌ به ... يَرْميه عن قَوْس الرَّدى بِسِهَامِ
هَوِّن عليكَ فما الزمانُ بصاحبٍ ... كَلاّ ولا الدُّنيا بدارِ مقامِ
ما أحسن الأيام لولا غَدْرها ... لن تعدم الحسناء وَصْمة ذامِ

وفيها، توفي وَلَدٌ لعز الدين أبي الفضل محمد ابن مؤيد الدين محمد ابن العَلْقَمي، فَرَثاه جده مؤيد الدين أُستاذ الدار، بهذين البيتين:

---

(١) ستأتي وفاته في سنة ٦٥٥هـ.

(٢) تاريخ ابن الدبيثي، الورقة ٩٦ (باريس ٥٩٢١)، والتكملة للمنذري ٣/الترجمة ٣٠٠٩، وتلخيص مجمع الآداب ٤/الترجمة ٢٠٣٥، وتاريخ الإسلام ٦٤/ ٣٧٤، وطبقات السبكي ٨/ ١٣٨، والعقد المذهب لابن الملقن، الورقة ٢٣٠وغيرها.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «التهنئات».

(٤) الطبق: مؤسسة كانت معنية بإدارة دور الضيافة التابعة لدار الخلافة والمخصصة لتقديم الطعام إلى الفقراء في شهر رمضان وغيره، وهي موزعة في محلات بغداد، ولها أوقاف جمة (الجامع المختصر ٢٠).

بُنَيَّ الذي أهْدَت يداي إلى الثَّرى

فيا خَيْبة المُهْدَى ويا حَسْرة المُهْدِي

لقد قَلَّ بين اللَّحْد والمَهْد عَهدهُ

فلم يَنْس عَهْدَ المَهْدِ إذْ ضُمَّ في اللَّحْدِ

وفيها، دخل العَدْل عبدالله بن عبدالرحمن البَرْجُوني خازن المَخْزن إلى حُجْرةٍ له بالمَخْزن ليصلي العَصْر، فطُلِبَ لحاجةٍ عَرَضت، فدخلَ الفَرَّاش إليه، فوجدَه مَصْلوباً، فأخْبَر النُّوابَ بذلك، فوقعَ التَّعَجَبُ من هذه الحادثة، ونُسِبَ ذلك إلى نُواب المَخْزن، لأمر كان قد اطلع عليه منهم، فأُنهِيَ ذلك إلى الخليفة، فأمر باعتبار الخَزْن[1] فأُحْضِرَ عَدْلان واعتُبِرَ باتفاقهما، فلم يَشذ[2] منه مما تضمنه الحِساب شيء، فعند ذلك اتضحَ الأمرُ وزالَ اللَّبْس، وظَهَرت براءة ساحة النواب، وكثر القول فيه، فقيل: إنه كان له جارية أمَ وَلَد، وأنها كانت سيئة العِشْرة غير مَرْضِيّة الحركات، وكان يحبها ولا يمكنه فِراقها، فاختارَ الموت ليتخلص مما كان يُلاقي منها. وكان خَيِّراً ظاهر السُّكون، كثيرَ الوَقَار، قليلَ الكَلام.

وفيها، توفِّي الكمال موسى[3] بن يُونس بن مَنَعَة بن مالك العُقَيْليُّ المَوْصليُّ الفقيه الشافعيُّ. كان عالماً بالأُصول والحِكْمة والمَنْطق،

(١) تحرف في المطبوع إلى: «المخزن».

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «ينشد»، ولا معنى لها.

(٣) التكملة للمنذري ٣/ الترجمة ٣٠٣٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٨٥ وفيهما مصادر جمة عنه، فهو علامة متفنن.

وكـان يُـدَرِّس الفقـه فـي عِـدة مـدارس، ويقـرأ عليـه النـاسُ ويُقْصَـدُ مـن البلاد، تجاوز الثمانين. وكان يقول الشعر، فمما مَدَحَ به بدر الدين لؤلؤاً صاحب المَوْصل من أبيات كثيرة:

لقَدْ زَيَّنَتْ هذي الدنا لك رِقَّها[1] فمملكـةُ الـدُّنيـا بكـم تَتَشَـرَّفُ
بقيت بقـاء الـدَّهـر أمـركَ نـافـذ وسَعْيك مَشْكور وحِلْمك ينصفُ

وانقطع الحج في هذه السنة أيضاً.

وفيها، تُوفِّي أبو الطَّليق مَعْتوق المعروف بابن شُقَيْر المُنْكِر. شَيْخٌ من أهلِ قَرَاح ظَفَر[2]، كان بَقّالاً هُناك يُظْهر الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنْكـر، وإذا بَلَغه أن مَوْضعاً فيـه جمـاعـة مُجتمعين علـى مُنْكِرٍ، مضىَ وأنكر عليهم وأراقه، ولا يُبالي بضَرْبه وإهانته، وإذا رأى أحداً من رؤساء النَّصارى واليهود راكباً أنزله وأهانه، فعل ذلك بالحكيم ابن توما وبولده من بَعْده وبابن كَرَم اليَهُودي. ومضى مَرّة إلى دار أيدغمش زعيم بلاد العِراق حيث وَرَد بغدادَ، وهَجَم عليه وعنده مُنْكر فأراقَهُ

(١) وقع في المطبوع: «لئن زينت لك رقمها»، وكتب ناشره في الهامش: «كذا ما في الأصل وهو غير مستقيم»، كذا قال مع أنها واضحة في الأصل. وفي وفيات الأعيان: «لئن شَرُفت أرض بمالك رقها».

(٢) محلة في شرقي بغداد، تُنسب إلى عَوْن الدين أبي العز ظَفَر بن عبدالله الحَبَشي المستنجدي الأمير. من أهل القرن السادس للهجرة، قال ابن الفوطي في «تلخيص مجمع الآداب» (ج٤ق١ص٩٧٨): «وإليه ينسب قراح ظفر المجاور للظفرية، وكانت مواطن أصحابه وجماعته». وقال ياقوت في مادة (قراح) أنها كانت واحدة من أربع محال باسم قراح «كبار عامرة آهلة كل واحدة منها تقرب أن تكون مدينة وفيها أسواق ومساجد ودروب كثيرة» وأنها كانت ملاصقة لمقبرة باب أبرز، ويوافق موقعها اليوم القسم الشرقي من محلة الفضل قبل اتصالها بمقبرة الشيخ عمر السهروردي.

وكَسر ما حولَهُ فبُهِت له، ولم يُمَكِّن أصحابَهُ من أذاه، فأُخذ إلى دار الوزير[1] وأُنكِرت الحال عليه، وقيل له: هذا جَهْل بالشَّرْع، كيفَ تَقْدم على ما ليس لك فعله، إذا علمت بأمر ارفعه[2] إلينا. ثم وُكِّلَ[3] به أياماً[4] في الحُجرة بباب النُّوبي، فلم يرجع عن ذلك. وأوذي مراراً، وأُحدِرَ إلى واسط وحُبِسَ بها مدة، ثم أُعِيد وأُلْزِمَ المقام بالرِّباط المجاور مشهد عُبيدالله، ظاهر بغداد[5]، وكان يتشيع فلم يزل هناك إلى أن تُوفي.

---

(١) في المطبوع: «الوزارة» وأثبتنا ما في الأصل.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «فارفعه»

(٣) يعني: أوقف.

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «إماماً»!

(٥) هو الرباط المعروف برباط الأصحاب، أنشأته السيدة زمرد خاتون بجوار مشهد عبيدالله العلوي (عند قبر أم رابعة في محلة النصة من محلات الأعظمية اليوم) وتعهدته بالعناية، وسيذكر المؤلف في أخبار سنة ٦٥٠ أنها أعادت تجديده لما أصابه من تلف بسبب الغرق.

سنــة
أربعين وست مئة

في هذه السنة، قَصَدَ الخُوارزمية مدينة حَلَب، واجتمعَ معهم خَلْق كثيرٌ من التُّركمان وغيرِهم، فخرجَ إليهم ألامير لؤلؤ الحَلَبي ومعه عَسْكر حلب، يُساعِدُهُ[1] محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حِمْص والملكُ الصالح إسماعيل صاحب سِنْجار، وولد بدر الدين لؤلؤ صاحب المَوْصل، والتقوا بأرض تعرف بالمجلد، واقتتلوا قِتالاً شديداً، من قُبَيْل الظهر إلى العصر، فانهزم الخُوارزميون وتَرَكُوا نساءهم وأولادهم واثقالَهم، فغنِمها العَسْكر ونزلوا[2] خيامهم واقتَسَمُوا أموالَهم وأولادَهم.

وفيها، وصلَ صاحبُ الديوان فخرُ الدين أبو سَعْد المبارك ابن المُخَرِّمي من واسط والبَصْرة، ومعه من العَيْن نحو مئتي ألف دينار وخمسين ألف دينار.

وفيها، وقَعَ حريقٌ في مشهد سُرَّ مَن رأى، فأتَى على ضَريحي علي الهادي والحَسَن العَسْكري عليهما السلام، فتَقَدَّم الخليفة المُستنصر بالله بعمارة المَشْهد المُقَدَّس والضَّرِيحين الشَّرِيفين وإعادَتِهما إلى أجمل

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «بمساعدة».

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «وتركوا».

حالاتهما.

وكان الضريحان مما أمرَ بعملهما أرْسلان[1] البَسَاسيري الذي خَرَجَ على الخليفة القائم بأمر الله، فأرادَ اللهُ تعالى أن يُنَزهما من مِنَّة البَسَاسيري، فجعل النَّارَ سَبَباً لإزالة اسمِه، وقد قال في ذلك السيد الفقيه جمال الدين أحمد بن موسى بن طاوس الحَسَني كلاماً بديعاً، وجَمَع فيه جزءاً نَظْماً ونَثْراً، منه: لا يَلْزم من الحادث المُتَجدد قَدْح في شَرَف من انضمت هاتيك الأعْواد على مُقَدَّس جُثتيهما، بل قد يكون في ذلك بُرهانٌ واضحٌ شاهِدٌ بجِلالتيهما، لأنَّ رُوحي مَن وَقَعت الإشارة إليهما، خاليةٌ من عَرَصات اللُّحود، ساكنةٌ في حَضْرة الملكِ المَعْبود، والشَّرفُ التام لجواهر النُّفوس دون من عداها عند من يَذْهب إلى وجود مَعْناها. وقد ذُكِرَ في التَّواريخ أنَّ صاعقةً سماويةً نزلت في المسجد الحرام، ولم يَقْدح ذلك في شَرَفه، وللسيدين الطَّاهِرَين صلوات الله عليهما مناقب مذكورة ومَفَاخر مَشْهُورة تحتوي عليها الكُتُب، تَشْهد بحراستهم[2] من الوهن ونَزَاهتهم[3] من الطعن، فمن ذلك ما رواه أبو عمر[4] الزاهد في إخباره عن علي بن الحسين أنّه قال: محمد رسول الله ﷺ الشَّجَرة العالية الكريمة الجليلة المُباركة الطيبة وبنو هاشم

(١) في الأصل: «ألب أرسلان»، وليس بشيء، فهو أبو الحارث أرسلان بن عبدالله البساسيري، كما في المنتظم ٨/ ٢٠١، والعبر ٣/ ٢٢٥، ووفيات الأعيان١/ ١٩٢ وغيرها.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «بحراستهما»

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «ونزاهتهما».

(٤) تحرف في المطبوع إلى: «عمرة»!

أغصانها والحَسَن والحُسين عليهما السلام ثَمَرُتها، ومحبو بني[1] هاشم وَرَقها، فَمَن تَعَلَّق بغُصنٍ من أغصانها، أو شَجَنة[2] من شُجَنِها، أو بورقة من وَرَقها أو استظل بظِلِّها فازَ ونَجا، ومن تَخَلَّف عنها هلكَ، وضَل[3] . وروى عبدالله بن أحمد بن حنبل بإسناد يرفعه[4] : أن النبي ﷺ أخذَ بيد الحَسَن والحُسين فقال: مَن أَحَبني وأحب هَذين وأباهما وأُمهما كان معي في درجتي يومَ القِيامة. ومن ذلك ما رَوَاه أبو إسحاق الثَّعْلَبي[5] في كتاب «كشف البيان»[6] يرفع الحديث إلى جرير بن عبدالله

---

(١) وقع في المطبوع: «ومحبوا بنو»، وليس بشيء.

(٢) الشَّجَنة: الغصن المشتبك.

(٣) قال بشار: هذا حديث منكر جداً لا تصح نسبته إلى النبي ﷺ.

(٤) قال بشار: هو في المسند ١/ ٧٧وهو من زياداته على مسند أبيه، وأخرجه الترمذي (٣٧٣٣)، كلاهما عن نصر بن علي الأزدي الجهضمي، قال: حدثنا علي بن جعفر ابن محمد بن علي، قال: أخبرني أخي موسى بن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي ابن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه رضي الله عنهما، وقال الترمذي: غريب، وقال الذهبي في «الميزان» بعد أن ساق هذا الحديث: منكر جداً ما صححه الترمذي ولا حسنه (٣/ الترجمة ٥٧٩٩)، وقال في السير (١٢/ ١٣٥): «وما كان النبي ﷺ من حُبّه وبَثّ فضيلة الحسين ليجعل كلَّ من أحبهما في درجته في الجنة». (وانظر ضعيف الترمذي للعلامة الألباني (٧٨٠)).

(٥) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧صاحب كتاب «عرائس المجالس في قصص الأنبياء» (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٣٥).

(٦) قال بشار: هكذا في الأصل والمعروف: «الكشف والبيان في تفسير القرآن»، ولم يطبع بعد، ومنه نسخ كثيرة. وقال ابن الجوزي في هذا التفسير: «ليس فيه ما يعاب به إلا ما ضمنه من الأحاديث الواهية التي هي في الضعف متناهية». وقال الإمام ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير (٧٦): «والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، ولكنه كان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع». قلنا: وهذا الذي ساقه منه لا يشك أنه موضوع مختلق.

البَجَلي، قال: قال رسول الله ﷺ: مَن ماتَ على حُب آل محمد ماتَ شَهِيداً، ألا[1] ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مُسْتكمل الإيمان، ألا وَمن مات على حُب آل محمد بَشَّرهُ مَلَكُ الموت بالجنَّة، ثم مُنْكر ونكِير، ألا وَمن مات على حُب آل محمد يُزَف إلى الجَنَّة كما تُزَف العَرُوس إلى بيْت زَوْجها، ألا وَمن مات على حُب آل محمد جَعَلَ الله زُوَّار قَبْره الملائكة بالرحمة، ألا ومَن مات على حب آل محمد مات على السُّنَّة والجَمَاعة، ألا ومن ماتَ على بُغْض آل محمد جاء يوم القيامة مَكْتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله، ألا ومن ماتَ على بُغْض آل محمد لم يشم رائحة الجنة[2] .

هم مَعْشَرٌ حُبُّهم دينٌ وبُغضهمُ ... كُفْر وقُربهم مَنْجَى ومُعْتَصَمُ
يُسْتَدفع السُّوء والبَلْوى بحبهمُ ... ويُسْتَرَبُّ[3] به الإحسانُ والنِّعَمُ
مُقَدَّمٌ بعد ذِكْر الله ذكرهمُ ... في كل بِر ومَخْتومٌ به الكَلِمُ
يأبَى لهم أن يحل الذَّمُّ ساحتهمْ ... خِيمٌ كريم وأيدٍ بالنَّدى هَضم

وفيها، كَثُر الموتُ والمَرَض في بغداد وسَوَادها، وغَلا السُّكّر وكل ما يَحْتاج المَرْضى إليه، وحُكِيَ أن تُركياً عاد خُسْتاشاً[4] لَهُ وباتَ عِنْده، فمات العائدُ وفرسُه.

وفيها، أتى سَيْلٌ عظيمٌ من غَيْثٍ وقعَ فوق تكْريت في موضعٍ

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) قال بشار: هذه ألفاظ في غاية النكارة، لا أصل لها في كلام رسول الله ﷺ.

(٣) اي: يستزاد ويستكثر.

(٤) الخستاش: المريض بلغة أتراك ذلك الوقت أو عوام بغداد.

يُعرف بدرب سِنْجار فدخلَ تكْريت، وهَدَمَ بها دُوراً كثيرة، وسَقَط حَمَّامٌ على جماعةٍ كانوا به فهلكوا جَميعاً.

ذكر وفاة الخليفة المُسْتَنصر بالله

ابتدأ المرضُ بالخليفة المُسْتَنصر بالله أبي جعفر المنصور ابن الخليفة الظَّاهر بأمر الله أبي نصر محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله في حادِي عشر جُمادى الأُولى. وكان أصله هَوَاء وَتَعْقبه حُمَّى، ثم فارقت، واعتَدَى[1]، فعاودت وانتكس، فتُوفِّي بكرة الجُمعة عاشر جُمادى الآخرة، عن إحدى وخمسين سنة وأربعة شهور وسَبْعة أيام، وكُتِمَ موته إلى ليلة السبت حادي عشر الشهر، ودعي له يوم الجمعة على المنابر[2]، وغَسّله نَقيب النُّقباء أبو طالب الحُسين ابن المُهتدي بالله، ودُفن في الدار المثمنة[3] بدار الخلافة على شاطىء دجلة. وكانت مدة ولايته ست عشرة سنة وعشرة أشهر وسبعة وعشرين يوماً.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «واعتدل». واعتدى، يعني: تَعَدَّى، وهو من استعمالات ذلك العصر.

(٢) قوله: «إلى ليلة السبت حادي عشر الشهر، ودعي له يوم الجمعة على المنابر» سقط كله من المطبوع.

(٣) الدار المُثَمَّنَة: من قصور الخلفاء في دار الخلافة العباسية، أنشأها المسترشد بالله سنة ٥١٨هـ (المنتظم ٩/٢٤٩-٢٥٠) وكان موقعها تحت قصر التاج (مرآة الزمان ٨/١١٣) وربما وافق هذا الموقع اليوم مبنى غُرفة تجارة بغداد أو ما حوله. وهذه الدار هي التي نزلها هولاكو مدة احتلاله بغداد (رشيد الدين: جامع التواريخ ١/٢٩١ وقد تحرف فيه اسمها إلى الميمنية).

وكان جميلَ السيرة حَسَن السَّريرة، عادلاً في الرَّعية، مُكْرِماً للعلماء، أنشأ المدارس والرُّبط والمَساجد والجوامع والخانات للسَّابلة، وخَلَّف من الأولاد ثلاثة وهم: أبو أحمد عبدالله المستعصم الذي أفضت الخلافة إليه، وأبو القاسم عبدالعزيز لأُمٍ واحدة، وكريمة من أم أخرى. ولم يَسْتوزر في مدة خلافته وزيراً، بل أقر محمد بن محمد القُمّي على نيابة الوزارة إلى أن عزلهُ، واستناب نصيرَ الدين أبا الأزهر أحمد ابن الناقد نقْلاً من أستاذية الدَّار إلى آخر أيامه.

وقَلَّد نقابةَ العباسيين مجد الدين أبا القاسم هبة الله ابن المَنْصوري، فلما تُوفِّي قَلَّد بعده بهاءَ الدين أبا طالب الحُسين ابن المُتْهدي بالله إلى آخر أيامه. وقَلَّد نقابة العلويين قوامَ الدين أبا علي الحَسن بن مَعَد المُوسوي، ثم عزلَهُ، وقَلَّد بعده قُطبَ الدين أبا عبدالله الحُسين ابن الأقساسي إلى آخر أيامه.

واستقضَى عمادَ الدين أبا صالح نصر بن عبدالرزاق بن عبدالقادر، ثم عزلَهُ، واستنابَ في القضاء شهابَ الدين أبا المناقب محمود بن أحمد الزَّنْجاني، ثم عزله، وقَلَّدَ القضاء عماد الدين أبا المعالي عبدالرحمن بن مُقْبِل الواسطي، ثم عزَلَهُ، واستقضَى كمالَ الدين أبا الفضل عبدالرحمن بن إسماعيل ابن[1] اللَّمْغاني إلى آخر أيامه.

وأقرَّ في أستاذية الدار عَضُدَ الدين أبا نصر المُبارك بن الضحاك إلى

---

(١) سقطت من المطبوع.

أن تُوفي، ووَلَّى بعدَه وكيلَه نَصير الدين[1] أبا الأزهر أحمد ابن الناقد، إلى أن نَقَلَهُ إلى نِيابة الوزارة، ثم وَلّي مُؤَيَّد الدين[2] أبا طالب محمد ابن العَلْقَمي إلى آخر أيامه.

وأقرَّ على صدرية ديوان الزِّمام تاج الدين أبا الحسن علي ابن الأنباري، إلى أن تُوفِّي، فَوَلَّى عوضه تاجَ الدين أبا منصور مُعَلَّى ابن الدّباهي نقلاً من صَدْرية المخزن، إلى أن[3] توفِّي في إرْبل، ووَلَّى عوضه فخرَ الدين أبا سَعْد المُبارك بن يحيى ابن المُخَرِّمي، نَقْلاً من صَدْرية المخزن.

وكان الأُمْرُ في عَسَاكره وأجناده وقُوَّاده إلى شرف الدين إقبال الشَّرابي إلى آخر أيامه.

ولم يول كاتباً للإنشاء في الديوان، لأن مؤيد الدين أبا الحَسن محمد بن محمد القُمِّي، كان مُخاطباً بولاية ديوان الإنشاء، ثم صار ينوب في الوزارة فجعل بين يديه النَّجيب[4] ابن الأستاذ يستعين به إلى أن عُزِلا مَعاً. فلما استوزر نصير الدين ابن النّاقد، تولَّى الأُمور بنفسه، ورَتَّبَ بين يديه كاتباً العَدلَ ناصر بن رشيد الحَرْبيَّ[5] ، ثم بعده الجَمَال عبدالله بن جعفر، ثم العَدْل أبا المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «شمس الدين».
(٢) في المطبوع: «ثم ولي بعده مؤيد الدين»، ولفظة «بعده» لا أصل لها.
(٣) سقطت من المطبوع.
(٤) تصحف في المطبوع إلى: «الحبيب».
(٥) تحرف في المطبوع إلى: «المخرمي».

إلى آخر أيامه.

خلافة المستعصم بالله

هو أبو عبدالله ابن الخليفة المُسْتَنصر بالله. لما تُوفِّي والده المُستنصر بالله يوم الجُمُعة عاشر جمادى الآخرة، استدعاه شرفُ الدين إقبال الشَّرابي من مَسْكنه بالتاج[1] سِراً من باب يُفْضي إلى غُرفة في ظهر داره، فحضرَ ومعه خادمه مُرْشد الهِنْدي، فَسَلَّم عليه الشَّرابي بالخَلافة، وأجْلَسَهُ على سُدَّة الخلافة، بعد أن شاهدَ والده مُسَجى، وكُتِمَ موتُه، فلم يعلم به إلا بعض الخدم. فلما حضر أستاذ الدار مؤيد الدين أبو طالب محمد ابن العَلْقَمي مُؤَذِّناً بالأذان قبلَ صلاة الجُمُعة جَرْياً على العادة، أُسِرَّ إليه ذلك واستُكْتِم. ثم عُرِّف الوزير نصيرُ الدين ابن الناقد أيضاً، وكتم الأمر إلى ليلة السبت حادي عَشر الشهر، ثم استُدعي الوزير فدَخَل من باب الدار الأمير علاء الدين ألطبرس[2] الظَّاهري الدُّويدار، مُقابل دار الوزارة، فحضرَ في مَحَفَّةٍ لعجزه عن المَشْي، وأُحْضِرَ أستاذ الدار أيضاً، فمثلا بين يديه، وكتب عدة ألقاب

---

(١) هو المقر الرسمي للخلفاء العباسيين في بغداد، وضع أسسه المعتضد (٢٧٩-٢٨٩) وأتم بناءه ابنه المكتفي (٢٨٩-٢٩٥)، ثم أعاد بناءه بعد حريق شب فيه، المستضيء سنة ٥٧٤. وشهد القصر توسعات جمة في تاريخه الطويل، قال ياقوت واصفاً هذا القصر الفخم: «وأما صفة التاج فكان وجهه مبنياً على خمسة عقود كل عقد على عشرة أساطين خمسة أذرع». قلنا: ويوافق موقعه اليوم منتصف شارع المستنصر، على شاطىء دجله، إلى الشمال من مبنى غُرفة تجارة بغداد.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «الطبرسي».

فوقعَ تعيين الوزير بإذن الخليفة على «المستعصم بالله»، ثم أُحضر عمه أبو الفُتوح حَبِيب فبايَعه، وأُحضر بعده عشرة من أولاد الخُلفاء فبايعوه، ثم بايعه الوزير وأستاذ الدار، ثم بايعه أعمامه وهم: أبو المظفر الحَسَن ويُعرف بالتُّركي، وأبو القاسم علي ويعرف بالسَّبْتي، وأبو الفضل سُليمان ويعرف بالحاج، وأبو هاشم يوسفُ، وولدا عمِ أبيه وهما: المُؤيد أبو عبدالله الحُسين والموفق أبو علي يحيى وَلَدَا أبي الحسن علي ابن الخليفة النَّاصر لدين الله[1] . ثم تقدم بتعيين الأُمراء لحراسة البلد. وتُقُدِّم إلى جميع الأمراء من الشاميين والغُرباء أن لا يركب أحد منهم ولا يخرج من داره. فأصبح الناسُ يوم السبت فشاهدوا أبواب دار الخلافة مُغْلَقة وهي: باب النُّوبي والعامة والمَراتب، وقد أُمِرَ عبداللطيف بن عبدالوهاب الواعظ، أن يُشْعِرَ النَّاسَ بوفاة الخليفة المُسْتَنْصر بالله وجُلوس ولده المُسْتَعصم بالله، بما صورته: «أيها النَّاس إن إمامكم المُستنصر بالله أمير المؤمنين قد دَرَجَ إلى رحمة الله تعالى، وقد بُويع ولدهُ سيدُنا ومولانا الإمام المُسْتَعصم بالله أبو أحمد عبدالله أميرُ المؤمنين أيَّد الله تعالى به الدِّين وجعلَ أيالته مُباركة على كافة

---

(١) لا يشك متتبع لسير هذه الطريقة في إخفاء وفاة المستنصر ومبايعة المستعصم بهذه السرية والهيئة، أنه إنما أريد تولية هذا الضعيف، قال ابن واصل بعد أن مدح الخليفة المستنصر واستخدامه العساكر العظيمة: «وكان له أخ يقال له الخفاجي فيه شهامة زائدة، كان يقول: إن وليت لأعبرن بالعساكر نهر جيحون، وآخذ البلاد من أيدي التتار استأصلهم. فلما مات المستنصر لم ير الدُّويدار ولا الشَّرابي تقليد الخفاجي خوفاً منه، وأقاما أبا أحمد للينه وضعف رأيه، ليكون لهما الأمر، لينفذ الله أمره في عباده» (تاريخ الإسلام ٦٤/٤٢٨-٤٣٠).

المُسلمين».

ثم استدعي إلى دار الوزارة المَدرسون ومشايخ الرُّبط والولاة والزعماء[(١)] وأعيانُ النَّاس، وفُتِحَ باب العامة، فدخلَ منه من استُدْعيَ للدخول، ومضوا إلى بُسْتان التاج وعليهم ثياب العَزَاء، فبايعوا على اختلاف طَبَقاتهم وتفَاوت دَرَجاتهم. وكان جلوسه في شُبَّاك القُبّة، وعليه البُرْدة والطَّرْحة والقَضِيبُ بيده، وقد نُصِبَ تحت الشُّبّاك كُرْسي ذَو دَرَج يرقَى النَّاسُ عليه، للمبايعة. وكان الوزيرُ جالساً على أرفع درجة لعجزه عن القيام، وأستاذ الدار قائمٌ دونه بمرقاةٍ يأخذ البَيْعة على النَّاس ويُلَقنهم لَفْظ المُبايعة. ثم أُسبلت الستارة وانفصَلَ[(٢)] الناسُ، وكانت الحالُ ساكنة والناس على أشغالهم. ثم جلسَ في اليوم الثاني، فدخلَ كافة الأُمراء والمماليك وبايعوه. وفي اليوم الثالث كانت البيعة العامة، حَضَرها مَن تَخَلَّف من الأُمراء والغُرباء وضُروب النَّاس كالتجار الغُرباء، وغيرهم، ثم أُوقفوا[(٣)] صُفوفاً بين يَدَي الشُّباك، وبين أيديهم العارِضان تاجُ الدين الحَسَن بن المُختار العَلَوي، وفخر الدين أحمد ابن الدَّامغاني ومُقَدَّما البَدْرية داود وحُسين، ووَقف أرباب الدولة عن يمين المِنْبر ويساره فلما رُفِعت الستارة، قَبَّل الجمعُ الأرض. وفي هذا المجلس أُحْضِرَ أقْضى[(٤)] القُضاة كمال الدين أبو الفضل عبدالرحمن

---

(١) قوله: «والولاة والزعماء» سقطت من المطبوع.
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «وانفض».
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «أنهم وقفوا».
(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «قاضي».

ابن اللَّمْغاني، ونقيب العباسيين العَدْل بهاء الدين أبو طالب الحُسين ابن المُهتدي بالله، ومدرس النظامية العَدْل نجم الدين أبو محمد عبدالله البَادَرَائي، وأَقَرَّ الجميعَ على أشغالهم شافَهَهُم بذلك، ثم أشْهَدَهُم على نفسه، أنه قد وَكَّلَ وزيرَهُ نصيرَ الدين أبا الأزهر أحمد ابن الناقد. ثم أُحْضِرَ المحتسب جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، وأُمِرَ أن يقرأ بأرفع صَوْته[1]، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح] . ثم أُمِرَ الناسُ بالخروج، ومضىَ الوزير وأستاذ الدار وأرباب الدولة ونَفَرٌ يسيرٌ من الأعيان إلى بيت النَّوبة، وجُعِلَت محفة الوزير بباب الرِّواق وهو جالس فيها، وجَلَس أربابُ الدولة حوله، وقُرِئت الخَتْمة، وقرأ القُرّاء، وأوردَ جمالَ الدين ابن الجوزي فَصْلاً يشتمل على عزاء وهناء، أوله: «ما لليل والنهار لا يتعذران وقد عظم حادثهما، وما للشمس والقَمرَ لايخسفان وقد فقد ثالثهما:

أيا قمراً قد غاب عنا محياه فلسنا بهذي الدار نأمل رؤياه

أما البدر يخفى ليلتين فما لنا تمر ليالينا ولا نَتَرَاآهُ

ثم وَعَظَ وأنشدَ قصيدةً، وأنشدَ الشُّعراء بعده، فلما فرغوا خرجَ الشَّرابي وبين يديه جَمْع من الخَدم، وبيده مُطالعة في كيس حرير أسود، فناوله للوزير وجلسَ إلى جانبه، فقرأها فلم يرتفع صوته،

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «ضورته».

فناولها أُستاذ الدار فقامَ وقرأها، ومضمونها: التأسي والتسلي وأمْر الوزير بأن يَنْهض إلى الديوان، ويأمر نُواب الأعمال بالعَدْل والأنصاف، ثم إزالة ما أحدثه عُمال السّوء من المَكُوس والتقسيطات والمؤن والتأويلات[١] . فنهضَ الوزيرُ وخرجَ والجماعةُ في خدمته، واستصحبَ حاجبَ باب النُّوبي تاج الدين ابن الدَّوامي إلى داره خَوْفاً عليه من العوام، لكونه كان[٢] يتولى أخذ المؤن والنُّواب فيها من قِبَله وفي أيامه حدثت، وتُقُدِّم بإنفاذ الأمير فلك الدين محمد بن[٣] سُنْقر الطَّويل لحراسة داره بدرب الدواب، فَمَضى إليها واحتاط عليها من جميع جهاتها، ظناً منه أنّه قد قُبِضَ عليه، وبالغ في إزعاج أهْله وأصحابه وخاطب ولدَهُ مُخاطبة مَن قد قُبِضَ عليه، فما أحس إلا وقد خرجَ حاجب الباب من دار الوزير راكباً وحوله غِلْمانه وأتباعه فلما رآه بُهِتَ خَجَلاً مما صدرَ منه، فَنَفَّذَ حاجبُ الباب ولَدَهُ إلى الوزير ينهي ذلك، فَنَفَّذَ في الحال إليه حاجب المجلس تاج الدولة يحيى بن أبي الرشيد يُنْكر على الأمير فَلَك الدين ما فعله، وقال له: إنك إنما أُنْفِذتَ إنعاماً في حقه وحِراسة لداره من العوام، وأمَرَهُ بالانفصال فركبَ ومضى.

وفي هذا اليوم، تقدم الخليفة بإحضار شيخه العَدْل شمس الدين علي بن النيار فحضرَ عنده فأكرمه وسَلَّم إليه خزانة الكتب التي

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «الباولات»، ولا معنى لها، وكتب ناشره: «كذا ما في الأصل» كأنه يشير إلى النسخة الحديثة، لا إلى هذه النسخة.

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) سقطت من المطبوع.

لخاصه[1] وأمره بالتَّرداد والمُلازمة. ثم أمَرَ بالاهتمام في أُمور الحج وكان مُنْقطعاً منذ سنة أربع وثلاثين، وتَقَدَّمَ بالإفراج عمن كان مَحْبوساً بحبس الجرائم، وليس قبله حَد شَرْعي.

وفي يوم الجمعة سابع عشر جُمادى الآخرة، تُقُدِّمَ إلى كافة أرباب المناصب والولايات والأُمراء الكِبار بالرُّكوب إلى جامع القَصْر، فحضروا دارَ الوزير أولاً، ثم توجهوا إلى الجامع وصَلَّوا داخل الحَطِيم[2] ، وأعفيَ الوزير من الحُضور لعجزه. وخطبَ نقيب النقباء بهاء الدين الحُسين ابن المُهْتَدي، ونُثِرَ عند ذكر اسم الخليفة ألف دينار وألف درهم، عليها اسمه، تَوَلَّى نثار ذلك بَشِير السِّتْري، وصعد معه علمُ الدين أبو جعفر ابن العَلْقَمي أخو أستاذ الدار. ونُفِذَ إلى جامع المنصور، وجامع المَهْدي بالرُّصافة، وجامع السلطان، وجامع فخر الدولة بن المطلب، وجامع بَهْليقا[3] ذهبٌ ودراهم، نُثِرَ ذلك عند ذكر اسم الخليفة، وكان مبلغ ما نُفِذَ إلى كال موضع خمس مئة دينار

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «الخاصته».

(٢) موضع بجامع القصر، كأنه اتخذ اسمه من حطيم مكة المشهور، لا نعرف عنه شيئاً، سوى أنه مكان يصلي به كبار رجال الدولة.

(٣) هو جامع العقبة بالجانب الغربي الذي وَسّعه عمر بن بهليقا الطحان المتوفى سنة ٥٦٠هـ، قال ابن الجوزي (المنتظم ١٠/ ٢١٢): «كان مسجداً لطيفاً فاشترى ما حوله وأوسعه وسَمت همته حتى استأذن أن يجعله جامعاً، فأُذن له إلا أن أكثر المواضع التي اشتراها كانت تُرباً فيها موتى فأُخرجوا وبيعت، وكان المسجد الأول مما يلي الباب والمنارة» وذكر أنه دُفن على باب الجامع المذكور، ثم أُخرج بعد أيام ليدفن ملاصقاً لحائط الجامع. والعقبة المذكورة هي محلة الشيخ بشار الحالية.

وخمس مئة درهم. وذكر الخُطباء الأمر بالحج ورَغّبوا فيه، وعَرّفوا الناسَ أنه قد وقعَ الشروع في أسبابه.

ذكر مَن حَضَر للعزاء والهناء

في ثامن جُمادى الآخرة، وصلَ رُكن الدين إسماعيل ابن بدر الدين لؤلؤ صاحب المَوْصل، وركن الدين يومئذ صاحب سِنْجار، فخرج إلى لقائه الأُمراء وعارضُ الجَيْش، فسلَّموا عليه ظاهر[1] البَلَد، فدخل وعليه ثياب العَزَاء وقَبَّلَ العَتَبَة بباب النُّوبي، ودخل دار الوزارة، فخدم وعَزَّى وهَنّأ، ثم خرجَ ومضى إلى دارٍ أُسْكِنَ[2] بها بدرب صالح[3].

ووصل في رابع عِشْري[4] الشهر، رسولٌ من بدر الدين لؤلؤ، ومعه تعزية وتهنئة وثَوْبان أطلس وألفا[5] دينار برسم الغاسِل.

وفي رجب، وصل نور الدين أرْسلان شاه بن زنكي صاحب شَهْرَزُور، وعليه ثياب العَزَاء ودخل دار الوزارة، وفعل كما فعل مَن

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «بظاهر».

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «سكن».

(٣) لم نقف على موضع هذا الدرب، ولكن يفهم من ترجمة محمد بن جعفر بن دُلف التي أوردها ابن الدبيثي في تاريخه (ج١ص١٩٩بتحقيق بشار عواد معروف، بغداد ١٩٧٤) أنه كان معدوداً من محلة سوق الثلاثاء إذ قال في تلك الترجمة «من أهل درب صالح وسوق الثلاثاء». ومن المعلوم، بحسب علم خطط بغداد، أن المنطقة الواقعة خارج باب النُّوبي كانت تعد جزءً من سُوق الثلاثاء.

(٤) تحرف في المطبوع إلى: «عشر».

(٥) تحرف في المطبوع إلى: «ألف».

تَقَدَّم، وأُسكن دار مَعد الموُسوي بالمُقتدية. ولما غُيِّرت ثياب العزاء على ما نذكره، خُلِعَ على الجماعة وتوجهوا إلى بلادهم.

ذكر تغيير ثياب العزاء

في ثاني عشر[1] شهر رجب، نُفِذَ تشريف[2] الوزير نصير الدين أبي الأزهر أحمد ابن الناقد في ثلاث جُوَن صُحبة عُمر بن جَلْدك، وحضرَ معه بَشِير السِّتْري الظاهري أحد الخدم فَلَبَّسَهُ الخِلْعة، ثم استُدعي الأمير مُجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير المُستنصري، فحضرَ، ودخل راكباً على جاري عادته إلى باب الأتراك، ومضى إلى باب الحُجرة، وشُرِّفَ في الموضع الذي جرت عادة أمير الحج أن يُشَرَّف فيه. فلما خرج متوجهاً إلى[3] داره، استدعي الأمير علاء الدين ألطبرس[4] الظاهري وهو الدويدار الكبير إلى البدرية، وجلسَ في الشريجة ساعة، ثم استُدعي إلى مَوْضعٍ خُلِعَ عليه، وخرجَ متوجهاً إلى دار الخلافة من باب الحُرَم ونزل عن مركوبه في باب الباتني[5] وهو أول من اجتاز في البلد بخلعة في هذا اليوم. ثم استُدعي مؤيد الدين ابن العَلْقَمي أستاذ الدار إلى دار الوزارة، وكذلك فخر الدين أبو سعد المبارك ابن المُخَرِّمي

---

(١) سقطت من المطبوع.
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «مشرف»، ولا معنى لها.
(٣) سقطت من المطبوع.
(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «الطبرسي».
(٥) تقدم ذكر هذا الباب.

صاحب الديوان، وفخر الدين محمد بن أبي عيسى، ونقيب الطالبيين قُطب الدين الحسين ابن الأقساسي، ثم أقضى القضاة كمال الدين عبدالرحمن ابن اللَّمْغاني، ونقيب العباسيين بهاء الدين ابن المُهتدي، وحاجب باب النُّوبي تاج الدين علي ابن الدَّوامي، ومُشرف الديوان قوام الدين علي ابن الشَّاطر، والعارضان تاج الدين الحَسن بن المختار، وفخر الدين أحمد ابن الدَّامَغاني وخُلِعَ على الجميع. ثم استُدعي الأمراء كشمس الدين قَيْران الظاهري وحُسام الدين أبي فراس بن جعفر ابن أبي فراس، وعلاء الدين ألدكُز الناصري، وشهاب الدين سُلَيْمان[1] شاه بن بَرْجَم وغيرهم، فخُلِعَ عليهم، وتُقُدِّمَ إليهم بأن يقصدوا باب الحُرَم ويدخلوا إلى باب البُسْتان[2]، يترقبون خروج شرف الدين إقبال الشَّرابي، ثم خُلِعَ على الشَّرابي في حضرة الخَليفة، وقَلَّده سيفين بيده، وقُدِّم له مركوب من خَيْل الخليفة في البُسْتان، فخرجَ راكباً وبين يديه الخَدَم بسيوف مشهورة، فخدمه الأُمراء ومشوا بين يدي مَرْكوبه، فخرج من باب النُّوبي، فلما انتهى إلى باب البَدْرية،

(١) تحرف في المطبوع إلى: «سَلْمان».

(٢) باب البستان: لم نقف على تعيين موضع هذا الباب، وفي «تلخيص مجمع الآدب» (ج٤ق١ص٩٩٢) إشارة إلى دفن أحدهم «بباب البستان الكبير» وفي تاريخ ابن الدبيثي زيادة توضح موقعه تفيد بأنه مُقابل الزَرَّادين بالمأمونية». وقال العلامة مصطفى جواد رحمه الله: ومقبرة الزرادين هي مقبرة الشيخ سراج الدين الحالية عند الصدرية. قلنا: والذي نفهمه من نص المؤلف المذكور أن باب البستان كان مما يلي باب الحُرَم، من أبواب سور حريم دار الخلافة، فإن كان المقصود هنا هو باب البستان الذي ذكره صاحب «مجمع الآداب» فيكون قد تحقق عندنا موضع باب الحرم أيضاً القريب منه كما يظهر.

استأذنه علاء الدين ألطبرس[1] الدويدار، وكان راكباً في آخر الأمراء، في العَوْد إلى داره فأذن له وللأمراء، فنزلَ علاءُ الدين وعضده وقَبَّلَ يَدَهُ وعادَ. ثم استمرت الخِلَع في دار الوزير إلى آخر النهار على النُّواب والكُتَّاب والحُجاب والحواشي، ثم نُفِذَت الخِلَع إلى ولاة الأطراف، إلى بدر الدين سُنْقرجا زعيم خُوزستان، وصدرُ ديوانها قوام الدين عليّ بن غَزَالة، وإلى صدر إرْبل تاج الدين محمد بن الصَّلايا العلوي، ودزدار قَلْعتها، وإلى زَعيم تكْريت نور الدين ألدكُز، وزعيم دَقُوقا قطب الدين سَنْجر السُّنقري، وإلى ابن المرتضى ناظر الحلة، وابن حُسين ناظر الكوفة.

ذكر واقعة الأتراك

في[2] شعبان، حضر جماعةُ المماليك الظاهرية والمُستنصرية عند شرف الدين إقبال الشَّرابي، للسلام على عادتهم، وطلبوا الزيادة في معايشهم وبالغوا في القَوْل وألحوا في الطلب، فَحَرِدَ[3] عليهم، وقال: «ما نزيدكم بمجرد قولكم، بل نزيد منكم من نزيد إذا أظهر خدمة يستحق بها». فنفروا وخرجوا على فورهم إلى ظاهر السُّور، وتحالفوا على الاتفاق والتعاضد. فوقعَ التعيين على قبض جماعةٍ من أشرارهم

---

(١) تحرف في المطبوع إلى: «الطبرسي».
(٢) في المطبوع: «وفي»، والواو زائدة.
(٣) تصحفت في المطبوع إلى: «فجرد»، ولا معنى لها، وحَرِدَ: غضب.

فقُبِضَ منهم اثنان وامتنع الباقون، وركبوا جميعاً وقصدوا باب البَدْرية ومنعوا الناسَ من العُبور، فخرجَ إليهم مُقَدَّم البَدْرية، وقَبَّح[1] لهم هذا الفعل، فلم يلتفتوا إليه، فنَفِذَ إليهم سَنْجر الياغز، فسألهم عن سبب ذلك، فقالوا: «نريد أن يخرج أصحابنا وتُزَاد معايشنا»، فأنْهَى سَنْجر ذلك إلى الشَّرابي، فأعاد عليهم الجواب: إن المَحْبوسين ما نخرجهم[2] وهم مماليكنا نعمل بهم ما نريد ومعايشكم ما نزيدها فمن رضي بذلك يقعد ومن لم يرض وأراد الخروج من البلد فنحن لا نمنعه. وطالَ الخطاب في ذلك إلى آخر النهار، ثم مضوا وخرجوا إلى ظاهر البلد؛ فأقاموا هناك مُظْهرين للرحيل، فبقوا على ذلك أياماً، فاجتمع بهم الشيخ السبتي الزاهد، وعَرَّفَهم ما في ذلك من الإثم ومُخالفة الشرع، فاعتذروا، وسألوه الشَّفاعة لهم وأن يُحْضِر لهم خاتم الأمان ليدخلوا البَلَد، فحضرَ عند الشَّرابي وعَرَّفه ذلك، وسأله إجابة سؤالهم، فأخرجَ لهم خاتم الأمان مع الأمير شمس الدين قَيْران الظاهري، والشيخ السَّبْتيَ، فدخلوا والشيخ راكب حماره بين أيديهم، وحضروا عن الشَّرابي مُعْتذرين، فقبل عُذْرهم، وكان مدة مقامهم بظاهر[3] السور سبعة أيام.

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وفتح»!
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «نخرجهما».
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «بظهر».

ذكر ركوب الخليفة

في يوم الخميس، خامس عشر شهر رجَب، ركب المستعصم بالله في شُبَّارةٍ ومعه شرف الدين إقبال الشَّرابي وعز الدين مُرْشد الهِنْدي المُستعصمي وأصْعد في دجلة إلى مَشْرعة الكرخ، وعادَ مُنْحدراً إلى باب الأزج، ثم عاد إلى داره. ثم ركب يوم السبت سابع عشر الشهر على الخَيْل، وتَقَدَّم إلى جميع مَن كان يركب مع والده بالركوب معه، وقصد دار الحريم ودخل الرِّباط[1]. ثم تكرر ركوبه فلم يدع صالحاً ولا وَلِياً إلا زاره، وقصدَ مَشْهده، ولا رِباطاً منسوباً إليهم ولا مدرسة إلا و[2] تَرَدَّد إليه وشاهدَهُ. وقصدَ المدرسة المُستنصرية يوم الجُمُعة سابع شعبان ومعه الشيخ شمس الدين علي ابن النَّيَّار واعتبرَ خزانة الكتب التي بها، وأنكرَ عدم تَرْتيبها، ووَكَّلَ بالنُّواب يومين، ثم أُفرِجَ عنهم. وفي ذي القِعْدة ركب إلى المُحَوَّل[3] ودخل السَّمَكة وهو بُستان للشرابي.

---

(١) هو من عمارات الخليفة الناصر لدين الله (مرآة الزمان ٨/ ٦٣٧).

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) المُحَوَّل: ذكر ياقوت أنها بليدة حسنة طيبة نزهة كثيرة البساتين والفواكه والأسواق والمياه في الجانب الغربي، بينها وبين بغداد فرسخ (معجم البلدان). وآثارها باقية إلى اليوم يمكن مشاهدتها عند التلول الكبيرة المعروفة اليوم باسم المضيق الواقعة على الطريق بين بغداد وأبي غريب على بعد زهاء ستة كيلومترات من جسر الخر، على ما ذُكِرَ في «دليل خارطة بغداد ٧٤».

ذكر نَقْل المُسْتنصر بالله من مَدْفنه بدارالخلافة إلى التُّربة بالرُّصافة

في ليلة حادي عِشْري[1] شعبان، أرادوا نَقْله، فهبت ريح عاصِف[2] مَنَعت من ذلك، فقال جمال الدين أبو الحسن علي المُخَرِّمي ارتجالاً:

تَحَرَّكت الرِّياح الهُوج لما ... أرادَتْ كعبُة الجود ارتحالا
وقالت: مَن يُعَلّمني سَخاء ... أهب به ويغمركم نَوَالا؟
فقلتُ لها: خليفتُهُ المُرَجَّى ... إمامُ العَصْر، فانقلبت شمالا

فَنُقِلَ في ليلة السبت ثان عِشْريه إلى موضعٍ كان قد أعَدَّه لنفسه مَدْفناً، وبَنَى عليه قُبّة، وكان صورة نقله: أن تُقُدِّم إلى كافة الزعماء ما عدا أصحاب المشاد والمماليك، وكافة مشايخ الرُّبط والصُّوفية والفُقَهاء والمدرسين، ما عدا مدرسي المستنصرية والنِّظامية، بالتوجه على الطَّريق[3] ، إلى مَشْرعة الرُّصافة، وتُقُدِّم إلى من عَدَاهم أن يقصدوا دار الخلافة بغير تَطْريق[4] ، وأن يَرْفع القُضاة والمُدرسون الطَّرحات والعُدُول الطَّيالسة، وأرباب الغُرَر غُررهم[5] ، وأصحاب المشَاد مَشادهم، ويَرْكب الزُّعماء بالأقبية البيض والسَّرابيش، وأرباب الدولة

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «عشر».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «عاصفة».
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «طريق».
(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «الطريق»، ولا معنى لها.
(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «العذر عندهم»، ولا معنى لها.

كـل واحـد منهم بقَميـص أبيض وبقيـار أبيض مسكـن وغـاشيـة مـد[1] ، فـركبوا وقَصَـدوا دار الوزارة، مـا عـدا مجاهـد الـدين الـدّويـدار الصغير وعلاء الديـن الـدويـدار الكبير، وأستاذ الدار مؤيـد الـدين محمـد ابـن العَلْقَمي. فـلما تَكَمَّل مَن عَدا هؤلاء في دار الوزارة، تُقُدِّم إليهم بقَصْد دار الخلافة والدُّخول بباب عُلَيَّان إلى صَحْنَ السَّلام، فمضوا إلى[2] هناك قُبيل[3] غروب الشمس. وأما الوزير ابن الناقد فإنه خرج في محفة ودخل من باب البـاتنـي[4] ، ثـم قَصَـد هـؤلاء كلُّهـم دجلـة، فخـرج الصُّندوق الـذي فيه الخليفة، فلما عاينوه قَبَّلوا الأرض، وأعلنوا بالبُكاء، ثـم حُطَّ في شُبَّارة طويلة، بجذف فيها خمسة عشر مَلَّاحاً، في صَدْرها قُبَّة مُجَلَّلة بسجاف أَطْلَس أسود، ونزلَ فيها الشَّرابي وأُستاذ الدار وابن دُرَّة المِعْمار، فوقفوا بين يدي الصُّنْدوق، ولم ينزل الوزير لعجزه عن القيام، ونزلَ جميع أرباب الدولة والأمراء في سُفن قياماً، بين أيديهم شُموع كَبيرة، فلما وَصَلُوا إلى مشرعة الرُّصافة، رُفِعَ الصُّنْدوق على الرؤوس وامتد النَّاسُ كلهم بين يديه إلى التُّربة، فدُفِنَ رحمه الله في المَوْضع الذي أعَدَّه، ثـم فُرِّقت الرَّبعة الشَّريفـة، وقُرِئَـت خَتْمَة[5] وأُهدِيـت لـه، وانفصل[6] النَّـاسُ قُبيل نصف الليل، ثـم تَرَددوا إلى

(١) سقطت من المطبوع، وتُركت، كأنه لعدم معرفتها.

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) تحرف في المطبوع إلى: «قبل».

(٤) لم يتمكن الدكتور مصطفى جواد رحمه الله من قراءته يومئذٍ- وظنه غلطاً: القائمي.

(٥) سقطت من المطبوع.

(٦) تحرفت في المطبوع إلى: «وانصرف».

التُّرَب[1] يوم الأحد ويوم الأثنين، في كل يوم تُقرأ الخَتْمة، ويتكلم جمال الدين أبو الفرج ابن الجَوْزي، ويدعو العَدْل شمس الدين علي ابن النَّيَّار[2] ونَقِيب النُّقباء ونائبُه.

ذكر الاهتمام بأُمور الحج

في شهر رَمَضان، تُقُدِّم إلى صاحب الديوان فخر الدين أبي سَعْد المُبارك ابن المُخَرِّمي: أن يَهْتَم بأمور الحج وإعادته على أجْمل قواعده، وكان قد انقطعَ منذ سنة أربع وثلاثين وست مئة، فَعُيِّنَ على شَخْصٍ يُعرف بابن المجن[3]، وتُقُدِّمَ إليه أن يمضي إلى الآبار التي في طريق مكة ويُنَقِّيها ويصلحها، ورُتِّبَ عليه مُشرف يُعرف بابن وَرخز، ونُفِذَ معهما جماعةٌ من الرِّجال والأجناد، وعُزِلَ الأمير حُسام الدين أبو فراس بن جعفر بن أبي فراس عن إمارة الحاج[4]، ورُتِّبَ عوضه الأمير سيف الدين كَيْكَلْدي النَّاصري، ووقع التَّعيين على السَّبلْدارية، فَرُتِّبَ أبو القاسم بن كلالة التاجر في سبيل الخليفة المُستعصم بالله ويعرف «بسَبِيل الفقير»، وجُعِلَ السراج عُمَر بن بَرَكة النَّهرقَلِّي[5] مُشْرفاً عليه، ورُتِّب في سبيل المُستنصر بالله الشيخ عماد الدين محمد ابن الشيخ

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «التربة».
(٢) تحرف في المطبوع إلى: «النسابة».
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «المحسن».
(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «الحج».
(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «الهزقلي»!، وهو منسوب إلى نهر القلائين.

شهاب الدين عُمر السُّهْرَوردي، وجُعل عليه مشرفاً أحمد الحَرْبَوي، وعين سَبيلٌ للخليفة الظاهر بأمر الله، وسَبِيلٌ لابنه الخليفة المُستنصر بالله، وسَبِيل لوالده الخليفة الناصر لدين الله، وعُيِّن لكل سَبِيل مَن يتولاّه ورُتِّب عليه مشرفاً[1] . فلما وصلوا قريباً من وادي مَحْرَم خَرَجَ عليهم عُمَير بن قاسم العَلَوي أمير المدينة في خَلْقٍ كبيرٍ من العَرَب، وحالَ بينهم وبين الماء، وطلب منهم مالاً واشتَطَّ في الطَّلَب، وتهددهم بالمحاربة[2] ، وطال الحديث بينهم وبينه، واقتتل أطرافهم مع أطراف الحاج، وقُتِلَ من الفريقين قومٌ وجُرِحَ آخرون، فاستظهر الحاج عليهم، فلما[3] رأى عَيْنَ[4] القَهْر والغَلَبة راسل أميرَ الحاج وطلبَ منه الأمانَ، واعتذرَ واعترفَ بالخطأ، ونَفَّذَ أخاه بالسَّيْف والكَفَن نيابةً عنه، فقَبِلَ أمير الحاج عُذره، فرحلَ حينئذ قاصداً المدينة وسارَ الحاجُ بعده.

ذكر الفتنة ببغداد

سألَ جماعةٌ من شُبّان المحال أن يؤذنَ لهم في الخُروج إلى قَتْل السِّباع، فأُذِنَ لهم جَرْياً على العادة القديمة في أيام الخليفة الناصر لدين الله، وأُنعم عليهم بشيءٍ من البِرِّ، فاجتمعَ من كل محلة جَوْق[5] ،

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «ورتب مشرفه».

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «في المحاربة».

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «ولما».

(٤) تحرف في المطبوع إلى: «عمير».

(٥) لفظة مأخوذة عن الفارسية «جوخ»، وتعني: الجماعة من الناس.

وخَرَجُوا مُجتازين في عَمود البلد، وبين يدي كل جَوْق اللَّعّابة بالدُّفوف والزّمور والمَغَاني وسائر الملاهي، فجاءَ قوم من رجال المأمونية ليجتازوا في باب الأزج، فمنعهم أهل باب الأزج أن يعبروا عليهم وسيوفهم مشهورة، فساعدهم نائبُ باب النُّوبي محمد بن عبدالجبار، فَضَربوه بالآجُر وأخذوا عمامته، واقتتلَ الفريقان حتى قُتِلَ منهم جماعة من النَّظّارة والمُقاتلة، ونُهِبَت دكاكين ودور كثيرة، وجاء عِمادُ الدين طُغْرل شحنة بَغْداد، ومعه عدة من الأجْناد، ليكفهم ويمنعهم، فما رجعوا ولا امتنعوا. وكان ابتداء المَصَاف من عَقْد المُصْطَنع إلى رأس درب النَّفّاطين، ودامَ القتال واشتد، فَنُفِذَ عسكر من الديوان[1] مُلْبسين بالعُدَد، فقاتلوهم ومَنَعوهم، بعد أن قُتِلَ من الفريقين جماعة. وتفاقَم النَّهْب وخُرِّبت عدة دُور من المأمونية، ونُهِبَ ما فيها وسُبِيَ نِساء.

وفي ليلة الخميس عاشر[2] شوال، باتَ جماعةُ العَسْكر مُمْتَدين من باب النَّصر إلى تحت مَنْظَرة باب الأزَج[3] خَوْفاً من وُقوع فِتْنة في الليل. واستمر مَبِيتهم هناك عدة ليال وملازمتهم تهدداً. ومع ذلك لم يُمْنعوا ولا نُهوا عن الخُروج، فخرجَ جَوْق سُوق المَدْرسة[4] وبين أيديهم المُحاكون[5] والمَغَاني وغير ذلك، وكذلك أهل قَرَاح ظفر، وأركبوا بين أيديهم شَخْصاً على ثَوْر جعلوه أميراً، وشهروا بين يديه

---

(١) في المطبوع: «من الديوان عسكر»، وما أثبتناه من الأصل.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «ليلة الخميس من شوال»؟!

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «باب ام ع».

(٤) يعني: المدرسة النّظامية.

(٥) يعني: الممثلون.

السُّيوف الكبيرة، وجعلوا خلفه الأسْلحة، وصاروا يناولونه القَصَص، فيتأملها ويجيب عنها[1] بألْفاظ مُضْحِكة، وكذلك جوْق سُوق السُّلطان، وزاد الأمر في[2] ذلك وعَظُم حتى صار يَخْرج[3] النساء حواسر إلى غير ذلك مما لا يجوز، وتَعَقَّب[4] ذلك، وقوع فِتنة أخرى بين أهل المُخْتارة، وسوق السُّلطان، وقُتِل منهما[5] جماعة. ثم خرج جَوْق محلة القُرَيَّة[6] بالجانب الغربي، وأرادوا الاجتياز بمحلة قَطُفْتا فمنعوهم، وجَرَت بينهم فِتْنة عَظيمة وقُتِلَ[7] فيها جماعة، ونُهِبَ سوق القَنْطَرة[8]، وعَبَرَ الشِّحنة وحاجب باب النُّوبي وجماعةٌ من العَسْكر، فكَفُّوهم ومَنَعوهم من الخروج ومنعوا أهل سائر المحال أيضاً.

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «عليها»، واضطر ناشره الدكتور مصطفى جواد إلى التأويل ليستقيم له المعنى، ولم يكن بحاجة إليه لو راجع المخطوط.

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) تصحفت في المطبوع إلى: «تخرج».

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «ويعقب».

(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «بينهما».

(٦) القُرَيَّة: محلة وصفها ياقوت بأنها «محلة كبيرة جداً كالمدينة من الجانب الغربي من بغداد مقابل مشرعة سوق المدرسة النظامية» (معجم البلدان) وإذ كنا نعلم أن موقع المدرسة المذكورة كان في سوق البَزّازين، مقابل خان الباچه چي وأن مشرعتها هي الشّريعة النافذة الآن إلى دجلة من عند الخان المذكور، تبين أنَّ موقع القُرَيَّة كان يوافق محلة السّيف وما حَوْلها جنوباً.

(٧) في المطبوع: «وقتل»، وليس بشيء.

(٨) يظهر من السياق أنها قنطرة الشوك المعقودة على نهر عيسى (وانظر حوادث ٦٤٣).

عدة حوادث

في شعبان، تُقُدِّم إلى جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي أن يجلس للوعظ بباب بَدْر، ورُتِّب العَدْل شمس الدين علي ابن النَّيَّار شيخاً لرباط الحَرِيم وخُلِعَ عليه، وتُقُدِّم بالإفراج عن جميع المَسْجونين في حَبْس الشَّرْع، بعد أن يُرْضَى غُرماؤهم بالمُصالحة على ديونهم.

وفيها، توفِّي محمد بن عبداللطيف بن التَّعاويذي، كاتبُ الحِلَّة يومئذ، بها. وكان كاتباً جَيّداً، حَسَنَ الكتابة، كَيِّساً متواضعاً، خَدَم في عِدَّة خدمات، وكان كثير النَّكبات، وكان ذا فَضْل، يقول شعراً جَيِّداً، سألَهُ بعضُ أصحابه أن يقول عن لِسانه أبياتاً يسأل فيها التَّخْفيف في[1] أُجرة دُكانه وكان بَزَّازاً، فقالَ[2]:

يا شَرَفَ الدَّولة أحسِنْ كَمَا ... قد خَصَّكَ اللهُ بإحسانِهِ
فالعَبْدُ ما مَرَّت به شِدَّة ... أصْعَب من أُجرة دُكّانِهِ
فاشفع له عند إمام الهُدَى ... مَتَّعَهُ الله بسُلْطانِهِ
لتُؤخذ الأُجرةُ منه كَمَا ... تُؤخذُ من سائرِ جِيرانِهِ

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «عن».

(٢) نقل صاحب «العسجد المسبوك» عن ابن الساعي، قال: أنشدني أبو عبدالله لصدقة البزاز المعروف بالنقاش، وكان قد زيد على النقاش في أجرة دكانه زيادة ألزم بها، ثم أراد أن يعاد إلى ما كانت عليه أولاً أسوة بجيرانه، فكتب إلى متولي العقار يقول: (ثم ذكر الأبيات كما هنا) ص٥٢١.

أوْ لا فَحَوِّلْهُ، وقُل: خانُنَا[1]   قـد مـاتَ منـهُ بَعْـضُ سُكّـانِـهِ

وفيها، رُتِّبَ شرفُ الدين عبدالله ابن النَّيّار ناظرَ ديوان المُقاطعات، ورُتِّبَ عَمُّه شمسُ الدين الحُسين وكيلاً لوالدة الخليفة المُستعصم بالله وخُلِعَ عليه.

وفي ذي القعدة، رُتِّب فخر الدين أبو طالب أحمد بن الدَّامغاني مُشْرفاً على صاحب الدِّيوان فخر الدين أبي سَعْد المُبارك ابن المُخَرِّمي عِوَضاً عن نجم الدين عليّ ابن الشَّاطر الأنباري، وانحدرا[2] إلى واسط وأُحْدِر[3] معهما الأمير نصرة الدين كج[4] أرْسلان الناصري، لأجل تَحْصَيل البَقَايا والحَثّ على الحُمول.

ورُتِّب الأمير حُسام الدين أيْبَك العِراقي شحنةَ واسط، عِوَضاً عن نائب حُسام الدين أبي فراس جعفر بن أبي فراس.

ورُتِّب الأمير فَلَكُ الدين محمد بن سُنْقُر الأسن المعروف بوجه السَّبعُ شحنة البلاد الحلية، عِوَضاً عن الأمير جمال الدين آي أبه المارديني.

وفيها، توفي محمد الزَّاهد المعروف بالعُلَيْماتي. كان زاهداً عابداً يلتقط القراطيس المَنْبُوذة مما عليه اسم الله تعالى، ويتكلم على الناس

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «حانقاً».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «وانحدر».
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «وأخذ».
(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «الح».

بكلام سَدِيد[1] فصيح، وله قبول تام، وعنده معرفة بالحقيقة وكلام أهل الطريقة، وله شعر جيد، منه:

سَلَّـم اللهُ علـى هـذا المُحَيّـا ... إنـه عِنْـدي مُفَـدًّى ومُحَيّـا
يا حبيبي أنتَ لي كُل المُنَى ... لستُ أبْغي غير قُربي لك شيّا
وإذا ما صَحَّ لي منك الهَوَى ... لـم أرِد أهـلاً ولا رَبْعـاً وَحَيّـا
طِيب أنفاسك قد تُسْكرني[2] ... فاعزل الرَّيْحان عنا والحُميا
رمـتَ أن تَقْتلنـي إذ نظـرت ... لـي عَيْنـاكَ لقـد أصبحـتُ حَيّـا

ومنه:

ولقد شَرِبتُ الرَّاح من راووقها ... لا مِن زُجاجتِها ولا إبريقِها
وطفقتُ في الحانات أسعَى لا أرى ... أحداً له عِلْم بطَرْق طرِيقها
وصحوتُ حينَ شَرِبتُها من سَكْرَتي ... وعَلِمتُ أن الصَّحو شربُ رَحيقها
والسُّكر قد أخذَ الرِّجالَ وطَوَّحت ... بِهمُ المُدام تَرُوم أخْذ حُقوقها

ومنه:

إذا عَقَـدت يَـدُ الأغْيـار عَقْـدا ... فلي في حَلِّ ذاكَ العَقْدِ عَقْدُ
وقالوا: قد وَجَدْنا منك هذا ... فـإنَّ وُجـودَ مـا وَجَـدُوه فَقْـدُ
وإنـي والـذي أبـديـه قَـوْلاً ... وراءَ المَـوْت سِـرٌّ ليسَ يَبْـدو
وتُطـربنـي المَثَـالـثُ والمَثَـانـي ... ولـي فـي زُهْـدِكـم واللهِ زُهْـدُ

وكان ظاهرَ الفقْر، خَشن العَيْش لا يقْبل من أحدٍ شيئاً، وابتُليَ بمرضٍ مُؤلم، فصبَر عليه حتى توفِّي، وقد جاوزَ الستين، ودُفن في

---

(١) تصحفت في المطبوع إلى: «شديد».
(٢) تصحفت في المطبوع إلى: «يسكرني».

مقبرة معروف رحمه الله تعالى.

وفيها، اتصل خُروج المَوْكب في عِيد الفِطْر إلى اللَّيْل، وصَلَّى الناسُ صلاة العِيد قبل نِصف اللَّيل قضاءً، ولم يُذْكر سبب ذلك.

وفيها، تُوفِّي الأمير أبو المظفر باتكين[1] بن عبدالله الرُّوميُّ النَّاصريُّ. كان مملوكاً لعائشة ابنة الخليفة المُستنجد بالله المعروفة بالفيروزجية، واشتغل بالعِلْم وحِفظ القُرآن المجيد، وخَدَم جُنْدياً، وأقامَ بتكْريت مدةً، ثم سُلِّمت إليه البَصْرة بحَرْبها وخَرَاجها، فأقام بها ثلاثاً وعشرين سنة، فَعَمَّرها وجَدَّد مدارسَ كانت بها قد دُثِرَت، وأنشأ مدرسةً للحنابلة، ولم يكن يُعرف بالبصرة لهم مَدْرسة، وعَمِلَ مدرسةً يُقرأ فيها علم الطب، وعَمَّر مارستاناً كان قد خَرِب وتَعَطَّل. ولما احترق جامع البَصْرة في سنة أربع وعشرين وست مئة، واستهدم معظمه، أعادَ عِمارته وأحضرَ حِجارةَ أساطينه من جَبَل الأهواز، وجَلَب له الخَشَب الصُّنوبر والسَّاج من البَحْر وشِيراز ورَحْبة الشام، وأنشأ رباطاً مُتَّصلاً بالجامع، ورِباطاً آخر قريباً منه، وأسكنَ فيهما جماعةً من الصُّوفية، وبَنى في دهليز الجامع حُجْرتين، جعلَ في إحداهما كُتُباً، ووقفَ في جميع المدارس كُتباً. وانتشرَ العلمُ في زمانه، وكانَ العُلماء، وغيرُهم يقصدونه من جميع الآفاق فَرَفَدَهم. وبنَى على قَبْر طلحة بن عبيدالله بنياناً حَسَناً، وجعل فيه الفُرشَ والقَنَاديل، وذلك على قبر الزُّبير ابن العَوَّام، وبَنَى سُوراً على بني مازن، وسُوراً على المدينة مُحْكَماً

(١) تاريخ الإسلام ٤٠٧/٦٤، ونقل من الذيل على المنتظم لابن البزوري، والعسجد المسبوك ٥١٣.

بالأبواب الحديد[1] ، وجَدَّد في البصرة الخانات للبَز، وغير ذلك. وأحسن السيرة في أهْلها، وبالغَ في السياسة. ولما مَلَكَ الخليفةُ إرْبل استُدْعِيَ من البصرة ونُفِذَ إليها والياً عليها حَرْباً وخَرَاجاً، فأطلقَ مُعظم الضمانات وأزالَ المَكُوس والضرائب وشَرَعَ[2] في إصلاح السُّور، وحَفْر الخَنْدق. وكان مع هذا مُتَعبداً كثيرَ التِّلاوة للقرآن، والمذاكرة في العُلوم والسير والتواريخ[3] والأخبار والاشعار، وله نَظْم حَسَن، منه ما قاله حينَ قُتِلَ بنو مَعْروف بتل المُقَيّر في بَطائح واسط، وكانَ حاضِرَ الوقعة[4] وقد تقدم ذكرها[5] :

يا وَقْعةً شَفَتَ النُّفوس وغادَرَت ... تل المُقَيّر ما به من غَابِر
وسَقَت بني المَجْهول كأساً مُرّةً ... تَرَكت مواردهم بغيرِ مَصَادِرِ
جَحَدوا أيادِ للخليفةِ جَمَّةً ... فأراهم عُقْبَى الجُحود الكَافرِ
وتوهموا أن المُقَيّر مَعْقِل ... متمنع من كُل لَيْثٍ خَادرِ
فَرَماهم القَدَرُ المُتاح بأسْهُم ... تَرَكَت رُبُوعَهُم كَرَسْم دَاثِر

ولم يزل مقيماً فيَ إرْبل[6] إلى أن هَجَم عليها عَسْكر المَغُول وحَصَرُوها ودَخَلُوها عُنوةً وأخْرَبُوها وأحرقُوها، ثم بَلَغَهُم توجه عساكر الخليفة، ففارَقُوها ثم عادوا في العام المُقْبل ففارقها حينئذ باتكين،

---

(١) تحرف في المطبوع إلى: «الحديدية».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «وأسرع».
(٣) تحرف في المطبوع إلى: «والتاريخ».
(٤) هكذا في الأصل، وفي المطبوع: حاضراً للوقعة.
(٥) في سنة ٦١٦هـ، وهو في القسم الضائع من الكتاب.
(٦) تحرفت في المطبوع إلى: «بإربل».

وقَصَدَ بغدادَ ولزم دارَهُ مَعْزُولاً، إلى أن توفي، ودفن في الشّونيزي[١] وقد بلغ الثَّمانين.

وفيها، توفيت عائشة[٢] ابنةُ الخليفة المُستنجد بالله المعروفة بالفِيرُوزَجِيّة. وكانت صالحةً مُسِنة بِكْراً، رأت عِدّةً من الخُلفاء: أباها المُسْتَنجد[٣] وأخاها المُستضيء، وابن أخيها النَّاصر، وابنه الظَّاهر، وابنه المُسْتَنصر ثم ابنه المُسْتَعصم، وقيل: إنها قارَبَت[٤] الثمانين، وبَنَت ببغدادَ رِباطاً يُعرف بها.

(١) وتسمى: «الشونيزية»، والشونيزي الكبير، وهي مقبرة بالجانب الغربي من بغداد دفن فيها الجُنيد البغدادي الصوفي المشهور، فعرفت المقبرة في الأعصر المتأخرة، وإلى الآن، به.

(٢) تاريخ الإسلام ٦٤/ ٤١٢-٤١٣، والعسجد المسبوك ٥١٤.

(٣) زاد في المطبوع: «بالله»، ولا وجود له في الأصل، ويدل على زيادته سياقة ألقاب الخلفاء بعده.

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «قزبت».

سنـــة
إحدى وأربعين وست مئة

فيها[1] ، تَقَدَّم الخليفةُ إلى جمال الدين عبدالرحمن ابن الجوزي المُحْتَسِب بمنع الناس من قِراءة المَقْتَل في يوم عاشوراء والإنشاد في سائر المحال بجانبي بغداد سوى مَشْهد مؤسى بن جعفر عليهما السلام.

وفيها، صُرِفَ رضي الدين علي ابن المُخَرِّمي من نيابة ابن عمه فخر الدين أبي سَعْد المُبارك ابن المُخَرِّمي صاحب الديوان، ورُتِّبَ مُشرفاً بديوان إرْبل ورُتِّبَ عوضه العَمِيد عليّ بن عبدالرزاق.

وفيها، حُفِر لميت في الشُّهداء بمقبرة باب حَرْب فوجدَ الحَفّار جَرّةً مملوءةً دراهم يُونانية، ومما ضرب في الإسلام بالمدينة صلوات الله على ساكنها، فأحضرها الحَفّارون إلى المُحْتَسب ابن الجوزي، فَمَضى بها إلى دار الوزير فَتُقُدِّم إليه بالمُضي إلى هُناك واعتبار الحَفْر فمضى، وحَفَرُوا حَولَه فوجدوا جَرّةً أُخرى، كان بها نحو عشرة آلاف دِرْهم.

وفيها، أمرَ الخليفةُ بِعَمَل خِزانة للكُتب في دارِه، وكُتِبَ على جهاتها أشعاراً منها ما نظمه صَفِي الدين عبدالله بن جَمِيل مُتَقَدّم شُعراء الدّيوان:

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وفيها»، والواو زائدة.

أنشا الخليفةُ للعلوم خِزانةً — سارت بسيرةِ فَضْلِه أخْبَارُها
تَجْلو عروساً من غرائب حُسْنها — دُر الفضائل والعُلوم نِثارُها
أهدَى مناقبه لها مُسْتَعْصِمٌ — بالله من لألائه أنوارُها

وفيها، أُنْهِيَ أن أحد زُعماء إرْبل كَوَى امرأةً على[1] فَرْجها، فتُقُدِّمَ باعتماد الشَّرْع في ذلك، فَسُطِّرت فُتيا، فأفتى الفُقهاء بأن تُقَدَّر أنها أمة وتُقَوَّم في حالةِ الصِّحة وبَعْد حُدوث هذا العَيْب، فَقُوِّمت صحيحةً خمسة وعشرين ديناراً، ونَقَص بسبب الكَي من قيمتها الثُّلُث، فَنُسِبَ ذَلك إلى دِيَتها وهي خمس مئة دينار، فأُخذ من الزَّعيم هذا المَبْلغ وسُلِّم إلى المرأة، وتُقُدِّمَ بحبس الزَّعيم.

وفي سابع عِشْري رَجَب المُبارك، قَصَد الخليفةُ زيارة مَشْهد موسى ابن جعفر عليه السلام، وكان يوماً مَطِيراً ونزل عن مَرْكوبه من باب سُور المَشْهد. وانحدر في رابع عشر شعبان إلى زيارة سَلْمان الفارسي رحمه الله.

وفيها، نُفِذَ محيي الدين يوسف بن الجوزي رسولاً إلى ملك الروم كيخسرو بن كيقُباذ، فاجتمعَ به في أنطاكية، فلما عادَ حَكَى أشياء غريبة، منها: أن النِّساء يَتَعَمَّمْن كالرجال، والرجال يلبسون السراقوجات[2]، وعمائم النِّساء تَخْتلفُ في الكِبَر والصِّغر، لأنَّ المرأة إذا جاءت بولد واحدٍ تَعَمَّمت بعمامة طولها ستة أذْرع، وكلما جاءها وَلَد زادتها ستة أذْرع، وذِراعُهم ذراع ونصف بذراع بغداد. ومنها: أن

---

(١) تحرف في المطبوع إلى: «في».
(٢) نوع من أغطية الرأس المزركشة.

مدينة أنطاكية[1] ليس بها دار لها سَطْح[2] مسطح بل مُسَنَّم كالجمل جَميعه ميازيب لكثرة تواتر الغُيُوث، وحكى: أن هناك ماء يَنْبع من عَيْن وعليه شرر النَّار لا يزال كذلك. وحكى أن إنساناً خَرَج من الحَمَّام في مدينة قُونية في زمن الشتاء فجمدت لحيته، ثم زلق فانكسرت فذهبت قطعة منها[3] .

وفيها، زادت دجلة زيادة مُفْرِطة، غرقت مواضع كثيرة، ونبع الماء في المدرسة النِّظامية ودخل بيوتَها، وكذلك ما جاورها وخَرَّب محلةً كان استجدّها الغُرباء من الجُنْد بظاهر سُور سُوق السلطان وراء جامع المدينة، وانتقل أهلها إلى وراء السَّكْر[4] ، وصُلِّيت الجُمُعة على طَرَف الخَنْدق مما يلي دار المُسَنَّاة، وانزعجَ النَّاسُ فخرجَ تاج الدين ابن الدَّوامي حاجب باب النُّوبي إلى باب كَلْواذَى[5] ، وأحْكَم السَّكْر وباتَ عليه، فَمَنَّ الله تعالى بنقيصة الماء تلك الليلة.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «أنطالية».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «بسطح».
(٣) انظر العسجد المسبوك أيضاً ٥١٧، وكلاهما نقل من تاريخ ابن الساعي، كما يظهر.
(٤) هو سد ترابي في أعلى بغداد ليحول دون اندفاع المياه من نهر القورج إليها، وسيسميه المؤلف في حوادث سنة ٦٤٦: «السد الطيني».
(٥) هو الباب الجنوبي لبغداد الشرقية، وكان يفضي إلى قرية كلواذى فنسب إليها، وربما عرف أيضاً باب البَصَلية، نسبة إلى البَصَل الثمر المعروف، ومن المحتمل أنه كان يزرع عنده. وفي جوار هذا الباب أنشأ الخليفة المقتدي محلة البَصَلية. قال ياقوت في مادة البَصَلية: «محلة في طرف بغداد الجنوبي ومن الجانب الشرقي متصلة بباب كلواذى». وهذا الباب هو المعروف إلى اليوم بالباب الشرقي وإن نُقِض منذ سنة ١٩٣٧ وأدخل في ساحة التحرير.

وفيها، زُلْزِلت الأرض بجانبي بغداد ثلاث مرات، ولم تَهْدم مَوْضِعاً ولا آذت مَخْلوقاً، وكان ذلك في ثاني شوال، فَعَمِلَ جماعةٌ في ذلك أشعاراً يُعَرِّضون بالعيد وكَثْرة العالم، ويَجْعلون ذلك هو السَّبَب، فممن أنشدَ في ذلك لنفسه، مجد الدين حسين ابن الدَّوامي:

أقول وجَيْش إمام الهُدَى تَبَدَّت سراياه والزَّحْف بادي
إذا كانت الأرض قد زُلْزِلَت فكيف تكون قُلُوب الأعادي

وأنشد أيضاً:

هذا الإمامُ أدامَ الله دولتَهُ له من الجُود ما يُغني بأيْسَرِه
عَمَّ الأنامَ ندىً في العيد نائله وارتجت الأرضُ خَوْفاً من عَسَاكِرِه

وفيها، خُلِعَ على أمير الحاج مُجاهد الدين أبي الميامن أيْبَك المُستنصري المعروف بالدُّويدار الصَّغير في دار الخلافة، وخرجَ فنزلَ في تربةِ والدِه الخليفة النَّاصر لدين الله، وخَرَجت والدة الخَليفة المُسْتعصم بالله مُنْحَدِرة في شُبَّارة الخليفة إلى دَرْزيجان[1] متوجهة إلى الحَج، وخَرَجَ الخليفةُ لأجْل وداعها، فلما نزل السّرادق نثرَ عليه الشَّرابي ذَهَباً كثيراً، ولم يكن قبل ذلك سافرَ سَفَراً نزلَ فيه مُخَيَّماً. ولَمّا وصلَ الحِلّة ودخلَ الدَّار التي على شاطىء الفُرات نثرَ عليه الشَّرابي ذَهَباً كثيراً، ثم توجه إلى الكُوفة ودخلَ جامعها، وقَصَدَ مَشْهد أمير المؤمنين عليه السلام، وزَوَّرَهُ محمد بن كُتَيْلة العَلَوي، فلما توجه الحاج، ودَّع الخليفةُ والدته، وعادَ إلى بغداد[2].

---

(١) قرية كبيرة كانت تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي (معجم البلدان).

(٢) انظر العسجد المسبوك ٥٢١.

وفيها، توفي الناصح إسماعيل بن عبدالرحمن بن الزُّبَيدي. كان رَجُلاً صالحاً، كثيرَ التِّلاوة للقرآن المَجيد، يدعو في البَسْطة عَقِيب[1] الخَتْمة بالمدرسة النِّظامية، وكان يغلب عليه سلامة الصَّدْر، وربما وَعَظَ في الأسواق وأمرَ بالمَعْروف ونَهَى عن المُنْكر، قيل له: قد فُرش في مسجد قمرية زُلّية[2] في وسطها جامات[3] مكتوب فيها «المُلْك لله»، فمضى إلى قاضي القضاة ابن مُقْبِل، وطلب منه إزالة ذلك فقال له: هذا المسجد أمره مَرْدود إلى شَمْس الدين أحمد ابن النَّاقد وكيل الخليفة، فَمَضَى إليه وقال له في ذلك، فلم يلتفت إليه، فخرجَ على فوره، ومضىَ إلى الخَلِيفة، وكان في ناحية الصالحين[4] بنهر عيسى لأجل الصيد، وكانَ الزَّمان شاتياً، فَوَصَل إليه لَيْلاً فقرأ شيئاً من القُرآن[5]، فلما سَمِعَ صوته أنْفَذَ إليه من سألَهُ عن حاله، فذكر ما عَنْدَهُ، فَتَقَدَّمَ

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «عقب».

(٢) الزُلّيَّة: هي الطنفسة أو السجادة التي يسميها العراقيون اليوم الزُّولية ويجمعونها على زوالي، والأصل في جمعها: زلالي (كما في الجامع المختصر ١٥).

(٣) جمع جام، وهي هنا: الزجاج، أو البلور.

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «الصالحية»: وهذا الموضع لم تذكره «معجمات البلدان» ولا عَرَفناه في خطط المنطقة، وهو بلا شك غير الصالحية التي أشار إليها ياقوت بقوله: «محلة تنسب إلى صالح بن المنصور المعروف بالمِسْكين» ولم يحدد موقعها، والذي ذكره المؤلف هنا أنها كانت تعد من نواحي نهر عيسى، وهو النهر الذي كان يخترق بغداد الغربية حتى يصب عند جامع قمرية. وقوله: «ناحية» يدل على أنها ليست من محال بغداد، وأيضاً فإن قوله بعدها: «لأجل الصيد» إنما يدل على أن هذا الموضع كان خارج البَلَد وهو بعيد عنه إذ يقول بعدها أيضاً «فوصل إليها لَيْلاً»، ويظهر من كل ذلك خطأ ما عَلّقه الدكتور مصطفى جواد رحمه الله في هذا الموضع.

(٥) بعد هذا في المطبوع: «المجيد»، ولا وجود له في المخطوط.

إلى الوكيل بإزلة ذلك وأنْكَرَ الحال عليه، ثم سُئِلَ؛ هل حاجة غير هذا؟ فقال: لا. وعادَ على فوره والبَرْد شديد. وله حكايات كَثيرة تدل على السَّاذجية.

وفيها، توفي الأمير حسام الدين أبو فِراس محمد[1] بن أبي فِراس. كان مَوْصوفاً بالشَّجاعة، لم يزل منذ كان شاباً أميراً مُقَدَّماً وَزعيماً مُحْتَرماً، ولي شَحْنكية البلاد الواسطية والبَصْرية مَرَّتين في الأيام الناصرية والمُستنصرية، وحج بالناس ثلاث عشرة حجة، وفارقَ الحاج سنة إحدى وعشرين، وقَصَدَ الملك الكامل صاحب مصر فتلقاه بالقبول وجَعَلَهُ مُقَدَّماً على أُمرائه، فلما بلغَهُ القَبْض على الوزير القُمِّي وعَزْله في سنة تسع و[2] عشرين عاد إلى بَغْداد، فَخُلِعَ عليه وأُعيد إلى زعامته، ووُلِّي إمارة الحاج. فلما توفِّي جمال الدين قَشْتَمُر، سأل أن يكون عِوَضه في التَّقَدم على العساكر لعلو سنه، فلم يُجَب إلى ذلك، فامتنعَ من الركوب في الأعياد، وكان يخرج موكبه وفيه ولده نيابةً عنه ولم يُضْجَر في حقه بسبب ذلك، حِفْظاً لقَلْبه، ولم يزل على ذلكَ إلى أن توفِّي[3].

وفيها، تُوفِّي الملك الجَوَاد سُلْيمان[4] بن مَوْدود ابن الملك العادل

(١) تاريخ الإسلام للذهبي، الورقة ١٠(أيا صوفيا٣٠١٣) وهو فيه بخطه: محمد بن أبي جعفر، وقيل: ابن جعفر بن يحيى بن محمد بن أبي فراس، الأمير حسام الدين أبو فراس الحلي.

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) قال الذهبي: وكانت له جنازة مشهودة، وحُمِلَ فدفن بمشهد الحسين، عليه السلام.

(٤) هكذا سماه مؤلف الكتاب، وإن تحرف في المطبوع منه إلى: «سلمان»، وصاحب =

أبي بكر محمد بن أيوب. كان لما توفِّي عَمُّه الملك الكامل أبو المعالي محمد ابن العادل بدمشق، مَلَك الجَواد دِمَشق، ثم سَلَّمها إلى ابن عمه الملك الصالح أيوب ابن الكامل مقايضةً بسِنْجار، فأقامَ بسِنْجار مدةً، ثم استَفْسد بدرُ الدين لؤلؤ صاحبُ الموصل جماعةً من سِنْجار، فتواطؤا على المُخامرة عليه وتَسْلِيم البَلَد إلى وَلَد بدر الدين لؤلؤ. فلما تحقَقَ ذلك خرجَ من سِنْجار وقَصَد[1] بغدادَ، فأكرمه الخليفة وأقام ببغداد مُدةً، ثم سأل أن تُؤخذ[2] منه عانة، ويُعَوَّض عنها شيئاً من المال، فأُجِيب سُؤاله، ثم فارقَ بغداد، وتَقَلَّبت به الأحوال فاتفق تارةً مع الخُوارزمية وحاربَ أهل حَلَب، ثم قصد أولاد عَمِّه بالشام فنزل عندهم ثم فارقَهُم، وكان غير محمود الطريقة، وتوفي[3] وقد تجاوز السّتين[4].

= «العسجد المسبوك» (٥٢٢)، وكأن هذا اختيار من نقلا عنه -وهو والله أعلم- ابن الساعي. أما الذهبي ومن تبعه فسماه يونس، قال في «تاريخ الإسلام»- وهو بخطه-: «يونس، السلطان الملك الجواد مظفر الدين ابن الأمير مظفر الدين ممدود ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب... الخ (الورقة ١٢من مجلد أيا صوفيا٣٠١٣). وانظر البداية لابن كثير ١٣/ ١٦٣، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٤٨.

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «قاصداً».

(٢) تصحفت في المطبوع إلى: «يؤخذ».

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «فتوفي».

(٤) ذكر الحافظ الذهبي من سوء تصرفه وخيانته وإتصاله بالصليبيين وقتاله معهم ضد المسلمين ما يندى له الجبين، ثم استطاع الملك الصالح إسماعيل القبض عليه وسجنه ثم قتله، ويقال: كانت أمه افرنجية.

سنـــة
اثنتين وأربعين وست مئة

فيها، تَقَدَّم شرفُ الدين إقبال الشَّرابي إلى وكيله عز الدين حُسين ابن عَبْدوس بالمَسير إلى واقصة[1] ، ليلقى والدة الخليفة المُستعصم عند عَودها من مكة، وأنْفَذَ معه تِسعين جَمَلاً عليها تَشْرِيفات وحَلْواء وحوائج، وغيرُ ذلك، ثم تَقَدَّمَ إلى صَدْر[2] المَخْزن فخر الدين محمد ابن أبي عِيسى الشَّهْراباني ومُشْرفه عَميد الدين مَنْصور بن عَبَّاس الدُّجيلي بالتوجه أيضاً، وأن يَسْتَصحِبا ما أعَدَّاه من الإقامات، فَتَوجها فلقيا الحاج في مَنزل القادسية، وعَزَم الخَلِيفة على التوجه إلى الكُوفة للقاء والدته، فعرضَ له مَرضٌ منعَهُ عن ذلك، فَتَقَدَّم إلى كافة أرباب المناصب بالخُروج إلى فَرَاشا، فخرجوا ما عَدا الوزير نصير الدين أحمد ابن الناقد لعجزه بسبب مَرَضه، فساروا إلى زَرِيران[3] ، فوجدوا

---

(١) موضع مشهور بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة، وقبل العقبة، ويقال لها: واقصة الحزون.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «صدرية».

(٣) قرية بينها وبين بغداد سبعة فراسخ على جادة الحاج إذا أرادوا الكوفة من بغداد (معجم البلدان) وذكر ابن جبير أنها «من أحسن قُرى الأرض وأجملها منظراً وأفسحها ساحة وأوسعها اختطاطاً وأكثرها بساتين ورياحين وحدائق نخيل، وكان بها سُوق تقصر عنه أسواق المدن» (رحلة ١٧١). قلنا: وموقعها اليوم في أراضي السيافية في الجانب الغربي من دجلة بإزاء المدائن.

السُّرادقات بها، فكانَ كُلٌّ من الجماعة يَنْزل على بُعْدٍ ويستأذن في الحضور فيؤُذن له، فإذا حضر قَبَّل الأرض بباب السرادق، فيخرج أمين الدين كافور الظَّاهري، ويقول له: قد عُرِفت خِدْمتك، أو ما هذا مَعْناه، ويأذن له في العَوْد. ونزلت والدة الخليفة في الليل إلى الشُّبّارة وأصْعَدَت إلى بَغْداد بعد أن خَلَعت على الأمير مُجاهد الدين أيْبَك الدويدار أمير الحاج، وأمَرت له بخمسة عشر ألف دينار، وعلى شمس الدين(١) قَيْران، وأمرت له بألف دينار، فلما نزل(٢) الحاج بظاهر التُّربة، بالجانب الغربي(٣)، نُفِذَ شرفُ الدين عبدالله ولد تاج الدين عبدالله بن النَّيّار وكيل والدة الخليفة، والعَدْل ضياء الدين عبدالوَهّاب ابن سُكَيْنة(٤) الخازن وابن بَكْران نائب الوكيل، وضُرِبَت لهم خَيْمة خَلْف التُّربة، وخَلَعُوا على كل من كان في خِدْمتها من النُّواب والأتْباع والفَرّاشين والمَحَفدارية والجَمّالين والسَّقّائين والحُدَاة والسَّاقة والنَّفّاطين والحُرَّاس. وحُكِيَ أن فخر الدين ابن المُخَرِّمي صاحب الديوان حَمَل إليها من البَصْرة ستة عشر جَمَلاً عليها حَلْواء وأقراص ماء الليمو(٥)

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «حسن الدين».

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «ترك»، ولا معنى لها.

(٣) يعني: تربة زمرد خاتون والدة الخليفة الناصر لدين الله.

(٤) عبدالوهاب بن علي بن سُكَيْنة صوفي معروف توفي سنة ٦٠٧هـ كما في «التكملة» و«تاريخ ابن النجار» وغيرهما، وهذ كأنه من أولاده أو أحفاده فإن بعضهم قد اشتغل في الأمور الديوانية الدنيوية، منهم حفيده قطب الدين محمد بن عبدالرزاق بن عبدالوهاب بن سكينة الآتية ترجمته في وفيات سنة ٦٤٤من هذا الكتاب.

(٥) هكذا في الأصل من غير نون، فكأنها هكذا كانت تلفظ في ذلك العصر. أما ما جاء في المطبوع من إثبات النون فهو من كيس ناشره الدكتور مصطفى جواد رحمه الله.

ومُخَلَّط، وبُسُر مَطْبوخ، وماء الوَرْد والخلاف، وقشر الطَّلع، وشربات، ومراكن، وليمو أخضر، وأترج، وتُفاح، وكُمثرى، وخوخ، ونارنج، ورمان، وعنب، وباذنجان، وماء الليمو، والحُصرم، وخَل العِنَب مُصَعَّداً[1]، وغير مُصَعَّد، وحُصُر بَصْرية، وسجادة رفيعة، وصل ذلك إلى مَنْزل الثَّعْلَبية. وحيثُ تأخَّرَ المُستعصم بسبب مَرَضه عنْ الركوب للقاءِ والدته، أتفقَ أنَّه تُقُدِّم إلى مُقْطَع اللِّحْف[2] بالخُرُوج إلى نواحي الجَبَل لِمُهمٍّ تَجدَّدَ، فانزعجَ النَّاسُ لذلك، وكَثُرت الأراجيف، وتواقعوا على شِراء الخُبْز والكَعك والدَّقيق، بحيث غَلاَ السِّعر، فانتَهَى ذلك إلى الديوان، فتُقُدِّمَ بأخذِ جماعةٍ من الخَبَّازين وضَرْبهم، فسكنَ الناسُ حينئذ، ثم ركب الخليفة في دِجلة، وأصْعَد إلى أعلى البَلَد، وعادَ، وزُيِّنَ البلد بالتَّعليق والمَغَاني فَرَحاً بعافيته، ونَظَمَ الشُّعراء في ذلك أشعاراً كثيرةً، منها ما أنشده مجد الدين محمد بن شرف الدولة بن مُسافر لنفسه:

لقد عَمَّ آفاقَ البلادِ سُرورُ ... وصَحَّت أمان للورى ونُذُورُ
وكادت قُلوبُ المُسلمين مَسَرَّةً ... ببُرءِ أمير المؤمنين تَطِير
وَكُلاًّ تَراهُ مُسْفر الوجه ضاحِكاً ... يَلُوحُ[3] عليه غِبْطة وحُبُورُ
فلا ثَغْر إلاّ قد تَبَسَّم ثَغْرُه ... وسارَ إليه بالهناء بَشِيرُ
على كُلّ وَجْهٍ بَهْجةٌ وَطَلاَقةٌ ... وفي كُل قَلْبٍ فَرْحة وسُرورُ

---

(١) الشراب المُصَعَّد هو الذي عولج بالنار.
(٢) لحف الجبل: هو أصله، وهو صقع معروف من نواحي بغداد، سُمّي بذلك، لأنه في لحف جبال همذان ونهاوند، وتلك النواحي، وهو دونها مما يلي العراق، ومنه البندنجيين (مندلي الحالية) وغيرها.
(٣) وقع في المطبوع: «تلوح».

أنارت نُجوم المَكْرُمات واشْرَقت وحُلِّيَ جيدٌ للعُلَى ونُحورُ
وقد سُرَّ لَمّا أن تَجَلَّيتَ للوَرَى كَبيـر[1] تَمام مِنْبَرٍ وسَرِيرُ

يقول فيها[2] :

فَبُشرى أمير المؤمنين بصحةٍ تَصح بها للعالمين أُمور

وهي طويلة. وتَقَدَّم الخليفة بمُصانعة غُرماء المَحْبوسين في حَبْس الشَّرْع وأداء ما عليهم والإفراج عنهم. وأبرزَ برسم الصَّدَقات شيئاً كثيراً[3] .

ذكر وفاة الوزير نصير الدين أبي الأزهر أحمد ابن الناقد[4]

كان من أولاد التُّجار المَعْروفين، حَفِظ القُرآن المَجيد وأدْأبَ نَفْسَه في

---

(١) تصحف في المطبوع إلى: «كثير».

(٢) قوله: «يقول فيها» سقطت من المطبوع.

(٣) وقع بعد هذا سقط كبير في حوادث هذه السنة ووفياتها، وأدغم في حوادث سنة ٦٥٣ من المخطوط. وقد ظن الدكتور مصطفى جواد رحمه الله أن هذا السقط يعود إلى سنة ٦٤٣، لذلك وضع سنة ٦٤٣ إثر كل عنوان من العناوين الآتية، وهو غلط بيّن، فإن وفاة ابن الناقد وولاية ابن العلقمي وابن الجوزي كلها في سنة ٦٤٢ كما هو مبسوط في التواريخ المستوعبة لهذه السنة. وقد أعدنا تنظيم الصفحات والمادة استناداً إلى الترتيب الزمني، واهتداء بما نقله صاحب كتاب «العسجد المسبوك»، والذهبي في «تاريخ الإسلام»، وكلاهما ينقل عن ابن الساعي، كما يفعل مؤلف هذا الكتاب.

(٤) مرآة الزمان ٧٤٧/٨، وعقود الجمان، لابن الشعار ١/الورقة ١٥٠، ومختصر التاريخ، لابن الكازروني ٢٦٣، وسير أعلام النبلاء ١٠٨/٢٣، وتاريخ الإسلام، الورقة ١٣ (أيا صوفيا ٣٠١٣)، والوافي بالوفيات ٨/ ٦٤، وفوات الوفيات ٣/ ٢٥٤، والعسجد المسبوك ٥٢٧، وغيرها. وكانت وفاته سنة ٦٤٢هـ في السادس من ربيع الأول منها.

تَحصيل الأدب وتَجْويد الخط، فلما تُوفِّي والده رُدَّ إليه ما كان يتولاه، وهو: وكالة أم الخليفة النَّاصر في وقوفها، ثم عُزِلَ ورُتِّبَ خواجه نور الدين ككسنقر الخلفي، ثم عُزِلَ فانقطعَ في بيته فلما ولي الظاهر الخَلافة أحضَرَهُ ووكَّلَهُ لأولاده العشرة، وكان بينهما رضاع وصحبة من الصِّغر. فلما توفِّي الظاهر وبويع ولده المستنصر بالله أحضره يوم مُبايعته، وأشهدَ له بوكالته، فبقي على ذلك إلى أن تُوفِّي أستاذ الدار ابن الضَّحّاك في سنة سبع وعشرين وست مئة، فأضاف إليه أستاذية الدار، فلم يزل على ذلك إلى أن قُبِضَ على الوزير مؤيد الدين القُمِّي في سنة تسع وعشرين وست مئة فنُقِلَ إلى الوزراة، والوكالة باقية عليه. وكان يركب في أيام الجمع ويحضر عند الخليفة ويُفاوضه في الأمور، فعرض له ألم المَفَاصل فعجزَ عن الرُّكوب والحَرَكة والكِتابة والجَرْي في الكلام، ولم تَتَغير منزلتُه ولا وَهَت حُرْمَتُه. ثم عرضَ له إسهال فتوفِّي ليلة الجمعة سادس ربيع الأول من السنة، فدُفن في مشهد موسى بن جعفر عليه السلام في تُربةٍ اتخذها لنفسه، ووجدوا في خزانته صندوقاً مملوءاً ذَهَباً ورقعة فيها مكتوب بخطه: «هذا من فواضل أنْعم مولانا وصَدَقاته وهو من استحقاق بيت المال»، فأُمِرَ بحمله إلى دار التَّشريفات، فذُكِرَ أنه كان به مئة ألف دينار. وكان حسن الطريقة مُتَدَيّناً أديباً، يقول الشِّعر، ويُنشيء الرَّسائلَ، وكان مولده في شوال سنة إحدى وسبعين وخمس مئة.

ذكر تَرْتيب الوزير مؤيد الدين محمد ابن العَلْقَمي

في يوم الأحد ثامن ربيع الأول، استُدعي مؤيد الدين أبو طالب محمد ابن العلقمي أستاذ الدار إلى دار الوَزارة فركب من داره المُقابلة لباب الفِرْدوس، في جَمْعٍ عَظيم من حاشية دار الخليفة، فلما خرجَ إلى ظاهر باب النُّوبي خرجَ جميع الحُجَّاب من دار الوزارة وتاج الدين علي ابن الدَّوامي حاجب باب النُّوبي، فتلقوه وقبَّلوا يده، ومشوا بين يديه إلى مُنْتَهى الدِّهليز الأوّل، وعَضَدَهُ في نُزوله حاجب الباب ابن الدَّوامي، ونَثَر عليه سراج الدين علي بن البَجلَي[1] ناظر دار الضَّرْب ذَهَباً وفضة عند دخوله، ولم يخلع عليه، وكان كَنْبوش فرسه لما كان أستاذ الدار إبرسيماً، فَرُفعَ وجُعِلَ عوضه صُوف مُسَنَّح[2] جَرْياً على قاعدة القُمِّي. ثم دخلَ وجلسَ في صَدْر الإيوان في المَسْند، واستُدْعي كافة أرباب الدولة والزُّعماء، ما عدا الدُّويدار الكَبير والصَّغير، فإنهما لم يحضرا عنده جَرْياً على عادتهما مع مَن كان قَبْله، وكَتَب إنهاءً صورته: «﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف] مَثَلَ المملوكُ بخِدْمة الدِّيوان العزيز-ظاهرَ اللهُ تعالى جلالَهُ، وأسْدلَ على الإسلام

---

(١) في المطبوع: «النحلي» مصحف، وهو ممن قتل في الواقعة سنة ٦٥٦، وسيأتي ذكره.

(٢) أي: موسى بالحُلي: فالسَّنيح والسانح هو الدر أو خيطه قبل أن يُنظم فيه، والحلي.

وأهله أورفه ظلاله- مُتَشَرِّفاً بِلَثْم صعيده والانتظام في سِلْك أوليائه المُخْلصين وعَبيده، رافعاً من أدعيته الصَّالحة، مُتَمِّسكاً من الإمحاض في العبودية بكل ما يُطيل أَمَد المواظبة عليه ويديمه، راجياً أن يوفّقه الله تعالى من الخِدْمة لما يُقَرِّبه زُلْفَى، أخذاً من المُبالغة في الطاعة الواجبة بالنَّصِيب الأوْفَر والقسم الأوْفَى، وسَيَسْتَفْرغ في الخِدْمة جهدَهُ ويَتَجاوز في المُناصحة دُؤوبَ الثاني، غاية من لم يَقُم بما يَجِب عليه وحده بتوفيق الله تعالى وإعانته، وإرشاده إلى سبل الواجبات وهدايته، ويُمْن[1] الهِمّة العَلِيّة المُقدسة النبوية، وتَثْقِيف الآراء الشريفة المُسْتعصمية، زادَها الله تعالى شَرَفاً وجَلالاً، وللآراء المقدسة المُعَظّمة النبوية أجلها الله تعالى في تأمّل خِدْمته المُشْتَمِلة على صالح أدعيته من يد الجلال والقُدرة إن شاء الله تعالى». فبرزَ الجواب على رأسه بيد صلاح الدين عُمر بن جَلْدَك، فَقَرأَهُ وسَلَّمَهُ إلى صاحب الديوان فخر الدين أبي سعد[2] المُبارك ابن المُخَرِّمي، وأمرَهُ أن يَقْرأه على الجماعة، فَقَرأَهُ، وصورته: «وقِفَ على خِدْمتك المُشْتملة على دعاءٍ تُواليه، وإنهاءٍ تُعيد الإخلاص فِيه وتُبْدِيه، وعُلِمَ ما ذَكرتُهُ وعُرِفَ ما أردتَهُ، رَزَقكَ الله تعالى تَوْفيقاً بتَمَسّكٍ بحَبْلِه وهدايةٍ إلى طريق الإرشاد وسُبُله، بكرمه وفَضْلِه». وكان على المُسجاة النائبُ بالديوان. ثم أنشَدَهُ الشُّعراء المدائحَ والتَّهاني، ولم تَزَل المُقَدمات ترد عليه مُسْجاة كما ذكرناه إلى خامس عشر ربيع الأول. ثم تُقُدِّم إليه أن يَعْرض مُطالعاته في كيس

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وبمن».
(٢) تحرف في المطبوع إلى: «سعيد».

إبريسم أسود مَخْتوم، ويبرز الجواب إليه كذلك، وأُذِنَ لمملوكه المُنْفَذ بالمطالعات أن يدخل باب الحُرَم راكباً.

ذكر ولاية ابن الجَوْزي أستاذ الدار

في تاسع ربيع الأوّل، مَضَى صلاح الدين عُمر بن جَلْدك إلى محيي الدين يوسف ابن الجوزي، وهو في منزله بباب الأزَج، فاستدعاه، فركبَ، وقد رفعَ الطَّرْحة إلى الدار المُقابلة لباب الفِرْدوس، الموسومة بسُكْنَى الأستاذ دارية، وأجْلَسَهُ في المَنْصب من غير أن يُخْلَع عليه، وشافَهَهُ بالولاية. ودخلَ الناسُ إليه مُهَنئين له، وركبَ من الغَد في جَمْع عظيم إلى دار الوزير فجلسَ عند مؤيد الدين نائب الوزارة ساعةً، ثم عاد إلى داره، وفي هذا اليوم كان أقضى القضاة عبدالرحمن ابن اللَّمْغاني جالساً عند الوزير هو وجماعة من المُدَرِّسين في البُسْتان، فنزلت حَمَامة ووقعت على رأس أقْضَى القضاة وبقيت زمناً طويلاً، فأنشدَ العَدْل موفَّق الدين ابن أبي الحديد الكاتب، ارتجالاً:

قد قيل في وَصْف النَّبي وصَحْبه | في ما سَمِعناه من الأخْبارِ
كانوا كأنَّ الطَّيْر فوقَ رُؤوسهم | فالآن شُوهِدَ ذاك بالأبصارِ
في مجلسِ المَوْلى الوزير مؤيد الـ | ـدين الحَنِيف وناصر الأنصارِ

ذكر ولاية ابن المطهر وكيل الخليفة

في ثاني عشر ربيع الأول، رَتَّبَ الخليفةُ المستعصم بهاء الدين عبدالوهاب بن المُطَهّر، وكيلاً عنه، وأشهَدَ عليه بذلك الشيخ العَدْل شمس الدين عليّ ابن النَّيَّار، وجعلَهُ في هذه القَضِيّة قاضياً، وشافَهَهُ بذلك، فكتبَ: «شَرَّفني سَيّدُنا ومولانا الإمام الأعظم المُفْتَرض[1] الطاعة على كافة الأُمم، عبدالله ووليهُ وخليفتُه ووارثُ نبيه ومحيي دينه ومؤيدُ شريعته أبو أحمد عبدالله المُستعصم بالله أميرُ المؤمنين أعَزَّ اللهُ به الدين ونصر بدوام أيامِه الإسلامَ والمُسلمين، وأحيا بسيرته الشَّرْعَ المُطَهَّر، وأعْلَنَ بدولته معالمَهُ وأظهر بالحضور بين يدي شريف سُدَّته، والمثول بعالي حَضْرَته، وبالإشهاد على نَفسِهِ الشَّريفة المُقَدَّسَة بجميع ما تضمنه هذا الكتاب في تاريخ كذا، وكتب العبد علي بن محمد النيار حامداً لله تعالى ومُصَلّياً على رسوله محمد النبي وعلى آله أجمعين، داعياً لسيّدنا ومولانا الإمام الأعظم والسُّلطان الأقوم بتشييد قواعد جده، ومجاورته في التأييد سنن الأئمة آبائه والقائم جده بمحمد النبي وآله».
وأحضرَ الشيخ عنده عَدْلَين، وأشهدَهُما عليه أنه ثبت عنده وكالة المذكور، فمضيا إلى أقضى القُضاة كمال الدين ابن اللَّمْغاني وشَهِدا عنده بذلك، ثم خُلِعَ على ابن المُطَهّر في دار الوزير وشُوفِهَ[2] بالوكالة مضافاً ذلك إلى وكالة باب طِرَاد ودار التَّشريفات.

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «المفرض».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «وشرفه».

ولاية شيخ الشيوخ

كان الشيخ شمس الدين أبو المظفر عليّ ابن النَّيَّار مُخْتصاً بخدمة الخليفة مُذ كان صغيراً، وحَذَّقَهُ الخَطَّ وحَفَّظَهُ القُرآن المجيد، فلما أفضت الخلافة إليه رَعَى له حَق الخِدْمة وقَرَّبه وعَوَّل عليه في كُلِّيات الأمور. فلما توفِّي الوزير ابن الناقد خاطبه في تقليد الوزارة، فأبى زُهْداً[١] فيها، وقال: إني عاهدتُ الله أن لا أغير لبس المُتصوفين ولا أنزع عني ما تعودته، فقيل له: نحن نوافقك على ذلك، بحيث تؤرخ الناس أن شَخْصاً يختص بنا نَدَبناه إلى الوزارة فأبى أن يغير زيه، فأجبناه إلى ذلك. فقال: لأن تؤرخ الناس أن شخصاً مُتَصوّفاً حسن فيه الظن وندب إلى الوزارة فامتنع أحسن من ذلكَ. فحينئذٍ فُوِّضت إليه مشيخة الشيوخ ببغداد وسُلِّم إليه رباط والدة الخليفة الناصر لدين الله، وخُلِعَ عليه في دار الوزارة قَميصٌ مُصمت أبيض وبُقْيار قصب أبيض مسكن، وخُوطب بشيخ الشيوخ، فمضى إلى الرَّوضة وصَلَّى رَكْعتين، وحضرَ بالرِّباط المذكور وقُرِئَت خَتْمة[٢] ، ودُعِيَ للخليفة، ثم عاد إلى داره، فكتبَ إليه موفق الدين بن أبي الحديد تهنئة وقال في آخرها:

هناآن في يَوْمين فالبِرُّ واحدُ ... وبالمَنْصب المُوفي على الوَصْف واحدُ
دُعِيتَ به شيخ الشيوخ وأنها ... خَصِيصة نَفْسٍ زَيَّنَتْها المَحَامدُ
أتاكَ شفاءٌ ثم أصبحتَ مثله ... شفاءٌ لأرْواحٍ لها منكَ واردُ

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «هذا».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «الختمة».

تُعَلِّمُهـا طـرقَ النَّجـاة وتَنْتَهـي بها حيث لا تَنْحل منا العَقَائدُ
فلو أن صِنْفَ العابدين تَجَمَّعوا لديكَ لقالوا: ما يُضاهيكَ عابدُ
أقمتَ لنوع الفَضْل سُوقاً فكلنا عليها على قَدر البضاعة وافدُ
فما الزُّهدُ مَتْروكٌ ولا العِلْمُ مُهْمَلٌ ولا الخَيْرُ مَهْجورٌ ولا الفَضْل كاسِدُ
إذا لم يكن بالمُسْنَد المرء عالماً فلا خَيْر فيمن صَدَّرته المَسَانِدُ

ثم أُضيف إليه مشيخة رباط المَرْزُبانية.

ذكر قَتْل خليل بن بدر الكُردي

كان أحد زُعماءَ أرْسَنان(١) فخرجَ عن طاعة الخَلِيفة والتجأ إلى المَغُول، وكان يَلْبس زي القَلَنْدَرية(٢) ويزعم أنه من أصحاب الشيخ أحمد بن الرِّفاعي، وأظهر الإباحة، فاجتمعَ عليه خلقٌ كثيرٌ، وكان يشرب الخَمْرَ، ويأكل الحَشِيش المُسْكر، فخرجَ معه جَمْعٌ كثير من المَغُول وغيرُهم وقصد نواحي اللِّحْف(٣) ، ونهبَ جماعةً من رعية

(١) هكذا في الأصل.

(٢) القلندرية، وهم المعروفون بالمحلقين، وهي طريقة صوفية ذات أحوال شيطانية، ظهر أسمها فيما يسمى بالأدب الصوفي منذ القرن الرابع الهجري، واشتُهرت على أيام شيخها قطب الدين حيدر التوني المتوفى سنة ٦١٨. وأهم ما يتميز به المنتمون إلى هذه النحلة الفاسدة هو تناولهم الحشيش المُسْكر كتقليد ثابت لهم، والإباحة، والتحلل من كثير من الشعائر والآداب الإسلامية، وحلق الوجه كله. وقد ظهرت في القرن الثامن الهجري تكية ببغداد لهذه الطريقة عُرفت بالقلندرخانة (التاريخ الغياثي ٩٣).

(٣) تقدم شرحه، وهي المناطق الواقعة على الحدود العراقية الإيرانية، ومنها مدينة مندلي.

سُلْيمان شاه وقَتَلَهُم، ثم حَصَرَ[1] قَلْعة وهار وهي لسليمان شاه، فخرجَ إليه في خَلْق كثير فالتقوا واقتتلوا من ضُحَى النهار إلى العَصْر، فقُتِلَ من أصحاب خليل ومن المغول ألف وست مئة فارس وراجل، وانهزمَ خليل، فظفرَ به بعضُ أصحاب سُليمان شاه، وأرادَ قَتْله فوعدَهُ بمالٍ كثير فلم يقتله. فأخذَهُ أسيراً، فَمَرَّ به قومٌ من التُّركمان من أصحاب سُليمان شاه، كان قَتَل[2] منهم جماعة، فَقَتَلُوه وحملوا رأسَهُ إلى سُليمان شاه، فأمر بتعليقه على باب خَانَقين، فعُلِّق.

وفيها، عُزِلَ الشيخ رضي الدين الحسن بن محمد الصَّغَاني عن مَشْيخة رباط المَرْزُبانية كونه حَنَفياً[3]، وشَرْط الواقف أن يكون شافعياً، وأُضيف الرِّباط إلى الشَّيْخ ابن النيار، ورُتِّبَ الصَّغَاني مُدرِّساً بمدرسة خمارتكين التُّتشِي[4]، وخلع عليه، وحَضَرَ المدرسةَ وخَطَب خُطبةً فصيحةً، وذكرَ عشرة دروس، وأنشد عند فراغِها:

فهاكُمُ يا سادتي ... منّي دروساً عَشَرَهْ
فأنتم معادن ألفَـ ... ـضل الكِرام البَرَرَهْ
ولست حَبْراً عالماً ... لكنها مُحَبَّرهْ
فَلْتَعْذِروا أخاكُمُ ... فمثلكم مَن عَذَرهْ

وفيها، قُبِضَ على صدر المخزن فخر الدين محمد بن أبي عيسى

---

(١) تصحفت في المطبوع إلى: «حضر».
(٢) في المطبوع: «قد قتل».
(٣) في الأصل: «كونه حنفي»، وفي المطبوع: «الكونه حنفياً».
(٤) وهي المعروفة بالمدرسة التتشية.

ووكِّل به، واحتيط على داره، وقُبِضَ على أنسابه وأصحابه، وسُلِّمَ ما كانَ يتولاه من الأعمال وهي طريق خُراسان والخَالِص والرَّاذان إلى عَميد الدين مَنْصور بن عَبَّاس مُشرف المَخْزن، وجُعِلَ حديث المَخْزن ورواضعه إلى فَخْرِ الدين محمد بن وَرْد النائب به[1] .

وفي حادي عشر تشرين الأوّل، كان حَرٌّ شَديد بحيث كان الإنسان يَنْطفُ[2] عَرَقاً، ووقع غَيْث وبَرد.

وفيها، رُتِّب جمال الدين عبدالرحمن ابن الجَوْزي مُدَرساً للطائفة الحنابلة بالمدرسة المُسْتنصرية، وخُلِعَ عليه وأُعطِي بَغْلةً، وتُقُدِّم إلى صاحب الدِّيوان فخر الدين ابن المُخَرِّمي وجميع أرباب المناصب بالحضور إلى المدرسة، فحَضروا. ورُتِّبَ أخوه شرفُ الدين عبدالله مُحْتَسِباً، وخُلِعَ عليه من غير أن يَشْهَد عند القاضي، ولم يُعْلَم أنَّ مُحْتسباً تَوَلَّى غير شاهدٍ سواه. وقد نظمَ عز الدين أبو الحسن علي بن أُسامة العَلَوي قصيدةً يهنىء بها أستاذ الدار بما تجدَّد لولديه، يقول فيها:

مولاي مُحيي الدين يا مولى به — كُل البَرّية في الحقيقة يَقْتَدِي
أنت المُهنأ بالذي قد خُوِّلا — وَلَداكَ أم نَفْس العُلَى والسُّؤدد؟
وهل البشارةُ للمراتب والذي — وَلِيَاه أم لكَ يا كَرِيم المَحْتدِ؟
قد قلتُ حينَ رأيتُ كلاً منهما — كالبَدْر في جُنْح الظلام الأسودِ

(١) انظر تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٢٤٤٦، وسيأتي القبض على محمد بن ورد هذا سنة ٦٤٦هـ.

(٢) أي: يسيل عرقاً، يقال: نطف الماء: إذا سال.

هذان ما خَطَبا المَراتب إنما خَطَبَتهُما لمناقب لم تُجْحَدِ
وهما من القوم الأُولى خَدَماتهم شَرَفاً تَصِيرُ لسيّدٍ عن سَيّدِ
ولأنت مولانا المليك من الوَرَى وهما أحقُ بِمُسْنَدٍ وبِمُسْنَدِ
أنتم لدينِ مُحمد شيدتُم عَلَماً به وكذاك مذهب أحمدِ
فالله يجزي الخَيْر كلاً منكم عن أحمد وعن النبي مُحَمد
وكَذَاك يَرْعاكم بعين عنايةٍ ويَمدكم منه بعُمر سَرْمَد

وفيها، أُضيف النَّظَر بالأعمال الواسطية إلى محمد بن يحيى ناظر البَصْرة، ونُفِذَت إليه خِلْعة.

وفيها، أُهديَ إلى الخَليفة غُرابٌ أبيض كُلُّه، ونَظَمَ الشُّعراءُ في ذلك أشعاراً كثيرةً، منها قول جمال الدين أبي الحسن علي ابن المُخَرِّمي من أبيات مَدَحَ بها الخليفة:

وما لون الغُراب بياض شَيْب ولكن نُور عَدْلك يا إمامُ
فعش للمُلْك ما وَخَدَتْ قَلُوصٌ[1] وراكِبُها وما ناحَ الحَمامُ
يزيل البُؤس والغَماء[2] عَنّا ويكلؤك المُهَيْمن والسَّلامُ

وفيها، قَبَضَ جماعةٌ من أتباع باب النُّوبي رفيقاً للرنْدِي، فبلَغَهُ الخبر وهو في حَمَّام بسوق السُّلطان، فخرجَ مُسْرعاً حتى وافاهم بعقد الأكّافين، وشَهَر سَيْفه وجرحَ منهم جماعةً واستخلصَهُ وعادَ، فأباحَ الخليفةُ دمَهُ. وهذا الرَّنْدي من أولاد المماليك الأتراك تَعَرَّض به وهو

---

(١) الوخذ للبعير: الإسراع، أو سعة الخطو. والقلوص من الإبل: الشابة، أو الباقية على السير.

(٢) في المطبوع: «الغماء». والعماء: البؤس واللجاجة.

صَبِي شابٌ تام الخلقة فَضَرَبَهُ بسكين فقتَلَهُ نهاراً في سُوق العَمِيد وهرب فاختفى أياماً، ثم توجه إلى عمه وكان في زَرْدَة فاحتمى به، فبلغَ الخليفة ذلك، فأمر بإحضاره مُقَيَّداً فلما أُحْضِرَ قُرِّرَ فلم يعترف بشيء فأُمِر بحَبْسه، فبقي إلى خلافة المُستعصم بالله فَصُونِعَ ورثة المَقْتول بشيءٍ، فحضروا وسألوا الإفراج عنه، فأُجيبوا إلى ذلك.

وفيها، انقطعَ الحج من العِراق بسبب اختلاف العَرَب واشتطاطهم في الطَّلَب وقِلَّة المياه في الطَّريق، ولاشتغال الدِّيوان بحركة عساكر المَغُول.

وفيها، وُلِّي فخر الدين أبو منصور نصر الله بن عبدالرَّشيد قَضاء الجانب الغربي ونَهْر عيسى وخُلِعَ عليه، ونُفِذَ إلى قاضي القضاة، ومعه حاجب يعرفه أنه قد أُجري على قاعدة مَن تَقَدَّمه من غير أن يُتَقَدَّم إليه باستنابته، فمضى وأسجل عن الخليفة[1].

وفيها، وصلَ إلى بغداد رَسُول من المَغُول، وأعيد ونُفِذَ معه القاضي ابن عبدالرشيد المذكور، وفَلَك الدين بكتمر أمير آخُر[2] حاجب علاء الدين ألطبرس[3] الدويدار الكبير.

وفيها، جَرَى مَعْتوق المَوْصلي المعروف بكُوَيْز[4] الكلام من

---

(١) انظر تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٢٥٠٥.

(٢) هكذا في الأصل، وهي بضم الخاء، وتكتب «آخور» وكله بمعنى: الاصطبل.

(٣) تحرف في المطبوع إلى: «الطبرسي».

(٤) في المطبوع: «كوثر» مصحف، وهي غير منقوطة في النسخة الخطية، ووجدناها مجودة التقييد والضبط بخط الذهبي في «تاريخ الإسلام» وهو ينقل من تاريخ ابن الساعي (٦٣/ ٢٤).

دَقُوق[1] ، ساعياً على قَدَميه، فَوَصل كُشْك الملكية ودَخَلَهُ، وكان الخليفة هناك ومعه الشَّرابي وهو أستاذه، ثم خَرَج من الكُشْك وعادَ إلى الوَقْف[2] ، ثم رجع إلى الكُشك، وقد تَخَلَّف من النهار ساعة ونصف، فَقَبَّل الأرض بين يدي الخَلِيفة، فتَقَدَّم له بخمس مئة دينار وأعطاه الشرابي ثلاث مئة دينار، وحَصَلَ له من أرباب الدولة شيء كثير.

وفي هذه الأيام أُغرِيَ الناسُ بَعْدو السُّعاة في سائر محال بغداد.

وفي هذه السنة، سارت طائفة من عساكر المَغُول إلى مَيّافارقين فلما بلغَ صاحبها شهاب الدين غازي قُربهم منه، فارَقَها، فعاثُوا في ديار بكر أشد العَيْث، وأخذوا حَرّان والرُّها، ومَلَكوا ماردين صُلْحاً.

وفيها، فَقَدَ بعضُ التجار ببغداد ابنتيه وجاريتين له وخمسةَ آلاف دينار وجملة من زَرْكَش[3] ومَصَاغ، فأُنهي ذلك إلى حاجب الباب، ففحصَ عنه، فأسْفَرت الحال على أنه كان يجاوره شابان من أولاد التُّرك، وقد اتفقا مع النساء على فَتْح باب من دارهما في خزانةٍ بدار التَّاجر، وكانوا يجتمعون مدة، فَوُجِدَ أحد التُّركيين، وقُرِّرَ فأقر بذلك، وذكرَ أنَّ رفيقَهُ والنساء في دار بعض ركابية[4] الخليفة، فكُبِسَت الدَّار فلم يوجد فيها غير نساء صاحبها، فوُكِّل بهن، فلما صارَ المَغْرب جاء

---

(١) هي دقوقا، هكذا تكتب أيضاً.

(٢) قرية قريبة من بغداد، على طريق الذاهب إلى همذان، وردت الإشارة إليها في جامع التواريخ لرشيد الدين م٢ج١ص٢٩٣-٢٩٤.

(٣) هو الحرير الموشى بالفضة أو الذهب (وانظر دوزي ٥/ ٣١٥).

(٤) جمع ركابي، وهو الموكل بركاب الخليفة والقائم بأمره.

تركي، فدخلَ الدار فقَبضَ عليه الموكلون وظنوا أنه أحد التركيين المطلوبين، فإذا هو إحدى البَنات، فحُمِلَت إلى دار الوزارة فأقرت أن أختها والجاريتين في دار قوم من العَجَم، فكُبِسَ عليهم فوجدوا الإبنة الأُخرى والجاريتين، ولم يجدوا المال ولا التُّركي الآخر، فسُلِّمت الابنتان والجاريتان إلى التَّاجر، وأُمِرَ بحَبْس التُّركي وصاحب الدار التي كانوا فيها، ومؤاخذة ركابي الخليفة وإبعادة.

وفي هذه السنة، توفي جلالُ الدين عمر[1] ابن السَّلطان الملك الصالح أيوب صاحبِ مصر ابن الملك الكامل أبي المعالي محمد ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي. كان شاباً حسناً، حَبَسه عَمُّ أبيه الملك الصالح صاحب دمشق، وأشاع أنه مات حَتْفَ أنفه.

وفيها، توفِّي حُسين بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن بَرِز القُمّي، أخو الوزير. قَدِمَ مع أخيه، وانقطعَ في دارٍ مُجاور دارِه، وانقضَى عُمره على ذلك، ودُفن في مشهد موسى بن جعفر عليه السلام.

وفيها، توفِّي نقيب النقباء بهاء الدين أبو طالب الحُسين[2] بن أحمد ابن المهتدي بالله. كان خَطِيباً بجامع الخليفة[3] ناظراً في وُقوف تُرَب

---

(١) تاريخ الإسلام، الورقة ٢١(أيا صوفيا ٣٠١٣).

(٢) تاريخ الإسلام، الورقة ١٦(أيا صوفيا ٣٠١٣)، والعسجد المسبوك ٥٣١، والبداية والنهاية١٣/ ١٦٥.

(٣) هو جامع القصر.

الرُّصافة، ثم وُلِّي نقابَة العباسيين، وأُقِرَّ على الخطابة، فمرضَ يوماً واحداً وماتَ، ولم يَعْرض له في مدة خطابته ما يَقْطعه عنها. وكان مولده سنة سبع وسبعين وخمس مئة.

سنــة
ثلاث وأربعين وست مئة

في آخر نهار الاثنين ثالث عَشَر صَفَر، استُدْعِيَ جمالُ الدين علي المُخَرِّمي أخو فَخْر الدين أبي سَعْد المبارك ابن المُخَرِّمي صاحب الديوان، وكان نائبه[1] ، إلى دار الوزير، وقبض[2] عليه، ونُفِذَ إلى أخيه مَن شافَهَهُ بالعَزْل، واستُظْهِرَ على دارِه، ووكِّل بدار أخيه المذكور، وقُبِضَ على أخيه شمس الدين عبدالرحمن، وكان مريضاً، ثم قُبِضَ على حاجبيه الفَخْر ابن دَلال والشَّمس ابن الصَّيّاد، وعلى الأسباسلار ابن الشَّمَحل. ومن الغد سُلِّم جمال الدين علي إلى عَمِيد الدين ابن عباس مُشرف المَخْزن.

وفي ليلة الأربعاء خامس عشر الشَّهر، أُخْرِج فخرُ الدين صاحب الديوان من داره بالمُطَبَّق، ومعه ولده كمال الدين محمد، وحُمِلا إلى دار ابن عَبّاس أيضاً، فوُكِّل بهما عنده في حُجْرة قريبة من داره بدَرْب المَطْبخ[3] . ثم طُلِبَ من فَخْر الدين أن يكتب خَطَّهُ بمبلغٍ من العَيْن

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «يأتيه».

(٢) تحرفت في المبطوع إلى: «فقبض».

(٣) درب المَطبخ: لم نقف على نص يوضح موقع هذا الدرب، والذي نفهمه مما ذكره المؤلف أن دار مشرف المخزن كانت عنده، وقد سبق له أن ذكر في ترجمة ابن خُلَيْد الكاتب أنه وُلِّي كتابة المخزن وخزانة الغلات بباب المراتب، فإذا كان ثمة اقتران =

ذُكِرَ له مُرَاسلة، فامتنعَ وأَبَى أن يكتبَ خَطَّهُ إلا بأن يذكر جميع وما يملكه وأخواه وأهله ولا يخفي من ذلك شيئاً، وأقْسَمَ على ذلك بالأيمان المُعْتَبرة شَرْعاً وعُرْفاً، فاقتُنِعَ منه بذلك، ثم نُفِذَ إلى داره من اعتبَرها فلم يجد بها طائلا، ووجد من الذَّهَب مِقْدار ثلاث[1] مئة دينار، وذَكَر أنَّ بعضَها وديعة ليتيم عنده. ثم وَقَعَ الشُّروع في بيع ما كان في دورهم، ووقع الاقتناع منهم بذلك. ونُقِلَ فخرُ الدين وولدهُ كمالُ الدين إلى دارٍ بالقصر[2] من دار الخلافة، وجُعِلَ معه مَن يَحْفظه من جانب عَمِيد الدين ابن عباس، ولم يُلْق أحدٌ منهم بكلمة سَيِّئةٍ ولا نِيلَ بمكروهٍ، كما جَرَت العادة في مَن يُقْبَض عليه ويراد استئصاله، وهذا يَدُل[3] على كمال[4] المَعْدَلة وخِفّة الوطأة:

ومَن يَكُ في سُخْطِهِ راضياً فكيف يكون إذا ما رَضي

وأُفرج عن فَخْر الدين وإخوته وأصحابه في ثامن جُمادى الآخرة من السنة بشفاعة الشَّرابي.

وفيها، توفِّي الحكيم شمس الدولة أبو الخير سَهْل[5] بن توما النَّصرانيُّ اليَعْقوبي. نشأ في الجاه والحُرْمة والقُرب من الخُلفاء وبَسْطِ

= جغرافي بين كتابة المخزن وخزانته، دل ذلك على أن درب المَطْبخ كان في محلة باب المراتب، وهو الباب الجنوبي لدار الخلافة العباسية.

(١) سقطت من المطبوع، فصار ما وجد «مئة دينار»!

(٢) يعني: قصر التاج.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «أنزل»!

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «كمال الدين».

(٥) العسجد المسبوك ٥٣٨.

اليَد في الأموال والتَّصرف في الأعمال، ولم يزل على ذلك منذ الأيام النَّاصرية وإلى الآن. وكان الخليفة المستنصر بالله يراسل به الوزير القُمِّي، ثم ابن النَّاقد في تقرير القَوَاعد والولايات وغيرها، فلما توفِّي قُبِضَ على أمواله وأملاكه وذخائره، ونُقِلَ كل ما كان في داره من الأشياء النفيسة إلى دار الخلافة، وحُزِرَت[1] تركته بثلاث مئة[2] ألف دينار. ثم وُكِّل بأخويه وأصحابه أياماً وأُفرج عنهم، وخُلِعَ على أخويه فخر الدولة ماري وتاج الدولة أبي طاهر، ورُتِّبَ فخر الدولة ماري في جميع الأشغال التي كانت مَنُوطة بأخيه من الوكالات للأبواب والنَّظَر في الأقْرِحة وغيرِ ذلك، ورُتِّب تاج الدولة وكيل باب عَنْبَر المُختص بابنة الخليفة المستنصر بالله، ثم أُعيد عليهما بعد ذلك ما كان أُخذ من تَرِكة أخيهما من مالٍ ومُلْك[3].

وفيها، أمر الخليفة ببناء سَكْر على فَم نَهْرِ عيسى مما يلي دِجلة ليزداد ماء النَّهر بحيث تَعْبر شُبّارتُهُ إلى القَصْرِ المُسْتَجَد مجاور[4] قَنْطَرة الشَّوك[5]، فلما انتهى، نَظَم الشُّعراء في ذلك أشعاراً كثيرة، وكان في غاية الإحكام، فلم يَلْبث إلا قَليلاً وانقلب، فلم يُرَ له أَثَر.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «حرزت».

(٢) تحرفت العبارة في المطبوع إلى: «فكانت ستمائة».

(٣) ذكر ذلك تاج الدين ابن الساعي في تاريخه، كما نقله عنه ابن الفوطي في «تلخيص مجمع الآداب» في ترجمة فخر الدولة أبي علي وأبي الخير ماري ابن أمين الدولة صاعد (٤/ الترجمة٢٢٩٩).

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «بجوار».

(٥) قنطرة على نهر عيسى مجاورة لشارع ابن رزق الله، ومقابلة لمحلة التوثة.

وفيها، عُزِلَ العَدْل ابن القُشاري الهُمَامي عن إشراف الخَزانة والعَدَالة، وسَبَب ذلك، أنّه كتبَ خَطَّه على هامش رَفْع[1] لم يُكْتَب فيه بَعْدُ سُكونا إلى رفيقه، ، فأُنْهِيَ ذلك عنه، فَتُقُدِّم بعزله[2] .

وفيها، كانت وفاة هوكباي وملكي ابنة كبوك قان[3] .

ذكر وصول المَغُول إلى بَغْداد وعودهم

في المُحَرَّم، وصل الخَبَرُ إلى بَغْداد من إرْبل أنَّ المغول خَرَجوا من هَمَذان في ستة عشر ألفاً وقَصَدُوا الجَبَل[4] ، فأمر الخليفة بالاستعداد للقائهم، وتَبْريز العَسْكر إلى ظاهر السُّور، فخرجوا على التؤدة والهُوينَى، فوصلَ الخبرُ أنَّ طائفةً منهم قَصَدُوا خَانَقِين ووقعوا على جماعةٍ من أصحاب الأمير شهاب الدين سُلْيمان[5] شاه بن بَرْجَم زعيم الإيوانية، وقَرُبوا من بَعْقُوبا، ونَهَبُوا وقَتَلُوا، ووصلَ أهلُ طريق خُراسان والخالِص إلى بَغْداد، فأُمر حينئذٍ باستنفار الأعراب من البوادي والرجالة من الأعمال، وتفريق السلاح ورَفْع المَنَاجيق على السُّور. وخرجَ الشَّرابي إلى مُخَيّمِه بظاهر السُّور فوصلَ إليه رسولٌ من الأمير فلك

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «رفيع»، ولا معنى لها.

(٢) أي: أنه وضع توقيعه على ورقة عريضة -كما يقال في عصرنا- لم يكتب فيها شيء بعد، وثوقاً برفيقه.

(٣) هذا الخبر سقط جملة من المطبوع.

(٤) هو جبل حمرين، كما ذكر ابن عبدالحق في «المراصد».

(٥) تحرف في المطبوع إلى: «سلمان».

الدين محمد بن سُنْقُر الأسن المعروف بوجه السَّبُع، وكان بالقُلَيْعةِ يَزَكاً[1] يُخْبره بوصول المَغُول ومحاذاتهم له، فركبَ في الحال وعَيَّنَ على من يتوجه لمساعدة فَلَك الدين المَذْكور، ثم أخذَ في تعبئة العَسَاكر وتَرْتيبها ميمنةً ومَيْسرة، فوصلت عَسَاكر المَغُولِ ونزلوا بأزائهم، وجَرَت بين الفريقين حَرْبٌ ساعةً من نهار، ثم باتوا على تعبئتهم، فلما أصبحوا لم يجدوا من عساكر المَغُول أحداً، وكفى الله المؤمنين القِتال.

ثم وردَ الخَبرُ، أن طائفةً منهم عَبَرت إلى دُجَيْل، فقتلوا ونَهَبُوا فَنُفِذَ إليهم جماعة من العَسْكر والعَرَب نحو ثلاثة آلاف فارس، وقُدِّم عليهم الأمير قَزْقَر النَّاصري، فلما عَرَفوا بعبور العَسْكر إليهم رَجَعُوا.

ذكر حَصْر دمشق

في هذه السَّنة، سَيّر الملكُ الصالح أيّوب ابن الكامل محمد ابن العادل صاحب مِصر عَسْكراً إلى مدينة دِمشق، فنزلوا عليها، وحَصَرُوها وضَيَّقوا على أهْلها ومنعوا عَنْهم المِيرة، ودامَ ذلك شُهوراً حتى تَعَذَّرت الأقوات عندهم وغَلَت الأسعارُ، وبَلَغت الغرارة الحِنْطة مئة دِرْهم. وكان الملكُ الصالح إسماعيل ابن العادل صاحب دمشق بها، فضج الناس إليه وشكوا ما هم فيه من تَعَذُّر الأقوات، فراسل ابنَ عَمّه الملك

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «يزك»، واليزك: طلائع الفرسان من الجيش.

الصالح أيّوب في ذلك وتَرَدَّد الرُّسُل بينهما فاستَقَرَّت[1] القاعدة على أن يَنْفرد الملك الصالح إسماعيل بملك بَعْلبك، ويمضي بأهله إليها، فأجاب إلى ذلك وخرج لَيْلاً، وأرسلَ الملكُ الصالح أيوب إلى الخليفة، عبدالرحمن بن عَصْرون[2] يخبره بذلك، فأرسل الخليفة إليه التَّقْليد والخِلَع مع جمال الدين عبدالرحمن ابن الجوزي الواعظ مُدَرِّس طائفة الحنابلة بالمدرسة المُستنصرية، فتوجه وابن عَصْرون صُحبته.

ذكر ترتيب صاحب الديوان

في عشية يوم الجمعة ثاني شهر رجب، ولي فخر الدين أبو طالب أحمد ابن الدَّامغاني صَدْراً بديوان الزِّمام نَقْلاً من إشرافِهِ عِوَضاً عن فخر الدين أبي سَعْد المُبَارك ابن المُخَرِّمي، وخُلِعَ عليه في دار الوزير، ومَضَى إلى الديوان فجلسَ به وكَتَبَ إنهاءً على جاري العادة ابتدأ فيه بقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء] ثم عادَ بعد عود الجواب إلى دار الوزير ومنها إلى داره[3].

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «فأسفرت».

(٢) هو ابن أبي عصرون، وإنما يستعمل ذلك تجوزاً، وهو من عائلة شامية معروفة.

(٣) وقع في ترجمته من «تلخيص مجمع الآداب» لابن الفوطي أنه ولي ديوان الزمام في رجب سنة ثمان وأربعين وست مئة (٤/ الترجمة ١٩٧١)، فلعل (ثمان) هذه محرفة عن «ثلاث».

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، غَلَت الأسعارُ ببغدادَ، حتى بلغ الكُرّ من الحِنْطة تسعين ديناراً، ومن الشَّعير أربعين ديناراً، والتِّبن كل ألف رطل بخمسة دنانير، وكان مع هذا لا يكاد يُوجد في الأسواق إلا الخُبز الفائق السَّميذ.

وفيها، رُتِّب الكمال محمد بن حُسين مشرفَ واسط. ورُتِّب عمادالدين يحيى بن المرتضى صَدْر المخزن، وخُلِعَ عليه في دار الوزير وركب إلى المَخْزن ونزل على باب الحُرَم، وقَبَّل الأرض، ودخل راجلاً، وكَتَب إنهاءً وصَدَّرَه بقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل].

وفيها، قُلِّدَ عبدالمؤمن الكَوَّاز البَصْريُّ المالكيُّ قضاءَ واسط وشُرِطَ عليه أن لا يحكم إلا بمذهب الشافعي رضي الله عنه.

وفيها، تَقَدَّم الخليفةُ بإرسال طيور من الحمام إلى أربع جهات لتصنَّف أربعة أصناف، منها: مَشْهد حُذيفة بن اليمان بالمدائن ومَشْهد العَسْكري بسُر من رأى، ومَشْهد غني بالكُوفة، والقادسية ونُفِذَ مع كل عدة من الطيور عَدْلان ووكيل، وكُتِب بذلك سجل شَهد فيه العُدول على القاضي بثبوته عنده، وسُمِّيت هذه الأصْناف باليَمَانيات، والعَسْكريات، والغَنَويات، والقَادِسيات، ونَظَمَ النَّقيب الطاهر قُطب الدين الحُسين ابن الأقساسي في ذلك أبياتاً، وعَرَضها على الخليفة، أولها:

خليفةُ الله يا مَن سَيْف عزمته مُوكل بصُرُوفِ الدَّهْر يَصْرِفُها

يقول فيها[1] :

إن الحَمَامَ التي صَنَّفتها شَرُفَت على الحَمَام التي من قبلُ نَعْرفها

والقادسيات أطيارٌ مُقَدَّسة إذ أنتَ يا مالِكَ الدُّنيا مُصَنِّفها

وبعدها غَنَويّات تُنالُ بها غِنَى الحياة وما يَهوى مؤلِّفها

والعَسْكريات أطيار مُشَرفة وليسَ غيرك في الدُّنيا يُشَرِّفها

ثم الحَمَام اليمانيات ما جُعلت إلا سُيوفاً على الأعداء ترهفُها[2]

لا زلتَ مُسْتعصماً بالله في نعم يُهْدَى لمجدِكَ أسْناها وألْطَفُها

ثم سألَ أن يقبض منها من يد الخليفة فأجاب سُؤاله، وأحضره بين يديه وقَبَّضه، فلما عادَ إلى داره نظم أبياتاً، أولها:

إمام الهُدَى أوْلَيْتَني منكَ أنْعُماً رددنَ عليَّ العَيْش فينان أخْضَرا

وأحْضَرْتَني في حضرةِ القُدْس ناظِراً إلى خَيْر خلقِ الله نَفْساً وعُنْصرا

وأعْلَيْتَ[3] قَدْري بالحَمَام وقَبْضها مناولة من كفِ أبْلجَ أزْهَرا

رفعتَ بها ذِكْري وأعْلَيت مَنْصبي فَحُزتُ بها عِزّاً ومَجْداً على الوَرَى

حَمَامٌ إذا خفتُ الحِمام ذكرتُها فصرتُ بذاك الذِّكْر منها مُعَمَّرا

يقول[4] في آخرها:

قضَى اللهُ أن يَبْقى إماماً مُعَظَّماً مَدَى الدَّهر ما لاحَ الصَّبَاح وأسْفَرَا

---

(١) وقع في المطبوع: «ويقول»، فالواو زائدة.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «ترهقها».

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «عليت».

(٤) وقع في المطبوع: «ويقول»، والواو زائدة.

فَدُم يـا أميـر المـؤمنيـن مُخَلَّـدا   على المُلْك مَنصور الجيُوش مُظَّفرا

وفي ليلة الجمعة حادي عِشْري شهر رَمَضان، نُقِلَ مؤيد الدين أبو الحَسن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن بَرِز القُمِّي الوزير من مَدْفنه بمقبرة الزَرَّادين بالمأمونية[1]، إلى تُربةٍ كان أنشأها بالمَشْهد الكاظمي، ووقفَ عليها وُقوفاً، وذلك بعد ثلاث عشرة سنة وأحد عشر شهراً.

وفيها، توفي المُحب أبو عبدالله محمد[2] بن محمود ابن النجار الحافظ المتقن المحتوي على فنون العلوم. حفظ أولاً القرآن المجيد وقرأ علم النحو وسمع الحديث وشرع[3] في كَتْبِه التاريخ، وقرأ علم الأدب. وسـافَـرَ إلـى الحجـاز وجـاورَ بمكـة، ثـم دخـلَ بـلادَ الشـام، والجزيرة، والمَوْصل، وبلاد الجَبَل، وخُراسان، وكانت مدة سفرته وتطوافه هذه البلاد ثماني وعشرين سنة، قرأ فيها على العُلماء والمشايخ، واشتمل مُعْجَمه على ثلاثة آلاف شيخ وأربع مئة امرأة.

(١) مقبرة الزَرَّادين: منسوبة إلى أهل صناعة الزرود، ضرب من الدروع، كانت تعد جزءً من محلة المأمونية، وربما عدت من محلة باب الأزج، فهي إذن في الحد بين المحلتين، وقد دفن فيها سنة ٧٢٠هـ الشيخ صدر الدين إبراهيم الحموئي الجويني، فنسبت إليه، وصارت تسمى مقبرة الصدرية، وعرفت المحلة حوله بالصَّدرية أيضاً، ولما يزل جزء منها متصلا بجامع سراج الدين عمر بن علي بن علي الحسيني القزويني الشافعي وكان قد دُفن بالزرّادين سنة ٧٥٠هـ فعرف جزء من المحلة نفسها بالشيخ سراج الدين نسبة إليه.

(٢) معجم الأدباء ١٩/ ٤٩، وعقود الجمان ٦/ الورقة ٢١٧، وصلة التكملة للحسيني، الورقة ٣٥، وتاريخ الإسلام للذهبي، الورقة ٤٢ (أيا صوفيا٣٠١٣)، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٣١، والوافي بالوفيات ٥/ ٩، وفوات الوفيات ٤/ ٣٦، وطبقات السبكي ٨/ ٩٨، وطبقات الإسنوي ٢/ ٥٠٢وغيرها.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «وبرع».

وجمع مجموعات كثيرة تزيد على أربعين كتاباً، منها: «الذيل على تاريخ بغداد»(١) ست عشرة مجلدة، و«نشر الدر» ثمانية أجزاء، و«العقد الفائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن الخلائق». وقَدِمَ بغدادَ سنة أربع وعشرين وست مئة، وقد مات أهله جميعهم، فسكنَ داراً في محلة الظَّفَرية، فَعُرِضَ عليه السُّكنى في رباط شيخ الشيوخ(٢)، فأبَى، قال: إني قادرٌ على المَسْكن، ومعي نحوٌ من(٣) ثلاث مئة دينار، فما يحل لي أن أرْتَفِقَ من وَقْفٍ. واشتَرَى جارية، فلما فُتِحَت المدرسة المُسْتنصرية عُيِّن عليه مُشْتغلاً في علم الحديث، فأجابَ إلى ذلك لأنه لم يَبْق معه من المال إلا شيء يسير، فلم يَزَل على ذلك إلى أن مات(٤). وكان مولده سنة ثمان وسبعين وخمس مئة ببغداد.

وتوفي، السلطان كيخسرو(٥) بن كيقُباذ بن كيخسرو ملك الروم

---

(١) هو الذي سماه: «التاريخ المجدد لمدينة السلام»، وصل إلينا منه المجلدان العاشر والحادي عشر، وطبعا في بلاد الهند طبعة رديئة، وأعد له الدكتور بشار طبعة محققة تظهر قريباً إن شاء الله تعالى.

(٢) منسوب إلى شيخ الشيوخ أبي البركات إسماعيل بن أحمد بن محمد النَّيسابوري البغدادي. وكان يقع عل شاطىء دجله، بلصق المدرسة البهائية التي سبق أن ذكرها المؤلف في هذا الكتاب وعلقنا عليها هناك. ومن المُرَجّح أن يوافق موقع الرباط والمدرسة أرض خان الباچه چي المُطل على دجلة من جهة، وعلى سوق الخَفّافين من جهة أخرى (ابن الساعي: الجامع المختصر٩/ ٣٧).

(٣) قوله: «نحو من» سقط من المطبوع.

(٤) هذا قول قد يُلبس، فإن ابن النجار لم يتول مشيخة دار الحديث بالمستنصرية إلا بعد وفاة شيخها أبي الحسن القطيعي سنة ٦٣٤هـ، ولكن يظهر أنه عُين مُشتغلاً في علم الحديث، وليس شيخاً له.

(٥) تاريخ الإسلام، الورقة ٣٦(أيا صوفيا٣٠١٣) ونقل ترجمته وأخباره من تاريخ ابن =

وولي المُلْك بعده ولدٌ له صغير، عمره نحو سبع سنين.

وتوفيت ابنة للخليفة[1] المُستعصم بالله، اسمها عائشة[2]، وعُمِلَ لها العَزاء في الرُّصافة على جاري العادة، وأنشدَ الشعراء المراثي، وكتبَ الوزير مؤيد الدين محمد ابن العَلْقَمي إلى الخليفة. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر] أجزل الله تعالى ثواب الخِدْمة الشريفة المُقَدَّسة النَّبوية الإمامية المستعصمية بالله على احتسابها وجزاها أفضل جزاء الصابرين عند جَزع النفوس واكتئابها، وأفاء عليها ظلاً من البقاء ظليلاً، ورجعَ طَرف[3] الحوادث عن حَوْزتها الشَّريفة حَسيراً كلِيلا، وعَوَّض عَمَّن عَبر[4] وذَهَب بحراسة من غَبَر[5] مما وهَبَ، وجَعَل السادة المَوالي المُعَظَّمين في حرز[6] حياطته، وكَلأهم من كل حادثٍ بعين حِفْظه التي لا تنام ورعايتِه، وأدامَ للدُّنيا وأهلِها بقاء الخدمة الشريفة، واستمرار عَصْرها، وخُلود الدولة الحالية بمضاء مراسمها العَلِيَّة ونفاذ أمرها:

= الساعي، والعسجد المسبوك ٥٤٠، وتلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ١٧٨٨، وغيرها.

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «الخليفة».

(٢) العسجد المسبوك ٥٣٧.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «طرق».

(٤) وقع في المطبوع: «غبر» وما أثبتناه هو الأصح الذي أراده القائل، وهو المتفق مع الذي بعده، وعَبَر: مات.

(٥) غَبَر: بقي، وهو من الأضداد.

(٦) تحرفت في المطبوع إلى: «حوز».

فإذا سَلِمتَ فكلُّ شيء سالم وإذا بَقيتَ فكلُّ شيء باقي

ولا زال مُلْكها مَحْروساً من الغِيَر، مصون الموارد من الكَدَر، ولا أعادَ إلى مواطن شَرَفها حادثاً، ولا أنزل بِمُقَدَّس رَبْعها الأمْرَع[1] خَطْباً كارثاً:

لا رَوَّعَت بعدها الخطوبُ لكم سِرْباً ولا فضلت لكم حُمَلُ

بمحمد وآله».

وكتب ابنُ عباس مُشْرف المخزن: «يُقَبِّل الأرض بين يدي مالك رِقّه وينهي أن العباس لما تَوَفّاه الله تعالى جلسَ ولدُه عبدالله رضي الله عنهما للعزاء، فجاء أعرابي فوقفَ حياله وأنشدَ:

اصبر نَكُنْ بكَ صابرينَ فإنما صَبْر الرَّعية بعد صَبْر الراسِ

خَيْرٌ من العباس أجرُك بعدَهُ واللهُ خَيْرٌ منكَ للعباسِ

فنهضَ عبدالله، ورفَعَ بساط العزاء. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة]. وقال النبي ﷺ: «لو كان يعقوب يعلم إنا لله وإنا إليه راجعون. لما قال: يا أسفا على يوسف»[2] فَعَظَّمَ اللهُ أجر مولانا وأحسن عزاءه ورحم ميته لقد كان لكم

---

(١) الأمرع: الخصب.

(٢) قال بشار: هذا حديث لايصح مرفوعاً، لكن رواه الطبري في تفسيره (٢٣٣١) بإسناد صحيح من قول سعيد بن جبير رحمه الله بألفاظ مقاربة. وانظر روح المعاني للآلوسي ٢/ ٢٣، والدر المنثور ١/ ٣٧٧،وزاد في نسبته إلى وكيع، وعبد بن حميد، والبيهقي في شعب الإيمان.

في رسول الله أسوة حسنة، والسلام».

وفي هذه السنة، انقطعَ الحج من العراق لأجل الاشتغال بحديث عساكر المغول.

سنة

أربع وأربعين وست مئة

فيها، كتب الوزير مؤيد الدين محمد ابن العَلْقَمي إلى الخليفة يُنْهي حال بعض الأُمراء ويقول في آخر كلامه «وهو مُدْبر» فوقع الخليفة على مطالعته بقلمه:

ولا تُساعد أبداً مدبراً ... وَكُن مع اللهِ على المُدْبِر

فكتب الوزير في الجواب من نظمه:

يا مالِكاً أرجو بحُبي له ... نَيْل المُنَى والفَوْز في المَحْشرِ
أرْشَدتني لا زلتَ لي مُرْشدا ... وهادياً من رأيك الأنْوَرِ
فَضْلُكَ فَضْلٌ ما له مُنْكِرٌ ... ليسَ لضوءِ الشَّمس من مُنْكِرِ
أن يجمع العالَم في واحدٍ ... فليسَ لله بمُسْتَنْكِرِ
فالله يجزيك بما قُلته[1] ... خَيْراً ويبقيك مَدَى الأعْصرِ
جَعَلْتَ تقوَى الله مَقْرونةً ... بورْدِ أفعالك والمَصْدرِ
مَنْ يَجْعل التقوى له مَتْجَراً ... فذاك حقاً رابحُ المَتْجَرِ

وفيها، فتحت دار الكتب التي انشأها الوزير مؤيد الدين ابن

---

(١) وقع في المطبوع: «عاقبة»، وقال ناشره الدكتو رمصطفى جواد رحمه الله: «كذا في الأصل». وما ذكرناه مثبت في الأصل، ولعله يريد بالأصل ما نُسِخَ وأرسل إلى بغداد، وهو الراجح.

العَلْقمي في دارِه، ونُقِلَ إليها كتبٌ من أنواع العلوم[1] ، فأنشدَ العَدْل موفق الدين القاسم بن أبي الحديد:

رأيتُ الخِزانةَ قد زُيِّنَت بكُتْبٍ لها المَنْظر الهائِلُ
عُقول الشُّيوخ بها ألفت و«محصوله» ذاك «والحاصل»[2]
ولما مثلت بها قائماً وأعجبني الفَضْل والفَاضِل
تمثلت أسماءَها منكم على النَّقْل ما كَذَبَ النَّاقِلُ
بها «مَجْمع البَحْر»[3] لكنه من الجُود ليس له ساحِلُ
وفيها[4] «المُهَذَّب»[5] من فَضْلكم و«مُغْنٍ»[6] ولكنّه نائِلُ
وفيها[7] «الوَسيط»[8] بما نرتجيه وفيها «النهاية» و«الكامل»[9]
وإن كان أعوزها «شَامِل»[10] فقد زانَها جودُك الشَّامِلُ

---

(١) ذكر صاحب الفخري (٢٤٨) أنها اشتملت على عشرة آلاف مجلد.

(٢) لعله يشير إلى كتاب «الحاصل والمحصول» لابن سينا، أو لكتاب «المحصول» للأرموي، وكتاب «الحاصل من المحصول» له، فالله أعلم.

(٣) هناك عدة كتب بهذا الاسم.

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «وبها».

(٥) إذا أطلق «المهذب» فيقصد به: المهذب لأبي إسحاق الشيرازي.

(٦) لعله يريد: «المغني» لابن قدامة.

(٧) تحرفت في المطبوع إلى: «وبها».

(٨) هناك كتابان مشهوران بهذا الاسم، أولهما: للغزالي، والثاني: للواحدي، وأظنه قصد الأول، فهو الأشهر.

(٩) هذا اسم لعدة من المؤلفات، على أننا نرجح أنه قصد «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ، لاقترانه باسم كتاب أخيه عز الدين المتوفى سنة ٦٣٠هـ وهو «الكامل في التاريخ»، والله أعلم.

(١٠) نظنه يشير إلى كتاب «الشامل» لابن الصباغ، فهو الأشهر.

وإن كـان قـد فـاتهـا فـائـتٌ أبـو الفَضْـل فـي عِلْمـه كـامِـلُ

وفيها، وقوع الشُّروع في عِمارة مُسناة دارٍ، على شاطىء دجلة في بُسْتان الصَّراة المُنْتَقِل إلى الخليفة من البَهْلوان ابن الأمير فَلَك الدين محمد بن سُنْقر. وتولى العَمَل في ذلك أستاذ الدار محي الدين يوسف ابن الجَوْزي، فسأل في بعض الأيام المشاهِر عن اسمه، فقال خالد، فقال:

نظرتُ إلى الخُلْد الشريف بفِكْرتي فبشـرنـي أنَّ الخليفـةَ خـالـدُ
إذ[1] الاسم مَعْناه الخُلُود حقيقة وأَكَّـدَهُ اسـم المُشَـاهـر خـالـدُ

وفيهـا، أُعيـد النَّظَـر فـي مصـالـح المـدرسـة المستنصـريـة إلـى شيـخ الشيوخ صدر الدين أبي المظفر عليّ ابن النَّيّار، فخرجَ في بعض الأيام من دار الخليفة عَقِيب غَيْثٍ مُعْتمِداً على يد فراش، فلما رفعَ يده عنه زلـق الفـرّاش، فقـال مُبـادراً: مـا يَنـالُ خيراً مـن تتركـه مـن يَـدِك، فقـال الموفق ابن أبي الحديد في ذلك:

مـولاي شيـخ الشيـوخ دُمـتَ لنـا مكَمّـل الخُلـق فـاضِـلاً خُلُقـا
بـالأمـس لمـا مشيـت مُعْتَمِـداً حيـثُ خشيتَ المياه واللَّثقا[2]
كُنْتَ عِماد الذي اعتمدتَ على يَـدَيـه حَتَّـى تجـاوزَ الطُّـرُقـا
دَليـلُ هـذا ولا خفـاء بـه أنَّـكَ لَمّـا تَـرَكتـه زَلَقـا
وهكَـذا كُـلّ مَـن رفعـتَ يَـداً عنـه وخَلّيتـه أصـابَ شَقَـا

ثـم رُدَّ إليه النَّظر على الطَّبَق، وكان يتولاه نجم الدين محمد بن

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «إذا».
(٢) اللَّثق: النَّدى.

الطَّرَّاح[1] ، فعزلَهُ وعزَلَ مُشْرِفه، واقتنعَ بالكاتب ونائبي النَّظر والإشراف. وكان قد اضطربَ حال عقاره وضياعه وقَلّ حاصلُه، فلما عاد أمره إليه تَوَفَّر حاصله، فقال الكمال محمد بن أبي الفَضْل الفقيه:

عادات صَدْر الدين مَشْكورة | وحَقٌّ مَن أحسنَ أن يُشْكَرا
أهْدوا إليه طبقاً فارغاً | فحطَّ فيه ذَهَباً أحْمرا
وعادةُ القوم على عَكْس ذا | إن عُوتِبُوا أو عَمِلُوا ما جرى
ياسيداً اخلص في نُصْحه | لمالكِ الأمْرِ ومولى الوَرَى
حَقٌّ على رأيك في نُصْحه | لِكُلّ ما خُرِّب أن تُعْمرا
لا زلتَ في دولته حاكِماً | يَرَى صوابَ الرأي في ما تَرَى

وفي هذه السنة، وصلت الطُّيور الحَمَام من عَبّادان وخشبات وسُبِقَ النَّقيب الطاهر قطب الدين أبو عبدالله ابن الأقساسي من سَطْح الشرابي، فَنَظم العَدْل موفق الدين القاسم بن أبي الحديد المدائني كاتب الإنشاء قصيدةً، يمدح فيها الخليفة، ويقول فيها:

سُبِقَ النَّقيب من البلاد بأسْرها | جَبَليها وجنوبها وشَمالها
لا واسطٌ أجْدت عليه وإنما | ضَرّته بلدةُ إرْبل بجبالها
والمَوْصل الفيحاء مات حَمَامُه[2] | فيها مع الغَرْباء في أطلالها
تلك[3] الحمائم ما بحشو قُلوبها | شَوْقٌ إلى دار النَّقِيب وحالِها
إني لأعذرها وقد وَلَّتْ إلى | سِنْجار تطلب خُمْسها من مالِها

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «طراح».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «جماعة»!
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «ملك»!

لم تَلْقَ في سَطْحِ النَّقِيب غذاءَها | أبداً سِوَى إتوارة[1] بزلالها
كم هذه الخَلوات إني خائف | من بَرْدِها وزُكامها وسُعالها
ما كانَ يَغْلط طائرُ لك مَرّة | فيجيء عاشِرُها لدى أرسالها
اللهُ أكبر إنَّ هذي عِبْرةٌ | لم يَقْتَدر أحدٌ على أمثالها
لو صَوَّرَ اللهُ البُروقَ حَمَائماً | لكَ لم تَرَ الإيماض في أفعالها
وسِواكَ لو حَمل الدَّجاجَ مُسابقاً | سبقتك طائرةً على أرْسالها

ثم قال فيه أبياتاً، منها:

أرسَلَ الطاهر النَّقيبُ طُيوراً | لسباق فلم يَفُز بمُرادِ
وطيورُ المَوْلى الشَّرابي جاءَت | وطُيور النَّقيب في كل وادي
ما حداها على التأخر إلّا | طَلب الخُمْس من طيور السَّوَاد[2] !

فلما حَضَر النَّقيب في البَدْرية يوم الجُمُعة جَرْياً على عادته، سُلِّمت القَصيدة إليه، وأُمِرَ بإيرادها.

وفيها، فُتحَ باب خَزْن[3] المدرسة المستنصرية المقابل لباب سوق المدرسة[4] ، وأُخذ منه نحو أربع مئة رطل شَمْعاً مَعْمولاً، وحدود ثلاث مئة رَطل سُكّراً، ومبلغ ثلاث مئة دينار وثلاثون مُصمتاً[5] طبرية.

---

(١) مأخوذة من «التور» وهو الإناء الذي يشرب فيه، فالإتوارة، هو الإناء الذي يوضع للطير ليشرب فيه.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «طباق الزاد»، وهو تحريف عجيب!

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «مخزن».

(٤) هو سوق المدرسة النظامية، وهو سوق الخفافين اليوم.

(٥) هي الثياب التي لا شية فيها.

وقيل: إنَّ جَوْقة الرَّنْدِي[1] فعلوا ذلك. وكَثُر اللُّصوص ببغداد وكانوا يأتون بالعُدّة ويأخذون أموال الناس[2].

وفي آذار وقعت صاعقة على نَخْلة في مسجد بالجانب الغربي أحْرقتها والنّاس يشاهدونها، ووقع في نواحي نهر مَلِك[3] بَرَد كِبار، وزن الواحدة منه ثمانية أرطال.

وفيها، توفي قُطب الدين محمد[4] بن عبدالرزاق بن سُكَيْنَة شيخ رباط شيخ الشيوخ أبي سَعْد[5] بالمشرعة[6]. وكان شاباً جميلاً، حافظاً للقرآن المجيد، أديباً، حَجَّ مِراراً مع والده ومُنْفرداً متولياً بعض السُّبْلانات[7]. ثم رَغِبَ في الدنيا وأحبَّ الرياسة، فسأل أن يُرَتَّبَ حاجباً بباب المَرَاتب، وأن يُقَرَّ على نَظَره بالرِّباط ويَتْرك مشيخته، وبذل على ذلك قُرْبةً[8]، فأُجيب سُؤاله، وخُلِع عليه، وركب بالسُّيوف المَشْهورة والبَسْمَلة بين يديه والكراثة بين عَيْنيه. فبقي على ذلك يَسِيراً،

(١) تقدم ذكره في حوادث سنة ٦٤٢.

(٢) إن ضياع الأمن يؤدي إلى هلاك الدول -كما حصل لهذه الدولة العباسية-، نسأل الله العافية!

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «الملك».

(٤) تلخيص مجمع الآداب ٤/٤٦٩٧، والعسجد المسبوك ٥٤٨، وجده هو الزاهد المشهور عبدالوهاب ابن سُكينة المتوفى سنة ٦٠٧.

(٥) تحرف في المطبوع إلى: «سعيد».

(٦) هي المشرعة المعروفة بمشرعة المدرسة، وكانت تتصل بسوق المدرسة الذي تقع عليه النظامية، ومنه أخذت اسمها.

(٧) تحرفت في المطبوع إلى: «السبلداريات»!

(٨) وقع في المطبوع: «قرية»، وهو بعيد، وما أثبتناه أولى وأقرب للمعنى.

ثم سأل أن يُرَتَّب ناظراً في مناثر التُّمور، فَرُتِّب، فبقي مدة ثم فُصِلَ عن ذلك، ولم يزل على مشيخة الرِّباط والنَّظَر في وقوفه إلى أن توفي، وقد نَيَّفَ على أربعين سنة، فنظمَ الأمير ركن الدين أحمد بن القراطاي أبياتاً ذَكَرَهُ فيها، وكتبَ بها إلى شهاب الدين رَيْحان، لأنه كان صديقه وهي:

جديرٌ بك الصَّبْر الجميل على الخَطْب
فليسَ على حُكْم المَنِيّة من عَتْبِ

شجاكَ ذَهاب القُطْب من بَعْد صُحْبةٍ
ولا غَرْوَ أن يشجَى الشِّهابُ على القُطْبِ

يَهُون وَبَال الصَّحب ما دُمتَ باقياً
رفيع الذّرى في حَيِّز الشرف الرَّحْبِ

وفيها، توفّيت ست العرب[1] ابنة الأمير أبي القاسم عبدالعزيز ابن الخليفة المُسْتنصر بالله، فَتَقَدَّم الخليفةُ المستعصم بالله أن يُعْتَمد معها جميع ما اعتُمِدَ مع ابنته الدَّارجة في السنة الخالية.

وانقطع الحج أيضاً في هذه[2] السنة من العراق.

وفيها، توفي الأمير[3] محمد بن سُنْقُر الطَّويل صاحب دَقُوقا. كان أبوه سُنْقر من خواص الخليفة الناصر لدين الله، صَبَّ يوماً على يده ماءً فسقطت الصَّابونة منه، فناوله غيرها، وقال «دقوق» وهو بلغة الترك

(١) العسجد المسبوك ٥٤٨.
(٢) سقطت من المطبوع.
(٣) ترك الناسخ بع هذا فراغاً قدر كلمة واحدة.

دجاجة[١] ، فاقطعه «دَقُوقا» ظناً منه أنه طَلَبها، فلم تزل في يده إلى أن توفي، فَتَسَلَّمها ابنه محمد، فلما تُوفِّي الآن عادت إلى نواب الخليفة.

وفيها، توفي يُوسف بن يعقوب بن صابر مُتَقَدِّم المَنْجنيقية ببغداد[٢] . كان شاباً حَسَناً أديباً في صَنْعته، وكان يقول الشعر، فمما قاله في صبي أمرد سَبَح بشكوة[٣] :

يا قَوم إن شَكايتي من شَكْوة   أضْحَت تُعانق مَن أُحِبُّ وأعشَقُ
حَملت هوىً كهواي إلا أنها   تَطْفو ويثقلني الغَرَام فأغرَقُ
ويغيظني التُّبان عند عِناقه   أردافه وهو العَدُو الأزرقُ

(١) الدجاجة في التركية: طاوق، ولكن لا نعلم لِمَ قال ذلك؟

(٢) تقدم ذكر والده الأديب نجم الدين يعقوب بن صابر بن بركات الحراني المنجنيقي في وفيات سنة ٦٢٦هـ، والأبيات الآتية ذُكرت لأبيه عند ابن خلكان وغيره.

(٣) كتب الدكتور مصطفى جواد رحمه الله في المتن: «شح يشكو»، ثم عَلّق في الهامش بقوله: «سبح بشكوة»، ومن العجب أنها وردت صحيحة في المخطوط. والشكوة: القربة، وهو الوعاء من الأدم ينفخ فيه فيطوف على الماء، وتستعمل لحفظ السمن واللبن، وهي التي تعرف بالعامية العراقية: بالشچوة.

سنـــة
خمس وأربعين وست مئة[1]

فيها، مُنعَ جميعُ الوُعّاظ من الجلوس للوعظ ببغداد[2].

وفيها، قُلِّد تاج الدين الحَسَن ابن المختار نقابة الطالبيين، فعُيِّن على ولده عَلَم الدين إسماعيل في نقابة مَشْهد أمير المؤمنين عليه السلام[3].

وفيها، أنْهَى خازن المدرسة المستنصرية: أنّه شاهدَ خَتْم الخِزانة مُتَغَيّراً والقُفْل بحالِه، فاعتبروا ما فيها من الرُّهون والعَيْن، فَشَذَّ منها شيء، ومن المال ثلاث مئة دينار، فأُنْهِيَ ذلك إلى الخليفة، فأمر بإلزام

(١) أدرج تحت هذا العنوان في المطبوع مجموعة من الحوادث تبين أنها من حوادث سنة ٦٤٦ جاءت إلى هنا عن طريق الخطأ واختلال النسخة، واختلطت معها حوادث سنة ٦٤٥، وقد عانينا كثيراً إلى أن رتبنا الحوادث والوفيات بحسب ما جاءت في الكتاب حسب اعتقادنا، مستدلين بما ورد في المصادر نقلاً عن تاج الدين ابن الساعي الذي ينقل مؤلف هذا الكتاب منه. وما زلنا نعتقد أن قسماً من حوادث سنة ٦٤٥ قد ضاع من الكتاب.

(٢) قال صاحب «العسجد المسبوك» في حوادث سنة ٦٤٥: «وفي شهر ربيع الآخر مُنع الوعّاظ جميعهم من الوعظ... الخ» (ص٥٥١).

(٣) قال صاحب «العسجد المسبوك» في حوادث سنة ٦٤٥: «وفي يوم الخميس خامس عشر شهر المحرم قُلِّد أبو علي تاج الدين الحسن ابن المختار نقابة الطالبيين، واستدعي إلى دار الوزارة...» (ص٥٥٠).

الفُقهاء، والحاشية برمي تُراب[1] ، ففعلوا ذلك ثلاثة أيام، فلم يجدوا شَيْئاً، فتقُدِّم بتَقْسِيط ذلك على البَوَّاب بالخزانة والفَرَّاشين على قَدَر أحوالهم، فاستُوفِيَ ذلك منهم، ورُتِّب عوضهم.

وفيها، شاعَ ببغداد أن الدِّيوان قد عَزَم على إبطال المُعاملة بالدَّراهم، وأن يَتَعاملوا بالقُرَاضة الصُّورية، وسببُ ذلك أن الدَّراهم كَثُرت في أيدي الناس وقَلَّ الذَّهَب وتجافَى النَّاسُ أخذها، حتى بيعت: كل اثني عشر دِرْهماً بدينار، فتألَّمَ النَّاسُ، مما يلحقهم في ذلك من الخَسَارات فيها، فأُمِرَ أن يُضْرَب دَرَاهم جَيِّدة، يَتَعامل بها النَّاسُ كل عشرة دراهم بدينار، وتُؤخذ تلك التي تألَّموا منها كل عشرة دراهم ونصف بدينار، فتألموا من ذلك أيضاً، فتُقُدِّم أن يُؤخذ العَتِيق كل اثني عشر درهماً بدينار، وتكون الدراهم الجدد كل أحد عشر درهما ونصف بدينار.

وفيها، هب هواء شديد أحرقَ كثيراً من الزُّروع وكَسَّر كثيراً من النَّخْل وقلعَ جُمْلةً من الأشجار[2] ، ووقعت صاعقةٌ في دار القاضي بالجانب الغربي وأُخرى في الخاتونية[3] ولم تؤذِ احداً.

وفيها، توفي أبو الفتح إسحاق[4] بن الشويخ رأس مثيبة اليهود.

---

(1) هو أن يقوم كل واحد برمي كومة من التراب، فالسارق يدس السرقة في الكومة فلا يُعرف.

(2) كان ذلك في الثامن عشر من ذي القعدة (العسجد المسبوك٥٥٤).

(3) محلة من محال الجانب الشرقي، وتسمى الخاتونية الخارجة، أي الخارجة عن دار الخلافة العباسية (انظر تلخيص مجمع الآداب ٤/ ص٩م).

(4) العسجد المسبوك ٥٥، وتلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ١٩٩١.

وكان ذا فَضْل وأدب، يكتب خَطّاً حَسَناً وينظم شِعْراً جيداً، ويَعْرف علم النجوم معرفةً جَيّدة، كتب إلى تاج الدين مُعَلّى ابن الدَّباهي صَدْر المخزن رقعة لبعض اليهود من حَرْبَي، فكتب عليها «يجاب سُؤال رافعوها» فكتب ابن الشُوَيْخ، ليلة:

مُذ كان همكم في جَبْر مُنْكَسر أو رَفْد مُفْتَقر أو رَفْع مُنْخَفِضِ
حَذَا يَرَاعُكم في الفِعْل حَذْوَكم فَلَيْس يُنكر منه رَفْع مُنْخَفِضِ

وفيها[1]، انحَدَر الخليفةُ المُسْتعصم بالله إلى واسط مُتَنَزِّها، وفي خِدْمته ابن الدامغاني صاحب الديوان وابن النَّيّار، وعِدّة من الأمراء، فأقامَ أياماً وعادَ إلى بغداد[2].

وفيها، حَدَث بأكثر أهل بغداد أمراض في حُلُوقهم وخوانيق، وماتَ بذلك خلقٌ كثير، وذكرت امرأةٌ: أنها رأت في المنام امرأةً من الجِن تُكْنَى «أم عُنْقُود»، قالت لها: «إن ابني مات في هذه البِئْر»، وأشارت إلى بئرٍ داخل سُوق السلطان «ولم يعزني فيه أحدٌ، فلهذا أخنقكم». فشاعَ ذلكَ في الناس، فَقَصَدَ البئرَ المذكورةَ جماعةٌ من

---

(١) وقعت هذه في المطبوع -والمخطوط أيضاً- من أول حوادث سنة ست وأربعين وست مئة، وهو غلط بين من الناسخ والناشر السابق، فالأخبار المذكورة هنا هي لسنة ٦٤٥.

(٢) قال صاحب: «العسجد المسبوك» في حوادث سنة ٦٤٥ -وهو ينقل من تاريخ ابن الساعي: «وفي يوم السبت عاشر جمادى الآخرة توجه الإمام المستعصم بالله إلى واسط، وكان قد تقدمه خروج السرادقات والرحل» (ص٥٥٢)، ثم قال: «ووصل الخليفة من واسط يوم السادس من رجب بعد ستة وعشرين يوماً من يوم خروجه من بغداد، وكان مقامه في واسط ستة أيام لا غير...» (ص٥٥٢).

العوام والنِّساء والصِّبيان ونَصَبُوا عند البئر خَيْمةً، وأقاموا هناك العَزَاء، وكان النساء يَنُحن ويقلن:

أي أمّ عُنْقُود [ألا] اعذرينا   [قد] ماتَ عُنقود وما درينا

لما درينا كُلنا قد جينا   لا تَحردي منا فتخنقينا

وما يناسب ذلك من الهَذَيان، وأكْثَرنَ مَن هذا وأمثاله، وألقَى الناسُ فيها الثِّيابَ والحُلي والدَّراهم والخُبْز واللَّحم المَطْبوخ والدَّجاج وأنواع الحَلْواء، وأشعلوا عندها الشُّموع. فلما أكْثَرُوا من ذلك عابَهُ العُقَلاء والأكابر وأنكروه، فأمَرَ الخليفةُ بمنع النَّاس من ذلك، فحضرَ الشّحنة إلى هناك وقال: «إن الديوان قد أقامَ أم عُنقود من العَزَاء» وأمر بسد البئر، فتفرَّقَ الناس عنها.

وفيها، وقع ببغداد وأعمالها مَطَرٌ كثيرٌ وبَرَد كِبار، قَتَلَ كثيراً من الحيوان، قيل: كانَ وَزْن البَرَدة حدود ثلاثة أرطال، وغَلَت الأسعار عَقِيب ذلك، حتى بلغَ الكُر من الحِنطة مئة دينار، والشعير خمسين ديناراً[(١)] .

وفيها، توفيت هَاجَر[(٢)] أم الخليفة المُسْتَعصم[(٣)] ، ودُفِنَت في تربةٍ بَنَتها لِنَفسِها بجانب رباطها المعروف بالمُسْتَجَد بغربي بَغْداد بشارع ابن

---

(١) كان ذلك في ليلة الرابع من ذي قعدة سنة ٦٤٥كما ذكر صاحب «العسجد المسبوك» (ص٥٥٤).

(٢) توفيت يوم الاثنين خامس عشر ذي القعدة من سنة ٦٤٥، وذكرها الذهبي بخطه في «تاريخ الإسلام» في وفيات سنة ٦٤٥ (الورقة ٦٤من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٣)، وكذلك صاحب «العسجد المسبوك» ص٥٥٥.

(٣) وقع في المطبوع: «المستعصم بالله»، وما أثبتناه من النسخة الخطية.

رِزْق الله. وكـانـت علـى قـاعـدةٍ جميلـةٍ، راغبـةٍ فـي فِعْـل الخَيْـرات والمُوَاصلات للفُقَرَاء. حَجَّت في خلافة ولدها وتصدَّقت تلك السنة بأموال كثيرة.

وتـوفـي الأمير قَيْران النَّاصـري، كـان مُقطع الكـوفـة ووُلِّـي إمـارة الحاج، ودُفن في تربةٍ بناها لنفسه بمقبرة الإمام أحمد بن حنبل، قيل: كان عمره ثمانين سنة[1].

وتوفي نظام الدين أبو المعالي هبة الله[2] بن الحسن ابن الدَّوامي، وقد جاوز عمره أربعاً وثمانين سنة. وكان جَوَاداً فاضِلاً، رَتَّبه الناصر في عِدّة خدمات، وجَعَلَهُ صاحبَ ديوانه، سنة إحدى عشرة وست مئة، وعـزلَـهُ سنـة ثـلاث عشـرة، وكـان الصـدور والأكـابـر يتـرددون إلـى بيتـه ودفن[3] في مقبرة الشُّونيزي. وكان حَسَن السيرة في خدماته مَشْكوراً، له مواصلات وصَدَقات كثيرة.

وتوفي عضد الدين[4] أبو الفتوح المبارك[5] ابن رئيس الرؤساء ابن

---

(١) توفي الأمير قيران الظاهري في جمادى الآخرة من السنة، على ما ذكره صاحب «العسجد المسبوك» ص٥٥٢-٥٥٢.

(٢) ترجمه ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب (٤/ الترجمة ٩٢١)، وصاحب العسجد المسبوك ص٥٥٨-٥٥٩، وترجمه الذهبي بخطه في وفيات سنة ٦٤٥ من تاريخ الإسلام، وذكر أنه توفي في السادس والعشرين من جمادى الأولى (الورقة ٦٤من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٣).

(٣) قوله: «بيته ودفن» لم يستطع ناشر المطبوع قراءتها فتركها فراغاً.

(٤) وهو لقب أبيه أيضاً.

(٥) قال الذهبي في وفيات سنة ٦٤٥من «تاريخ الإسلام» بخطه: «المبارك ابن الوزير أبي الفرج محمد بن عبدالله بن هبة الله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء، رئيسُ الرؤساء أبو =

المُسْلِمة[1]، وعمره خمس وثمانون سنة. وكان أديباً فاضِلاً، مُهندِساً، مُتْقناً لأكثر الفُنون، كان أبوه وزيراً للمستضيء، وخدم هو في خدمات كثيرة، ثم[2] رَتَّبَهُ الخليفةُ الناصر مَرَّةً صَدْراً للمخزن، فلم يكن عنده مَعْرفة ولا كفاية. قيل: إنه خَرَج مَرَّةً إلى طريق خُراسان واستصحب معه طُيوراً، كتبَ على الجناح يوماً: «سُرِّح هذا الطائر ورفيقُه يوم كذا من شَهْر كذا، وقد استخرج بديوان بَعْقوبا من البقايا خمسة وتسعون ديناراً»، فلما رُفِعَ ذلك إلى الخليفة استجهَلَهُ وأمرَ بعزله، فلزم منزلَهُ مُنْقطعاً إلى مراجعة العُلوم، وبَنَى رباطاً إلى جانب دارِه بقصر عيسى مجاور جامع فَخْر الدولة ابن المطلب، ووقفَ عليه وقُوفاً كثيرةً، فلما تُوفِّي، رثاهُ تلميذُه موفق الدين أبو المعالي بن هبة الله بن أبي الحديد بأبيات، منها:

انظُر إلى العَلْياء كيفَ تَزُول ... ومراتبِ الأحوال كَيف تَحُولُ
واعلم بأنَّ الدَّهْرَ ليسَ بحافظٍ ... عَهْداً ولا هو للأنامِ خَلِيلُ
ماتَ الذي كُنَّا نَعِيشُ بفَضْلِه ... ولَسَوفَ يتلو الفاضلَ المَفْضولُ

= الفتح ابن وزير المُستضيء بالله. كان بارعاً في الفلسفة والهندسة والأدب والشعر والطب. وأقرأ علم الأوائل في داره. ووَلِّي صدرية المخزن في سنة خمس وست مئة أشهراً. وعُزِل، وكان محتشماً وافر الحرمة، عمل رباطاً للفقراء إلى جانب داره، ووقف عليه، وتوفي في ذي القعدة وله نيف وثمانون سنة.» (الورقة ٦٣-٦٤ من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٣). وذكره صاحب العسجد المسبوك في وفيات سنة ٦٤٥ أيضاً (ص٥٦)، وترجمه ابن الفوطي في الملقبين بعضد الدين من تلخيصه (٤/ الترجمة ٦٣٨).

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «المنسلة»!

(٢) سقطت من المطبوع.

قُل للكواكبِ ما أرَدتِ فَحاولي   لم يَبْق في الدُّنيا عليكِ دَلِيلُ
ذَهَب الذي رصدَ النُّجومَ رياضةً   فـأطـاعـه التَّسْيِيـرُ والتَّعْـدِيـلُ
لـو كـان بَطْلَميـوس فـي أيـامـه   لَغَـدا ونـاظـر فِكْـرَتيـه كَليـلُ
جَمَعَ الرِّواية والدِّراية فاستوَى   فـي وَصْفـه المَنْقـولُ والمَعْقـولُ
فيه أسانيدُ الحديث صحيحةٌ   وبـه استفيـدَ الجـرحُ والتَّعْـديـلُ
وإليه ساقَ النَّاسُ عِلْمَ حقائق   أدَّى إليـه الـوَضْـعُ والتَّشْكيـلُ
علـمُ البَـراهيـن التـي بِنَتَـاجهـا   يَتَفَـاوتُ المَـوْضـوعُ والمَحْمُـولُ
والهَنْـدَسِيـات التـي بِنَتَـاجهـا   يُسْتَنْبَـط المَعْلـومُ والمَجْهـولُ
وقَضَى على مَزْج العناصر حكمه   فـأجـابـه التَّصْعيـد والتَّحْليـلُ
وافَى به النَّسَب العريق إلى العُلَى   وسَمَـا بنفـس حَبْلُهـا مـوصـولُ
فالمنزل الأدنى به في وَحْشةٍ   والمَنْـزلُ الأعلـى بـه مـأهـولُ

وتوفي النقيب قطب الدين أبو عبدالله الحُسين[1] بن حَسن بن علي المعروف بابن الأقساسي العَلَوي ببغداد. وكان أديباً يقول شِعْراً جيداً، بَدَرت منه كَلِمةٌ في أيام الخليفة النَّاصر على وجه التَّصحيف وهي «أردنا حليقة[2] حديد»، فبلغت الناصر فقال: لايكفي حلقة لكن حلقتين،

---

(١) ترجمه ابن الفوطي في الملقبين بقطب الدين من تلخيصه (٤/الترجمة ٢٧٨٢)، والذهبي في تاريخ الإسلام، الورقة ٥٥ (أيا صوفيا٣٠١٣)، وصاحب العسجد المسبوك ٥٥٥، وابن كثير في البداية ١٣/١٧٣، وغيرهم، وكلهم ذكر وفاته سنة ٦٤٥.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «خليفة»، ولم يعد لها معنى، فأين التصحيف، ثم انظر إلى قول الخليفة: لا يكفي حلقة، لكن حلقتين. وإنما أراد أن يقول: «أردنا خليفة جديد».

وأمرَ بتقييده وحَمْله إلى الكُوفة، فحُمِلَ وسُجِنَ بها[١] ، فلم يَزَل مَحْبوساً إلى ان استُخْلِفَ الظاهرُ، فأمر بإطلاقه. فلما استُخْلِف المستنصر بالله، رَفَقَ عليه، فقَرَّبه وأدناهُ ورَتَّبَه نَقيباً وجعلَهُ من نُدَمائه. وكان ظريفاً خليعاً طيب الفُكاهة حاضرَ الجَوَاب.

وتوفي الشيخ محمد الرَّكبدار[٢] ، وكانَ أديباً، سَمِعَ الحديث النبوي، وكان يحب أهل الدين وأرباب التَّصوف. خَدَم في مبدأ أمرِهِ مع رَكبدارية الأمير قَشْتَمُر، ثم خَدَم رَكْبدار الخليفة الظَّاهر، وقُرِّبَ وأُدنِيَ، فلما استُخْلِف المُستنصر أقرَّه على ذلك وزادَ في إكرامه، حكى عن نَفْسِه قال: خَلَوتُ يوماً بالخليفة المُستنصر وهو مَسْرورٌ يُبَاسطني فقلتُ[٣] : يا أمير المؤمنين عندي أمرٌ واشتَهي أن تأذن لي في السؤال عنه. فقال: قل. فقلتُ: يا أمير المؤمنين تدعوني تارة بالشيخ محمد، فاطير فَرَحاً وأقول شَرّفني[٤] مولانا، ومرة تقول: أي رَكْبدار، فأموتُ خَوْفاً وأخشى أن أكون قد أذنبتُ ذَنْباً، فقال: لا والله يا شيخ محمد ما لك عندنا إساءة، وإنما متَى كنتُ على غير طهارة أقول أي ركبدار إجلالاً لذكر اسم النبي عليه الصلاة والسلام.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «فيها».

(٢) ترجمه الذهبي في وفيات سنة ٦٤٥منن تاريخ الإسلام بخطه، قال: «محمد بن عبدالأول بن علي بن هبة الله، أبو الوقت الركبدار المستنصري. . . . شيخ صالح أديب شاعر. . .ولد سنة سبعين وخمس مئة. . .وتوفي في الثالث والعشرين من ربيع الأول. . .» (الورقة ٦٣أيا صوفيا٣٠١٣).

(٣) في المطبوع: «فقلت له»، ولا أصل للفظة «له» في المخطوط.

(٤) في المطبوع: «قد شرفني»، و«قد» زائدة.

وقد نُسِبَ إليه شعر، منه قوله من قصيدة طويلة:

أدرهـا بـاليميـنِ أو الشّمـال فلـو كـانـت حَـلالاً يـا حَـلالِـي

ولا تُطفـىء تـوقـدهـا بمـاءِ ففـي يَـاقُـوْتِهـا نـورُ الـلآلـي

وصَـرِّف صِـرْفهـا بعَنـاء شـادِ مليـح الـوَجْـه مَعْشـوق الـدَّلالِ

يُـريـكَ اليـأسَ منـه علـى دنـوٍّ يريدُ هَوَىً ويَطْمع في الوصالِ

ولا تخش الهُمُوم على سُرور ولا تَجْـزع لحـادثـة الليـالـي

وكان[1] عمره زيادة عن سبعين سنة.

وفيها، قُتِلَ العندي بَهَمذان. كان من أولاد المماليك النَّاصرية، وكـان جميـلَ الصُّـورة رائـقَ الحُسْـن، صَحِـبَ العَيّـاريـن والفُتَّـاك إلـى أن خرجَ عن الطاعةِ، فانضم إليه جَمْعٌ كبيرٌ من الفُتَّاك، وكان[2] كُلّهم عُشَّاقاً له، فَطُلِبوا طَلَباً شديداً فتفرَّقُوا، وحُصِّل بعضُهم فَقُتِلَ، ولَحِقَ هو بصِهْرٍ له، كان دزداراً[3] بقلعة «زركره»[4]، فكُوتب بحمله فَحَمَلَهُ مُسْتَظْهَراً عليه، فحُبِسَ في بغداد. فلما وَلِيَ المُستعصم أفرجَ عن المسجونين فكان من جُملتهم، فعاودَ ما كان عليه من الفَسَاد، فطلبه أيْبَك الحَلَبي شُحنة بَغْداد، وأخذَ بعض أصحابه فاستخلصه، وخرجَ جماعةٌ من أصحاب الشِّحنة واعتصمَ في اصطبلٍ لبعض أصهاره بدرب

---

(١) هذه العبارة عن عمرة سقطت كلها من المطبوع.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «كانوا».

(٣) الدزدار: هو محافظ القلعة والمسؤول عنها.

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «كره» مع أنها مجودة في المخطوط، ولم نقف عليها في معجمات البلدان.

الجَصَّاص[1] فكَبَسَ نائبُ الشِّحنة عليه ليلةً، فصعدَ بُرْجاً للطيور، فتقدم النَّفّاط[2] في الصُّعود، فَضَربه العندي فأزالَ رأسَهُ، فرجعَ الناس عنه، فهربَ ولَحَق بَهَمذان، واتصل بشحنتها، فَخُوِّفَ منه فَسَقاهُ ليلة خَمْراً، فلما سكر قتله، وحَمَلَ رأسَهُ إلى بغداد، فَعُلِّق بظاهر سُور الظَّفَرية.

(١) لم نقف عليه.

(٢) النفاط هنا هو حامل الضوء.

سنــة
ست وأربعين وست مئة

فيها، أُحضر مُدَرسو المُستنصرية إلى دار الوزير، وتُقُدِّم إليهم أن لا يذكروا شيئاً من تَصَانيفهم، ولا يلزموا الفُقهاء بحفظ شيء منها، بل يذكروا كلام المشايخ تأدباً معهم وتَبَرُّكاً بهم، فأجابَ جمال الدين عبدالرحمن ابن الجوزي مُدَرِّس الحنابلة بالسَّمْع والطاعة، ثم مُدرس المالكية سراج الدين عبدالله الشَّرِمْساحي، وقال: «ليس لأصحابنا تعليقة[1]، فأنا ألتقط[2] من مسائل الخلاف ما[3] أرتبه» فبانَ بذلك عُذره. وأما شهاب الدين الزَّنْجاني مدرس الشافعية وأقضى القضاة عبدالرحمن ابن اللَّمْغاني مدرس الحنفية، فإنهما قالا ما معناه: «إنَّ المشايخ كانوا رجالاً ونحن رجال» ونحو ذلك من إيهام[4] المساواة. فأُنهِيَت صُورة الحال، فَتَقَدَّم الخليفةُ أن يُلْزموا بذكر كلام المشايخ واحترامهم، فأجابوه بالسَّمْع والطاعة.

---

(١) التعليقة: هي المحاضرات الفقهية المتعلقة بمذهب معين، وتكون شاملة لجميع المنهج المقرر على الطالب.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «فأما ألتقط».

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «فمما».

(٤) تصحفت في المطبوع إلى: «إبهام».

وفيها، قُبِضَ على فخر الدين[1] محمد بن وَرْد نائب المَخْزن ووكِّل به فيه، ووُكِّل بمن في داره، فتغافل عنه المُوَكَّلون به، فذَبَحَ نَفْسَهُ بسكين لطيفة[2] كانت[3] معه، فما أحسوا إلا بشَخِيره، فأنهوا ذلك، فَتُقُدِّمَ بإحضار طَبِيبٍ، فخاط مَوْضع القَطْع ولم يبلغ البلعوم، لان يده ضعفت عن قَطْعه، فلما قويت نفسه أُخذ خطه بثلاثين ألف دينار[4].

وفيها، هرب ثلاثة نفر كانوا محبوسين في مَطْمُورة[5] واسط، نَقَبُوها[6] فخرج النقب[7] في دار يهودي، فخرجوا منها فحضر واحد منهم عند صاحب الديوان فخر الدين أحمد ابن الدامغاني وعَرَّفَهُ أنَّ رفيقيه فَعَلا ذلك وقالا له: «إن لم تُوافِقْنا قَتَلْناك». فسأله عن ذنبه فَعَرَّفه أنه قَتَلَ عماً له، ثم أبرأه ولي دَمِه منه، فأُمِرَ بحَبْسه سياسةً، فَتُقُدِّم بالأفراج عنه، وأُمِرَ بتحصيل الآخرين، فَحُصِّلا وحُبِسا.

وفيها، غلت الأسعار فبلغ الكُر من الحِنْطة ثمانين ديناراً ومن الشعير ثلاثين ديناراً.

---

(١) تحرف في المطبوع إلى: «بدر الدين»، وقد ترجمه ابن الفوطي في الملقبين بفخر الدين من تلخيصه ٤/الترجمة ٢٤٤٦.
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «لطيف».
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «كان».
(٤) عاش بعد ذلك إلى سنة ٦٥٠.
(٥) المطمورة: الحبس.
(٦) تحرفت في المطبوع إلى: «ثقبوها».
(٧) تحرفت في المطبوع إلى: «الثقب».

وفيها، رُتِّب دانيال بن شمويل بن أبي الربيع رأس مَثِيبة[١] ونَفَّذَه الوزير مؤيد الدين محمد ابن العلقمي إلى قاضي القضاة عبدالرحمن ابن اللَّمْغاني، فأجلسه بين يديه، وقال له: «رَتَّبْتك زَعِيماً على أهل مِلَّتك من أهل دينك المَنْسُوخ الذي نَسَخَته الشريعةُ المُحمدية، لتأخذهم بحدود دينهم، وتأمرهم بما أُمِروا به في شريعتهم، وتَنْهاهم عما نُهوا عنه في شريعتهم، وتَفْصِل بينهم في وقائعهم وخصوماتهم بموجب شريعتهم، والحمد لله على الإسلام». ثم نهض ولبس طرحته في دهليز القاضي وتوجه إلى بيته راجلاً في جَمْعٍ من اليهود وجماعةٍ من أتباع الديوان، فتعرَّض جماعةٌ من العامة لرَجْمه، فأُنْكِرَت الحال عليهم ومنعوا وأُخِذَ[٢] منهم جماعة فحُبِسوا وعُوقبوا[٣].

وفيها، ولَدت امرأةٌ فقيرة أربعةً في بَطْن، فشاعَ ذلك وانْتَهى[٤] خَبَرُها إلى الخليفة، فأمَرَ بإحضار الأولاد، فأُحضروا في جَوْنة، فتَعجَّب من ذلك، وأمر لهم بست مئة دينار وثِياب، وكانت المرأة وزوجها في غاية الفَقْر لا يملكان حَصِيراً.

وفيها، استولى يوسُف بن محمد بن غازي بن يوسُف بن أيوب

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «مشيئة». المَثِيبة، على وزن مدينة، وهي المشيخة الدينية. وإنما رُتِّب دانيال هذا في هذا المنصب لوفاة سلفه أبي الفتح إسحاق بن أبي الحسن، كما سيأتي في وفيات هذه السنة.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «أخذت».

(٣) ذكر صاحب العسجد ترتيب دانيال في الثامن من محرم سنة ست وأربعين.

(٤) تحرف في المطبوع إلى: «وأنهي».

صاحب حلب على حِمْص مُصالحةً، وعلى قَلْعة عَزاز[1] ، وفارقها سُلْطانها ابن شيركوه، فخَطَبَ حينئذ بدر الدين لؤلؤ صاحبُ الموصل لصاحب حَلَب ببلاده تبرعاً منه.

وفيها، أنْفَذَ الخليفةُ إلى الوزير مؤيد الدين محمد ابن العَلْقَمي دواة فِضّةٍ مُذَهبة مع صلاح الدين عُمر بن جَلْدك في جَوْنة، فَخَلَعَ عليه، ونظم الشُّعراء في ذلك أشعاراً كثيرة:

[[2] منها:

زادَ إمــامُ العَصْــر ديــوانَــه — زيــادةً فيهــا تَقــر العُيــونْ
أعطــى دواةً للــوزيــر الــذي — بفَضلــه يعتــرف العَــالِمُــونْ
وإنهــا نــون كـذا قـد أتَـى الـ — ـقُــرآن إذْ أقســم فيــه بنــونْ
وجـــودُه يَقْضـــي بتكميلهـــا — بـالقلـم الجـاري ومـا يَسْطـرونْ
حتـى يقـول النـاسُ فـي فضلِـه — لِمْثـلِ هـذا يَعْمـل العـامِلُـون]

وفيها، عُزِلَ عمادُ الدين يحيى بن المرتضى النِّيلي عن صَدْرية المخزن، وأعيد إليه فخر الدين محمد بن أبي عيسى الشَّهْراباني بعد أن بقي بَطَّالاً أربع سنين.

وفيها، أُحضرت إلى الدِّيوان ببغداد عَنَاق لها أربع آذان وأربع أيدي

---

(1) قلعة مشهورة بالقرب من حلب.

(2) حدث في هذا الموضع غلط بيّن، إذ أقحمت بقية قصيدة ابن أبي الحديد في رثاء ابن رئيس الرؤساء المتقدمة، وهي من حوادث سنة ٦٤٥ وحذفت الأبيات التي قيلت في الدواة، فنقلناها بين عضادتين من كتاب «العسجد المسبوك» (٥٦٢) الذي ينقل من المصدر نفسه الذي نقل منه مؤلف هذا الكتاب، وهو تاريخ ابن الساعي.

وأربع أرجل، وهي مُنْفصلة من حَد العُنق بِبَدَنَين، لكل بَدَنٍ بَطْنٌ وأضْلاعٌ وفخذان، ولكل بَدَن ذَنَبٌ ودُبر وفَرْجٌ[1].

وفيها، رُتِّب[2] تاج الدين محمد ابن[3] نقيب العباسيين بواسط عوض أبيه الدَّارج، وخلع عليه في دار الوزير، ورُتِّبَ عبدالعزيز ابن الطراح مُشْرفَ واسط.

وفي يوم عيد الفِطْر، أنْهَى محمد بنُ صليجا[4] ناظرُ ديوان التَّركات[5] إلى الديوان، أن مدينة السَّلام خَلَت عن مَيِّتٍ سوى طفل صغير بدرب نُصَيْر.

ذكر تواتر الأمطار وزيادة دجلة

في[6] شوال، تواترت الغُيوث حتى امتلأت البواليع واسْتُجِد عوضها وامتلأت أيضاً، وتَعَطَّل على الناس مُعْظم أشغالهم، وكان ذلك

---

(١) ذكرها صاحب العسجد المسبوك في حوادث سنة ٦٤٦(ص٥٦٣).

(٢) وقع في المطبوع: «ورتب»، فالواو زائدة.

(٣) ترك الناسخ فراغاً قدر كلمة، وكذلك جاء في المطبوع، ولا وجود في المصدر الذي نقل المؤلف منه اسم أبيه، وهو تاريخ ابن الساعي في المرجح، قال صاحب العسجد المسبوك: «وفي شهر شعبان رُتب محمد ابن نقيب العباسيين بواسط عوض أبيه الدارج (تحرف في المطبوع منه إلى: «الدرَّاج!»)، وخلع عليه في دار الوزير...» (ص٥٦٤).

(٤) وقع في المطبوع: «صليجان».

(٥) هو المعروف بديوان التركات الحشرية، وهي تركة من لا وارث له.

(٦) في المطبوع: «وفي».

عامّاً ببغداد، وتُسْتَر، وإرْبل، والمَوْصل، وغير ذلك من البلاد، ودامَ حتى منعَ النَّاسَ عن الزَّرْع، وغرقت القُرى، وهُدِمت الدُّور وتشعثت قلعة إرْبـل، وانهـدمت قلعة الكَـرْخِيتّـى بـالمـرة، وامتـلأت الـزَّابـات، وتَجَمَّر[1] المـاء بـدجلـة، وزادت زيادة عظيمـة، غَـرَّقـت الشطّـانيـات بالجانب الغربي من بغداد، ومن فتحة انفتحت فَوْق قبر أحمد[2] ، غرق منهـا محلـة الحَـرْبيـة، والكَـرْخ، والمـارستـان[3] ، والخُلْـد[4] ، ودار بختيار، والسوق بأسره، من رباط الخِلاطية إلى القَنْطَرة، وقطعة من محلة قَطُفتا، والشيخ[5] بأسره، والجنثة[6] ، ووقع قِطْعة من جامع فخر الدولة الحَسَن ابن المطلب، وقطعة من سور المَشْهد الكاظمي على ساكنه السلام، وجامع الحربية[7] بأسره. وانتقل النَّاسُ من مساكنهم

---

(١) اي: تجمع وأقام.

(٢) وقع في المطبوع: «أحمد بن حنبل».

(٣) المارستان العضدي.

(٤) يعني: قصر الخُلْد، وهو قصر المنصور.

(٥) هو الشيخ معروف.

(٦) موضع سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٨٣ أيضاً، ولم نقف عليه في خطط بغداد. ولكن يظهر من سياق الكلام وترتيبه في النصين أنه يقع وراء مقبرة الشيخ معروف الكرخي. وقد تحرف في المطبوع إلى: «الجنبشة».

(٧) في تاريخ بغداد للخطيب (١/ ١١١): «أن أبا بكر محمد بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمي كان بنى مسجداً بالحربية أيام المطيع لله ليكون جامعاً يُخطب فيه، فمنع المطيع من ذلك، ومكث المسجد على تلك الحال حتى استُخلف القادر بالله، فاستفتى الفقهاءَ في أمره، فاجمعوا على وجوب الصلاة فيه، فرسم أن يُعَمَّر ويكسى وينصب فيه منبر، ورتب إماماً يُصلي فيه الجمعة وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة ٣٨٣» (وانظر المنتظم ٨/ ١٧٢).

القَرِيبة من دجلة إلى المواضع العالية، وساخَ مسجد مجاور رباط ابن جَهير[١] على دِجْلة، يعرف بمسجد عشائر كان به حُجْرة ورواق وسقاية، ولم يبق له أثر، ولم تبلغ هذه الزيادة تلك التي كانت سنة أربع عشرة وست مئة.

وغرق في الجانب الشرقي ما كان ظاهر السُّور من مساكن كانت استُجِدَّت منذ أيام الخليفة المستنصر بالله، وبُولغ في عمارتها، وكان بها أسواق مادّة، وحمامات وبساتين مُثْمِرة، حتى كادت تشبه حاضر حَلَب أو سُوق التركمان بالمَوْصل، وكان[٢] ذلك مما يلي سوق العَجَم، واجتمع بها خلق كثير من الزُّعماء والأجناد، فهدم الماء معظم ذلك. وتلف من الأمتعة والغَلّات شيء كثير، ونبع الماء من أساس حائط المستنصرية ومن دار سُنْقرجا[٣] زعيم بلاد[٤] خوزستان المجاورة للمستنصرية، ومن مسجد الحظائر[٥] المعروف بأم الناصر المجاور لهذه

---

(١) هو نظام الدين أبو نصر المظفر بن علي بن جهير وزير المقتفي لأمر الله.

(٢) سقطت الواو من المطبوع.

(٣) يُستدل بهذا النَّص على أن دار سُنْقرجا كانت تقع في الارض المحصورة شمالاً بالدرسة المستنصرية وجنوباً بمسجد الحظائر (جامع الخفافين). وقد تحولت هذه الدار في نهاية القرن العاشر للهجرة إلى قهوة خانة (مقهى) شيدها جغاله زاده والي بغداد يومئذٍ، ثم أُزيلت هذه القهوه خانه. وحين تحولت المدرسة المستنصرية نفسها إلى دائرة للكمرك، صارت مباني المقهى مخزناً تابعاً لهذه الدائرة.

(٤) سقطت من المطبوع.

(٥) هو المسجد الذي أنشأته السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله وأم الخليفة الناصر لدين الله، في أواخر القرن السادس للهجرة، ويقع في موقع نزه مطل على شاطىء دجلة، عند مشرعة عرفت يومذاك بمشرعة المزملات،وما زال عامراً بالمصلين حتى يومنا هذا، شامخاً بقببه المعقودة على الطراز العباسي البديع، =

الدار. وامتلأت الطريق وامتنع الناس من الجواز هناك[1] من باب سُوق المدرسة إلى باب مَشْرعة الإبريين[2] . وكان من حيث تزايدَ الماءُ في دجلة، تُقُدِّمَ بإحكام القُورَج[3] ، وخرجَ الوزير مؤيد الدين ابن العَلْقَمي إلى هناك ونزل عن فَرَسه وحمل باقة حَطَب فوافقه كافة النَّاس، واشتد العمل، فاتفقَ أن دجلة نقصت فأنشدَ الشُّعراء في ذلك أشعاراً، فمن جملة من قال في هذا المعنى، موفق الدين القاسم بن أبي الحديد ارتجالاً ولم يورده لكثرة الزحام، وهو:

تَلقيتَ دِجْلةَ لما طَغَت ... وخافَ البريةُ من مائِها
بوجه يُشابه بَذْر السَّماءِ ... وكَفّ حَكَت جود أنوائها
فلما رأتكَ رأتْ عالِماً ... بطب المَصَالح من دَائها
فَوَلَّت حياءً كما تَنْزَوي الـ ... ـقَبيحةُ من جَنْب حَسْنائِها

ثم زادت في ذي الحجة، زيادة مُفْرطة أعظم من الأُولى، فانفتحت

= وبالمئذنة المزججة الرشيقة. وقد نُسِبَ أولاً إلى حظائر الشوك التي كانت قريبة. ثم عُرِفَ في العهود المتأخرة بجامع الصاغة بسبب انتقال الصاغة إلى السوق الذي عند بابه. ثم عرف بجامع الخفافين لتكاثر صُنّاع الخفاف في هذا السوق في العهود التالية.

(١) في المطبوع: «إلى هناك».

(٢) منسوبة إلى بائعي الإبر أو صانعيها، وكانت مصاقبة لسور دار الخلافة الشمالي، وعندها باب الغَرَبة أول أبواب ذلك السور من جهة النهر، فهي اليوم شريعة شارع السموأل.

(٣) نهر في الجانب الشرقي من بغداد بين القاطول وبغداد، منه يكون غرق بغداد كل وقت تغرق، ويجتهد البغداديون في سده وإحكامه وقت الفيضان بغاية جهدهم، فإذا زاد الماء كسره وغرقت بغداد.

في القُورَج فَتْحة، وصاحبُ الديوان فخرالدين ابن الدَّامَغاني هناك، فنجا بنفسه مُسْرِعاً ودخل البَلَد، وانفتحت أُخرى إلى جانب دار المُسناة، وأحاط الماء ببغداد، وكان الهواء شديداً فهدمَ من السُّور الآجُر[1] عدة أبْراج وخرج من مرامي النُّشاب، فأُحْكِمَت هذه المواضع، وهُدِمَ السور الطين[2] وأُخِذَ ترابه، لأجل ذلك، فأخذَ الماء في النقيصة بعد ذلك بأيام بعد أن خرج من باب الغَرَبَة، فَرَمى ما بين يديه من الحِيطان والخانات، وغَشَّى رباطَ شيخ الشيوخ وما يجاوره، ودخلَ دَرْب السلسلة[3] فلم يبق بها دار إلا هَدَمَها، ولم يتمكن أحد من أهل هذه المواضع من نقل شيء مما لهم بها، بل نجوا بأنفسهم، ووقعت الدور على من فيها، ووصل إلى البَدْرية ودارالخليفة والريحانيين[4] ودار الوزير وباب العامة. وتَعَذَّر سلوك هذه الأماكن، وأنهدَمَت الدُّور

---

(١) تصحفت في المطبوع إلى: «الآخر».

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «الطيني».

(٣) هو الدرب الذي عُرف في العهد العثماني بدرب الزَّنْجير وظل يعرف بهذا الأسم حتى اليوم. ويقع متعامداً مع سوق البزازين، مقابلاً لخان الباچه چي تقريباً، وكان يُعد في العصرالعباسي مجاوراً للمدرسة النظامية (الجامع المختصر ٩/١٤٥) وبحسب معطيات علم الخطط البغدادية، فإن هذه المدرسة كانت تحتل مجموعة الدكاكين المقابلة للخان المذكور.

(٤) قال ياقوت في «معجم البلدان»: «دار الريحانيين، وهي دار في دار الخلافة ببغداد مشرفة على سوق الريحانيين... وكان بالريحانيين سوق للسفطيين... وكان هناك خان يعرف بخان عاصم... وسوق العطارين». قلنا: ويوافق سوق الريحانيين اليوم سوق الشورجة، بامتداده من جامع مرجان إلى جامع الخلفاء الحالي. ولبث قسم منه يُعرف بسوق العطاطير (العطارين) إلى عهد قريب.

الشطانيات بأسْرها وسُوق المدرسة ودرب المَسْعود[1] ، وأقامَ الماءُ في المدرسة النظامية ستة أذرع، وغرقت محلة الرُّصافة، ووقعَ أكثر دورها وسُورها وغشي قبور الخلفاء رضوان الله عليهم، وهَدَمَ مَشْهد عُبيدالله ورباط الأصحاب المجاور له.

وأما الجانب الغربي فغرق بأسْره من محلة الحَرْبية إلى الحُليلات[2] ، وانهدمت مُعظم الدور، ولم يسلم سوى بعض باب البَصْرة والكَرْخ. وأما المَشْهد الكاظمي على ساكنه السلام، فإنه هَدَمَ سُورَه ودورَهُ وأقام[3] على الضريحين الشريفين بحيث لم يبن من الرَّمَامين[4] إلاّ رؤوسها[5] . ودخلَ الماءُ جامعَ المنصور، وهدم رباط الزَّوْزَني، ودخل رباط الحريم بعد أن بولغ في تعليته، وغَرَّق المحلة التي بالحريم[6] والتُّرب التي للخلفاء بها وهم: المُعتضد، والمكتفي، والقاهر، والمستكفي، والمتقي.

---

(١) ذكر ابن عبدالحق في «مراصد الاطلاع» (١٢٧٠) أنه درب في عقار المدرسة النظامية، وهو درب نافذ، به دروب غير نافذة، ينفذ إلى درب دينار الصغير. قلنا: ودرب دينار الصغير هو سوق البزازين الحالي.

(٢) هكذا وردت بالحاء المهملة المضمومة، ولم نقف على ذكرٍ لها، إلا أن الدكتور مصطفى جواد رحمه الله ذكر أنها وردت في وقفية مرجان، فقيّدها بالخاء المهملة، وهو تقييد لا تؤيده النسخة.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «فأقام».

(٤) جمع رُمانة، وهو الذي في أعلى قفص القبر.

(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «سوى رؤوسهما».

(٦) يعني: الحريم الطاهري.

وفيها اشتد البرد يوم نزول الشمس برج الحَمل وعاود[1] الناس لبس الفرو، وكاد الماء يجمد، فنظمَ موفق الدين بن أبي الحديد في ذلك:

أتى فَصْل الرَّبيعِ وكانَ فَصْلاً[2] ... بـه جَمَـدت مـن البَـرْدِ الميـاهُ
تَشَـابهـت البُـروج وليـسَ بِـدعـا ... فبيـن الجَـدي والحَمـل اشتبـاهُ

وفيها، سَعَى علي ابن الإرْبلي من دقوق[3] إلى بَغْداد، فوصل بعد العصر وفضل على مَعْتوق المَوْصلي المعروف بالكُوَيْز[4] نصف ساعة ودار حَوْل الكشك شَوْطاً، وخرَج إلى التفرج عليه الخليفةُ المُستعصم بالله وأولاده وجلسوا في الكُشك إلى حين وصوله. وكان هذا المذكور مُخْتصاً بخدمة الأمير مُبارك ولد الخليفة، فأمر له بِفَرَس من مراكبه وخِلْعة وذَهَب، ودارَ من الغد في البَلَد بالطُّبول والبُوقات، فحصلَ له شيء كثير[5].

وفيها، فَقَد التقي بن كلالة التاجر من صندوق له ألف دينار، فاشكل عليه الأمر في ذلك وحار فكره في مَن فَعَلَهُ، فكتَمَ الحالَ نحو خمسة عشر يوماً، فظهر له أن مملوكين صغيرين أحدهما هندي والآخر

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وعاد».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «فصل».
(٣) في المطبوع: «دقوقا» وأثبتنا ما جاء في النسخة الخطية.
(٤) تصحف في المطبوع إلى: «الكوثر»، وجَوّد الذهبي تقييده بخطه نقلاً من ابن الساعي.
(٥) كان وصوله يوم الخميس خامس عشر من ذي الحجة سنة ٦٤٦(العسجد المسبوك٥٦٦).

حَبَشي قد طَلَبا غَفْلة وكَسَرا قُفْل الخزانة وأخَذَا ذلك، لأنهما اكتريا داراً واتفقا فيها على الفساد، فأخذهما وضَرَبهما، فاعترفا وأحضرا المال، فلم يَشذ منه سوى مئة دينار، ثم حملهما إلى أستاذ الدار، فأقرا بأنهما سَرَقا مالاً آخر من تاجر يجاور دار سيدهما، فأمر بحبسهما. وهذا الفعل من ابن كلالة يدل على عَقْله وثَبَاته، لأنه لو أشاع ذلك واتهم جيرانه ربما أفضى إلى ضياع المال وستر حال المملوكين، لأنهما لم يكن[1] يُؤْبَه لهما ولا يُظَنّ فيهما ذلك لصغرهما.

وفيها، توفي الحَرِيري[2] الفَقير الدِّمشقي بها. كان له زاوية يقصده بها الفقراء وغيرهم، وكان يُعاشر الصبيان الأحداث، وكان الناس يُكْثرون القولَ فيه ويقولون إنه مُباحي[3]، وما عنده مُراقبة ولا مُبالاة بمن يقول عنه، بل يدخل معهم الحمام ويعتمد ما يسمونه[4] الفقراء[5]

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «يمكن».

(٢) هو الشيخ علي بن أبي الحسن بن منصور الحوراني شيخ الطائفة المعروفة بالحريرية، وهم من بطلة الصوفية ومشعبذيهم، وكانت وفاته في سنة ٦٤٥، فلا نعلم إن كان الخطأ في إيراده ضمن وفيات هذه السنة من المؤلف، أم من الناسخ. وقد ترجمه الحافظ الذهبي في «تاريخ الإسلام» ترجمة رائقة بيّن فيها نشأته وسوء سيرته وترهاته، فهتكه في خمس ورقات بخطه، ونقل في هذه الترجمة من مؤرخ العراق ابن الساعي البغدادي ما يشبه الكلام الذي هنا. وله ترجمة في ذيل الروضتين ١٨٠، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٢٤، والبداية والنهاية ١٣/ ١٧٠، والعسجد المسبوك ٥٥٦، وغيرها.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «إباحي»، وما أثبتناه يعضده ما نقله الذهبي بخطه في «تاريخ الإسلام».

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «يسميه».

(٥) يعني: الصوفية.

تَجْرِيباً[1] ، والفقهاء ينكرون فعله، حتى أن السلطان أخذَهُ مراراً وحَبَسه وهو لايرجع عن ذلك. ومع هذا كان من وقع نظره عليه من الأحْداث وأولاد الأجناد والأُمراء وغيرهم يحسن ظنه فيه ويميل إليه ولا يعود ينتفع به أهله، بل يلازمه ويقيم عنده اعتقاداً فيه ومَيْلاً إليه. وكان فيه لطف ويقول شعراً دُوبيت، فمن قوله:

كم تتعبني بصحبة الأجْساد ... كم تشهرني بلذة المِيعاد

جد لي بُمدامة تقوي رَمَقي ... والجَنّة جُدبها على الزُّهاد

وفيها، توفي جمال الدين أبو الحسن علي[2] بن يحيى ابن المُخَرِّمي المَعْروف بالمُخَرِّمي. شابٌ فاضل أديب حافظٌ للقرآن المجيد، كان يَنُوب أخاه فخر الدين المبارك ابن المُخَرِّمي إلى أن عُزِلَ ووكِّل بهما. فلما أُفرج عنهما تشاغل جمال الدين بالعِلْم وزيارة أصحابه وإخوانه، وألَّفَ كتاباً مختصراً سَمَّاه «نتائج الأفكار»[3] يشتمل على رياضة النَّفْس ومَدْح العَقْل وذم الهَوَى، وكان يقول شعراً جيداً، وله أشعار كثيرة، ورثاه أخوه فخر الدين[4] بقوله:

لقد شَفّني وَجْدي وضاقت مَذَاهبي ... وحَلَّ عزائي بعد موت المُخَرِّمي

أخي وابن أُمي والذي كانَ ناظري ... وسمْعي ورُوحي بين لَحْمي وأعظُمي

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «تخريباً»، ولا معنى لها.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي، الورقة ٧٠(أيا صوفيا٣٠١٣)، والبداية لابن كثير ١٣/ ١٧٥ .

(٣) ذكره ابن كثير في «البداية» ونقل منه.

(٤) تأخرت وفاة أخيه فخر الدين إلى سنة ٦٦٤هـ، وهو ممن نجا من الواقعة.

رَزَتْك المنايا دوننا[1] ولو انْصَفَت لقد كانَ من قبل التفرق مأتمِي
تَـرَحَّلْـتَ عـن دارِ الفَنـاء مُطَهَّـراً من الذّام فابشر بالسَّلامة وانعم
فإن حالَ ما بيني وبينك تُربة مُجـاروة السِّبْـط الإمـام المُكـرَّمِ
إليكَ تَرَانـي قـد حثثتُ مَطِيّتي وعن كَثَبٍ يأتي البَشِير بمَقْدَمِي
فـوالله مـا أسلـوكَ دون مَنِيّتـي وحُبُّك من قلبي كما كنتَ فاعلَم
فلا طَلَعت شمسٌ إذا كُنتَ غائباً ولا سارَ بَدْرٌ في الدُّجى بين أَنْجُم
ولا نسمت ريحُ الصَّبَا بعدَ بُعْدِكم ولا راقَ لي عَيْشٌ ولا لذ مَطْعَمي
سأبكيكَ ما دامت حياتي فإن جَرَى من الدَّمْع تقصير سأتبعه دَمِي
وشُكْـرِي لمـا أولاكَ حيـاً ومَيتـاً من البِرِّ ما قد كَلَّ عن نَشْره فَمِي
أبو الطيب الوافي الذي فاقَ فضله وإنعـامـه أرْبـى علـى كُـل مُنْعِـم

الإشارة بذلك إلى شهاب الدين رَيْحان السُّكَيْني، فإنه وفي له حياً وميتاً، وبالغَ في بِرّه وتجهيزه ودَفْنه، فإنه أوصى أن يُدْفن في تل قَريب من مَشْهد الحُسين عليه السلام، وأن يكون تابوته مَكْشوفاً ليسَ عليه وطاء[2] ولا ثَوْب، ولا يُقرأ بين يديه قُرّاء الألْحان، بل جماعة فقراء يَقْرأون تلاوةً وجماعة يُسَبِّحون الله تعالى ويُهَلِّلُونه ويَحْمَدُونه، فَفُعِلَ ذلك كُلّه[3] .

---

(١) في المطبوع: «وكنا»، وعلق محققه، فقال: «لعل الأصل «دوننا» ليستقيم البيت والمعنى. قلنا: وما أثبتناه هو الذي في الأصل، فلعل الدكتور مصطفى جواد -رحمه الله- لم يرجع إلى الأصل، لكنه استرجم، فكان استرجامه جيداً موافقاً لما في الأصل.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «غطاء».

(٣) قال الذهبي: «وكان سُنّياً سلفياً أثرياً» (تاريخ الإسلام، الورقة ٧٠).

وفيها، توفي أبو الحَسَن علي[١] بن يوسُف القِفْطي المَعْروف بالقاضي الأكْرم وزير حلب. مولده بمدينة قِفْط من أعمال الصعيد الأعلى بمصر. وكان غزيرَ الفضل والأدب، قد احتوى علىفنون العُلوم كالنَّحو واللغة والفقه والحديث وعلم القرآن والأصول والمنطق والنجوم والهندسة، وفاقَ في النظم والنَّثْر، وله تصانيف كثيرة في عدة فنون، فمن شعره:

ضِدَّان عندي قَصَّرا هِمّتي ... وَجْهٌ حَيِيٌّ ولِسان وقاحْ
إن رمتُ أمراً خانني ذو الحيا ... ومقْوَل يُطْعِمُني في النَّجاحْ
فأنثني في حَيْرة منهما ... لي مخلب ماضٍ وما من جَنَاحْ
شبه جَبانٍ فَرَّ من مَعْرك ... خَوْفاً وفي يمناه عضب الكِفاحْ

وله في أعور:

شيخٌ لنا يُعْزَى إلى مُنْذر ... مُسْتَقْبَحُ الأخلاق والعَيْنِ
من عَجَب البحر فَحدّث به ... بفَرْد عَيْنٍ ولسانينِ

وكان مُحباً للكُتُب، جَمَعَ منها ما لم يجمعه أحد من[٢] أبناء جنسه، لأنه غالَى في أثمانها، فقُصِدَ بها من الآفاق، ولم يكن له ولدٌ ولا زوجة ولم يخلف سوى أخيه، ووَصَّى بكتبه للسُّلطان، فأخذَها ولعلها تساوي خمسين ألف دينار.

---

(١) معجم الأدباء ١٥/ ١٧٥، ومعجم البلدان٣/ ٥٥، وعقود الجمان ٥/ الورقة١، وتاريخ الإسلام للذهبي، الورقة ٧٠ (أياصوفيا ٣٠١٣)، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٢٧، وفوات الوفيات ٣/ ١١٧، وبغية الوعاة ١/ ٢١٢، وغيرها.

(٢) سقطت من المطبوع.

وفيها، خرج شيحة أمير المدينة في نَفَرٍ يسير فلقيه جماعةٌ من بني لام، وكان بينهما دم فحاربوه وقتلوه واجتزوا رأسه وسَلَبوه، فملكَ بعده ولدُه الأكبر عيسى، وأنفذ من أحضر جثته ودفَنَه[١] بالمدينة.

وفيها، حَصَرَ[٢] بدرالدين لؤلؤ صاحب المَوْصل مدينة ماردين ومَلَكَها ونَهَب وأسر، ومن جُملة الأسرى أيدمر دويدار[٣] الكامل، وكان قد بلغه أنه سَبَّه وشَتَمه، فأمَر بصَلْبه.

وفيها رُتِّب... [٤] ربيع بن سُكينة شيخ رباط جده لأمه شيخ الشيوخ أبي سعد، وأضيف له النظر في وقوفه[٥].

وفي هذه السنة انقطع الحج من العراق[٦].

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «ودفنت» وانظر العسجد المسبوك ٥٦٤، وعمدة الطالب ٣٣٨، وصبح الأعشى ٤/ ٣٠٠.

(٢) تصحفت في المطبوع إلى: «حضر».

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «وبدار»، ولم يعرف المحقق يومئذ قراءتها.

(٤) كلمة لم نتمكن من قراءتها.

(٥) هذا الخبر سقط كله من المطبوع.

(٦) كذلك.

سنـــة
سبع وأربعين وست مئة

في[1] هذه السنة[2] ، قَصَدَ الفِرنج مدينة دِمْياط وحَصَروها، فَنَفَّذَ الملكَ الصالح أيوب ابن الكامل محمد صاحب مصر عَسْكراً نجدةً لمن كان بها من العَسْكر، وكان الملك الصالح مريضاً، فالتقى العَسْكران واقتتلا قتالاً شديداً، فكسرَ المُسلمون الفِرنج، ثم عاد الفِرنج وقاتلوا أشدَّ قتالٍ، واستظهروا على المسلمين، فانهزموا ودَخَلَوا دِمياط وأغلقوا الأبواب، وكاتبوا الملك الصالح بالخبر، وكان قد سَقَاه الطَّبيبُ دواء مُخَدراً، وقال: «لا يُزْعَج ولايُنَبَّه»، فوصل الكتاب إلى خادمه، فكَتَمَهُ ولم ينبهه ولا رد عليه جواباً، فكتبوا مرة أخرى، فلم يرد إليهم جواباً ولا أعلمه، فأرجف النَّاسُ في دمياط: بأنه قد مات فضعفت نفوسُ أهل البَلَد والعَسْكر أيضاً، فاجتمع أهل البلد وعزموا على الهَرب والنَّجاة بأنفسهم وأولادهم، وأحْرَقوا أبواب البلد وخرجوا[3] ، فأخذ العَسْكر في رَدِّهم[4] ، فلم يوافقوا على ذلك، فنهبوا البَلَدَ نَهْباً شَنِيعاً، فازدحمَ أهل البلد في الأبواب وخرجوا عن آخرهم، وتلف منهم خلقٌ كثيرٌ،

(١) في المطبوع: «وفي»، والواو زائدة.
(٢) في صفر منها، كما في «تاريخ الإسلام» للذهبي، وغيره.
(٣) سقطت من المطبوع.
(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «بردهم».

وبقي البَلَدُ خالياً من أهله ومن العَسْكر، وقَصَدُوا جميعاً مصر، فلما عَلِم الفرنج بذلك دخلوا البَلَد ومَلَكُوه بغير كُلْفة ولا مشقة.

وأما الملك الصالح فإنه أفاقَ من نومه، وسأل عن أخبار دِمياط فقيل له عن الكتب الواصلة وعُرضت عليه، فلما وقف عليها انزعجَ وأنكرَ على الخادم فعله، فَعَرَّفَهُ أن الطبيب أشارَ بأن لا يُزْعَجَ من نومه، فلما وصل العَسْكر وأهلُ دمياط إلى مصر، عزَم الملك الصالح على قَتْل الذين نهبوا أهل البلد، فأُشير عليه بترك ذلك لأجل قرب العَدو منه فتركهم مُدَيْدة، ثم صَلَب نَيِّفاً وثمانين زعيماً، واستعاد من العَسْكر معظم ما أخذوه من الناس وأعادَهُ عليهم.

وفيها، وصلَ الخبرُ إلى بغداد أن طائفةً من المغول كَبَسوا الإيوان خانقين[1] وما يُجاورها، وقَتَلُوا منهم مقتلةً عظيمةً، ونَهَبُوا أغناماً كثيرةً وأبقاراً وغيرَ ذلك. وساروا إلى رانكاوا[2] وفعلوا مثل ذلك، وانتقلوا إلى البَتْ والرَّاذان واعتمدوا أيضاً كذلك. فجفل النَّاسُ من طريق خُراسان والخالص، ودخلوا بغدادَ، فخافَ النَّاسُ وانزعجوا، وتقدَّم الديوانُ إلى الأُمراء والعساكر بالخروج إلى ظاهر البَلَدَ، وتَقَدَّم إلى كافة أهل البلد برمي النشاب والاستعداد وتعليق السلاح في الأسواق والخانات والدكاكين، والمبيت في الأسواق، وإشعال الأضواء، ففعلوا

(١) كُتبت في الأصل: «الإيوانخانقين» مدمجة، والمراد الإيوانية الذين بخانقين، ووقع في المطبوع: «إيوان خانقين».

(٢) وقعت في المطبوع: «رانكاو» من غير ألف، خطأ.

ذلك بجانبي مدينة السلام، ونُفِذَت الطلائع ومعهم الطُّيور ليخبروا بصورة الحال، فعادوا وأخبروا أن المغول عادوا، ودخلوا الدَّرْبَند بعد أن قَتَلوا في دقوق خلقاً كثيراً وأسروا جماعة، وارتكبوا الفواحش بالنساء والصبيان، فحينئذ دخلت العساكر واطمأنَّ النَّاس.

وفيها، نُقِلَ فخر الدولة الحسن بن المُطَّلب من مَدْفنه بالإيوان الذي في جامعه على شاطىء دجلة، حيث وقعَ حائطه، إلى مَشْهد موسى بن جعفر عليه السلام. تَوَلَّى نقله النُّواب الذين ينظرون في وقوفه، وأرادوا نقله إلى مَوْضع في الجامع فلم يُجَوِّز الفقهاء ذلك، وذلك بعد نَيِّفٍ وستين سنة من موته[1].

وكان في السنة الخالية قد انشق حائط تُربة الخليفة المستضيء بأمر الله[2]، فَنُقِلَ من مدفنه إلىموضعٍ في التُّربة المذكورة، ونُقِلَ معه سبعة توابيت فيها: أخته عائشة المعروفة بالفيروزجية، وولده أبو منصور، وولدان للظاهر، وزوجة الظاهر، ثم نُقِلُوا في هذه السنة إلى التُّرب بالرُّصافة. ونُقِلَ أيضاً من الحريم الطاهري إلىالرصافة: المُعْتَضد بالله بعد ثلاث مئة ونيف وخمسين سنة من وفاته، وولده المُكْتفي بعد ثلاث مئة وخمسين سنة، والقاهر أخو المكتفي، بعد ثلاث مئة سنة، وابن

(١) كانت وفاته سنة ٥٧٨، كما هو معروف مشهور في ترجمته.

(٢) كان المستضيء قد دفن أولاً بدار الصخر، من دار الخلافة، إلى أن نقل إلى تُربة بالجانب الغربي على شاطىء دجلة بقصر بني المأمون، في ليلة النصف من شعبان سنة ٥٧٦ (مختصر التاريخ، لابن الكازروني٢٣٩).

أخي القاهر بعد مئتين وتسعين سنة، والمستكفي بعد ثلاث مئة وعشر سنين.

وفيها، كتب إنسان فُتيا مَضْمونها: هل الإيمان يزيد وينقص أم لا؟ وعُرِضَت على جماعةٍ، فلم يكتبوا فيها، فكتب فيها ابن وَضَّاح الحَنْبلي وعبدالعزيز القُحَيْطي، وبالغا في ذم مَن يقول: إن الإيمان لا يزيد ولا يَنْقص. ثم سُلِّمت إلى فقيه حنفي، فحبسها عنده ولم يكتب فيها، فانتهى حديثها إلى الديوان وتألم الحنفية من ذلك، وقالوا: هذا يُعَرِّض بذم أبي حنيفة، فَتُقُدِّم بإخراج ابن وَضّاح من المَدْرسة المُستنصرية، ونَفْي ابن القُحَيْطي عن بغداد، فَحُمِلَ إلى الحديثة وأُلْزِمَ المقام بها[1].

ووصل إلى بَغْداد في هذه السنة، شخصٌ صغير الخِلْقة جداً، يقال له أبو منصور الأصفهاني، طوله[2] ثلاثة أشبار وثلاثة أصابع، ومن كعبه إلى ركبتيه قبضة، ولحيته طويلة، وعُمره خمس وأربعون سنة، فحُمِلَ

(١) هذا اضطهاد فكري بيّن، فالسَّلف على ما أفتيا، وهو الصحيح الثابت عند أهل السنة، قال العلامة ابن رجب البغدادي في ترجمة كمال الدين أبي الحسن علي بن محمد ابن وضاح الشهراباني هذا: «وله جزء في أن الإيمان يزيد وينقص، كتبه جواباً عن سؤال فيمن حلف بالطلاق على نفي ذلك. فأفتى بوقوع طلاقه، وبَسَط الكلام على المسألة، وذلك في زمن المستعصم، وقد أوذي بسبب ذلك، هو والمحدث عبدالعزيز القحيطي من بغداد، فإنه وافق على هذا الجواب. وأخرج الشيخ من المدرسة التي كان مقيماً بها (وهي المدرسة المستنصرية)، وأخرج القحيطي من بغداد، وبذلك تحقق قوة إيمانهما، وكونهما إن شاء الله من خلفاء الرسل في وقتهما (الذيل ٢/ ٢٨٣-٢٨٤). قلنا: وكمال الدين هذا سلم من سيف التتار وعاش إلى سنة ٦٧٢، وترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام، الورقة ٥ (أيا صوفيا ٣٠١٤بخطه).

(٢) في المطبوع: «وطوله»، وليس بشيء.

إلى الخليفة، فَتُقُدِّم له بثيابٍ ومالٍ وأُسْكِنَ في دار الخلافة، وأُجْرِيَ عليه ما يحتاج إليه، ثم نُقِلَ إلى دارٍ قريبة من دار الوزير، وكان فيه معاشرة وانطباع.

وفيها، أمر الخليفة بعمارة سُور مَشْهد موسى بن جعفر عليه السلام، فلما شَرَعوا في ذلك وَجَدُوا بَرْنية[1] فيها ألفا دِرْهم قديمة منها يُونانية عليها صُوَر، ومنها ضَرْب بغداد سنة نيف وثلاثين ومئة[2]، ومنها ما هو ضَرْب واسط يُقارب هذا التاريخ، فَعُرِضت على الخليفة، فأَمَرَ أن تُصْرَف في عمارة المشهد، فاشتراها الناس بأوفر الأثمان، وأُهْدِيَ منها إلى الأكابر فنفذوا إلى المشهد أضعاف ما كان يُحْمَل[3] إليهم.

وفي حادي عشر ذي القعدة، أمرَ الخليفةُ بحمل مَشدَّتين إلى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام، وتعليقهما على القُبَّتين الشريفتين، ثم تقدم بإزالتهما في خامس عِشْري الشهر المذكور.

وفيها، رُتِّب محمد بن حُسين صدراً بالأعمال الواسطية، بعد أن فَصَلَ عنها ابن يحيى البَصْري، واستقل بنظارة البَصْرة.

وفيها، توفيت ابنةٌ للخليفة[4] المستعصم بالله، فأمرَ بدفنها في الدار التي أنشأها على نهر عيسى مجاور شارع ابن رزق الله وقنطرة الشوك

---

(١) البرنية: إناء من خزف.

(٢) كيف يكون ذلك، وبغداد لم تكن قد بُنِيت، بل ولا فكر المنصور ببنائها!؟

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «حمل».

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «الخليفة».

المعروفة بدار سوسيان[1] .

ولم يحج أحد من العراق في هذه السنة .

(١) منسوبة إلى الأمير مظفر الدين أبي الفتح سوسيان بن أيلد غدي بن آق طغان، ويعرف بابن شملة التركماني الخوزستاني صاحب تُستر، والمتوفى في الحديثة سنة ٥٩٦، قال ابن الفوطي في ترجمته: «وجاء سوسيان فسكن على نهر عيسى في الموضع المعروف به الآن» (تلخيص مجمع الآداب ج٤ق١ص١٠١).

سنة
ثمان وأربعين وست مئة

فيها[1] ، توفي الملك الصالح أيوب[2] ابن الكامل صاحب مصر. وكان ولده غياث الدين تُورانشاه مُقِيماً في حِصْن كيفا، فَكُتِمَ موتُه ورُوسل ولده، فتَوجَّه على البَرِّ إلى دمشق، فدخلها ومَلَكها، وفرَّق الأموال على العساكر، وأصلَحَ أحوالَ البَلَد، وقَرَّرَ قواعدَهُ. وخرجَ متوجهاً إلى مِصْرَ فوصلها، واعتمد فيها مثل ما اعتمدَ في دمشق. وقيل: كانت وفاة الملك الصالح في شعبان سنة سبع وأربعين[3] .

ولُقِّبَ غياث الدين بالملك المُعَظَّم، وانتضمت أُموره واستقرَّ مُلْكه، فَفرَّق الأموالَ في الأُمراء والعساكر وجَهَّزهم وسَيَّرهم إلى دمياط، فقاتلوا مَن بها من الفِرنج أشدَّ قتال، فانهزمَ الفرنج وولوا مُدْبرين، وأخذتهم السيوف، فقُتِلَ منهم زيادة على ثلاثين ألف إنسان،

---

(١) وقع في المطبوع: «وفيها»، فالواو زائدة لا أصل لها.

(٢) أيوب هذا توفي في شعبان سنة ٦٤٧هـ، كما هو معروف مشهور في ترجمته وفي كتب التاريخ المستوعبة لعصره (مرآة الزمان٨/ ٧٧٥، وذيل الروضتين ١٨٢، وتاريخ الإسلام، الورقة ٧٣-٨٠(أيا صوفيا٣٠١٣)، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٨٧ وفيه مصادر كثيرة عنه)، لكن ابنه غياث الدين تورانشاه هو الذي قتل في هذه السنة (تاريخ الإسلام، الورقة ٨٦-٨٧، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٩٣-١٩٦).

(٣) وهذا هوالصحيح.

وأُسر مالا يحصى كَثْرة، واحتَمى الملك افرنسيس[1] وجموعه في ضيعة تعرف بمينة[2] وطلبَ الأمان، فأُجيب إلى ذلك، وتَسَلَّموا دِمياط، وعادَ أهلُها وعَمَّروا ما تشعثَ منها؛ وقَرَّرَ على الفَرَنسيس مئتي ألف دينار، فرهنَ عندهم أخاه وولَده وجماعةً من عشيرته، فعند ذلك خُلي سبيلُه، فسارَ إلى بلاده ليحمل المال.

وأما الملك المعظم فإن الأتراك البحرية أنكروا بعض سيرته فتحالفوا على قتله، وكان رأسهم في ذلك أمير يعرف بعز الدين أيبك التُّركماني، فحضر عند السلطان وهو على الطَّبَق[3] وخاطبه في حاجةٍ، فغلظَ عليه، فوثبَ أيبك وَسَلَّ سيفَهُ وضربَ السُّلطان ضربة، فاتقاها بيدِه ونهضَ فدخل البَيْت[4] الخَشب، وأغلَقَ عليه بابه، فقال الأتراك لأيبك: «تَمِّم عملك». فأراد أن يدخل عليه البيت فلم يقدر على ذلك، فدعا بنَفّاط، وأمرَ أن يرمي البَيْت بقوارير النّفط ففعل، فعلقت النار فيه، فصعد السلطان إلى السطح وألقى نفسه إلى جهة البحر، فاتبعوه وقتلوه، ثم ألقوه في البحر، وكان قتله في آخر المحرم من هذه السنة.

وقيل: كان ذلك بمواطأة من زوجة أبيه الملك الصالح المعروفة بأم خليل وهو وَلَد الملك الصالح[5]، وكان صغيراً فاتفق التُّرك البَحْرية

---

(١) يعني: ملك فرنسا، وفي تاريخ الإسلام للذهبي بخطه: «ريذافرنس» يعني: «روا دو فرانس»، وهو لويس التاسع، لعنه الله.

(٢) وقع في المطبوع: «ميناء»، خطأ.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «المائدة»!

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «بيت».

(٥) في الأصل: «المعظم»، ولايستقيم، فالمعظم هو ابن زوجها، وخليل هذا أخوه مات =

على أن يجعلوا أمرهم إليها في التَّدْبير، فَمَلَّكُوها وخَطَبُوا لها بمصر وأعمالها، ونقشوااسمها على سكة الدينار والدِّرهم، وكان الخُطباء يقولون بعد الدُّعاء للخليفة المستعصم بالله: «واحفظ اللهم الجهة الصالحة مَلِكة المُسلمين عِصْمة الدُّنيا والدين أم خليل المُسْتَعصمية صاحبة الملك الصالح خَليل أمير المؤمنين».

ولما قُتِلَ السُّلطان ثار أسرى الفِرنج بمصرَ وفكوا القيود من أرْجلهم وقتلوا خَلْقاً كثيراً، فأحاطَ العَسْكر بهم، وقتلوا منهم زيادة على ثلاثة عشر ألف إنسان.

ثم إن أم خليل عَزَلت نفسها عن السَّلْطنة في آخر السنة، وخُطِبَ بعدها للمعظم بن آقسيس ابن الملك المسعود[1] ابن الكامل وهو طفل.

وفي المحرم، تُقُدِّم بمنع أهل الكَرْخ والمُخْتارة من النِّياحة والإنشاد وقراءة مَقْتل الحُسين عليه السلام، خَوْفاً من تجاوز ذلك إلى ما يُؤدي إلى وقوع فتنة[2].

وفيها، صَلَب حُسين ابن تاج الدين ابن العَلْقَمي نسيب الوزير مؤيد الدين ابن العَلْقَمي نفسَهُ، وكان شاباً، وسبب ذلك أنه تنابذ هو ويهودي بقّال، فأهانه فشكا منه، فطُلِبَ ليحضر إلى دار الوزير فامتنع من

= صغيراً.

(١) هكذا في الأصل، وهو خطأ بيّن، فهو: «الأشرف مظفر الدين موسى ابن الناصر يوسف ابن الملك المسعود آقسيس ابن الكامل، كما في جميع الكتب المستوعبة لهذا العصر، ومنها: سير أعلام النبلاء ٢٣/١٩٨، وتاريخ الإسلام، الورقة ١٣٨(أيا صوفيا٣٠١٣)، والبداية لابن كثير ١٣/١٧٩، وغيرها.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «الفتنة»، والخبرفي العسجد المسبوك ٥٧٥.

الحضور وصَلَب نفسه.

وفيها، سأل عالي بن زخريا اليهودي الإِرْبلي أن يُرَتَّب رأس مثيبة اليهود فأُجيب إلى ذلك، وشافَهَهُ الوزير به، ونَفَّذَهُ إلى أقضى القضاة، فاجْلَسه بين يديه وحمد الله وأثنى عليه وصلَّى على محمد ﷺ وقال له: «قد وليتك الزعامةَ على أهل شريعتك المَنْسُوخة التي نسختها شريعة الإسلام أدامها الله ما دامت السماوات والأرض على أن تحكم بين المُترافعين إليكَ منهم، فتأمرهم بما أُمروا به في دينهم وتَنْهاهم عما نُهوا عنه في دينهم». ثم نهض من عنده ولبسَ طرحَتُه في دهليز القاضي وخرجَ ومعه جَمْعٌ من اليهود وأتباع باب النَّوبي ومعه تقليده الذي كتب له من الديوان[1].

وفيها، أنْفَذَ الخليفةُ إلى الوزير (على يد)[2] عمر بن جَلْدك، شدةً من أقلام، فكتب الوزير: «قَبَّلَ المملوكُ الأرضَ شُكْراً للإنعام عليه بأقلامٍ قَلَّمت عنه أظفارَ الحَدَثان، وقامَت له في حَرْب صَرْف الدَّهر مقام عوامل المُرَّان[3]، وأجنته ثمار الأوْطار من أغصانها، وحازَت له قَصَبات المَفَاخر يوم رهانها، فبالله كم عَقْد ذِمام في عِقْدها، وكم بَحْر سَعَادة أصبحَ من مِدَادها ومَدَدِها، وكم مُناد حظٍ استقامَ بمُثقَّفاتها، وكم صوارم خُطوب فَلَّت مضاربَها بمطروف[4] مُرْهفاتها، والله تعالى يُنْهِض

(١) العسجد المسبوك ٥٧٥-٥٧٦.

(٢) في الأصل: «الوزير علي بن»، ولا تستقيم، ولا تصح.

(٣) المُرّان: الرماح الصلبة اللدنة، الواحدة: مُرّانة.

(٤) وقع في المطبوع: «بمطروق» محرف، وجاء في هامش النسخة الخطية: «طَرَّفَ=

المملوك بمفروض دُعائه، ويوفقه للقيام بشُكْر ما أولاه مولاه من جميل رأيه وجزيل حبائه[1] بمحمد وآله:

خَوّلتني نعماً تكادت تُعبِّد لي[2] عَصْر الشَّباب وتدني منه أياما
لم يَبْقَ لي أملٌ إلا وقد بَلَغَت نَفْسي أقاصيَه بِرّاً وإنعاما
تعطي الأقاليم من لم يُبْد مسألةً جُوداً فلا عَجَباً إنْ تُعطِ أقلاما
لأفْتَحنَّ بها والله يُقْدِرُني مَصَاعباً أعْجَزَت من قبل بَهْراما
إذا نُسِبن إلى خَط فإنَّ لها شَبّاً إذا أعملته يَخْرقُ الهامَا
بالحَمْد والشكر أجريها لدولتكم والرأي يَحْصدُ من أعدائها الهاما

طالعَ المملوك بدُعائه الصادر عن ناصح ولائه، والأمر أعلى واسمى إن شاء الله تعالى».

وفيها، حَضَر الأمير سيفُ الدين علي بن قَيْران عندالوزير وأستاذ الدار، وأنهى إليهما: أنه شاهد العَدْل شمسَ الدين علي ابن النسابة خطيب جامع القَصْر في بستان يُعرف بالديلجي، ومعه جماعة رجال ونساء وهو على حالة مُنْكرة. ثم شاعَ ذلك حتى تَحَدَّث به العوام في الأسواق[3] والأكابُر في المحافل، فأنكر الخطيبُ ذلك وحَلَفَ على بُطْلانه، بل اعترف أنه كان في البستان المذكور بشُبْهَة أنَّ معظمه وَقْف

= تَطْريفاً قاتل حول العسكر، لأنه يحمل على طرف منه، كما في «القاموس المحيط».

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «حيائه».

(٢) هكذا في الأصل، وهو غير مستقيم، ولعله -كما اقترح الدكتور مصطفى جواد-: خولتني أنعماً كادت تعيد إليّ».

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «والأسواق».

على التُّرب بالرُّصافة وهو يتنظر فيه، وأن الذين كانوا معه وَلَدُهُ وغِلْمانه وأصحابه. فقبل الديوان عُذره غير أن العوام أفرطوا في الشناعة[1] وكتبوا رقاعا ورموها في الجامع تتضمن الشَّناعة على الخطيب، وامتنعَ جماعةٌ من الحنابلة من الصلاة وراءه، ولم يكن في بغداد من يرجح عليه من الخطباء. وأُثني على رجل يخطب بواسط يقال له: العَدْل أبوالمظفر عبدالله بن العباس الرَّشيدي، فَتُقُدِّمَ بإحضاره، فوصلَ في يوم جُمُعة، ودخلَ إلى الوزير، فَنَفَّذَهُ إلى الجامع وأُهْبته مع فَرَّاش وراءه، فخطبَ في ذلك اليوم، وحَضَر بُكْرة السَّبْت عند شيخ الشيوخ ابن النَّيّار فلقيه بالبِشْر والإكرام وأنشده:

فلتهنك اليوم الولاية إنها قَصَدَتكَ من بَلَدٍ بعيدِ المَنْزع
لم تُعطها أملاً ولم تُشْغل بها قَلْباً ولم تسأل لها عن مَوْضعِ

وقيل في الخطيب المعزول أشعاراً، منها ما قاله بعض الفقهاء بالمدرسة المستنصرية:

قُل للخطيب تَعَزَّ عن شَرَفٍ مَضَى وسعادةٍ من جَدِّك المُتَناهي
إن الخطابة كالخلافة اقْسَمت أن لا تكون لغيرِ عبدالله
فَتَعَلَّقَت بِسَمِيِّ مَوْلانا كما يَتَعلق العُشّاق بالأشْباهِ
ولئن عُزِلتَ فما[2] عُزلت لِريبة بل أنتَ تحتَ أوامرٍ ونَوَاهِي

يقول فيها[3]:

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «شنعته».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «لما».
(٣) قوله: «يقول فيها» سقطت من المطبوع.

لكنمـا الأقـدار ليـسَ يَـردهـا شَـرَف الجُـدود ولاعلـو الجـاه
فارج العَوَاطف فهي تجبر كَسْرَ مَن يَـرْميـه صَـرْف زمـانـه بِـدَواهـي

وفيها، توفي عبدالغني بن فاخر، مِهْتَر[1] الفَرّاشين بدار الخليفة، وكـان شيخاً ظريفاً لطيفاً، خـالياً مـن العِلْـم، حَسَـن الـزي، مليـح الملبوس، كثير التنعم، مُتَشبهاً بالملوك في ترتيب داره. وكانت داره تشتمـل علـى عـدة حُجر، في كـل حجـرة جـاريـة وخـادم، تسمـى تلـك الحجـرة بـاسـم ذلـك الخـادم، كـانـت نفقتـه فـي الشهـر زيـادة علـى مئة وخمسين ديناراً، عدا ما يحتاج إليه سَطْح الطيور وهو نحو عشرين ديناراً. وكان مهووساً[2] بحديث الجن، يزعم أنه يَسْتحضرهم ويُنَفِّذ فيهم أمره، قال الشيخ تاج الدين علي بن أنجب المعروف بابن السَّاعي رحمه الله[3] : قـال لـي مرة إن جِنّياً اسمـه شَمَـرْدل تَمَـرَّد علـيَّ وخـالَـف أمري وإني تألَّمْت منه إلى مَلك الجن فأمر بحبسه. فقلت: وأين ذلك الحبس؟ فقال: في النجف. فكنت أسأله دائماً عنه، فيقول: هو على حاله في الحبس. قال: وشَفَعت فيه مرة ليطلقه، فقال لي: أي شيء يعجبك فيه[4] حتى تَشْفع في إطلاقه فإنه وَحش الصُّورة مُدْبِر[5] أحمق مـؤذ. قلـت: فيُستتـاب. قـال: لا والله. وكنتُ أعجـب منه كيف كـان

---

(١) كلمة فارسية الأصل تعني: كبير أو رئيس.
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «متمهوساً».
(٣) هذه هي المرة الأولى التي يصرح فيها مؤلف هذا الكتاب النقل من ابن الساعي، مع أنه نقل جل مادته المتقدمة منه.
(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «منه».
(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «قذر».

يقول ذلك بكله[1] مع دهاءٍ كان عنده ومَكْر وعَدم غَفْلة. ورأيتُ في حَمَّام داره مخاد جُلود كباراً وصغاراً، فسألته عن ذلك، فقال: هذه أجعلها تحت كعبي وركبتي ورأسي إذا نمت لأجل تَذْليك جسمي. ووقفَ دارَهُ على المارستان العَضُدي، وبنى تُربةً في المشهد الكاظمي -على ساكنه السلام- وعَمِلَ ضَرِيحاً وصُنْدوقاً، وجعل في التُّربة فرشاً ورَبْعة وقناديل وخادِماً، ووقف أملاكَه على التُّربة والخادم، ومن يَخْتار القعود[2] هناك من مُعْتَقِيه ومُعْتَقَاتِه[3] ومقرىء وفرَّاش، وكان عمره نيفاً وسبعين سنة.

ولم يحج في هذه السنة أحد من العراق، بل حج جماعة من بغداد على طريق البَصْرة، فلما عادوا أخبروا أن أبا سعد[4] أمير مكة أغلق بابها ومنع الناس من الخروج، وأنَّه أخذَ من كل إنسان ديناراً عن نفسه وديناراً عن حمله، وأنه رَتَّبَ بالحرم الشريف إماماً للزيدية ومؤذناً[5] يقول «حي على خير العمل» تَقَرُّباً بذلك إلى صاحب اليمن.

وفيها، رَتَّب شرف الدين إقبال الشرابي عماد الدين بن ذي الفقار العَلَوي مُدرساً بالمدرسة التي أنشأها بواسط. وحُكِيَ أنه لما حُودِثَ الشرابي في تَرْتيبه دخلَ بعضُ الخَدَم وقال له: قد رأيتُ الليل مناماً،

---

(1) تحرفت في المطبوع إلى: «بكليته».
(2) تحرفت في المطبوع إلى: «العقود».
(3) سقطت من المطبوع.
(4) تحرف في المطبوع إلى: «سعيد»، وهو أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة العلوي المقتول سنة ٦٥١، كما في عمدة الطالب ١٤٢، وصبح الأعشى ٤/ ٢٧٣، وغيرهما.
(5) سقطت من المطبوع.

فسأله عنه، فقال: رأيت علياً -عليه السلام- ومعه سَيْف في غِمْد أخضر وقد ناولك إياه وقال لك هذا ذو الفقار. فأذن في ترتيبه.

وفيها، ظهر العَيَّارون في بغداد، حتى أنهم صاروا يحضرون في جماعةٍ ويأخذون ما يجدونه على وجه القَهْر والغَلَبة، ودخلوا بيوت الأُمراء وجَرَحوا وفتكوا، ودخلوا دار قُطْب الدين سَنْجر البَكْلَكي وكان قد أرجف بأنه يرتب شحنة بغداد وأخذوا منها جملة كبيرة[1].

وفيها، توفي فخر الدين عمر[2] بن إسحاق الدَّورقي[3]. كان يتولى أشغال زُعماء البَيّات، وينوب عنهم، وكان ذا مال كثير فائض، وجاه عريض. بنى بشرقي مدينة واسط جامعاً كان قد دثر، يُعرف بجامع ابن رقاقا، وعَمَّرَ بها[4] إلى جانبه رباطاً، وأسكنه جماعة من الفُقراء، ورتبَ فيه من يُلَقِّن القرآن المجيد ويُسْمع الحديث، وأجرى عليهم الجرايات اليومية والشهرية. ثم أنشأ قريباً من مدرسة الشرابي التي بشرقي واسط رباطاً آخر على شاطىء دجلة، وتُربة يدفن فيها، ووقفَ عليها وقوفاً سَنِية، وكان قد تجاوز السبعين من عمره[5].

---

(١) قتل سنجر هذا في واقعة بغداد صَبْراً، كما سيأتي، وله ترجمة في تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٢٨٠٨.

(٢) تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٢٢٦٤، وتاريخ الإسلام، الورقة ٨٩(أيا صوفيا٣٠١٣).

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «الدوارقي».

(٤) سقطت من المطبوع.

(٥) قال الذهبي: «صدرٌ معظم كبيرٌ، واسعُ الجاه، كان راتبه كل يوم خمس مئة رطل خبز، إلى مثل ذلك من اللحم والأدم، وكان خيّراً سليم الصدر».

سنة
تسع وأربعين وست مئة

فيها، اتبع علي بن أبي الفتح بن أبي الفرج الوزير ابن رئيس الرؤساء صَيْرَفياً يهودياً معه مال، فلما دخلَ داره هجمَ عليه وقَتَلَهُ، وأخذَ المالَ فاستغاثت زوجته فقتلها أيضاً، وخرَجَ فاتبعه الجيران وقبضوه، وحملوه إلى باب النُّوبي، فَقُتِلَ تَوْسِيطاً، وكان مشهوراً بالفَسَاد، مِقْداماً[1] هلى فعل المنكرات. ومن العجب أن أبا الفرج الوزير ركب في موكبه عازماً على الحج فلما وصل باب قَطُفْتا، عرض له ثلاثة نَفَر من الباطنية في زي الصوفية وناولوه رقعة، فلما مد يده ليأخذها قتلوه، فَقُتلوا في الحال. وجد هذا أبي الفرج وهو الوزير «رئيس الرؤساء» وزير الإمام القائم بأمر الله لما ظفر به ألب أرسلان البَسَاسيري قَتَلَهُ بعد أن شهره وصَلَبَه. وفي تصاريف الزمان مُعْتبر[2]، نعوذ بالله ونسأله خاتمة الخير.

وفيها، توفي محمد[3] بن أبي الفرج ابن رئيس الرؤساء. وكان

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «مقدماً»، ويعضد ما أثبتناه ما ورد في ترجمته بخط الذهبي في «تاريخ الإسلام»، الورقة ٩٦(أياصوفيا٣٠١٣).

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «عبر».

(٣) العسجد المسبوك ٥٨٤.

رجلاً ساذجاً سليم الصدر، خدم الديوان أكثر عُمره، ذَكَرَ أنه صَنَّف كتاباً وهو عدة مُجلدات يحتوي على جميع العُلوم، فَطُلِبَ منه، فأحضر الجزء الأول فإذا فيه بعد البسملة: «باب فَضِيلة العلم وما ورد فيه من الآيات والأخبار والأشعار» وباقي المجلد كاغد ليس فيه شيء مكتوب، فطُلِبَ منه الجزء الثاني فأحضره وهو كذلك، فطلب الجزء الذي بعده، فقال: لم أبوبه! وله حكايات غريبة منها: أنه أحضر بَنَّاء وأمره ببناء دار يكون حائطها في غاية الإحكام والعَرْض بحيث إذا شَرَع العَيَّارون في نَقْبه من آخر الثُّلُث الأول من الليل يفرغون منه وقت السَّحَر، فجعل البناء عَرْضه ست آجرات بالقالب الكبير، فلما فرغَ أمر جماعة أن يَنْقبوه من الثُّلُث الأول من الليل ففعلوا ففرغوا منه نصف الليل، فقال للبناء زده[1] ثلاث آجرات أخرى! وعاش حتى تجاوز الثمانين سنة.

وفيها، توفي جلال الدين عبدالله بن المختار العَلَويُّ الكُوفي. وكان عريقَ النسب، كبير القَدْر، أديباً فصيحاً، حفظ القرآن في نَيِّفٍ وخمسين يوماً، وكان إذا حضر مجلساً بسط القول فيه، وأكثر من الحكايات والاشعار والأخبار والسِّيَر. نُدِبَ إلى صدرية المخزن فاستعفى ولم يجب، وكان يحضر عند الخليفة الناصر في رَمْي البُنْدُق والفُتُوة ولعب الحمام، وكان يفتي فيه، ويُرْجَع إلى قوله، ولم يزل على ذلك إلى أيام الخليفة المُسْتنصر بالله، فأشارَ عليه أن يلبس سراويل الفتوة من أمير المؤمنين علي- عليه السلام- وأفتى بجواز ذلك، فتوجه الخليفة إلى

(١) تحرف في المطبوع إلى: «زد».

المَشْهد، ولَبس السَّرَاويل عند الضَّرِيح الشريف، وكان هو النَّقَيب في ذلك، ورُتِّب كاتب شَرَائج الطيور الحمام، ولم يزل على ذلك إلى أيام الخليفة المُسْتَعصم، وضَبَطَ أنسابَها في الدَّساتير. وكان مولده سنة سبع وسبعين وخمس مئة.

وفيها، ادعى رجل أنه علوي، وعَمِلَ دعوةً واستحضرَ جماعةً فيهم رجل معه ولد له صبي، فأطعَمَ والده حلواء فيها مُرَقِّد، ثم فسقَ بولده، فلما أفاقَ شَكَا إلى الديوان، فأُحْضِرَ الرجل وقُرِّرَ، فاعترفَ، فَتُقُدِّمَ بصلبه، فذكر أن له بالمَوْصل مالاً كثيراً، وسأل أن يؤخذ منه ويُعْفَى عنه، فقيل له: من أين لك هذا المال؟ فقال: كان في جواري شيخ مريض وكنتُ أتولى حالَهُ، فجعلتُ له في بعض ما يُسْقَى سُماً فمات، فأخذني صاحبُ المَوْصل، فعرضتُ عليه نَسَبي فخلى سبيلي. وأُخِذَ المال منه، فلم يلتفت إليه، وتُقُدِّمَ بصلبه.

ذكر الشيخ ظهيرُ الدين ابن الكازروني -رحمه الله- في تاريخه بخطه، قال: كنتُ أتولى عمارة الرِّباط المُسْتَجد، فجاءني شَقَّاقٌ يشق[1] الصخر وقال لي: قد رأيتُ عَجَباً وينبغي أن تشاهده. فقمتُ معه وأراني صَخْرةً قد انفَلَقت عن موضع قد تعداه المِنْشار، وفيه أوراق خُضْر ودودة تَضْطَرِب، فأخذتُ الدُّودة والوَرَقة وجعلته في قِرْطاس وخَتَمْتُ عليه، وحملته إلى الشيخ صدر الدين ابن النَّيَّار، فحمله إلى الخليفة، فعجبَ من قُدرة الله عز وجل، ثم إن الخليفةَ حضرَ وشاهدَ

---

(١) سقطت من المطبوع.

الصَّخْرة ولم يكن عليها سَبيل من ظاهرها.

وفيها، وصل رسول صاحب اليمن إلى بغداد يخبر أن خارجياً خرجَ وادعى الخلافة واجتمع معه خلقٌ كثير، وأنه أخرجَ إليه طائفة من عسكره فقاتلوه[1] فانهزم وقتل أكثر أصحابه.

وفيها، تزوَّجَ مُقَلَّد بن أحمد ابن الخردادي التاجر ببغداد ابنة عم له على صَداق مبلغه مئة ألف دينار. ولم يُسْمع مثل ذلك إلا عن الخلفاء والملوك. وهذا أحمد المذكور قَدِمَ بغداد بعد وفاة أبيه وقد خَلَّف له[2] مالاً كثيراً، فأقامَ بها، ثم سافرَ إلى خُراسان واتصل بملوك المغول، وتحدث مع السلطان كيل خان في الصُّلْح مع الخليفة، وقَدِمَ بغداد مع رسول السلطان، ثم عادَ ومعه الهدايا والتُّحف وتوفي سنة اثنتين وخمسين ببغداد.

وفيها، نَفَّذَ الخليفةُ المستعصم إلى الوزير مؤيد الدين ابن العَلْقَمي بَغْلةً، فقامَ وقَبَّلَ حافِرَها، وخَلَعَ على عُمر بن جَلْدك الذي أحضَرَها، فأنشدَ موفق الدين القاسم بن أبي الحديد ارتجالاً:

هُنِّئْتَ يا خَيْر المُلوك ببغلة ... من مالك مُتَفضل متطولِ
جاءَ البَشِير بها إليك كأنّما ... جبريل جاءَ محمداً بالدُّلْدُلِ[3]
أخت الحِصان وهكذا رُتَبُ العُلَى ... تأتي مُكَمَّلة بغير مكمّلِ

وفيها، وصل الشيخ محمد بن الداية الواعظ إلى بغداد من تُسْتَر

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وقابلوه».
(٢) سقطت من المطبوع.
(٣) الدلدل: اسم بغلة النبي ﷺ.

وحضر عند الوزير، وقال: إن الله تعالى أمرني بان استنجد جماعة وألقى عساكر المغول. فقال له الوزير: في المنام قيل لك ذلك؟ قال: لا. ثم قال: ووَقَع لي أني إذ ألقيتهم لا أبالغ في القتل. فقال لي الله تعالى: «بكش» معناه بالعربية «أقتل». فأمرَ الوزير أن يُجْعَل في تُربة الشيخ شهاب الدين السُّهروردي -قدس الله روحه- بالظفرية.

قال الشيخ تاج الدين ابن السَّاعي صاحب «التاريخ»: اجتمعتُ به فرأيته شيخاً مليحَ الشَّيْبة حَسَن الهيئة وسألته عن هذه الحال، فقال لي مثل ذلك، وقال: إنما جئتُ ليرسل الديوان معي عسكراً. ثم إن الوزير أحضرَهُ وأمرَه بالعَوْد إلى تُسْتَر إلى أن يَرَى الديوان رأيه، فتوجه إليها.

وفيها، شُرِعَ في بناء المدرسة البَشِيرية[1].

(١) سيذكر المؤلف خبر افتتاحها في سنة ٦٥٣.

سنـــة
خمسين وست مئة

فيها، وصلت عساكر المَغُول إلى أهل الجبال، وأوقعوا بالأكراد وغيرهم، وقَتَلوا وأسروا ونَهَبوا وسَبوا[1] . وسارت طائفةٌ منهم إلى أن بلغوا حَرَّان والرُّها، فأغاروا على ما هناك، ثم عادوا فصادفوا قَفْلاً واصلاً من الرُّوم نحو بغداد، فقتلوا من فيه ونَهَبُوا الأموال، فكتبَ ابنُ الصَّلايا والي إرْبل إلى بغداد بذلك، فخافَ أهلُها خَوْفاً شديداً، وأما المغول فعادوا إلى منازلهم بأذربيجان وغيرها.

وفيها، انحدر الخليفة المستعصم إلى واسط مُتَنزهاً، ثم سار إلى الحِلَّة وفي خدمته فخر الدين ابن الدَّامَغاني صاحب الديوان. وكان قد بَنَى له في الحلة داراً على شاطىء الفُرات، فاستحسنها وأقامَ بها ثلاثة أيام وعادَ إلى بغداد.

وفيها، فارق كثير من الجُنْد بغدادَ لانقطاعِ أرزاقهم، ولحقوا ببلاد الشام.

وفيها، فُتِحَ الرِّباط المُسْتَجَد الذي أمرت أُم الخليفة المستعصم بعمارته إلى جانب تربتها بشارع ابن رزق الله، وحضر الوزير وكافة

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وسلبوا».

أرباب الدولة، وكان الخليفة في سَطْحه، وعُمِلَت فيه دعوة عظيمة، وخُلِعَ على كل من تولى عمارته.

وفُتِحَ الرباط الذي أمرت بتجديده أم الخليفة الناصر مجاور مشهد عُبيدالله عليه السلام، وعُمِلَ فيه دعوة، وكان قد تَشَعَّثَ منذ الغَرَق، وأُجري على ما كان عليه أولاً.

وفيها، زُلْزِلَت الأرض ببغداد، وحُكِيَ عن الوزير مؤيد الدين أنه قال: تَحَرَّكَت من غير مُحَرِّك، وماج ماء بركة كانت بين يديه. وتواترت الغُيوث ودامت ليلاً ونهاراً حتى مَنَعت النَّاسَ عن الحركة وسقطت آدُر[1] كثيرة.

وفيها، كتبَ أقضى القُضاة سراج الدين النَّهرقلي إلى الوزير يَذْكر أنَّ المدرسة التاجية[2] قد استولى عليها جماعةٌ من العوام وسكنوا بها وصارت لهم بمنزلة المُلْك يتبايعون بها، ويسكنها النِّساء، وتجري فيها أمور، فَتَقُدِّمَ بإخراجهم، فأُخرجوا، وسُلِّمت إليه، فرتب فيها مُدرساً

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «دور»، وهي وإن كانت صحيحة، ولكن الذي جاء في المخطوط هو ما أثبتنا، وهو جمع دار أيضاً، كما في معجمات اللغة.

(٢) هي ثاني مدرسة شافعية أنشئت ببغداد بعد النظامية، تنسب إلى منشئها تاج الملك أبي الغنائم المرزبان بن خسرو بن فيروز، أحد كبار رجال الدولة السلجوقية، وافتتحها في ١٣ أو ١٩ محرم سنة ٤٨٢هـ، وتوفي هو في ذي الحجة سنة٤٨٥، وقيل: في المحرم من سنة ٤٨٦. وكانت تقع بلصق قبر الشيخ أبي إسحاق الشيرازي مدرس النظامية المتوفى سنة ٤٧٦ عند مقبرة باب أبرز من مقابر بغداد الشرقية، قال ياقوت في التاجية: «اسم مدرسة ببغداد ملاصق قبر الشيخ أبي إسحاق الفيروزآبادي نُسِبَت إليه محلة هناك ومقبرة». وقد لبثت هذه المدرسة قائمة حتى نهاية عهد الدولة العباسية، وانقطعت أخبارها بعد احتلال المغول بغداد سنة ٦٥٦هـ.

وفقهاء[1] . وهذه المدرسة بناها تاج الملك وزير السلطان ملك شاه السلجوقي بعد نظام الملك للشافعية، وجعل مدرسها الشيخ أبا بكر الشَّاشي، وفُتِحَت سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة.

وفي شعبان، توفي الشيخ أبو الفضل الحسن[2] بن محمد الصَّاغَانِيُّ، شيخُ وَقْته ومُقَدَّم أهل زمانه في عِلْم اللغة وفن الأدب، مع معرفة بعلم الحديث والتَّفسير والفقه على مذهب أبي حنيفة. وكان زاهداً عابداً، كثيرَ الصَّمْت، قَدِمَ بغدادَ سنة خمس عشرة وست مئة[3] ، وقرأ النَّاسُ عليه، وانتفعوا به، وألحقه القاضي محمود بن أحمد الزَّنْجاني بالمُعَدَّلين، فلم يحضر مجلس قاضٍ ولا شَهِدَ. ونَفَّذَه الخليفةُ الناصر رسولاً إلى مَلِك الهند[4] ، فعاد بعد مدة طويلة في خلافة المستنصر بالله[5] ، ونَفَّذَهُ مرة أخرى وعاد بعد مدة[6] ، فرُتِّبَ شيخاً برباط المَرْزُبانية، فلم يزل إلى آخر أيام المستنصر. ثم نظرَ في شَرْط الواقف فوجد فيه: أن يكون الشيخ شافعياً، فعزلَ نفسَهُ، فرتِّب مدرس

---

(١) وقع في المطبوع: «وفقيهاً»، وليس بشيء، والفقهاء: طلبة الفقه.

(٢) معجم الأدباء ٩/ ١٨٩، وصلة التكملة للحسيني، الورقة ٧١(بخط المؤلف)، وتاريخ الإسلام للذهبي، الورقة ١٠١(أيا صوفيا٣٠١٣)، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٨٢، والوافي بالوفيات ١٢/ ٢٤٠، وفوات الوفيات ١/ ٣٥٨، ومنتهى المختار٤٨، والجواهر المضية للقرشي ١/ ٢٠١، والعسجد المسبوك٥٨٩، والعقد الثمين للفاسي ٤/ ١٧٦، وغيرها.

(٣) كان قد ولد بلاهور (من الباكستان) سنة ٥٧٧، ونشأ بغزنة (في أفغانستان).

(٤) وذلك سنة ٦١٧هـ.

(٥) سنة ٦٢٤هـ.

(٦) نفذه في سنة ٦٢٤نفسها، فما رجع إلى سنة سبع وثلاثين.

المدرسة التُّتُشِيّة[١]، وكان يتردد إلى دار الوزير يشغل[٢] ولده عز الدين في الأدب. وصَنَّف كتاب «مَجْمع البحرين» وكتاب «العُباب الزاخر ودرب اللباب الفاخر» فانتهى منه إلى فصل الباء من باب الميم وكتب بخطه «بكم» ولم يتمه، وتوفي فُجاءَةً ودفن في داره. وكان قد أوصى بذلك وأن يُحمل إلى مكة ويُدفن مجاور الفُضَيْل بن عِياض، ففعل أولاده ذلك وتولى تجهيزه ودفنه أصحابُ الوزير، ورثاه عز الدين ابن الوزير بأبيات، أولها:

تُخاطبنا الدُّنيا خطاب مُناصحٍ ... وأسماعُنا عما تقول صَوَادفُ
تُخَوّفنا والأمن حَشو قلوبنا ... كأن سوانا من عَنَتْهُ المخاوفُ
وتُرشدنا أحداثها فنرى الهُدَى ... عَيَاناً ولكنّا غُروراً نُخالف
ونرجو من الأيام عَدْلاً لجهلنا ... ويَقْضي بجور صَرْفها المُتَرادِفُ

---

(١) من مدارس الحنفية ببغداد، أنشأها الأمير المملوك خمارتكين بن عبدالله التتشي، وأنشأ عندها سوقاً عرف بالتتشي أيضاً وذلك في حدود سنة ٥٠٠،وبقيت عامرة آهلة بالطلبة والمدرسين حتى أواسط القرن الثامن للهجرة في أقل تقدير، قال ياقوت في «معجم البلدان»: «تتش التاءان مضمومتان والشين معجمة وهو اسم رجل تنسب إليه مواضع ببغداد وهي سوق قرب المدرسة النظامية يقال له العقار التتشي... ومدرسة بالقرب منه لأصحاب أبي حنيفة يقال لها التتشية والجميع منسوب إلى خادم يقال له خمارتكين كان للملك تاج الدولة بن أبي أرسلان بن داود بن سلجوق... وجميع ما ذكرناه في بغداد موجود معمور الآن (٦٢٦هـ) جار على أحسن نظام يصرفونها في وجوهها، ومات خمارتكين هذا في رابع صفر سنة ٥٠٨». ويطابق موضع هذه المدرسة اليوم جامع الوزير. وأما العقار التتشي فيمثل القسم الشمالي منه سوق القندرجية الحالي.

(٢) من الإشغال، وهو التدريس.

هَوَت بالصَّغَانيِّ الذي لجَّ قَدْره عُلُوّاً من ألاقْدار دَهْماء قاذفُ
ليبك عليه العِلْمُ إن عاشَ بعدَهُ وتُنْدُب إن تبق النُّهى والمَعَارِفُ

يقول فيها:

بكاكَ كِتابٌ لم تتم فصُوله ودون أمانيِّ الرِّجال صوادفُ
كذا «مجمع البحرين» فرَّق شَمْله وغاصَ اكتئاباً موجه المُتَقاذفُ
لئن أصبحَ التَّصْحيف بعْدَكَ فاشياً فقد ألفت قشط[1] الوجوه الصحائفُ
فحالُ بَنى الآداب بَعْدك حائلٌ وبالُ بني الآداب بعدكَ كاسِفُ
قَضَى فقَضَت أمُّ الفضائل نَحْبَها وما حُكْمها فيما قضت مُتَجانفُ
وماتَ حَمِيداً حين لم يبق مَشْرق ولا مَغْرب إلا له فيه واصفُ

وفي شوال، توفي علاء الدين ألطبرس[2] الظاهري المعروف بالدويدار الكبير. كان دويدار الخليفة الظاهر، وكان حظياً عنده، ابتاعه من أياز[3] مملوك الشرواني، وزَوَّجه ابنة قراطاش، وخَوَّله. فلما استخلف المُسْتَنصر قَدَّمه وقَرَّبه وزوَّجه ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وأعطاه ليلة دخوله عليها[4] مئة ألف دينار، وأقطعه قُوسان، وكان يحصل له منها ومن[5] أملاك استجدها حدود ثلاث مئة ألف

---

(١) في المطبوع: «لقد ألفت بسط الوجوه».
(٢) تلخيص مجمع الآداب ٤/الترجمة ١٤٨٠، وتاريخ الإسلام للذهبي، الورقة ١٠١ (أياصوفيا٣٠١٣)، والعسجد المسبوك ٥٩٠.
(٣) تحرف في المطبوع إلى: «أباذ».
(٤) سقطت من المطبوع.
(٥) سقطت الواو من المطبوع، فاختل المعنى.

دينار.

وكان يُحب العمارات والمُتنزهات، فمما بناه داره التي بشرقي بغداد على شاطىء دجلة تجاه الرِّباط المعروف بدار الفلك ولم يكن ببغداد مثلها، وعمل بها بُستاناً غرسَ فيه النَّخْل والشَّجَر والنارنج، وعمل له دولاباً، فاستحسنها الخليفة المستعصم فطلبها منه، فلم يسمح له بها، فلما توفي أخذها. وكان علاء الدين جواداً كريماً حسن السيرة مواصلاً لأرباب البيوت، ودُفِنَ في مشهد موسى بن جعفر عليه السلام، في الإيوان المُقابل لباب الدخول عند زوجته ابنة بدر الدين صاحب المَوْصل، ورثاه الشُّعراء فمما قاله عز الدين عبدالحميد بن أبي الحديد من أبيات:

بأبي الذي فقد الحياةَ وعودُه   لَـدْنٌ وغُصْـن شبابـه فَيْنـانُ
تَبْكيك دارُ الشَّطِ فهي كَئِيبة   والجَسْر والشَّرْقي والمَيْدانُ
أبكيك للأنس القديم وصُحبة   كانت وقد تَفرق الإخوانُ
من زَعْزع الطَّود الأشمَّ فدُكَّت الـ   أبراج منه وهُدَّت الأركانُ
فعليكَ مِن رِضوان رَبِّك رحمة   يَغْدوك منها الرَّوحْ والريحانُ

ومما قاله:

لا تَـأْمـن الـدُّنيـا وقـد   غَدَر الزمان بألطَّبَرْسي[1]
ورَمَـاه مـن بعـد الميـا   من والسُّعود بيوم نَحْسِ
وكَسَاه ثـوبـاً مـن تُـرا   بِ بعد أثواب الدِّمَقْسِ

(١) تقرأ كلمة (بالطبرسي) بقطع الهمزة بألطبرس.

فـاحبـس عِنَـان النَّفْـس فهـ ـي مقيمـةٌ فـي شـر حَبْـسِ
واقنـع مـن الـدُّنيـا بثـو بٍ لا يسـاوي نصف فِلْسِ

وتُقُدِّمَ بتأمير ولده شرف الدين، وولد مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير وخُلِعَ عليهما.

وحج بالناس قُطب الدين سَنْجر البَكْلكي.

سنـــة
إحدى وخمسين وست مئة

فيها، سَيَّر منكوخان إلى ما وراء النهر وما والاها، هولاكو قان وأصْحَبَهُ عدةً من أهل بيته، وسَيَّرَ معه جَيْشاً كَثيفاً، فسار من قَرَاقرم[1] إليها وأقامَ بنواحيها إلى أن ملكَ العِرَاقَ والشَّامَ على ما نذكره، وعَبَرَ الأمير أرغون إلى خِدْمته فأقَرَّهُ على أعمال خُراسان.

وفيها، أُضيفت صدرية المَخْزن إلى صاحب الديوان فَخْر الدين ابن الدَّامَغاني فبقي قليلاً، ثم رُتِّبَ بالمَخْزن أبو الفضل محمد ابن الوزير ابن العَلْقَمي.

وفيها، زادت دِجْلة زيادة عظيمة غَرق بها كثير من مُزْدَرعات[2] بغداد وغيرها، وتواترت الغُيوث حتى ملأت البَلاليع، وصارَ الماء في الدُّروب كالغُدْران، وحكى القاضي أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد أنه رأى غَسّالاً بقصعة بين الدربين يغسل كما يَغْسل في شاطىء دجلة، وأنْهَى نُواب البَصْرة إلى الديوان أنه وقع في آب بالبصرة غَيْثٌ بَلَّ الأرضَ واشتد الحر حتى ماتَ جماعةٌ ممن كان يخرج من قرية إلى

(١) هي المقر الأول لجنكيزخان، وعاصمة المغول العظمى، تقع في أواسط آسيا على حدود التبت الغربية، وكان منكو أو «مونككا» هو السلطان الأعظم.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «مزروعات».

أخرى يكون بينهما دون الفرسخ.

وفيها، أعطى رجلٌ سائلاً في بعض أسواق بغداد ديناراً، فقال السائل: إني أعرفُ هذا الدينار وأنّه فُقِدَ مني في جُملة دنانير. فسأل الرَّجُل عن علامة ما فُقِدَ منه، فذكرها، فقال: إني وجدتُ هذا منذ سنة وما زال عندي إلى الآن ولم أجد أحداً يذكره، وأخرجته لأتصدق به عن صاحبه، وهذا أول دينار أخرجتُ[1]، ثم سَلَّمَ الذهب إلى السَّائل، فأغناه عن السؤال.

وقد ذَكَرَ الحافظ ابن النجار في تاريخه: أن رجلاً ضاعَ منه دَمْلج ذهب وزنه خمسون ديناراً، ومَضَى عليه دهر طويل، وافتقرَ الرجل وصار يبيع الزجاج في سَلّة على رأسه فعثر يوماً، فسقطَ الزُّجاجُ، وتَكَسَّر فبكى واجتمعَ الناس عليه فقال: والله لقد ضاعَ مني مرة دَمْلج ذَهَب وزنه خمسون مِثْقالاً فلم أحزن عليه كحزن هذه السلة، فقال له رجل ممن اجتمع عليه: أنا وجدته ولكني أخرجته[2] وأعطاه خمسين مثقالاً ذهباً، ويَقْرب من ذلك ويُناسبه ما حكاه ابن صليجا ناظر التَّرِكات ببغداد، قال: جاءَ رَجُلٌ وقال معي مئتا دينار لبيت المال. فقلنا، من أين، قال: إن رجلاً غريباً سَلَّم إلي ذلك عند وفاته، وأمرني أن أوصله إلى أخت له سَمَّاها في مكان ذكره. وقد سألت عنها فعرفوني أنها توفيت، فقبضنا ذلك منه، وأنهينا حاله إلى الخليفة المُسْتَعصم، فأمرَ أن يُعْطَى منها مئة دينار، فطلبناه فلم نجده.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «أخرجته».

(٢) في المطبوع: «خرجته».

وفيها، أُحضر بين يدي الوزير عِجْلٌ له في سَنَامه حافِرٌ وظِلْف، فَحُمِلَ إلى دار الخليفة، فشاهدَهُ وأمر أنْ يُجْعل في بُسْتان الخُلْد.

وفيها، تكاملت عمارة دار الخليفة المستعصم بالمُحَوَّل.

وفيها، حُبِسَ إنسان في بعض الحُجَر، فدخل عليه الموكَّلُون به يوماً فلم يجدوه، فأنهوا ذلك، فحضر مَنْ شاهَدَ[1] محبسه، فوجده جالساً، ثم تكرر منه ذلك تارة يُفْقَد وتارة يُرَى، فسألوه عن ذلك فقال: كنتُ في زيارة الصالحين والأئمة عليهم السلام، فأُمِرَ بضَرْبه وتَقْريره، فَضُرِبَ فكان لايتأوه بل يقول بسم الله، فاعتبروا طوابيق الحَبْس، فوجدوا فيها خَلَلاً فكشفوه، فإذا به قد عَمِلَ كَهْفاً يقعد به وعنده إبريق فيه ماء ورغيفان، فقيل له: لم فَعَلْت ذلك؟ فقال رجاء ان يُفْرَج عني إذا نُظِرْتُ بهذه العين[2] .

وفيها، توفي عليّ بن أبي الفوارس المقرىء الواسطي الخَيّاط المعروف بالشبرياريك. وقَدِمَ بغدادَ واستوطنَها، وكان حاذقاً في الخِياطة، قيل: إن الأمير الأنباري أحضره ليلة العيد وقد عُرِضَ عليه ثَوْب أطلس قد اشتط صاحبه في ثمنه، فقال: أنا أُخَيّطه ولا أقطعه وتَلْبسه، فإن رضي صاحبه بما يعطى وإلا يعاد[3] عليه، فقال له: افعل ذلك، ففعل وجاء صاحبه وأصر على الاشتطاط، فَفُتِقَ وطُوي وثُقّل، وأُعيد عليه، فلما رآه صحيحاً رضي بما أُعطي.

---

(1) تحرف في المطبوع إلى: «يشاهد».

(2) انظر العسجد المسبوك ٥٩٥ بتفصيل أكثر، وكلاهما نقل من ابن الساعي.

(3) تحرف في المطبوع إلى: «يُعَد».

وفيها، تُوفِّي الشيخ صَدَقة بن وزير الواسطي، كان أحد الصوفية برباط المأمونية، ثم ترك ذلك وخدم ناظر حُجَر البَيْع، ثم عُزِلَ فانقطع في زاوية له وهي مشهورة في بغداد[1] .

وتوفي، زُهير الشاعر المصري المشهور بمصر[2] .

وشهاب الدين رَيْحان الخادم. كان لإقبال الشرابي، وكان قريباً إليه، وكان ذا فَضْل وأدب ومروءة وكرم.

وتوفِّي، الشيخ محمد الواعظ[3] وعمره ثمانون سنة، كان ذا حظوة عند الخليفة الظاهر، فلما حضرته الوفاة أوصى أن يغسله، فحصل له من الفرش والآلات ما يزيد قيمته على ألفي دينار.

وحج بالناس قُطب الدين سَنْجر البكلكي.

---

(١) قال الذهبي في وفيات السنة من «تاريخ الإسلام»: «صدقة بن الحسين بن محمد بن علي بن وزير، أبو الحسن الواسطي، ثم البغدادي، روى عن ابن كليب، وعنه الدمياطي وقطب الدين ابن القسطلاني ومحمد بن محمد الكنجي، ومات في ذي الحجة». (الورقة ١١١من مجلد آيا صوفيا ٣٠١٣بخطه).

(٢) هو بهاء الدين أبو العلاء زهير بن محمد بن علي الأزدي المهلبي المشهور بالبهاء زهير صاحب «الديوان» المشهور والشعر الرائق. وذكره في هذه السنة غلط محض، فلم يختلف أحد في أنه توفي في ذي القعدة من سنة ٦٥٦، انظر مثلاً: ذيل الروضتين ٢٠١، ووفيات الأعيان٢/ ٣٣٢، وصلة التكملة ٢/ الورقة ٤٢، وذيل مرآة الزمان ١/ ١٨٤، وتاريخ الإسلام للذهبي، الورقة ١٥٣ (مجلد أيا صوفيا٣٠١٣)، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٥٥، وغيرها.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي، الورقة ١١٤(أيا صوفيا٣٠١٣).

سنــة
اثنتين وخمسين وست مئة

في هذه السنة، جرت بين أصحاب الشيخ عَدِي بن مُسافر[1] وأصحاب بدر الدين لؤلؤ صاحب المَوْصل محاربة، كان سببها أن بدر الدين كان كثيرَ التَّثْقيل على أولاد الشيخ عَدِي ويكلفهم مالاً على وجه المُساعدة، فأطلقوا ألسنتهم فيه، فأرسلَ طائفةً من عسكره إليهم فقاتلوهم قِتالاً شديداً، فانهزمت الأكراد العَدَوية وقُتِلَ منهم جماعة كثيرة، وأسروا منهم جماعة، فَصَلَّب بدر الدين منهم مئة وذبح مئة وأمر بتقطيع أعضاء أميرهم وتعليقها على أبواب المَوْصل، وأرسلَ من نَبَشَ الشيخَ[2] عدياً من ضريحه وأحرقَ عظامه.

وفيها، قُتِلَ القراطاي[3] بمصر، وسبب ذلك أنه كان يناوىء أيبك التُّركماني في منزلته ويضاهيه في مَرْتبته، وكانا قد أقاما طِفْلاً من وَلَدَ

(١) هم المعروفون إلى يومنا هذا باليزيدية، لهم دين خاص، كُتِبَت عنهم الكتب المطولة.

(٢) وقع في المطبوع: «نبش قبر الشيخ»، خطأ.

(٣) هكذا سماه، وهو فارس الدين آقطاي بن عبدالله العادلي الكاملي ثم الصالحي النجمي، له ترجمة في مرآة الزمان ٨/ ٧٩٢، وذيل الروضتين ١٨٨، وتلخيص مجمع الآداب ٤/الترجمة ١٨٣٦، وتاريخ الإسلام، الورقة ١١٦ (أيا صوفيا٣٠١٣)، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٩٨، والوافي ٩/٣١٧، وعيون التواريخ ٢٠/٧٦، وغيرها.

الملك الصالح أيوب بمصر يُخْطَب له، ثم للتركماني بعده،فاتفقَ أن القَرَاطاي تزوج ابنة نجم الدين غازي صاحب ماردين، فلما نُقِلَت إليه أشارَ التركماني عليه أن يختار لها بالقلعة داراً تسكنها، فلما عزم على ذلك أكمنَ له جماعةً وثبوا عليه وقتلوه وألقوا رأسه إلى أصحابه، فتفرقوا ونودِي بإباحة دُوره ودُور أتباعه، فنُهِبَت أموالهم وزالت نعمتُهم في ساعةٍ واحدةٍ. وكان القَرَاطاي شُجاعاً جواداً كريماً، يصل إلى بازداريته[1] في السنة حدود خمسة عشر ألف دينار. فلما قُتِلَ فارق المماليك البحرية مصرَ، وفيهم بَيْبَرس المعروف بالبُنْدُقدار، وكانوا ثلاث مئة فارس، ولحقوا بدمشق وأقاموا عند الملك الناصر صاحبها، ثم عزموا على الوثوب به، فَنَمَّ الخبرُ إليه، فأراد القبض عليهم، ففطنوا بذلك، فخرجوا نحو الكَرَك، فسيَّر نَحوهم جَيْشاً فعرف البُنْدقدار أنه لا قِبَلَ له بهم، فأشار على أصحابه[2] أن يكمن لهم بنفسه،فوافقوه على ذلك، فكمن بوادي الكَرَك، فلما التقوا واقتتلوا انهزم البَحْرية خَدِيعةً فتبعهم الدِّمشقيون حتى جازوا الكَمين، فخرج البُنْدقدار عليهم فيمن معه، وهو يضرب طَبْل الباز، فأعادَ البحرية الكر عليهم، فانهزموا وتمت الهزيمة. فنهى البُنْدقدار أصحابه عن القَتْل وأمرهم بالسَّلب فغنموا جميع ما كان معهم.

ثم إنَّ التركماني غَيَّبَ الطِّفْل المُقَدَّم ذِكْره، واستبد بمُلْك مصرَ وخطب لنفسه بالسَّلْطنة.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «ياردداريته».

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «بأصحابه».

وفيها، وقعَ ببغدادَ وأعمالها غَيْث كثير، تبعه بَرَد كِبار كالبُنْدُق، واظلَّم الجو، فتضرَّعَ النَّاسُ إلى الله تعالى ولجأوا إلى الاستغفار، فكشف الله ذلك.

وزادت دِجْلة عَقِيب ذلك وفَتَحَت في القَوْرج فَتحة غَرَّقَت كثيراً من الزَّرْع[1] ، وزادت[2] الفُرات زيادةً عظيمة، غَرَّقَت عانة والحديثة وهِيت والفَلُّوجة، وانفجرت السُّدود الفُراتية جميعها وغَرَّقَت الزُّروع.

وفيها، وثب غانم بن راجح بن قَتادة العَلَوي أمير مكة بجَمْعٍ من العَبيد على أبيه راجح، فقبضَ عليه وقَيَّدَهُ وزعمَ أنه مجنون وحَجَر عليه، فسألَهُ أن يخلي سَبيلة ليذهب حيثُ شاء ولا يعارضه في مكة، فأعطاهُ جَمَلاً فتحَمَّل[3] عليه وخرجَ هارباً، واستقر غانم بمكة، وكاتبَ الخليفةَ المُسْتَعصم بذلك فأقَرَّه عليها.

وفيها، وصل مكتوب قُطب الدين سَنْجر البكلكي أمير الحاج إلى الدِّيوان، يَذْكر أن المياه كانت قليلة وهَلَكَ جماعةٌ من الحاج والجمال.

وفيها، أمر الخليفة بوقفية دارسوسيان وما يَجْري معها من الحُجر والبَسَاتين، وجُعِلت رباطاً للصُّوفية، ورُتِّب الشيخ عبدالصمد بن أبي الجَيْش إمام مسجد قُمْرية شيخاً للصوفية بها، وجعل ولده موضعه في مسجد قُمْرية. ثم وقف دار الشط[4] المجاورة لدار الفلك وجعلت

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «الزروع».

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «وزاد».

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «فحمل».

(٤) لعلها هي الدار التي أنشأها الدويدار ألطبرس والتي مَرَّ ذكرها في ترجمته المذكورة =

رباطاً للنِّساء، وجُعِلَت شيختَه الشريفة بنت المُهْتَدي.

وفيها، توفي فخر الدين محمد[1] بن هبة الله بن الحسن ابن الدَّوامي. وكان حسنَ البَدِيهة، ظريفاً، خَلِيعاً، مشهوراً بالنوادر، وحدة الخاطر، طَيِّب الفُكاهة، لايَمَل جليسُه مجالستَهُ ولا تسأم محاورته، هذا مع وقارٍ وسكونٍ وأدب وفَضْلٍ. خدم في عدة خدمات، وكان يقول الشِّعر، فمن ذلك ما كتبه إلى شرف الدين إقبال الشَّرابي يسأله أن يمكنه من ابتياع دارٍ كانت مجاورة لداره وقد استصلحها وكلاؤه.

أنا في الوَيْل من حديث الدَّار ... فارحموني قد عيل فيها اصْطِباري
كل ما قيل لي: قد استصلحوها ... أتَلَظَّى ولا يقر قَـرَاري
يَا مَليك الدُّنيا ويا واحد الدَّهـ ... ـر ويا من نَدَاه كالغيث جاري
أنتَ جاري من الخُطوب إذا جا ... رت ولكن في الدارِ لم تك جاري[2]
ليسَ فيها معنًى يُرَغِّبكم والـ ... ـله في أخذها سِوَى إضراري
ولَعَمْري فإن ذلكَ معنًى ... مُستطاب يلذ للسُّمّار
كل شيء فيها خَرَابٌ يَبَابٌ ... يسخن العَيْن وهي عُش الفَار
وإذا دَبَّ عَنْكَبوت على السَّطْـ ... ـح تداعَت من سائِر الأقْطار
لي إليها ضَرُورة فتطَوَّلْ ... وتعاهَدْ مني مكانَ اضطراري

= قبل قليل (سنة ٦٥٠)، فقد استولى المستعصم على هذه الدار بعد وفاة الطبرس.

(١) تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة٢٤٤٤، وتاريخ الإسلام للذهبي، الورقة ١٢٢ (مجلد أيا صوفيا٣٠١٣)، وكأنه نقل ترجمته من معجم شيوخ الدمياطي المتوفى سنة ٧٠٥هـ، والعسجد المسبوك ٦٠٧.

(٢) هذا البيت سقط كله من المطبوع.

وتَقَـدَّم بـأنهـم يَتْـركـونـي أشتـريهـا فـإنهـا وسـط داري
وتَصَـدَّق بهـا وعـش فـي نَعيـمِ آمنـاً مـن شـوائـب الأكْـدار

وفي سَلْخ شعبان، فُتِحت دار القرآن[1] التي أمرت بعمارتها والدة الأمير أبي نصر محمد ابن الخليفة المُسْتَعصم المعروفة بباب بَشِير التي بَنَت المدرسة البشيرية. وهذه الدار على شاطىء دِجْلة بغربي بغداد. وتُوفِّيت البَشِيرية في تاسع شوال من هذه السنة، ودفنت تحت القُبّة التي أعدتها بجانب المدرسة المذكورة، وتوفي بعدها وَلَدُها أبو نصر محمد في ثاني عشر ذي القعدة ودفن عندها.

وفيها، وَرَد خط ابن عبدالباقي الحَنَفي قاضي واسط من مكة، وكان قد حج في السنة الماضية، إلى أقضى القضاة سراج الدين النَّهرقلي يذكر فيه: أنَّه قد عَزَلَ نفسَهُ عن القضاء وجاورَ بمكة. فأحْضَرَ عمادَ الدين زَكَريا القَزْويني[2] من الحِلّة، وكان قاضيا بها، وقَلَّدَهُ القضاء بواسط، وتوفي ابن عبدالباقي بمكة في رمضان من هذه السنة.

---

(1) هي دار القرآن البشيرية، وقد استمرت هذه الدار قائمة إلى ما بعد وفاة شيخها أحمد بن يوسف بن عكبر سنة ٧٢١هـ في أقل تقدير (تلخيص مجمع الآداب٥/ الترجمة ٦٥٢). ومن الراجح عندنا أن مبناها تحوّل بعد ذلك بمدة إلى مسجد هو الذي عرف فيما بعد بمسجد السيف، وقد أزيل هذا المسجد سنة ١٩٦٥م.

(2) هو صاحب كتاب «آثار البلاد» المطبوع المشهور، وعُمِّر إلى سنة ٦٨٢هـ، كما يأتي.

سنــة
ثلاث وخمسين وست مئة

وفي محرم، حدثت فِتْنة بين أهل الكرخ وباب البَصْرة، قُتِلَ فيها عدة كثيرة من الفَريقين، ودام الشَّرّ بينهم، فارسلَ الديوان طائفة من الجُنْد نزلوا بين المَحَلَّتين لمنع الفتنة، فمالوا على أهل الكَرْخ ونهبوا الدُّور المتطرفة منها، ثم أَخَذُوا خطوط المشايخ من أهل المحتلين بكف الجُهّال عن الشَّرِّ، ونُصِبَت أخشاب على أبواب المَحَلّتين لصلب من يثير الفِتْنة، فكفوا أَنْفُسَهم. ثم عادوا إلى ذلك في ذي القعدة، فخرجَ العَسْكر لكفّهم عن ذلك ومنعهم فلم يمتنعوا، وقُتِلَ بينهم خَلْق كثير. ثم اصطلحوا ظاهراً، فعادَ العَسْكر عنهم، وتجدد بسبب ذلك بين محال أهل بغداد فِتَنٌ من أجل المَذْهب، فكفَّهم الديوان ومَنَعهم.

وفيها، وقعت غيوثٌ كثيرةٌ بالمَوْصل وبغداد وزادت دجلة زيادة عظيمة غَرَّقت كثيراً من بَغْداد وأعمالها. وزادت[1] الفُرات فَغَرَّقَت عانة، والحديثة، وهيت، والحِلّة وأعمالها، والكُوفة وأعمالها، وأحاط الماء بجامعها وبلغ النَّجف. ثم هَبَّت ريح عاصف ألقت زيادة على ثلاثة آلاف نَخْلة من نَخْل الكُوفة، وكذلك من نَخْل السِّيْب[2] ، وتلف

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وزاد».

(٢) كورة من سواد الكوفة.

بالغَرَق نحو سبعين ألف نَخْلة، والتقى ماء دجلة والفُرات واجتمعا عند قُوسان، وأتلف كثيراً. ووقعت مُسناة مسجد معروف[1] -رحمة الله عليه- وهو على شاطىء مسجد قُمرية بسبب الغَرَق، ولم يزل خَرَاباً إلى أن عَمَّره ضياء الدين[2] وهو خال الصاحب علاء الدين عَطَا مَلَك بن محمد الجُويني في سنة أربع وستين وست مئة وتَمَّمه الصاحب شمس الدين أخوه، وتولى ذلك بهاء الدين ابن الفَخْر عيسى الإرْبلي المنشىء بالديوان سنة ثمان وسبعين وست مئة.

وفيها، كَثُر فَسَاد العَيَّارين ببغداد، فكانوا يسلبون عَمائم النَّاس ويأخذون ثيابَهُم من الحمامات ظاهراً، ويَقْتلون من ظَفروا به من أتباع صاحب الشُّرطة، ونهبوا دكاكين درب زاخل[3] ، وصار النَّاس معهم في وَيْل عظيم[4] .

---

(١) الكرخي الزاهد المشهور قبره إلى اليوم ببغداد.

(٢) بعد «ضياء الدين» بياض قدر كلمة.

(٣) سيرد في حوادث السنة أنه من دروب الجانب الشرقي، ولم نقف على اسم هذا الدرب في غير هذا الكتاب. وقد يكون مصحفاً عن «درب زاخي» وهو درب معروف مطل على شاطىء دجلة، في موقع الشارع المسمى اليوم بالمتنبي.

(٤) حدث في هذا الموضع خلل كبير في المطبوع، وقبله كان في المخطوط، لم يتمكن العلامة الدكتور مصطفى جواد -رحمه الله- من معرفته وحله، فقد جاءت بعد هذا حوادث ظنها تابعة لسنة ٦٤٣ فكتب عند الصفحة ٢٧٩ (تتمة أخبار سنة ٦٤٣) وهي في حقيقتها تتمة أخبار سنة ٦٤٢ كما بينا سابقاً. ثم كتب عند الصفحة ٢٩٤ (تتمة حوادث سنة ٦٥٣) وساق فيها ما جرى بين الوزير ابن العلقمي والدويدار الصغير من المنازعة، وذكر الفتنة بين أهل محلة أبي حنيفة والرصافة، ووفيات الملك العزيز يوسف، وأمين الدين كافور الخادم الظاهري، وعمر بن جلدك، وأبي الفضل الجاثليق، وعلي بن محمد بن عباد، ووصول رسل صاحب دمشق إلى بغداد، =

وفيها، أمرَ الخليفةُ بتعيين واعظٍ يجلسُ بباب بدر، فأُحْضِرَ العَدْل إسماعيل بن محمود النَّعَّال فجلسَ في يوم جُمُعة فلم يُسْتَصْلَح، فأُحْضِرَ في الجمعة الأُخرى غيرة[1] ، وتكرر ذلك إلى أن أُحضر جلال الدين بن عُكْبر، فجلسَ فَحَصَلَ له قبولٌ، فأُمِرَ بالجلوس دائماً.

وفيها، مرض صانعُ حَمَّام ببغداد، كان يُظْهِرُ الفَقْر، ولم يكن له وارث، فحضرَ ناظرُ التركات عنده وطلبَ منه مفتاح صُندوقه، وفتحه، فإذا فيه سبعة أَرطال ذَهَباً وإثنا عَشَر رَطْلاً فِضّة، فأخذَ الجميع، فما زالَ يصيح ويتأوّه حتى مات.

وفيها، ردَّ الخليفةُ المُستعصم أملاك الوزير القُمِّي على وَرَثته، وكان سبب ذلك أنَّ عبدالرحمن ابن الطَّبّال وكيل الخليفة استأذنَ في بَيْع شيءٍ من عَقاره، فقيل للخليفة: إنَّ هذه الأملاك وَقَفَها القُمِّي على ابنتيه التي إحداهما زوجة عز الدين محمد ولده، فأَمَرَ بإعادة جميع الأملاك عليهما[2] .

= ووثوب أهل النيل على شحنتهم، وسقوط القبة الخضراء المجاورة لجامع المنصور، وتلخيص المؤلف للأمور العجيبة التي حدثت في هذه السنة (ص٣٠٥). ومن العجب أن هذه الوقائع كلها وقائع معروفة من سنة ٦٥٤هـ وليس من سنة ٦٥٣هـ كما ظن الدكتور، لورود قرائن كثيرة تدل عليها، فضلاً عن ذكرها في عدد من المصادر المستوعبة لهذا العصر.

أما تتمة حوادث سنة ٦٥٣ فتبدأ عند منتصف الصفحة (٣٠٥) من المطبوع، وهو الخبر الخاص بتعيين واعظ لباب بدر، ثم مرض صانع حمام ببغداد والاستيلاء على ماله من قبل صاحب ديوان التركات قبل وفاته، ثم الأخبارالأخرى إلى الصفحة ٣١٢.

(١) من هنا إلى قوله: «أحضر» سقط كله من المطبوع.

(٢) تقدم في سنة ٦٣٥اتصال الوزير ابن العلقمي وابنة عز الدين بابنتي الوزير القمي، ورد =

وفيها، حُمِلَت القَصْعَة الحَجَر المعروفة: «بقَصْعَة فِرْعون»[١] من سُرَّ مَن رأى إلى بغداد في كَلَك، ورُفِعَت تحت دار الخليفة، وكانت عَظيمة جداً، فلم تزل إلى سنة سبع وخمسين وست مئة، ثم كُسِرَت.

وفيها نُبِشَت امرأة بمقبرة[٢] معروف[٣]، وأُخِذَت أكفانها، فخرجَ بعضُ أهل قَطُفْتَا ليصلي فرأى النَّبَّاش، فهربَ، فأُنْهِيَ ذلك، فكُبِسَ عليه وأُخِذَ، فوجدوا عنده عِدَّة أكفان، فقُطِعَت يداه وعُلِّقَتا في حَلْقِه[٤] وأُشْهِرَ ببغدادَ[٥].

وفيها، حَضَر عند الوزير رجلٌ شابٌ، وقال: أنا قتلتُ فُلاناً لأنه تَعَرَّض بي وأنا حَدَثٌ، وهربتُ إلى الشام، وزُرت القُدس، وحججتُ وجاورتُ، وقد رجعتُ الآن فاقتصوا مني. فسأل الوزير عن أهل المَقْتول، فلم يجد منهم أحداً، فقال له: قد عَفَونا عنك. فتخيل له أنَّ القَصاص لم يسقط عنه، فدخلَ حَمَّاماً وذبحَ نفسَهُ، فضعف عن قَطْع أوداجه، فأُخْرِجَ وحُمِلَ إلى المارستان، وعُولج فعاشَ مدةً.

وفيها، فُتحت المدرسة البَشِيرية بالجانب الغَرْبي من بغداد تجاه

= أملاك البنتين في صفر من تلك السنة، فلا نعلم أيهما أصح.

(١) هو حجر مُجَوّف على شكل القصعة قطره سبعة أذرع كان في جامع سامراء، وانظر العسجد المسبوك ٦١٠.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «في مقبرة».

(٣) في المطبوع: «معروف الكرخي»، ولا وجود للكرخي في المخطوط.

(٤) هكذا في الأصل، وفي العسجد المسبوك: «في رقبته».

(٥) في المطبوع: «بغداد» ولا تستقيم. ويضيف صاحب «العسجد المسبوك» بعد هذا: «وحُمل إلى المارستان، فرماه العامة بالآجر، وسحبوه، وأحرقوه بالنار، فاستخلصه نائب الشرطة منهم ودفنونه» (ص٦١٠).

قَطُفتا التي أمَرَت ببنائها حظية الخليفة المُسْتعصم أم وَلَده أبي نصر المعروفة بباب بَشِير، وجعلَتْها وَقْفاً على المذاهب الأربعة على قاعدة المدرسة المُستنصرية، ووقفت عليها وقوفاً كثيرةً قبل فراغها. وكان فتحها يوم الخميس ثالث عِشْري[1] جُمادى الآخرة، وحضر الخليفة وأولاده فجلسوا في سَطْحها[2]، وحَضَر الوزير وأرباب المَناصب ومَشايخ الرُّبط والمدرسون، وكان المُدَرِّس بها: سراج الدين النَّهْرقلي[3] أقضى القضاة، وشَرَف الدين عبدالله ابن أستاذ الدار، ومحيي الدين[4] ابن الجَوْزي، ونُور الدين محمد بن العربي الخُوارزمي الحَنَفي، وعلمُ الدين أحمد ابن الشَّرِمْساحيّ المالكي، وعُمِلَت وظيفة عظيمة، وخُلِعَ على المُدَرسين المَذْكورين، وعلى النَّاظر بها، ونُوَّاب العِمارة، والفَرَّاشين، وخَدَم القُبَّة، وأُنْشِدَت الأشعار، وكان يوماً مَشْهوداً، وكانت وفاة البَشِيرية في السنة الماضية على ما ذكرناه.

وفيها، توفي شرف الدين إقبال[5] الشَّرابي. كان شَيْخاً شُجاعاً، كريماً، شريفَ النَّفْس، عالي الهِمَّة. بنى بواسط مدرسةً على شاطىء

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «عشر».

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «وسطها»!

(٣) منسوب إلى نهر القلائين، وهو مدرس المذهب الشافعي فيها.

(٤) وقع في المطبوع: «ومحيي الدين» وهو خطأ بيّن، وعبدالله هذا ممن استشهد سنة ٦٥٦ (سير اعلام النبلاء ٢٣/ ٣٧٤).

(٥) لأستاذنا العلامة الدكتور ناجي معروف -رحمه الله تعالى- كتاب في حياته (بغداد ١٩٦٦)، وآخر في مدارسه (القاهرة١٩٧٧)، ولإقبال هذا ترجمة جيدة في سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٧٠وغيره.

دجلة بالجانب الشرقي، وعَمَّر إلى جانبها جامعاً، وبَنَى ببغداد مدرسةً في سُوق السُّلطان، وجَدَّدَ بمكة -شَرَّفها الله تعالى- الرِّباط الذي اشتُهِرَ ذِكْرُه في الدُّنيا[١] ، وعَيْن عَرَفة التي في المَوْقف، وأجْرَى ماءها لانتفاع الحاج به، وأوقف على ذلك كله الوقوف السَّنِيّة، وكان كثير الصدقات والمُوَاصلات. كان في خدمة الخليفة بالحِلّة، فمرض بها، وحُمِلَ إلى بغداد في شُبَّارة، وهو مُثْقَل، فوصل في سابع عِشْري شوال، وتوفي في ثامن عشريه، وصُلِّي عليه في جامع القَصْر، ودُفن في تُربة أم الخليفة المُسْتَعصم بباب القُبَّة على يمين الدَّاخل[٢] . وجلسَ الوزير وأرباب المناصب في العَزَاء بالمدرسة المُسْتَنصرية.

وكان أولاً لعز الدين نَجَاح الشَّرابي، وانتقلَ إلى زوجته بعدَ وفاته. فلما أفْضَت الخلافة إلى الظَّاهر، حَمَلته إليه فَقَبِلَهُ، فأبعده عنه رشيق، وأنْفَذَهُ إلى ولده المُسْتَنصر، فلما دخلَ عليه قال له: «ما اسمك؟ فقال: إقبال. فسر بذلك واستبشر وتفاءل به. فلما أفْضَت الخلافة إليه قَرَّبه وقَبَضَ على رَشِيق وحَبَسه وجعل إقبالاً شَرَابياً، ثم جعله سرخَيْل العَسْكر. فلما تُوفي زعيم إرْبل سارَ بالعَسْكر إليها وأخذهاوعاد مُظَفَّراً. فلما أفضت الخلافة إلى المستعصم زادت منزلته عنده، وَقَرُب من قَلْبه،

---

(١) ذكر قطب الدين الحنفي المتوفى سنة ٩٨٨ أن الشرابي بنى مدرسة بمكة على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب السلام، ووقف فيها كتباً كثيرة في سنة ٦٤١، ثم صارت هذه المدرسة رباطاً، وفيه محل للتدريس. وذكر ابن بطوطة هذا الرباط عندما رميثة (شفاء الغرام ١٦٠، ورحلة ابن بطوطة ١٤٨).

(٢) تقدم أن السيدة هاجر أم الخليفة المستعصم قد أنشأت تربة لنفسها في شارع ابن رزق الله، في الجانب الغربي من بغداد، ودفنت فيها سنة ٦٤٦.

فلما وصلت عساكر المغول سنة خمس وثلاثين خرجَ إلى لقائهم، وظهرَ من حُسن تَدْبيره ما أوجب زيادة الإنعام عليه. وكان حال المُلْك مُنْتَظماً بصائب رأيه، فلما تُوفِّي اختلَّت الأحوال بعده[١] .

وفيها، توفِّي الشيخ تاج الدين محمد[٢] بن الحَسَن الأُرْمَوي مُدرِّس الشَّرَفية التي بناها الشَّرابي ببغداد، وقد جاوز عُمره ثمانين سنة. وكان وحيدَ عَصْره فَضْلاً، وفريدَ دَهْره[٣] عِلْماً. قرأ على الإمام فخر الدين الرَّازي وصَحِبه، وكان متواضعاً لمن دونه، مترفعاً على من فَوْقه. وكان عريضَ النِّعمة، واسعَ الجاه بوجود الشرابي، يسْتكثر من المماليك الحِسان التُّرك وغيرهم، وكان أهل بغداد يتحدثون فيه، فلا يعبأ بحديثهم ولا يكترث لذلك، حَكَى عنه بعضُ أصحابه، قال قلت له يوماً: إنَّ النَّاس قد أكثروا القَوْل في هؤلاء المماليك. فقال: أَلَسْتَ تَعْلَم أن الإنسان يحب أن يسكن أحسن الدُّور ويَلْبس أفخر الثياب ويأكل أطيب المآكل ويَرْكب أجمل المراكب؟ قلت: بلى. قال: فلم لا يكون من يلي خدمتي به ويقرب منه على أحسن صورة! وإن شئت أريتكَ ما بداري من الجواري الحِسان، فامسكتُ عنه وعرفتُ أنَّه كذا يَنْبَغي للعاقل أن يَفْعل. وقيل له يوماً: إنَّ جاريتك فُلانة تحب مملوككَ فلاناً- وكانا في غاية الحُسن والجَمَال- فقال: الآن ثَبت عندي صحة

---

(١) هذا تقدير صحيح، ولعله من كلام تاج الدين ابن الساعي.

(٢) ترجمه الذهبي في حاشية نسخته من «تاريخ الإسلام» بخطه، فقال: «التاج الأرموي محمد بن حسن الشافعي مدرس الشرفية ببغداد، توفي عن نيّف وثمانين سنة، وكان قد صحب فخر الدين الرازي. . .الخ» (الورقة ١٢٤من مجلد أيا صوفيا٣٠١٣).

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «داره».

عقلها. ودُفِنَ في قبة بُنَيَت[1] له بالشّونيزي.

وتوفي بعده عبدالحميد بن الخُسْروشاهي[2] بدمشق، وكان صديقه ورفيقه في الاشتغال على فَخْر الدين الرازي، فرثاهما أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد بقصيدة طويلة، يقول فيها:

رَحَل الأُرْمَويُّ عنا رَحِيلا ... زاده فيه عِلْمه بالوُجودِ
أُغْفِلت بعده العلوم وضَاقت ... طُرُق الفِقه عن سُلوك المُرِيدِ
إنَّ حالَ العراق بعدك حال الشَّـ ... ـامِ من بعد مَوْت عبدالحميدِ
إن بكت بعده دمشق فبغدا ... د لها عَبْرة بغير جُمودِ
كوكبا بلدتين غابا بعيدا ... عن عيونٍ وأَمْسيا في سعودِ
إنَّ حَظَّ الذَّكي فيما أراه ... عند ذي العَرْش فوقَ حظ البَلِيدِ

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «ببيت».

(٢) في المطبوع والمخطوط «الحسن بن شاهي»، وهو غلط وتحريف، إنما هو عبدالحميد ابن الخُسروشاهي، ووفاته في أواخر السنة الفائتة، أعني سنة ٦٥٢هـ، كما ذكر سبط ابن الجوزي -وكان صديقه- وأبو شامة والذهبي وابن كثير، وغيرهم، قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» -وهو بخطه-: «عبدالحميد بن عيسى بن عمويه بن يونس بن خليل العلامة شمس الدين أبو محمد الخُسروشاهي التبريزي المتكلّم. ولد سنة ثمانين وخمس مئة بخسروشاه، واشتغل بالعقليات على الشيخ فخر الدين الرازي ابن الخطيب، وسمع من المؤيد الطوسي، وبرع في علم الكلام، وتفنن في العلوم، ودَرَّس، وأقرأ، وأفاد، اشتغل عليه زين الدين ابن المُرَحَّل خطيب دمشق وغيره، وأقام مدة بالكرك، عند صاحبها الملك الناصر، فأخذ عنه شيئاً من علم الكلام، روى عنه أبو محمد الدمياطي وغيره ومات في الخامس والعشرين من شوال، ودفن بجبل قاسيون. . .الخ» (الورقة ١١٨من مجلد أيا صوفيا٣٠١٣). وقال ابن كثير: «عبدالحميد بن عيسى الشيخ شمس الدين ابن الخسروشاهي أحد مشاهير المتكلمين، وممن اشتغل على الفخر الرازي في الأصول وغيرها. . .الخ» (البداية١٣/ ١٨٥).

وتُوفِّي نقيب الطالبيين إسماعيل بن الحَسَن بن المختار[1] .

وحَجَّ بالناس فَلَكُ الدين محمد بن علاء الدين ألطبرس[2] الدُّويدار الكبير، فلما عاد الحاج أخبروا: أن[3] بعد رَمي الجِمار ولبْس المُخَيَّط وقعَ بين الجُنْد وأهل مكة شَرٌّ أفْضَى إلى فِتنة وحَرْب، وقُتِلَ جماعةٌ وجُرِحَ خلقٌ كثير، ونُهِبَ بعض سُوق مِنى، وتَعَدَّى النَّهْب إلى الحاج فعزمَ أميرُ الحاج إلى قتال أمير مكة، فأُشير عليه بالكف وحِفْظ النَّاموس، وكان عاقلاً ففعل، فأرسل إدريس وأبو نُميّ أميرا مكة إليه يَعْتَذِران مما وقعَ من الجُهَّال ويسألانه المُنادة بالكَفِّ عن الفِتْنة، ففعلَ ذلك، ونحرَ النَّاسُ قريب غروب الشَّمْس.

(١) وقع في المطبوع: «أبو إسماعيل الحسن بن المختار»، وهو تحريف بيّن، وقد ذكره صاحب «العسجد المسبوك» فقال في وفيات سنة ٦٥٣: «وفيها مات النقيب الطاهر إسماعيل بن الحسن (في المطبوع: الحسين- خطأ) بن المختار، وقد سبق ذكر تقليده نقابة الطالبيين في السنة الماضية، وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي -كرم الله وجهه في الجنة- ودفن هنالك، وكان شاباً سرياً قد جاوز ثلاثين سنة من عمره» (٦١٢). وكان قد قال في سنة ٦٥٢: «وفي شهر رمضان المذكور، قُلّد إسماعيل بن الحسن بن المختار نقابة الطالبيين عوض والده...» (ص٦٠٤).

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «الطبرسي».

(٣) هكذا في الأصل، وفي المطبوع: «أنه».

سنـــة
أربع وخمسين وست مئة[1]

فيها، أرسل السُّلطان هُلاكوقان إلى ركن الدين مُقَدَّم الباطنية يستدعيه، فأرسلَ إليه صَبِياً عُمره سبع سنين، زَعَمَ أنَّه ولده واعتذر من الحضور فأنْعَم عليه، وأعاده إليه، فأرسل أخاه شيرشاه[2] في ثلاث مئة فارس، فأمر السُّلطان بقَتْلهم، فقُتلوا، ثم أرسلَ إلى رُكن الدين يتهدده إن تأخر عن الحُضور. فلما عزمَ على ذلك منعه أصحابُهُ خَوْفاً عليه فأرسل يعتذر بأن أصحابه مَنَعُوه وأنه مَتى وجدَ فُرصة في الخروج من بينهم حَضَر، فأمر السُّلطان بمنازلة قلعة ميمون دَز[3] فساروا إليها، ونَصَبوا عليها المنَاجِيق، وواصلوا الزَّحْف والقِتال، فاشتغلَ الباطنيةُ بالقتال عن رُكن الدين، فنزلَ ومعه وَلَدُه وخواصه وحضرَ بين يدي

(١) إن حوادث هذه السنة ووفياتها توزعت في موضعين من المخطوط والمطبوع الذي نشره الدكتور مصطفى جواد، فجاء قسم منها هنا، والقسم الآخر كان مخلوطاً بسنة ٦٥٣هـ كما بينا، فوضعناه بعد هذا القسم مع أننا غير مقتنعين بتسلسل الحوادث والوفيات ضمن هذه السنة الواحدة، لكن لم يكن أمامنا سوى ذلك، إذ ليس من حقنا نقل كل حادثة إلى موضعها الذي أراده المؤلف لعدم وقوفنا على ذلك، والأمر فيما نرى، هَيّن لوقوع الجميع الآن ضمن سنة واحدة.

(٢) وقع في المطبوع: «شيرنشاه».

(٣) تصحفت في المطبوع إلى: «ذر» ولا معنى لها، فإن «دَز» فارسية معناها: قلعة، فهي قلعة ميمون.

السُّلطان، فلما عَرَف أصحابُه ذلك سألوا الأمان، فأُجيبوا إلى ذلك، فَسَلَّموا القَلْعة وفارقوها، فأمَر بهدمها. ثم فَتَحوا ما يُجاورها من القِلاع وهَدَموا الجميع.

ثم أرسل السُّلطان إلى متولي قلعة ألموت يُعَرِّفه نزول رُكْن الدين إليه ويأمره بالتَّسْليم، فأبى وامتنعَ، فَسَيَّر إليه الجُيوش، فأحاطوا به وحَصَرُوه[1] وضَيَّقوا عليه، فسألَ الأمانَ فأُجيب إليه، فَسَلَّم القَلْعة فَهُدِمت. وحَضَر شمسُ الدين مُحْتَشِم من قُهُسْتان، ومعه جَمَاعةٌ من أصحاب رُكن الدين، فأنعَمَ السُّلطان عليه، فعادَ إلى قُهُسْتان، وسُلِّمت جميع قِلاعها، فأمَرَ السُّلطان بهدمها، ولم يَتَخَلَّف سوى قلعتي كَرْدكوه وكَشْتمر، ففُتِحَت[2] بعد سنين مُتطاولة، ووصلَ رؤساء الدَّيْلَم إلى السُّلطان وسألوه الأمانَ وصالحوه على تَخْريب قِلاعهم.

ثم رحل السُّلطان في سنة خمس وخمسين نحو هَمَذان، وأمر بقتل رُكن الدين وأصحابه، فَقُتلوا وانقرضَ ملكه وملك أهل بيته[3]. ولما فُتِحت قلعة «ألَمُوت» خرجَ الإمام العلامة نَصير الدين محمد بن محمد الطُّوسي وكان في خدمة علاء الدين محمد بن الحسن الإسماعيلي وحَضَرَ بين يدي السُّلطان، فحظي عنده وأنْعَم عليه، فَعَمِلَ الرَّصْد بمراغة سنة سبع وخمسين.

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «حاصروه».

(٢) هكذا في الأصل؛ وغيرها ناشر المطبوع إلى: «ففتحتا».

(٣) انظر تفاصيل أوسع في تاريخ ابن العبري ٢٦٤-٢٦٦، وتاريخ الزمان، له أيضاً ٣٠١ فما بعد، وتاريخ الإسلام، للذهبي الورقة ٢٠٩ (أيا صوفيا ٣٠١٣).

ذكر فتنة الكرخ[1]

في ذي الحجة، قَتَلَ أهل الكَرْخ رَجُلاً من أهل قَطُفْتا، فحملَهُ أهلُهُ إلى باب النُّوبي، فدخلَ جماعةٌ من الخَدَم إلى الخَليفة، وعَرَّفُوه وعَظَّمُوا ذلك ونَسَبُوا إلى أهل الكَرْخ كُلَّ فساد، فأمر بِرَدْعهم فركب الجُنْد إليهم، وتَبعهم العَوام ونَهَبُوا محلة الكَرْخ، وأحرقوا عِدة مواضع، وسبوا كثيراً من النساء والعَلَويات الخِفرات[2] ، وسَفَكُوا الدماء، وعَمِلُوا كُل مُنْكر. وكان الجُنْد والعوام يَتَلَّبون على من قد نَهب شيئاً فيأخذونه منه، وعَظُمت الحال في ذلك، فَخُوطب الخليفة في أمْرهم، فأمَر بالكَفِّ عنهم ونُودي بالأمان. فدخلَ جماعةٌ من أهل الكَرْخ إلى منازلهم وقد تَخَلَّف بها قومٌ من العوام وغيرهم فقتلوهم. ثم تَقَدَّم الخليفةُ إلى الجُنْد وغيرهم بإحضار ما نَهَبوه إلى باب النُّوبي، فأحضروا شيئاً كثيراً، فرد على كُلِّ من عرف ماله ما وجده، وكان شيئاً لايُحْصَى كَثْرةً، ونُودِيَ بحمل النِّساء والأسْرى إلى دار الرَّقيق[3] ، فَحُمِلوا وأُعيدوا إلى أرْبابِهم، ثم حُصِّلَ الذي كانت الفِتْنَة بسببه وقُتِلَ، وصُلِبَ قاتل القَطُفْتِي بباب الكَرْخ.

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام، الورقة ٢١٠ (أيا صوفيا ٣٠١٣)، والفخري ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) وقع في المطبوع: «والخفرات» وليس بشيء.

(٣) دارالرقيق: اسم محلة كانت ببغداد متصلة بالحريم الطاهري من الجانب الغربي، ويقال لها أيضاً: شارع دار الرقيق. وقد ظنها بعض غير العارفين بالتاريخ والخطط البغدادية: الدار التي يُجْمع فيها الرقيق (العبيد).

ذكر الزَّلازل والنَّار بالمدينة[1]

في جُمادى الآخرة، كانت زَلازل مَهُولة بنواحي مدينة النبيّ ﷺ حتى ماجَ المِنبَر الشَّريف، وتَحَرَّكت سلاسلُ القَناديل، ثم ظَهَرت في رَجَب نارٌ على مسيرة أربعة فَرَاسخ منها دامت خمسة عشر يوماً، كانت تأْكل الصَّخْر وتذيبه، وإذا ألقي فيها ثَوْب أو خَشَب أو سَعف أخضر لم يَحْترق، فدخلَ النَّاسُ الحرَمَ وتَضَرَّعُوا إلى الله تعالى وتابوا، واعتقَ أميرُ المدينة عبيدَهُ، وخرجَ من جميع المظالم، وأعادَ أملاكاً كان قد اغتصبها على أربابها، ثم طُفيت[2] بقدرة الله تعالى.

وفي شعبان وقعَ حريقٌ بمسجد النَّبي ﷺ وحُجْرته بالمدينة أيضاً، واحترقَ المِنْبر الذي كان من عهده ﷺ وسَقْف حُجرته. وسببُ ذلك أن القَيِّم أشعلَ المَصَابيح فوقعت منه شرارة نار على ثَوْبه فاحترقَ، ثم تعدت النَّار إلى قَفَص من أقْفاص القَنَاديل، فالتَهَبت المشاقة التي فيه، فانزعجَ القَيِّم وشَدَّهُ وبيده إبريق فيه زيت، فَصَبَّهُ على النار ظناً منه أنه ماء، فازدادت النَّار التهاباً. فلما بلغ الخليفة المُسْتَعصم ذلك[3] أرسل

---

(١) ذكر أكثر المؤرخين الذين أرخوا هذه المدة هذه الحادثة، وفَصّل فيها خاصة: أبو شامة، والذهبي، وابن كثير.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «أطفئت».

(٣) قال ابن كثير: «وقال ابن الساعي في تاريخ سنة أربع وخمسين وست مئة: في يوم الجمعة ثامن عشر رجب - يعني من هذه السنة- كنتُ جالساً بين يدي الوزير، فورد عليه كتاب من مدينة الرسول ﷺ صُحبة قاصدة يعرف بقيماز العلوي الحسني المدني، فناوله الكتاب، فقرأه، وهو يتضمن أن مدينة الرسول ﷺ زلزلت يوم الثلاثاء ثاني جمادى الآخرة (ثم ذكر النار وغيرها) (البداية ١٣/ ١٩٢).

قاضي القُضاة سراج الدين النَّهرقلي وعِدّة من العُدُول، وأصْحَبهم مالاً لِعمارة ما أحترقَ، فساروا إلى هناك، وعَمَّروا ما خَرب وأعادوه إلى أحسن ما كان، ومُلِكَت بغداد وهم هناك[1] ، وقيل: إن القاضي تُوفِّي بقية السنة ودُفِن بالبَقيع.

ذكر غَرَق بغداد[2]

في هذه السنة، زادت دجلة زيادة عَظيمة، وانفتَحَ في القُوْرَج فتحة كبيرة عجزَ مَن يتولاه عن استدراكها، فركب الوزير وكافة الوُلاة معه، وأخذ الوزير في يده باقة شَوْك، ففعل سائر العالم مثل ذلك، ولم يقع التَّمَكن من سَدِّها فتُرِكت، وانهزمَ النَّاسُ كلهم والماء في أثرهم فأحاط ببغداد، وغَرَّقَ الجانبين منها، وهَدَم دوراً كثيرةً بالحريم والمَشْهد وتلك المحال، وامتلأت أسْواق الجانب الشَّرقي، وخرجَ الماء من حِيطان الدُّور والمنافد والآبار والبلاليع، وامتلأت دار الخليفة كُلها ما عدا الشاطئية فانتقلَ مَن بها إلى الغُرَف والسُّطوح، وتَعَذَّر الوصول إلى دار الخليفة إلاّ في سَفِينة أو سباحة، ونُقِلَ مَن كان من أنساب الخليفة مَحْبُوساً في دار الشَّجَرة ودار الصَّخْر إلى ديوان الزِّمام، وانتقل الوزير من داره إلى دار علاء الدين ألطبرس[3] الدُّويدار. ثم دَخَلَ الماءُ إلى

(١) من قبل المغول في أول سنة ٦٥٦.

(٢) تاريخ الإسلام، الورقة ٢٠٩ (أيا صوفيا ٣١٠١٣)، والعسجد المسبوك ٦١٤-٦١٥وغيرهما.

(٣) في المطبوع: «الطبرسي» خطأ.

ديوان الزِّمام، وليس له دَرَج، فصارَ مَن بها واقفاً وبلغ الماء إلى صَدْره، وكل مَن له وَلَد صغير حَمَلَه على كتفه، وهم يستغيثون ويضجون، فَحُوِّلوا إلى الحَلبة وقد ذهبَ كُلّ ما كان عندهم، وضُرِبَت لهم الخِيَم بها. وكانت السُّفن والأكْلاك تَسير في الرَّيحانيين حتى تَصِل إلى باب العامة، وتَحَوَّل كُلُّ مَن كان ساكناً في محال دار الخليفة، وتَلف من النَّاس شيءٌ كثير. وكان عُلو الماء في المدرسة النِّظامية زيادةً على أربعةِ أذرع. وعَمِلَ اليَهُود سِكْراً في رأس بين الدَّربين ودرب القَيَّار[1] ، وساعدَهُم المُسلمون على عمله، فنازعَهُم فيه من يَتَعدَّى ضرره إلى مُلكه، وجَرَت بينهم خُصومات وأشهروا السِّلاح، ونادوا: يا آل خيبر! فقبض الشحنة على جماعةٍ منهم، فَضَرَبهم وشَوَّه خِلَقهم، وشَهَرَهم ونُودي عليهم: «هذا جزاء من شَهر السِّلاح على المسلمين وقال: يا آل خيبر».

وخلت محال دار الخليفة ومُعظم محال بغداد من ساكنٍ، ووقعت دورٌ كثيرةٌ في سائر المحال، وخَلَت الديار، وتَعَفَّت الآثارُ، وصار في النظر إليها اعتبار. ووقعَ رِباط الزَّوزني والحائط الشَّطّاني من جامع فَخْر

---

(١) درب القَيَّار: محلة بالجانب الشرقي وصفها ياقوت بأنها «كبيرة مشهورة» (معجم البلدان). وذكر في مادة (جنابذ) أن شيخه أبا محمد عبدالعزيز بن محمود الجنابذي كان يسكن درب القيار من محال نهر المُعَلَّى في شرقي بغداد. وتدل بعض النصوص التاريخية (المنتظم ١٠/١٨٩) على أن دَرب القَيّار كان بين محلة المقتدية ومحلة خرابة ابن جردة، ولما كان من الثابت في خطط بغداد أن بين هاتين المحلتين محلة يقال لها الجعفرية، فيكون درب القيار ضمن محلة الجعفرية هذه أو حواليها، والراجح أن يكون موقعها موافقاً لقسم من محلة تحت التكية الحالية.

الدولة ابن المُطَّلب، وتداعي أكثره. وصَلَّى النَّاسُ عدة جُمُعٍ في المدرسة المستنصرية، وكان الناس يحضرون بالسُّفن، فامتلأت المدرسة وغُلِقَ بابُها، واتصلت الصفوف في السُّفن من باب المُستنصرية إلى سوق المَدْرسة وإلى آخره. وصَلَّى أهلُ باب الأزج في مُصَلَّى العيد بعَقْد الحَلْبة[1] . وسَقَطَت نِصْف مُسَنّاة مسجد قُمْرية، فعُمِلَ له سِكْرٌ من خَشَب وطَرْفاء، فما زال على ذلك إلى أن عَمَّره الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني سنة سبع وستين وست مئة. وزادَ الفُرات أيضاً فغرقت عانة، والحديثة، وهيت، والحلة، وغيرها. وانفتحت[2] قُبَّيْن[3] فغرق دُجَيْل، ونهر عيسى، ونهر ملك[4] ، وأتلف زُرُوعاً كثيرةً.

(١) هذا العقد منسوب إلى حَلْبة السِّباق التي كانت في هذا الموضع قبل إنشاء سور بغداد الشرقية. وبعد إنشائه سنة ٤٨٨هـ عُرف الباب القريب منها بباب الحلبة. أما الحلبة نفسها، فقد تحولت -بعد أن تُرِكَ أمر السباق منها- إلى مصلى كبير للعيد. وقد جدد الخليفة الناصر باب الحلبة سنة ٦١٨ وعرف في العهود المتأخرة بالباب الوسطاني ثم نسفه الأتراك عشية احتلال الانكليز بغداد سنة ١٩١٧وبقيت بعض آثار قواعده إلى اليوم.

(٢) هكذا في الأصل، وغيرها ناشر المطبوع إلى: «وانفتح».

(٣) قُبَّيْن: نهر كان يأخذ ماءه من الفرات ويسقي الجانب الغربي من بغداد، وقد أصبح هذا النهر، منذ القرن الرابع للهجرة، سبباً في غرق ذلك الجانب كلما ارتفعت مناسيب الفرات (مختصر مناقب بغداد لابن الجوزي ٣٤) ويذكر ياقوت في «معجم البلدان» أن اسم هذا النهر كان يطلق أيضاً على «ولاية» هناك.

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «الملك».

ذكر ما جرى بين الوزير والدويدار[١]

وفي هذه السنة، نُسِبَ إلى مُجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير أنه يُدَبِّر في خَلْع الخليفة المُسْتَعصم والمبايعة لولده الكبير، فانزعجَ لذلك وأقسَم بالأيمان المُعْتَبَرة أن ما عنده مما نُسِبَ إليه عِلْمٌ، وسألَ أن يُواقَف مع مَن قال عنه ذلك. وكان قد نُسب هذا القول إلى فَلَك الدين محمد ابن علاء الدين ألطبرس[٢] الدُّويدار الكبير، وإلى الوزير مؤيد الدين ابن العَلْقَمي، فاستوحشَ منهما وخاف على نفسه، وجمعَ عساكره إليه، وباتوا تحتَ السِّلاح، وفعلَ الوزير أيضاً مثل ذلك، وكانوا مستعدين. فراسَلَهُ الخليفة بنجم الدين عبدالغني ابن الدَّرْنوس، وسَكَّنه، فلم يَسْكن، وأصرَّ على الجَمْع بينه وبين مَن قال عنه، ووقعت[٣] وَقْعة بين عَوام سُوق المدرسة ومَشْرَعة الصَّبَّاغين[٤]، بسبب الحديث في

(١) ظن الدكتور مصطفى جواد غلطاً أن المؤلف ذكر هذه الحادثة وما بعدها من حوادث في سنة ٦٥٣، لذلك كتب تحتها: «تتمة حوادث سنة ٦٥٣»، مع أن داخل الخبر يشير إلى وقوعه في سنة ٦٥٤كما سيأتي، فضلاً عن أن جميع المؤرخين، الناقلين، منهم خاصة عن ابن الساعي، ذكروا هذا الخبر في سنة ٦٥٤هـ مثل الذهبي في «تاريخ الإسلام»، وصاحب «العسجد المسبوك» وغيرهما.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «الطبرسي».

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «ووقت».

(٤) مَشْرَعة الصَّبَّاغين: يفهم من هنا أن هذه المشرعة كانت قريبة من سوق المدرسة النظامية مجاورة لها. ويصعب تحديد موضع هذه المشرعة من مشرعتي المدرسة النظامية، والإبريين، إذ لا نعرف مشرعة أخرى سواهما بالقرب من المدرسة المذكورة، اللهم إلا أن تكون تسمية أخرى لمشرعة المدرسة نفسها. ومن المعلوم أنه كانت عند هذه المشرعة، إبان العصر العثماني وإلى وقت قريب، مَصْبَغة، تُعَدُّ مباءة لصباغي الأقمشة والألبسة، مما يدل على استمرار وظيفة المكان على رغم تعاقب=

ذلك، وقُتِلَ فيها خَلْق كثيرٌ وجُرِحَ عالَمٌ عظيمٌ، فاشتدَّ خَوْف النَّاس لذلك، ثم انكشفَ الشَّر، واستمرَّ حال مُجاهد الدين على المُقَاطعة، وآثرَ الخليفة إزالةَ ما في نَفْسه، فكان يُكْثِر من الجواز بالشُّبَّارة تحت داره مُصْعِداً ومُنْحَدِراً.

ثم إنَّ فخر الدين ابن الدَّامغاني صاحب الدِّيوان راسلَ الدُّويدار وضَمِنَ له القيام بما يَرْضَى به، وتردَّدَ القَوْل بينهما على لسان بهاءِالدين داود بن المُختار، فسأل الدُّويدار أن يُكْتَبَ له أمانٌ بعلم الخليفة ويُقرأ في جَمْعٍ من العالم، فقال له صاحب الديوان: أنا أفعل ذلك وأحضر في داركَ وتنحدر[1] أنتَ إلى الخليفة وتَسْمَع كلامَهُ، وأكون في دارك إلى أن تَعُود إليها. فأجابَ إلى ذلك. فركب صاحب الديوان إليه، فتلقاه خواص الدُّويدار من الباب وسألُوه الدُّخول راكباً فأبى، ونزلَ على الباب، فَفُرِشَ تحته وتحت فرسِه أثواب أطْلَس، وتلقّاهُ الدُّويدار ومعه أولادُه واعتنقا، ثم جَلَسا، وجاء ابن الدَّرْنوس ومعه الأمان، فتلقاه الدُّويدار وصاحب الديوان وقَبَّل الأرضَ، فتناولَ الدُّويدار الأمان وجَعَلَهُ على رأسه، وسَلَّمه إلى صاحب الدِّيوان، فقرأهُ على الدُّويدار وأصحابه بصوتٍ عالٍ، وكان صورته بعد البَسْملة: «قد أمَّنا مملوكنا الخاص لدينا أيْبَك بأمان اللهِ سُبحانه وأمان رَسُوله ﷺ وأماننا حاضراً ومُسْتقبلاً في نفسه وأولاده، وما في يديه من كل ما يَتَمَوَّل وما خُوِّل ويُخَوَّل، أماناً مُزِيلاً أسبابَ الارتياب، تَساوى فيه لَفْظُنا وضَمِيرُنَا لعلمنا صحة تدينه

= الدهور.

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وتنجد»، ولا معنى لها.

ونزاهة سِرّه وعَلَنِه، فليثق إلى ذلك، فله علينا عهد الله وذِمته، ومَن أوفَى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً، وكَتَبناهُ في جُمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وست مئة»[1] . ثم استدعاه ابنُ الدَّرْنوس، فنزل في شُبَّارة ومعه ولداه، فلما دخل دار الخليفة ووقع نظره عليه قَبَّلَ الأرض، ووقَفَ مُطْرِقاً، فأذِنَ له في الجلوس، وقال له: ما خَطَرَ ببالنا صحة ما نُسب إليك فَطَيِّب نفسك. فبكى، ثم عُدِلَ به إلى الرِّواق، وخُلِعَ عليه وعلى ولديه، ثم قَلَّدَهُ الخليفة[2] سَيْفاً كان بين يديه، وقال: هذا سيفنا لسيفنا. فَقَبَّل الأرض، وعاد ابنُ الدَّرْنوس معه، فَقُدِّمت له شُبَّارة الخليفة فَقَبَّل صَدْرها، وكَشَفَ الفَرْش وقَبَّلَهُ، ووقفَ في وَسَطها ولم يقعد، ونزل ولداه وابنُ الدَّرنوس في شُبَّارة أُخرى. فلما قرب من داره نَثَر على ابنِ الدَّرْنوس طَبَق ذَهَب وطَبَق فِضّة في وَسَط الشُّبّارة، ثم صعدَ واجتمعَ بصاحبِ الدِّيوان وجماعةٍ من الزُّعماء، وقُدِّمت الأطعمة، وضُرِبت البشارات على بابه، وخَلَعَ على ابن الدَّرْنوس وأعطاه خمس مئة دينار، وخَلَعَ على الفَرَّاشين الذين كانوا صُحبة ابن الدَّرْنوس، وأعطى كل واحد مئة دينار، وخَلَع على[3] كُلِّ من كان مع صاحب الديوان، وعلى مقدَّم شبارة الخليفة، وأعطاه مئة دينار، وخَلَع على باقي المَلّاحين.

---

(1) قال الدكتور مصطفى جواد: «ترتيبها السنوي يقتضي حدوثها في سنة ٦٥٣». قلنا: بل غلط هو في إدراج الحادثة وغيرها في حوادث سنة ٦٥٣، وترتيبها هو سنة ٦٥٤ كما بينا.

(2) تحرفت في المطبوع إلى: «قُلّد».

(3) من هنا إلى قوله مرة أخرى: «وخلع على» سقط كله من المطبوع.

وتَقَدَّمَ الخليفةُ إلى المُدَرِّسين في المستنصرية أن يقولوا بعد الخَتْمة كلاماً خلاصته «أن الأمير مجاهد الدين أيبك الخاص مولى أمير المؤمنين لم يَثْبت عليه عند مولاه ومالكه شيء مما نُسِبَ إليه وفّقَهُ اللهُ تعالى والخلائق للتَّمَسُّك بطاعة أمير المؤمنين والإخلاص في ولائه وأوزعهم وإياه شُكْر مَرَاحمه العَمِيمة وإنعامه». فسأل الدُّويدار أن يحضر المدرسون عنده، فحضروا فَخَلَع عليهم، ومُدِحَ صاحب الدِّيوان في هذه النَّوبة بأشعار، منها قول ابن البَقَّال:

مولاي يا مَن فاقَ أسلافَهُ   في كل فَضْلٍ بين خَصْمَينِ
لا غرو أن أصلح ربي بِكُم   بينَ فريقينِ عَظِيمينِ

ونظم عبدالله بن جعفر الكاتب قصيدةً تتضمن صورةَ الحال مُفَصَّلاً أولها:

الحمدُ لله بان الحق واتَّضحاَ   وخابَ واضع هذا الإفك وافتَضَحاَ

فقال الدُّويدار: ما الإفك. فقال: الكَذِب، فقال: بل واضع ذاك الخَلْط، وهي طويلة.

ذكر الفتنة بين أهل أبي حَنيفة والرُّصافة

وفيها، وقعَ بين أهل محلة الرُّصافة ومحلة أبي حَنِيفة[1]

(١) هي المحلة التي نشأت حول مقبرة الخيزران، حيث مرقد الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، ومنه اكتسبت اسمها، قال ابن جُبير عند زيارته لبغداد سنة ٥٨٠هـ: «وبأعلى الشرقية خارج البلد محلة كبيرة بإزاء محلة الرُّصافة - وبالرصافة كان باب=

والخُضَيْريين[1] فتنة أفْضَت إلى مُحاربة شديدة، استظهرَ فيها أهلُ محلة أبي حنيفة والخُضَيْريين على أهل الرُّصافة، وطَرَدوهم إلى باب المحلة ورَكَّهم السَّيف، فدهمهم اللَّيل، فازدحموا للدخول، فماتَ منهم جماعة نحو ثلاثين نَفَراً، وحَصَرُوهم، ومنعوا أن يُدْخَل إليهم شيء حتى الماء من دجلة، فأضَرَّ بهم ذلك، فَنَفَّذَ شحنةُ بغداد مَن زَجَر أهلَ محلة أبي حَنيفة، وكَفَّهُم عن الشَّرِّ. ثم إنهم اقتتلوا بعد أيام وجُرِحَ بين الفَرِيقين خَلْقٌ كثير، وقُتِلَ جماعة، واستظهر أهلُ محلة أبي حنيفة والخُضْيريين على أهل الرصافة، وباتوا تلك الليلة واستعدوا للقتال وعَزموا على إحراق محلة أبي حنيفة، وعَبَر من أهل باب البصرة لمساعده أهل الرصافة خَلْقٌ كثير، ومن أهل الكَرْخ لمساعدة الخُضْيريين، فحضَر أصحاب الشِّحنة وكَفُّوهم، فتفرقوا، ومنعوا أهل الرُّصافة أن يدخل إليهم شيء، فبقوا على ذلك أياماً، ثم أُحْضِرَ إلى الدِّيوان جماعةٌ من مشايخهم وأعيانهم، وأُخِذَت خُطوطهم بكف الأشرار، ومَنْعهم عن

= الطَّاق المشهور على الشط- وفي تلك المحلة مشهد حفيل البنيان له قبة بيضاء سامية في الهواء فيه قبر الإمام أبي حنيفة وبه تُعرف المحلة» (رحلة ابن جبير ١٨٠) وقال ياقوت في «معجم البلدان»: «وبلصقه [أي جامع المهدي] مقابر الخلفاء لبني العباس... وبلصقها محلة أبي حنيفة وفيها قبره وهناك محلة وسويق».

(١) محلة الخُضَيْريين: قال ياقوت: «بلفظ تصغير خضرة، منسوب، محلة كانت ببغداد تُنسب إلى خُضَيْر مولى صالح صاحب المَوْصل، وكانت في الجانب الشرقي وفيها سوق الجزاز» (معجم البلدان). وكانت هذه المحلة ملاصقة لمحلة أبي حنيفة من أعلاها، ويظهر أنها اتسعت في الحقبة اللاحقة ليشمل اسمها محلة أبي حنيفة نفسها، قال التقي الفاسي في ترجمة الحسام السغناقي «ودَرَّس بمشهد الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- بمحلة الخُضْيريين» (منتخب المختار ص٥٠).

الفَسَاد، وأُحْضِرَ جماعة من محلة أبي حنيفة، وأُصْلِحَ بين الفريقين.

عدة حوادث

في هذه السنة، تُوفِّي الملك العزيز يوسف بن يعقوب ابن الملك العادل بدمشق(١).

وتوفي أمين الدين كافور(٢) الخادم الظَّاهري. وكان كثير الخَيْر والصَّدَقات والمُواصلات، حَجَّ مِراراً كثيرةً وتولَّى دار التشريفات، وكان قَريباً من إقبال الشَّرابي حاكماً في دولته، ودُفِنَ في مشهد الحُسين عليه السلام.

---

(١) هكذا ذكره في المخطوط والمطبوع، وهو غلط بيّن، فكأن «العزيز يوسف بن» محرفة عن «المعز مجير الدين»، قال الذهبي في وفيات سنة ٦٥٤من «تاريخ الإسلام» -وهو بخطه-: «يعقوب، الأمير مجير الدين ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب الأيوبي، ويلقب بالملك المعز، وهو بمجير الدين أشهر. سمع من عمر بن أبي السعادات بن صرما، وأجاز له أبو روح عبدالمعز الهروي، والمؤيد الطوسي. روى عنه الدمياطي وقال: خرّجت له مشيخة، لأنه طلب ذلك مني، وتوفي في ذي القعدة بدمشق. قلت: صلى عليه الرسول (يعني رسول الخليفة) نجم الدين البادرائي، ودفن عند والده بالتربة، وعمل السلطان عزاءه» (الورقة ١٣٤ من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٣). وقال ابن كثير في وفيات سنة ٦٥٤: «مجير الدين يعقوب ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب، دفن عند والده بتربة العادلية» (البداية ١٣/ ١٩٥).

(٢) ذكر صاحب «العسجد المسبوك» وفاته في ثامن شهر ربيع الأول من سنة ٦٥٤ (ص٦٢١).

وتوفي عُمر[1] بن جَلْدك المُطالعاتي، وعُمُره تسعون سنة، كان من فَرّاشي سُدَّة الخليفة، وكانت المطالعات تَبْرز على يده من الخليفة إلى الوزير.

وتوفي أبو الفضل بن أبي الخَيْر ابن المسيحي[2] الجاثليق[3] ببغداد وقد تجاوز التسعين وولي بعده مَرمكيخا[4] النَّصِيبي، وكان أديباً فاضلاً.

وتوفي، علي بن محمد بن عَبّاد[5] ، أحد حُجّاب المناطق. كان شاباً نشأ في الجاه والحُرْمة، وأحضرَ له والده المؤدبين فلم يحصل طائلاً، لكنه كَتَب خطاً حَسَناً، وكان مُعْجَباً بنفسه، مُبالغاً في مَلْبوسه ومَرْكوبه وعَرْض الطُّرز وطول الكراثة[6] ، مُجَمَّلاً لغلمانه، نَظَم فيه بعضُ الشعراء مُخاطباً لبعض الصُّدور:

---

(١) ذكر صاحب «العسجد المسبوك» وفاته في شهر رمضان من سنة ٦٥٤ (ص٦٢١).

(٢) ترجمه عمرو بن متى في أخبار فطاركة المشرق، وسماه: «سيريشوع ابن المسيحي»، وذكر أنه توفي في نهار الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ٦٥٤، ودفن ببيعة الكرخ (ص١١٩من طبعة روما ١٨٦٦).

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «الجاثليقي».

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «مارميخا»، وهو مارمكيخا، وله ترجمة مفصلة أوردها له عمرو بن متى في «فطاركة كرسي المشرق ١١٩» ذكر فيها أنه دفن في البيعة الجديدة التي بناها بدار الخليفة. قلنا: هي دار الدويدار منحها لهم المغول بعد احتلالهم بغداد.

(٥) تحرف في المطبوع إلى: «عمار».

(٦) تحرفت في المطبوع إلى: «البكراثة»، وتقدم شرحها.

رأى العَبْد في الحُجَّاب شَخْصاً مُجَمَّلاً
عـرِيضاً قَصِيراً طَيِّبَ العَرْفِ والنَّشْـرِ
بِطُـرز عِـراض مـا رأينـا كَعَـرْضهـا
على كَتْفه أوفى[1] من الفِتْر أو شِبْرِ
وكــرَّاثــة مــا للجَمَــاعــة مثلهــا
مُطَـوَّلـة تَجْـري علـى مُعْظَـم الظَّهْـرِ
وذيْـل طَـويـل يكنسُ الأرضَ خَلْفَـه
وَكُـمٍّ وسيـعٍ لا كـزيـد ولا عَمْـرو
ويـا تِكَّتَـي سـروالـه مثـل قُمصـه
طِـوالٌ وُسـاعٌ مُـرْسـلاتٌ بـلاحَصْـرِ
ويَظْهَـر مـن فَـوْق السَّـرَاويـل تِكَّـة
إلـى كَعْبه خَضْـراء صَفْـراء كـالـزَّهـرِ
فـأعجبنـي هـذا اللِّبَـاس وشَكْلـه
وأحْـوَجنـي هـذا العَيَـان إلـى الخَبـرِ
فقلـتُ عَسَـاه من ذوي الفَضْـل عـالِماً
فحـادَثْتُـه فَضْـلاً فـإذ هـو لايَـدْري
فقلـت أصِيـلاً مـن بيـوتٍ قـديمـةٍ
وأمّا من الأشراف أو من بني الطُّهْرِ

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «أدنى»، وقال الدكتور مصطفى جواد في تعليقه: «كذا ورد، ولعله: . . . أوفى» قلنا: استرجامه جيّد، وهو الذي في الأصل!

فقلت لـه: مِمَّن أُطِيلَ لك البَقا؟
فقال سريعاً: ابنُ ساكنة القَصْرِ
فأمسكتُ إجلالاً لـه ومَهَابةً
وقلتُ له: أحسنتَ يا طاهر النَّجْرِ[1]

ورثاه بعض أصدقائه بأبيات يقول فيها:

وقد كان من أقْراننا وكأنَّنا
إليه وإن طالَ الزَّمان نَصِيرُ
وما عُمرنا إلا قَصِير بِطُولِه
وكُلٌّ طَوِيلٍ يَنْتَهِي فَقَصْيرُ
وكُلٌّ من التُّرب ابتداء انتشائه
وكُلٌّ إلى ما كانَ منه يَصِيرُ

وفيها، أرسل صلاح الدين بن أيوب صاحب دمشق وحَلَب إلى الخليفة المُسْتَعصم رسولاً، معه فَرْدة رِكاب كَبِيرة من حديد، ذكر أنها رِكاب النَّبي ﷺ وأنها عند بني أيوب يحفظونها كما حفظ بنو العباس البُرْدة الشَّريفة. فَقَبَّلها الخليفة، وجَعَلها في خزانته مع البُرْدة والقَضِيب، فأنشد أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد ارتجالاً:

لو كُنْتَ في زَمَن النَّبي محمدٍ   من آله أو كُنتُ من أصحابه
ما رامَ قَلبي غير لَثْم رِكابه   شَرَفاً وقد بَلَغْتَ لثمَ ركابه[2]

---

(١) النجر: الأصل.

(٢) ذكر صاحب «العسجد المسبوك» هذا الخبر بتمامه نقلاً عن ابن الساعي في سنة ٦٥٤ (ص٦١٤)، وقال: قال ابن الخازن في تذييلة : وقد شاهدتُ الركاب المذكورة، =

وفيها، وَثب أهل النِّيل[1] على الشِّحنة بها، فقتَلُوه لكونه أساء السِّيرة فيهم، وكان يَهْجم على نِسائهم ويَفْتك بهن، فتألموا إلى الخَلِيفة والوزير وصاحب الديوان، وأنهَوا حاله فلم يُلْتَفَت إليهم، ولا أُنكِرت الحالُ عليه، فلما انتهى قَتْله إلى الخليفة، أمرَ الأمير سيف الدين قَلِيج بالمَسِير إليهم ومؤاخذة من فَعَل ذلك، فسارَ إليهم وأخذ جماعةً، فقتَلَ منهم وصَلَّبَ وقَطَع أعصابَ آخرين وأيديهم، وأحْرَقَ دوراً كثيرة ونهبَ أموال أصحابها.

وفيها، وقعت القُبّة الخضراء المُجاورة لجامع المَنْصور[2]، وهي من الأبنية القَدِيمة، أنشأها الخليفة المنصور لَمّا عَمَّرَ مدينتَهُ، وكانت عالية ينظرُ الجالسُ منها مَن يخرج من الأنْبار. وكان المنصور يجلس فيها مُتَنَزِّهاً، وما زال الخُلفاء يجلسون فيها للفُرْجة إلى أيام الرَّشيد، ثم هُجِرَت وصارت مأوى للبُوم والغِرْبان، وكان بعضُ الفُقراء قد جاورَ في جامع المنصور فقال فيها لَمّا رأى ما آلت حالها إليه:

يا بُومة القُبّة الخَضْراء قد أنست ... رُوحي بروحك إذ يُسْتَبْشَع البُومُ
زهِدت في زُخْرِف الدُّنيا فاسكنك الـ ... ـربع الخَرَاب فمن يذْممك مَذْمُومُ

وفي آب، كان غَيْم ورَعْدٌ وبَرْقٌ وغَيْث، وغَلَت الأسعار ببغداد.

وفي هذه السنة، اتفقت أمور عَجِيبة وحوادث غريبة، قد ذكرناها:

= وقبلته وقلت في ذلك (ثم ذكر البيتين المنسوبين لابن أبي الحديد فكأنه استشهد بهما).

(١) بليدة في سواد الكوفة، ونهر النيل حفره الحجاج وسماه بنيل مصر.

(٢) ذكر صاحب «العسجد المسبوك» وقوع القبة ضمن حوادث سنة ٦٥٤ (ص٦١٥).

منها الغَرَق العام الذي أخْرَب أكثر بَغْداد لاسيما دار الخلافة، والدُّور الشَّطّانية من الجانبين، وانتقال النَّاس من دُورهم وتضاعف أُجرة المَساكن الشَّعثة في أطراف البلد. وغَلَت الأسعار وتَعَذَّرت الأقوات، وغَرقت نواحي دُجَيل، ونهر عيسى، ونهر مَلِك[1]، والأعمال الفُراتية: عانة والحديثة وهيت والأنبار والحِلّة والكُوفة وقُوسان، وذهبت الزُّروع، وتلفت الأشجار، وتَهَدَّمت الجوامع والمساجد، كجامع المنصور وهو أول جامع وُضِعَ ببغداد، ورباط الزَّوزني المُجاور له، والقُبَّة الخَضْراء، وجامع المهدي بالرُّصافة، ومَشْهد عُبيدالله، والرِّباط المَنْسوب إليه، وجامع السُّلطان[2]، وجامع القصر، ورباط دار الذهب بعقد المُصْطَنع، وبعض مَسْجد قُمْرية بالجانب الغربي، وحائط رواق المدرسة النِّظامية، وعدة مساجد. وقيل: إن رجلاً ثقةً تصدَّى لإثبات ما تهدم من الدور في الجانبين، وكان مبلغهما، اثني عشر ألف دار وست مئة[3] ونَيِّفاً وسبعين داراً.

---

(١) تحرف في المطبوع إلى: «الملك».

(٢) منسوب إلى السلطان ملكشاه الأول بن ألب أرسلان السلجوقي (المتوفى سنة ٤٨٥)، وكان قد أمر ببنائه في محرم ذلك العام، وبعد وفاته بقي البناء ناقصاً حتى استأنفه بهروز الخادم الأبيض سنة ٥٠٢ وأنشأ فيه مدرسة كبرى لتدريس الفقه الحنفي، قال مختصر «مناقب بغداد»: «وتقدم ملكشاه ببناء خانات للباعة هناك وسوق ودروب وبنى جامعاً هناك (مناقب بغداد، والمنتظم ٩/ ٦٠). ويُعد هذا الجامع من مضافات دار السلطنة السلجوقية التي أنشأها طغرلبك السلجوقي، في محلة كبيرة سميت بالمحرم، وهي اليوم محلة العلوازية، لذلك نرجح أن تكون مقبرة الجامع هي النواة التي اتسعت حولها مقبرة باب المعظم الحالية.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «وثلاث مئة».

ثم تلا ذلك الحروب بين عوام بَغْداد، وظهور العيارين وقوة شأنهم وأخذهم أموال الناس والفتك بهم، وما جرى بين أهل الرُّصافة ومحلة أبي حنيفة والخُضَيريين من القَتْل والجراحات، وبين أهل محلة المُسْتَعصمية[1] والجعفرية[2]، ودرب زاخل والقنويين[3]، وسوق المدرسة وأهل المَشْرعة. وسُفِكَ بين هؤلاء دماءٌ كثيرة، وأفرط أهلُ الكَرْخ في ذلك حتى تقدم الخليفةُ بنهبهم[4] وإحراق دُورهم إلى غير ذلك.

وما جرى للدويدار الصَّغير مجاهد الدين أيْبك والوزير مؤيد الدين ابن العَلْقَمي، وانضمام أكثر المماليك الأتراك إلى الدُّويدار، والوَقْعة بينهم وبين الوزير حتى كادت الفتنة تَنْتَشر بينهم ويتعدى ضَرَرها إلى الناس.

ثم ظهور النَّار بأرض الحجاز بالقرب من مدينة الرسول ﷺ ودوامها وكونها تأكل الحِجارة وتَذَر الخَشَب والشَّجَر. ثم تلا ذلك أن زُلْزِلت المدينة وارتج لها المِنْبر الشريف وتحركت سَلاسل قَناديل

---

(١) لم نقف على موقع هذه المحلة، ولا نعرف لها ذكراً إلا في هذا الخبر.

(٢) قال ياقوت: «منسوبة إلى جعفر، محلة كبيرة مشهورة في الجانب الشرقي من بغداد».
قلنا: وهو الأمير جعفر ابن المقتدي المتوفى سنة ٤٨٦هـ، قال ابن الأثير في ترجمته: «وإليه تنسب الجعفريات» يعني المحلة الجعفرية. ويصعب تحديد موقع هذه المحلة، لقلة النصوص الخططية بشأنها، إلا أننا نعلم بوجود مقبرة على بابها، وأن مشهداً يسمى «مشهد البرمة» كان يقع في أرضها (تلخيص مجمع الآداب ج٤ق١ص٣٣٥ و٤٣٠ وق٢ص٦٦٥).

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «العنوتين»، ولعلها محلة خاصة بالرمّاحين.

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «بينهم».

الحُجرة الشريفة واضطربت. ثم عَقِيب ذلك وقع حَرِيقٌ في أول ليلة من شهر رمضان في حَرَم الرسول ﷺ أتَى على جَميعه وأحرقَ المنبر النَّبوي الذي كانَ يَرْقَى عليه ﷺ ويخطب، وانهدَمَ أعالي الحُجرة الشريفة، نسأل الله تعالى عفوه ورحمته ورضوانه.

سنـــة

خمس وخمسين وست مئة

في هذه السنة رحلَ السُّلطان هولاكوقان من هَمَذان نحو العراق، فلما اتصل ذلك بالخليفة المُسْتَعصم شاورَ وزيرَهُ مؤيد الدين ابن العَلْقَمي فيما ينبغي فِعْله، فأشارَ ببذل الأموال وحَمْلها إليه، مع التُّحف الكثيرة والأشياء الغريبة والأعلاق النَّفيسة. فلما شرعَ في ذلك ثناه الدُّويدار وغيره، وقالوا: إنَّ غرض الوزير تَدْبير حاله مع السُّلطان، فوافقهم، واقتصر على إنفاذ شيءٍ يسير مع شرف الدين عبدالله ابن الجَوْزي، فلما وصل إليه أنكر ذلك، وأرسل إلى الخَلِيفة يطلب إما الدُّوَيدار الصغير أو وَلَد الدُّويدار الكبير أو سُلَيْمان شاه، فلم يفعل، وأرسل شرف الدين ابن الجوزي، يعتذر عن ذلك، فسارَ السُّلطان حينئذٍ نحو بغداد، وأمرَ الأمير سوغو نجاق أن يسير بقطعةٍ من الجُيوش على إرْبل، ويعبر دجلةَ ويجتمع بالأمير بايجو، ويقصدان بَغْداد من غربي دجلة، ففعل، وسار السُّلطان في باقي الجيوش. فلما بلغَ الخليفة مسير أمرَ الدُّويدار أن يخرج من بغداد بالعساكر، فخرجَ ونزلَ قريباً من بَعْقوبا، فلما بلغه وصول سوغو نجاق وبايجو عبرَ دجلة، ونزل حيال حَرْبَى، وأرسل أميراً يُعرف بأيبك الحَلَبي في مُقَدِّمته، فمضَى واتصلَ ببايجو وأقبل بين يدي العَسْكر يُعَرِّفهم الطرق ويَهْديهم. فلما عَبَرَ

الدُّويدار دجلة أمرَ الخليفة مُرْشداً الخَصِي المَنْسوب إلى إقبال الشَّرابي أن يخرج في باقي العساكر[1] للقاء السلطان بخانقين، فامتنع الأمراء من المسير تحتَ لوائه.

وكان الخليفةُ قد أهمل حالَ الجُنْد ومَنَعَهُم أرْزَاقَهم وأسقطَ أكثرهم من دَسَاتير ديوان العَرْض، فآلت أحوالهم إلى سؤال الناس وبَذْل وجوههم في الطَّلَب في الأسواق والجوامع، ونَظَمَ الشُّعراء في ذلك الأشعار، فمما قاله المَجْد النَّشَّابِيُّ من قصيدةٍ[2]:

يا سائلي ولمحض الحق يَرْتَاد ... أصـخ فعنـدي نشـدان وإنشـادُ
واسمع فعندي روايات تُحقِّقها ... درايــةً وأحــاديــث وإسنــادُ
فَهْم ذكـي وقَلْـب حـاذق يَقِـظ ... وخــاطــر لنفــوذ النَّقْــد نَقّـادُ
عن فتية فَتَكُوا في الدين وانتهكوا ... حِماه جَهّلاً[3] بـرأي فيـه إفسادُ
إذا ترامَت أُمور النَّاس ليسَ لهم ... فيهــا رُواء ولا حَــزْم وأنجــادُ

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «العسكر».

(٢) نسبها صاحب «العسجد المسبوك» لعبد القاهر ابن الفوطي -وكان يومئذٍ كاتب ديوان العرض، وأيد ذلك الدكتور مصطفى جواد فيما بعد، بل عَدّ من أوهام صاحب هذا الكتاب نسبتها للمجد النشابي (مجلة المجمع العلمي العراقي م٦ص٤٣٢- بغداد ١٩٥٩) وليس هناك من دليل أنها ليست للنشابي، فالنشابي هذا هو مجد الدين أسعد بن إبراهيم بن الحسن الكاتب الإربلي المولود سنة ٥٨٢هـ استوطن بغداد وكان أحد شعراء الديوان، وسلم من الوقعة سنة ٦٥٦ لكنه توفي في أواخر سنة ٦٥٦بها -كما وجدناه بخط الصفدي في تعليقه على عقود الجمان-، وقد ذكره ابن الشعار في عقوده، وقال: «وكان شاعراً بذيء اللسان، مقداماً على الهجو والسب، ذا أهاج سخيفة وذم فاحش، كثير التعرض بأرباب الدولة وأصحاب المناصب. . .» (١/ الورقة ٥٢٢-٥٢٣)، فمثل هذا أولى أن تنسب إليه هذه القصيدة.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «حملاً».

أمـا الـوزيـر فمشغـول بعنبـره | والعــارضــان فَنَسَّــاجٌ ومَــدَّادُ
وحاجب الباب طوراً شارب ثَمل | وتــارة هــو جنكــي وعَــوَّادُ
وابنُ عباسَ[1] مُغْرَى باللواط له | فــي كــل نــاحيــة عِلْـق وقَـوَّادُ
وشيخُ الاسْلام صدر الدين همته | مقصورة لحطام المال يَصْطادُ[2]
نمتـه فـي اللـؤم آبـاء سـواسيـة | ماسودوا في الورى يوماً ولاسادوا
لكنمـا الفَلَـك الـدَّوّار دارَ علـى | كـروره لـم يَكُنْهـا قـط يَعتـادُ
إن جئتَ يثربَ أو شارفتَ ساحتَها | فقل لمن أُنْزِلَت في حقه صاد
الكُفْر أضرمَ في الإسلام جَذْوَته | وليسَ يُرْجَى لنار الكُفْر إخماد
واضيعـة المُلْك والدِّين الحَنِيف وما | تَلْقَاه من حادِثاتِ الدَّهْر بَغْدادُ
أيـن المَنِيّة مني كـي تُسـاورنـي | فلِلْمَنِيَّــــةِ إصــــدار وإيــــرادُ
مـن قَبْـل واقعـةٍ شَنْعـاء مُظْلِمَـة | يشيب من هولها طِفْل وأكباد

وأمـا السُّلطـان فـإنـه سـارَ نحـو بغـداد بجيـوش تمـلأ الفَضَـاءَ، واستصحبَ آلات الحِصار وغيرَها، وأجفل أهلُ السَّواد من بين يديه إلى بغداد، حتى امتلأت شوارعُها، فضاقَت على سَعتها[3] عنهم، فَقَعدوا في الطُّرقات والدَّكاكين، وغَلَت الأقوات، ووقع النَّاسُ في الخَوْف الشَّديد والويلِ العظيم، ذكر بعض أصحاب الوزير مؤيد الدين ابن العَلْقَمي أنه سمعه يوماً ينشد من شعره:

(١) في العسجد المسبوك: «ومشرف الدست»، فكان مشرف الدست هذا هو ابن عباس، وهو منصور بن عباس الدجيلي.
(٢) في العسجد: «لحطام السحت تصطاد»، ويريد هنا: ابن النَّيّار.
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «وسعتها».

كيفَ يُرْجَى الصَّلاح من أمرِ قَوْمٍ ضَيَّعُـوا الحَـزْمَ فيـه أي ضَيـاعِ
فَمُطـاعُ الكـلامِ غيـر سَـدِيـد وسَـديـدُ المقـال غيـر مُطـاعِ

وفي شوال، نُدِبَ العَدْل نجم الدين عبدالله ابن البادرائي إلى القضاء وهو مريض، فاستعفى فلم يُعْف، واستدعي إلى دار الوزير فحضر بين غِلْمانه وهو ضَعِيف عن الحركة والكلام، فَخُلِعَ عليه وشُوفه[1] بالقضاء، فركب إلى جامع الخليفة وجلسَ في القُبّة، وقرأ تقليده على المِنْبر، ثم خرجَ وجلسَ في منصب القَضَاء، وحكمَ وسَمعَ البَيّنة وكتبَ الإنهاء، ولم يجلس بعد ذلك، وانقطع في بيته تسعة عشر يوماً، وتوفي. وقيل: إن وَلَده شَهِدَ عنده فَقَبل شهادته وقال: أنا أعرف بولدي ولا احتاج مع علمي به إلى مُزَكٍ. وكان رحمه الله عالماً فاضلاً مُحَققاً، رُوسل به مُلوك الشام ومصر، وبَنَى بدمشق مدرسةً للشافعية، ووقفَ عليها وقُوفاً كثيرةً. وكان كثير الصَّدَقات، أوصى أن يُدْفَن في الشُّونيزي، فدُفِنَ هناك[2]. وتُقُدِّم بإحضار القاضي نظام الدين عبدالمنعم البَنْدَنِيجي من قضاء الجانب الغربي، وشُوفه[3] بقضاء القضاة، وخُلِعَ عليه، وولي بعده في الجانب الغربي عز الدين أحمد بن محمود الزَّنْجاني.

---

(1) تحرفت في المطبوع إلى: «وشرفه».

(2) ذيل الروضتين ١٩٨، وصلة التكملة للحسيني ٢/الورقة ٣١، ومختصر التاريخ لابن الكازروني ٢٧٨-٢٧٩، وذيل مرآة الزمان ١/ ٧٠، وتاريخ الإسلام، للذهبي، الورقة ١٣٩ (أيا صوفيا٣١٠١٣)، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٣٢، وطبقات السبكي ٨/ ١٥٩ وغيرها.

(3) تحرفت في المطبوع إلى: «وشرفه».

وفيها، تُوفِّي الشيخ عماد الدين محمد[1] ابن الشيخ شهاب الدين السُّهْرَوردي، ورُتِّب بعده شيخاً برباط المأمونية ابنُهُ جمالُ الدين عبدالرحمن.

(١) تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ١٢٣٠، وتاريخ الإسلام للذهبي، الورقة ١٤٣ (من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٣).

سنة
ست وخمسين وست مئة

ذكرنا في سنة خمس وخمسين مسير السُّلطان هولاكوقان من بلاده نحو بغداد، وأنه أمر الأمير بايجو بالمَسير إلى إرْبل وأن يَعْبر دجلة ويسير إلى بغداد من الجانب الغربي، ففعلَ ذلكَ، فلما بلغ الخليفة وصوله تقدم إلى الدُّويدار الصغير مجاهد الدين أيْبَك وجماعة من الأُمراء بالتوجه إلى لقائه، فعَبَروا دجلةَ فلما تجاوزوا قَنْطَرة باب البَصْرة[1] بفرسخٍ واحد رأوا عَسَاكر المغول قد أقْبَلت كالجراد المُنْتَشر، فالتقوا واقتتلوا يوم الأربعاء تاسع المُحَرَّم، فانكسرت عَسَاكر المَغُول قَصْداً وخَدِيعة، فتبعهم الدُّويدار وقَتَلَ منهم عدة كثيرة وحمل رؤوسَهم إلى بغداد، وما زال يتبعهم بقية نهاره، فأشار عليه الأمير فَتْح الدين بن كُرّ[2] بأن يثبت مكانه ولا يتبعهم، فلم يصغ إليه، فادركه الليل وقد تجاوز نهر بَشِير بين دُجَيْل، فباتوا هناك. فلما اصبحوا حَمَلت عليهم عساكر المغول وقاتلوهم قِتَالاً شديداً، فلم يَثْبت عساكر الدويدار،

---

(١) كانت هذه القنطرة تقع على نهر الصراة في الجنوب من المدينة المدروة.

(٢) هو فتح الدين أبو المظفر الحسن بن محمد بن كُر بن محمد بن موسك الشيباني الكردي، كان من الأمراء الأكابر، وقد قتل في هذه الوقعة حينما لم يسمع الدويدار نصيحته. (وانظر تلخيص مجمع الآداب ٤/الترجمة ١٨٦٩، وجامع التواريخ وغيره).

فانكسروا وكَرُّوا راجعين إلى بغداد، فوجدوا نهر بَشِير قد فاضَ من الليل وملأ الصَّحْراء، فعجزت الخُيول عن سلوكه ووحلت فيه، فلم يخلص منه إلا من كانت فرسه شَديدة، وألْقى معظم العَسْكر نَفْسَه في دجلة فهلك منهم خَلْق كثير، ودخلَ من نجا منهم بغداد مع الدُّويدار على أقبح صُورة، وتبعهم الأمير بايجو وعسكره يَقْتلون فيهم، وغنموا سوادهم وكل ما كانَ معهم، ونزلوا بالجانب الغربي، وقد خلا من أهله، فشرعوا بالرَّمي بالنشاب إلى الجانب الشرقي، فكانت السِّهام تصل إلى الآدُر الشَّطّانية، وكان الخليفة جالساً في رواقه وبين يديه صغيرة من مولّدات العرب تسمى «عَرَفة» كانت مُدَلَّلة مَطْبوعة مُضْحكة، فأصابها سَهْم دخل من بعض الشَّبابيك فقتلها، فانزعجَ الخليفة لذلك وأحضرَ السَّهْم بين يديه، فإذا عليه مكتوب: «إذا أرادَ اللهُ أن ينفذ قضاءَه سَلَب ذوي العقول عقولَهم»، فأمر عند ذلك بعمل ما يحول بين شَبَابيك الدَّار وبين الرُّماة، فعملت ستائر من ألواح الخشب.

وأما السُّلطان هولاكوقان فإنه وصلَ إلى ظاهر بَغْداد في ثاني عشر المحرم في جيش لا يُحصى عدده ولا ينفذ مَدَده، وقد أُغْلقت أبواب السُّور، فعرفَ بذلك ضعفهم عن لقائه، فأمر بحفر خَنْدق، فحُفِرَ وبُنِيَ بترابه سور محيط ببغداد وعُمِلَ له أبواب ورُتّب عليها أمراء المغول، وشَرَعوا في عمل ستائر للمناجيق ونَصَبوا المَنَاجيق والعَرَّادات، واستظهروا غايةَ الاستظهار، والنَّاسُ يُشاهدون ذلك من السُّور، وقد نَصَبوا أيضاً عليه المَنَاجيق إلا أنها لم تصح ولا حَصَل بها انتفاع. ثم إنَّ السُّلطان أمرَ بعقد جَسْر تحتَ بَغْداد ليمنع من يَنْحدر إلى واسط، فَعُقِدَ

تحت قرية العقاب[١] ، ولم يعلم أهل بغداد به فكانت السُّفن تصل إليه فيُؤخذ مَن بها، ويُقتَل، فَقُتِلَ عنده خَلْقٌ كثير، فلما كان اليوم الرابع عشر من المُحرم، خرجَ الوزير مؤيد الدين ابن العَلْقَمي إلى خِدْمة السُّلطان في جماعةٍ من مماليكه وأتباعه، وكانوا ينهون الناس عن الرَّمي بالنّشاب ويقولون: سوف يَقَع الصُّلح إن شاء الله فلا تحاربوا. هذا وعساكر المَغُول يُبالغون في الرَّمي وقد اجتمع منهم خَلْق كثير على بُرْج العَجَمي[٢] الذي عن يمين باب سور الحَلبة[٣] ، ونصبوا عليه المَنَاجيق، وواصلوا الرَّمي بالحجارة، فَهَدموه وصَعدوا على السُّور في اليوم الحادي والعشرين من المُحرم، وتمكنوا من البَلَد، وأمسكوا عن الرَّمي، وعاد الوزير إلى بغداد يوم الأحد سابع عِشْري[٤] من المحرم وقال للخليفة: قد تَقَدَّم السُّلطان أن تخرجَ إليه، فأخرجَ ولدَهُ الأوْسط وهو أبو الفضل عبدالرحمن في الحال فلم يقع الاقتناع به، فخرجَ

(١) العقاب: يفهم مما ذكره رشيد الدين الهمذاني في «جامع التواريخ» (الملجد ٢ الجزء الأول ص٢٨٨) أن قرية العُقاب هذه كانت على طريق النازل «على طريق المدائن والبصرة»، والعقاب إذن قرية على دجلة، قبل المدائن. وينطبق هذا الوصف على الجزيرة التي كانت معروفة، إلى أمد قريب، بالعكابية، وتقع في نواحي الدورة، بين بغداد والمدائن.

(٢) برج العَجَمي: هو برج كبير في سور بغداد، قريب من باب الحلبة في الزاوية الغربية الجنوبية منه. وقد اشتهر هذا البرج باتخاذ الشيخ عبدالقادر الكيلاني إياه رباطاً له (ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٢٩١).

(٣) هو المعروف بالباب الوسطاني.

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «عشر»، وتأمل المدة التي قضاها الوزير عند هولاكو وهي قرابة الأسبوعين، فضلاً عن أن أصحابه كانوا يمنعون أهل بغداد من قتال المغول!

الخليفةُ والوزير في يوم الاثنين ثامن عِشْري المُحرم ومعه جمع كثير، فلما صاروا ظاهر السور مَنَعُوا أصحابه من الوصول معه، وأفردوا له خَيْمة وأُسكن بها. وخرج مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير، وشهاب الدين سُلَيْمان شاه وسائر الأُمراء في أول صَفَر، وخرج ابن الخليفة الأكبر أبو العباس أحمد يوم الجمعة ثاني صَفَر، ثم دخل الخليفة بغداد يوم الأحد رابع صَفَر ومعه جماعة من أُمراء المغول وخواجه نصير الدين الطُّوسي فأخرج إليهم من الأموال والجواهر والحُلي والزَّرْكش والثِّياب وأواني الذَّهَب والفِضّة والأعْلاق النَّفِيسة جملةً عظيمةً، ثم عاد مع الجماعة إلى ظاهر السُّور بقية ذلك اليوم، فأمرَ السُّلطان بقتله، فقُتِلَ يوم الأربعاء رابع عشر صفر ولم يهرق دمه بل جُعِلَ في غرارة ورُفِسَ حتى مات، ودُفِنَ وعُفِيَ أثر قَبْره، وكان قد بلغ من العمر ستاً وأربعين سنة وأربعة أشهر، وكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً.

ثم قُتِلَ ولده أبو العباس أحمد، وكان مولده سنة إحدى وثلاثين وست مئة، وله من الأولاد أبو الفضل محمد ورابعة وهي التي تزوج بها خواجه هارون ابن الصاحب شمس الدين الجُويني، ومولدها يوم عيدالنحر سنة خمس وخمسين، واختها ست الملوك.

ثم قُتِلَ ابن الخليفة الأوسط أبو الفضل عبدالرحمن، ومولده سنة ثلاث وثلاثين وله من الأولاد أبو القاسم محمد، وبنت واحدة.

وأما ولد الخليفة الأصغر مُبارك وأخواته فاطمة وخديجة ومريم

فإنهم لم يُقتلوا بل أُسِروا.

ثم عُيِّن على بعض الأُمراء فدخل بغداد ومعه جماعة ونائب أستاذ الدار ابن الجوزي وجاءوا إلى أعمام الخليفة وأنسابه الذين كانوا في دار الصَّخْر ودار الشَّجَرة، وكانوا يُطْلَبون واحداً بعد واحد فيخرج بأولاده وجواريه فيُحْمل إلى مَقْبَرة الخَلّال[1] التي تجاه المنظرة[2] فيُقْتَل، فقُتِلوا جميعهم عن آخرهم.

ثم قُتِلَ مُجاهد الدين أيبك الدُّويدار الصَّغير، وأمير الحاج فَلَك الدين محمد ابن علاء الدين ألطبرس[3] الدُّويدار الكبير، وشهاب الدين سُليمان شاه ابن برجم، وفَلَك الدين محمد بن قَيْران الظَّاهري، وقُطب الدين سَنْجر البَكْلكي الذي كان شِحْنة بغدادوحج بالناس عدة سنين، وعز الدين أبقرا شحنة بَغْداد أيضاً، ومحيي الدين ابن الجوزي أستاذ الدار وولده جمال الدين عبدالرحمن، وأخوه شرف الدين عبدالله، وأخوه تاج الدين عبدالكريم، وشيخ الشيوخ صدر الدين علي بن النَّيّار، وشَرَف الدين عبدالله ابن أخيه، وبهاء الدين داود بن المختار، والنَّقيب

---

(١) مقبرة الخَلَّال: هي المقبرة المنسوبة إلى دفينها الشيخ عبدالعزيز بن جعفر بن أحمد، أبي بكر، المعروف بغلام الخلال، من كبار علماء الحنابلة، وكانت وفاته سنة ٣٦٣هـ، وقد تحرف اسم المقبرة، في العصور التالية، إلى (الخلاني) ولما تزل تعرف بهذا الاسم.

(٢) هي منظرة الحلبة التي وصفها ياقوت بقوله: «موضع مُشرف يُنظر منه، وهي منظرة محكمة البنيان في وسط السوق في آخر محلة المأمونية ببغداد قرب الحلبة، كان أول من بناها المأمون وكانت في أيامه تشرف على البرية، والآن هي في وسط البلد». قلنا: ويوافق هذه المنظرة، حالياً: ساحة الخلاني أو قسم منها.

(٣) تحرف في المطبوع إلى: «الطبرسي».

الطاهر شمس الدين علي بن المختار، وشرف الدين محمد بن طاووس، وتقي الدين عبدالرحمن ابن الطَّبّال وكيل الخليفة.

وأُمِرَ بحمل رأس الدويدار، وابن الدويدار الكَبير، وسُليمان شاه إلى المَوْصل، فَحُمِلَت وعُلِّقت ظاهر سور البلد.

ووُضِعَ السَّيف في أهل بغداد يوم الاثنين خامس صَفَر وما زالوا في قَتْل ونَهْب وأسْرٍ وتَعْذيب الناس بأنواع العَذَاب واستخراج الأموال منهم بأليم العِقاب مدة أربعين يوماً، فقتلوا الرِّجال والنِّساء والصِّبيان والأطفال، فلم يبق من أهل البلد ومن التجأ إليهم من أهل السَّواد إلا القليل، ما عدا النَّصارى فإنهم عُيِّن لهم شحان حَرَسُوا بيوتهم، والتجأ إليهم خَلْق كثير من المُسلمين فسلموا عندهم. وكان ببغداد جماعة من التجار الذين يسافرون إلى خراسان وغيرها قد تَعَلَّقوا من قبل على أمراء المغول وكُتِبَ لهم فَرَامين، فلما فُتِحَت بغداد خَرَجوا إلى الأمُراء وعادوا ومعهم من يحرس بيوتهم والتجأ إليهم أيضاً[1] جماعة من جيرانهم وغيرهم[2] فسلموا، وكذلك دار الوزير مؤيد الدين ابن العَلْقَمي، فإنه سلم بها خَلْق كثير، ودار صاحب الديوان ابن الدَّامَغاني، ودار حاجب الباب ابن الدَّوامي، وما عَدَا هذه الأماكن فإنه لم يسلم فيه أحد إلا من مَن كانَ في الآبار والقَنَوات.

وأُحْرِقَ معظم البلد وجامع الخَلِيفة وما يجاوره، واستولى الخَراب

(١) في المطبوع: «أيضاً، إليهم»، وليس بشيء.

(٢) سقطت من المطبوع.

على البَلَد، وكانت القتلى في الدُّروب والأسواق كالتُّلول، ووقعت الأمْطار عليهم ووطئتهم الخُيول، فاستحالت صُورهم وصاروا عِبْرة لمن يَرَى، ثم نُودي بالأمان، فخرجَ من تَخَلَّف وقد تَغَيَّرت ألوانهم وذهلت عُقولهم لما شاهدوا من الأهوال التي لا يُعَبَّر عنها بلسان، وهم كالمَوْتى إذا خرجوا من القُبور يوم النّشور من الخَوْف والجُوع والبَرْد.

وأما أهل الحلة والكُوفة فإنهم انتزحوا إلى البَطَائح بأولادهم وما قَدروا عليه من أموالهم، وحَضر أكابرهم من العلويين والفُقهاء مع مجد الدين بن طاووس العَلَوي إلى حَضْرة السُّلطان وسألوه حَقْن دمائِهم فاجابَ سؤالهم، وعَيَّن لهم شحنة فعادوا إلى بلادهم وأرسلوا إلى مَن في البطائح من الناس يُعَرِّفونهم ذلك، فحضروا بأهلهم وأموالهم، وجمعوا مالاً عظيماً وحَملوه إلى السُّلطان فَتَصَدَّق عليهم بنفوسهم.

وأما واسط فإن الأمير بغاتمر انحدر إليها[1] بعساكره وانتهى فيها إلى قَريب البَصْرة، فَقَتلَ ونَهَب وسَبَى، وكان الولاة والنُّقباء وأكبار الناس قد انحدروا بأهلهم وأموالهم إلى البَصْرة والبطائح فَسَلِموا.

قيل: إنَّ عِدة القَتْلَى ببغداد زادت على ثمان مئة ألف نفس عدا من ألقي من الأطفال في الوُحول ومن هَلَكَ في القني والآبار وسَرَاديب المَوْتى جُوعاً وخَوْفاً، ووقع الوَباء فيمن تخلَّف بعد القَتْل من شَم روائح القَتْلَى وشُرب الماء الممتزج في الجِيَف. وكان النَّاسُ يُكثرون من شم البصل لقوة الجيفة وكثرة الذُّباب فإنه ملأ الفضاء، وكان يسقط على

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «عليها».

المطعومات فيفسدها. وكان أهل الحلة والكُوفة والسِّيب يجلبون إلى بغداد الأطعمة، فانتفع النَّاسُ بذلك، وكانوا يبتاعون بأثمانها الكُتُب النَّفيسة والصُّفر[1] المُطَعَّم وغيره من الأثاث بأوهى قيمة، فاستغنَى بهذا الوَجْه خَلْق كثيرٌ منهم.

ورحلَ السُّلطان من بغداد في جُمادى الأولى عائداً إلى بلاده ومقر مُلْكه، وفَوَّض أمر بغداد إلى الأمير علي بهادر وجعله شحنة بها، وإلى الوزير مؤيد الدين ابن العَلْقَمي، وصاحب الديوان فخر الدين ابن الدَّامَغاني، ونجم الدين أحمد بن عِمْران وهو من أهل باجِسرى[2] كان يَخْدم في زمن الخليفة عاملاً، فاتصلَ الآن ببعض الأُمراء، وحَضَر بين يدي السُّلطان، وأنْهَى إليه من حال العراق ما أوجبَ تَقْديمه وتَشْريفه وتَعْيينه في الأعمال الشَّرْقية، وهي: الخالص وطريق خُراسان والبَنْدَنيجين، وأن يتفق مع الوزير وصاحب الدِّيوان في الحُكْم ولُقِّب المَلِك، ونجم الدين عبدالغني بن الدَّرْنوس، وشرف الدين العَلَوي المعروف بالطَّويل. وكان تاج الدين على ابن الدَّوامي حاجب الباب قد خرجَ مع الوزير إلى حَضْرة السُّلطان، فأمرَ له أن يكون صَدْرَ الأعمال الفُراتية، فلم تَطُل مدته وتوفي في ربيع الأول، فجعل ولده مجد الدين حُسين عوضه. وحضر أقضى القضاة نظام الدين عبدالمنعم البَنْدَنيجي بين يدي السُّلطان فأمر بأن يُقَرَّ على القضاء.

فلما عادَ الوزير والجماعة من خدمة السُّلطان قرروا حالَ البلاد،

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «صفر».

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «باجسر»، وهي قرية من بعقوبا.

ومَهَّدُوا قواعدَها وعَيَّنوا بها الصُّدور والنُّظّار والنُّوّاب، فعينوا سراج الدين ابن البَجَلي[1] في الأعمال الواسطية والبَصْرية، ونجم الدين بن المُعين صَدْر الأعمال الحِلّية والكُوفية، وفخر الدين مُبارك ابن المُخَرِّمي صدر دُجَيْل والمُسْتَنْصري، وعز الدين بن أبي الحديد كاتبَ السَّلّة، فلم تطل أيامه وتوفِّي، فَرُتِّب عوضه ابن الجَمَل النَّصْراني، وعزَّ الدين ابن الموسوي العَلوي نائبَ الشُّرطة، والشيخ عبدالصمد بن أبي الجيش إمام مسجد قُمْرية خازنَ الديوان. ورتبوا في جميع الأعمال نُواباً وشَرَعوا في عمارتها.

فتوفي الوزير مؤيد الدين محمد ابن العَلْقَمي في مُستهل جُمادى الآخرة، ودُفِنَ في مَشْهد موسى بن جعفر -عليه السلام- فأمرَ السُّلطان أن يكون ابنُه عز الدين أبو الفضل وَزيراً بعده. ووصل الأمير قَرَاغا بعد ذلك إلى بغداد، وعَيَّنَ عماد الدين عُمر بن محمد القَزْويني نائباً عنه، فكان يحضر الدِّيوان مع الجماعة وكان ذا دين ومرؤة، عَيَّنَ على شهاب الدين بن عبدالله صَدْراً في الوقوف، وتَقَدَّم إليه بعمارة جامع الخليفة، وكان قد أُحْرِق كما ذكرنا، ثم فَتَحَ المدارس والرُّبط، وأثبت الفُقهاء والصُّوفية وأَدَرَّ عليهم الأخباز والمُشَاهرات، وسُلِّمَت مفاتيح دار الخليفة إلى مجد الدين محمد ابن الأثير، وجُعِلَ أمر الفَرَّاشين والبَوَّابين إليه. وتقدم للجاثليق بسُكْنَى دار علاء الدين ألطبرس[2] الدويدار الكَبير

---

(١) هو سراج الدين علي ابن البجلي، قتله المغول بعد استخدامه، كما في «العسجد المسبوك».

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «الطبرسي».

التي على شاطىء دجلة فسكنها، ودق الناقوس على أعلاها، واستولى على دار الفَلَك التي كانت رباطاً للنِّساء تجاه هذه الدار المذكورة، وعلى الرِّباط البَشيري[1] المُجاور لها، وهَدَم الكِتابة التي كانت على البابين، وكَتَبَ عوضها بالسّرياني!

ولقد قال الشعراء في واقعة بغداد أشعاراً كثيرة، منها ما قاله شمس الدين محمد بن عُبيدالله الكوفي الواعظ:

بانُوا ولي أدمع في الخَدِّ تَشْتَبِكُ ... ولوعةٌ في مجال الصَّدْر تَعْتَرِكُ
بالرُّغم لا بالرِّضا مني فراقُهم ... ساروا ولم أدر أيَّ الأرض قد سَلَكوا
يا صاحبي ما احتيالي كان بعدَهُمُ ... أشِرْ عليَّ فإنَّ الرأي مُشْتَرِكُ
عَزَّ اللقاءُ وضاقت دونه حِيَلي ... فالقلبُ في أمره حَيْران مرتبكُ
يَعُوقني عن مُرادي ما بُليتُ به ... كما يَعُوق جَناحي طائر شركُ
أروم صَبْراً وقَلْبي لا يُطاوعني ... وكيفَ يَنْهضُ من قد خانَه الوركُ
إن كُنتَ فاقد إلْفٍ نُح عليه معي ... فإننا كُلّنا في ذاكَ نشتركُ
يا نَكْبةً ما نَجَا من صرفها أحدٌ ... من الوَرَى فاستوى المملوكُ والمَلِكُ
تَمَكَّنتْ بعد عِزٍ في أحبتنا ... أيْدي الأعادي فما أبْقوا ولا تَرَكوا
لو أنَّ ما نَالهم يُفْدَى فديتهم ... بمُهْجَتي وَبِما أصْبَحت امتَلِكُ
رَبْع الهِدَاية أضْحَى بعد بُعدهم ... معَطَّلاً ودم الإسلام مُنْسَفِكُ
أينَ الذين على كل الوَرَى حَكَمُوا ... أينَ الذين اقتنوا أين الأُولَى ملكُوا
وقفتُ من بَعْدِهم في الدَّار أسألها ... عنهم وعَمّا حووا فيها وما مَلَكُوا

---

(١) تحرف في المطبوع إلى: «البشري».

أجابني الطَّلَلُ البالي ورَبْعُهم الـ ـخالي: نعم ها هنا كانوا وقد هَلَكوا
لا تَحْسَبُوا الدَّمْع ماء في الخُدود جَرَى وإنما هي رُوح الصَّب تَنْسَبِكُ

ولما شاهدَ تُرب الرُّصافة وقد نُبِشَت قُبور الخُلفاء وأُحْرِقت تلك الأماكن، وأُبرزت العِظام والرؤوس! كتبَ على بعض الحيطان:

إن تَرِد عِبْرَةَ فتلكَ بنو العبَـ ـاس حَلَّت عليهم الآفاتُ
استبيح الحَرِيم إذ قُتِلَ الأحـ ـياء منهم وأُحْرِقَ الأمْواتُ

ومما قاله أيضاً:

يا عُصْبة الإسلام نُوحوا واندبوا أسَفاً على ما حَلَّ بالمُسْتَعصِم
دَسْت الوَزارة كان قبل زَمَانه لابن الفُرات فصار لابن العَلْقَمِي![1]

ذكر من توفي من الأعيان بعد الواقعة

الوزير[2] مؤيد الدين محمد[3] ابن العَلْقَمي في جُمادى الآخرة

---

(١) ذكر الذهبي في «تاريخ الإسلام» قسماً من قصيدة نظمها تقي الدين إسماعيل بن أبي اليسر في ستة وستين بيتاً مطلعها:

لسائل الدَّمع عن بغداد أخبار فما وقوفك والأحباب قد ساروا

وخير من ترجم لشهداء الواقعة من الأمراء والقادة والزعماء والفقهاء والمحدثين والعلماء هو تاج الدين ابن الساعي مؤرخ العراق الذي نجا من هذه الواقعة، ونقله عنه صاحب «العسجد المسبوك»، والذهبي في «تاريخ الإسلام»، وابن كثير في «البداية والنهاية»، فمن أراد استزادة فعليه بها.

(٢) وقع في المطبوع: «توفي الوزير»، خطأ.

(٣) تاريخ الإسلام، الورقة ١٦٤ (أيا صوفيا٣٠١٣)، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٦٢ وفيه ذكر مصادر ترجمته، وأشار صاحب «العسجد المسبوك» إلى خيانته فقال - وكأنه ينقل

ببغداد وعمره ثلاث وستون سنة. كان عالماً فاضلاً أديباً يحب العُلماء ويسدي إليهم المَعْروف[1]، وتوفي علم الدين أحمد أخوه بعده[2].

عز الدين[3] حُسين[4] بن النيار أخو شيخ الشيوخ.

تاج الدين[5] علي[6] ابن الدَّوامي حاجب الباب في ثالث عشر ربيع الأول.

مجد الدين محمد[7] بن الحسن بن طاووس العلوي.

القاضي موفق الدين أبو المعالي القاسم[8] بن أبي الحديد المدائني في جمادى الآخرة، فرثاه أخوه عز الدين عبدالحميد بقوله:

أأبا المعالي هل سَمِعت تأوُّهي فلقد عَهدتك في الحياة سَمِيعا
عَيني بكتك ولو تطيق جوانحي وجَوارحي أجْرَت عليك نَجِيعا

= من ابن الساعي: «وكايد شدة، وتغيرت أحواله، ولم يتم له ما أراد، ولم يظن أن التتر يبذلون السيف مطلقاً فإنه راح تحت السيف الرافضة والسنة، وأمم لايُحصون، وذاق الهوان والذل من التتر» (٦٤١).

(١) في حاشية الأصل تعليق نصه: «إلا أن خيانته لمخدومه تدل على سوء أصله».

(٢) تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٨١٤.

(٣) وقع في المطبوع: «وعز الدين» والواو زائدة.

(٤) تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ١٥٠، والعسجد المسبوك ٦٤٢وغيرهما.

(٥) في المطبوع: «وتاج الدين»، والواو لا أصل لها.

(٦) تقدمت أخباره.

(٧) عمدة الطالب ١٦٨، وترجمه ابن الفوطي في الملقبين بمجد الدين من تلخيصه.

(٨) عقود الجمان ٥/الورقة ٣٠١، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٩٢، وصلة التكملة ٢/الورقة ٤٤، وتاريخ الإسلام، الورقة ١٦١ (أيا صوفيا ٣٠١٣)، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٧٤وفيه مصادر ترجمته.

أنفاً غَضبت على الزَّمان فلم تطع حَبْلاً لأسباب الوَفاء قَطُوعا
ووَفَيْتَ للمولى الوزير فلم تعش من بعده شَهْراً ولا أُسبوعا
وبقيتُ بعدكما فلو كان الرَّدَى بيدي لفارقنا الحياةَ جَميعا

فعاش عز الدين بعد أخيه أربعة عشر يوماً.

تاج الدين أبو المعالي محمد[1] بن الصَّلايا العَلَوي ناظر إرْبل، قُتِلَ بجبل سياه كوه، كان قد قَصَد حَضْرَة السُّلطان بعد وقعة بغداد ليقرر حاله، فأمر بقتله[2]. وكان كريماً جواداً فاضلاً متديناً يُبالغ في عُقوبة من يفسد أو يشرب الخَمْر.

بدر الدين[3] لؤلؤ[4] صاحب الموصل توفي بها في شعبان. كان قد توجه إلى السُّلطان بعد واقعة بغداد أيضاً فأنعم عليه، وأعاده، فلما دخل المَوْصل مرض أياماً ومات، وعمره نحو ثمانين سنة. ملك المَوْصل خمسين سنة ودُفِنَ بالقلعة، ثم نُقِلَ إلى مدرسةٍ أنشأها على شاطىء دجلة تُعرف بالبَدْرية[5]. وكان عاقلاً، حازماً، لبيباً، جواداً

(١) تاريخ الإسلام، الورقة ١٦٦ (أيا صوفيا ٣٠١٣).
(٢) قال الذهبي: «وكان بينه وبين صاحب الموصل لؤلؤ منافسة، فلما استولى هولاكو على العراق، أحضرهما عنده، فيقال: إن لؤلؤ قال لهولاكو: هذا شريف علوي ونفسه تحدثه بالخلافة، ولو قام لتبعه الناس، واستفحل أمره. فقتله هولاكو في شهر ربيع الأول أو في ربيع الآخر بقرب تبريز، وله أربع وستون سنة على الأصح».
(٣) وقع في المطبوع: «وبدر الدين»، فالواو زائدة.
(٤) ذيل الروضتين ٢٠٣، وتاريخ الإسلام، الورقة ١٧١ (أيا صوفيا٣٠١٣)، وسير أعلام النبلاء ٣٥٦/٢٣.
(٥) زالت هذه المدرسة منذ أمد بعيد.

كريماً ذا دَهاء وحيلة، مدحهُ ابنُ سِنان الخَفاجي، فأجازه بألف دينار وخَلَع عليه. وطَلَب من الشيخ عز الدين ابن الأثير أن يجمع تاريخاً ويجعله باسمه ففعل وعمل التاريخ «الكامل»[1] ، فأجزلَ صِلَته. وكَرَمُهُ وجودُه وصنائعه وحُسن سيرته مشهورةٌ، وكان كثير الإحسان إلى الرَّعية، مائلاً إلى شهواتهم، عادلاً شَهماً، حسن السياسة، كثير القَتْل والتَّشْويه والمُؤاخذة، قيل: كان موته سنة سبع وخمسين، وقامَ بعده ابنه الملك الصالح إسماعيل.

وتوفي شهاب الدين محمود[2] بن أحمد الزَّنْجاني، كان قاضي القضاة ببغداد وعزل في سنة. . .[3]

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) صلة التكملة ٢/الورقة ٣٥، وتاريخ الإسلام، الورقة ١٦٦ (أيا صوفيا ٣٠١٣)، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٤٥، وطبقات السبكي ٨/٣٦٨، وطبقات الإسنوي ٢/١٥ وغيرها.

(٣) هكذا فراغ في الأصل، ونقل الذهبي عن ابن النجار أنه تولى قضاء القضاء سنة ٦٢٣ ثم عزل بعد ستة أشهر. ونقل الذهبي عن ظهير الدين الكازروني أنه قتل في الواقعة صبراً.

سنـــة

سبع وخمسين وست مئة

فيها، توجه فخر الدين ابن الدَّامغاني صاحب الدِّيوان إلى الأردو المُعَظَّم ومعه صُدور أعمال العراق، فأنعمَ السُّلطان عليه، وأرادَ أن يُفَوّض أمرَ العراق إليه، فرفع نجم الدين بن عِمْران عليه، ونسب إليه أنه أطلقَ من السِّجن بالمدائن رجلاً من أنساب الخليفة المستعصم فتوجه إلى الشام، فانتقَضَ أمرُه، واعتُقِل، فتوفي بنواحي أُشْنُه من أعمال أذربيجان، وكان عمره نحو خمس وستين سنة، ورُتِّب نجم الدين بن المُعين صاحب ديوان بغداد فسارَ إليها وجماعةُ الصُّدور صُحبته، فلما دخلها مرض وتوفِّي بها.

وكان من جُملة من توجه إلى الأردو سراج الدين ابن البجلي[1] صَدْر واسط والبَصْرة، فأُثْبِتَ عليه أنه أخْرَبها وأهملَ مصالحها، فأُمِرَ بقتله، فَقُتِل، ورُتِّب في واسط مجد الدين صالح بن الهذيل نقلاً[2] من

---

(١) هكذا في الأصل، وتقدم كذلك أيضاً. ووجدناه مقيداً بخط الذهبي: «مجلّي»، قال في وفيات سنة ٦٥٧من «تاريخ الإسلام» -بخطه-: «علي بن مجلّي الصاحب سراج الدين، صدر الأعمال الواسطية. وقد ولي زمن الخليفة صدر ديوان العرض. قابلته المغل على أمور، وضربت عنقه في رجب، وكان أديباً مترسلاً كريماً» (الورقة ١٧١ من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٣).

(٢) من هنا إلى قوله: «ومَلِك» سقط من المطبوع.

صدرية نهري عيسى ومَلِك، ولُقِّبَ بالمَلِك، فلما وصل إليها وَقَرَّرَ قواعَدها عَمِلَ بها جَسْراً ففرغَ في أمد يسير ومُدّ، ولم يكن لها من حيث عُمِّرت جَسْر.

وفيها، تُقُدِّم بجَمْع أهل بغداد وكُتِبَت أسماؤهم، وجُعِلَ عليهم أمراء ألوف ومئات وعَشَرات، وقُرِّرَ على كل واحدٍ منهم ما يؤديه في كل سنة على قدر حاله ما عدا الشيخ الكبير ومن هو غير بالغ. فما زالوا على ذلك إلى أن ولي الصاحب علاء الدين عطاء مَلك الجويني العراق فأسقطَ ذلك عنهم.

ولاية علاء الدين عطاء مَلِك العراق

في هذه السنة، وُلِّي شمس الدين محمد بن محمد الجُوَيْني صاحب ديوان الممالك، وعلاء الدين عَطاء مَلِك أخوه العراق، وجُعِلَ معه عماد الدين عُمر بن محمد القَزْويني.

ذكر مسير السُّلطان إلى الشام

في هذه السنة، أرسلَ السُّلطان هولاكوقان إلى الملك الناصر صاحب الشام يستدعيه، فأنفذ ولده الملقب بالملك العزيز وأصْحَبَهُ التُّحف والهَدَايا، فأنْعَمَ عليه وأعاده، وقال له: نحن طلبنا أباك وحيث لم يحضر نَسِير إليه. فلما بلغه ذلك حارَ في أمره وسارَ بأهله وأولاده

إلى الكَرَك. ثم إنَّ السُّلطان أمرَ بعمل ثلاثة جسور على الفُرات أحدها عند مَلَطية والآخر عند إلبِيْرَة والآخر عند قلعة الروم، ثم سارَ في جيوش لا تُحْصَى إلى بلاد الجزيرة فملكَهَا وأمَّنَ أهْلَها، وامتنعت عليه سَرُوج فأخَذها عَنوةً وقَتَلَ أهلَها، ثم عَبَر الفُرات وكان ما نذكره.

ذكر قتل الملك الأشرف صاحب مَيّافارقين

كان سبب قتله، أنَّه غَدَر بالمغول الذين عنده فَقَتَلَهُم، فلما بلغَ السُّلطان هولاكوقان ذلك سَيَّر ولده أشموط في جماعةٍ من العَسْكر فحصروا ميافارقين، وضَيَّقوا على أهلها وفتحوها عَنوةً، وأخذوا الأشرف أسيراً وحملوه إلى السُّلطان وهو بالشام سنة ثمان وخمسين، فأمر بقتله، فقُتِلَ ووَلَّى على ميافارقين مملوكاً كانَ للأشرف المذكور.

عدة حوادث

في ذي الحجة، توفي عز الدين أبو الفضل محمد[1] ابن الوزير مؤيد الدين ابن العَلْقمي. وَلِيَ الوزارة بعد وفاة أبيه، وكان على القاعدة التي كانت في زمن الخليفة في المَلْبوس والمَرْكوب، دخل الديوان يوماً فقيل لعلي بهادر شحنة بغداد: إنَّ فَرَس الوزير على الباب وفي حَلْقها مشدّة وعليها كنبوش إبريسم، فقام ومضى وشاهدها، فعجب من ذلك،

(١) تلخيص مجمع الآداب ٤/الترجمة ٤٥٧، وتاريخ الإسلام، الورقة ١٧٣ (أيا صوفيا ٣٠١٣).

فقيل له: هذه كانت قواعد الوزراء والعُظماء في زمن الخليفة، فبال قائماً على المِشَدّة وأمرَ بإخراج الفَرَس من الدَّرْكاه[1] ، وعادَ وهو مُغْتاظٌ مُنْكِرٌ لهذه الحال[2] . وكان عُمر عز الدين نحو أربعين سنة.

وفيها، توفي علاء الدين كيقباذ[3] بن كَيْخسرو صاحب بلاد الروم.

وفي هذه السنة وصلَ بهاء الدين علي ابن الفَخْر عيسى الإرْبلي إلى بَغْداد، ورُتِّب كاتب الإنشاء بالديوان، وأقامَ بها إلى أن مات.

وفيها، وضعَ نصيرُ الدين الطُّوسي الرَّصْد بمراغة، وعَيَّنَ فيه جماعة يتولون عمله إلى أن انتحر في سنة اثنتين وسبعين.

---

(١) الدركاه: ما يتقدم القصر من فناء ورواق.

(٢) ذكر الذهبي هذه الحكاية، وقال: «فانظر إلى وزير العراق في هذه الدولة القاآنية، وقِس على ذلك».

(٣) ترجمه الذهبي في وفيات هذه السنة نقلاً من تاريخ شيخه ابن الكازروني (تاريخ الإسلام، الورقة ١٧١ أيا صوفيا ٣٠١٣).

سنــة

ثمان وخمسين وست مئة

في آخر سنة سبع وخمسين، سارَ السُّلطان الأعظم هولاكوقان بعساكر عَظِيمة عَبَروا على الجُسور التي تَقَدَّم ذِكْر عَمَلها، إلى مدينة حَلَب فَحصَرُوها وقاتلُوا مَن بها وفَتَحُوها ومَلَكوها في خامس صَفَر، وقَتَلوا وسَبوا وأسروا وأخذوا الأموال[1] . ثم مَلَك بلاد الشام جميعها عَنْوةً، وصُلْحاً لمن سأله الأمان وحقنَ دمه. وكان بحلب شحنة يُعرف بفخر الدين السَّاقي فلما ملكها أنعمَ عليه وأعادَ الحُكْم إليه، وعَيَّنَ على توكال بخشي شحنة بها معه، فاتفق أعيان حلب ورئيسها على القول في فخر الدين السَّاقي وأثبتوا عليه ما صار إليه من الأموال، فأمرَ السُّلطان بقتله فَقُتِلَ، ووَلَّى رئيسَ حلب عليها.

ثم إن السُّلطان أحكمَ ثُغور الشام، وتركَ به جيشاً عليه الأمير كَتْبُغا ورحل، فنزل على ماردين وبها صاحبها نجم الدين غازي، فأرسلَ إليه ولده قرا أرْسلان الملقب بالملك المُظَفَّر، فأنعمَ السُّلطان عليه وأمره أن يحسن لأبيه الطاعة ويحذره[2] عاقبة العِصيان. فلما عادَ إليه وأبلغَهُ ذلك

(١) ذكر الذهبي ذلك بتفصيل في الحوادث من تاريخه، الورقة ٢١٦-٢٢٦ من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٣.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «وحذره».

اعتقلَهُ خَوْفاً منه أن يقبض عليه، فدام حَصْر ماردين ووقع بها وباء كاد يفني من بها، فمات صاحبها نجم الدين غازي، فخرج ابنه الملك المظفر من الحَبْس ونزلَ إلى عُبُودية السُّلطان، فَخَلَع عليه وأعادَه، ثم رحل قاصداً مقر ملكه.

وأما كتبغا فإنه نزلَ على الكَرَك واستنزل الملك الناصر بأمان وسَيَّرَهُ إلى عبودية السُّلطان فأكْرَمه، ووعده أنه إذا ملك مِصْرَ أعاده إلى الشام.

حُكِيَ أن السُّلطان لما كان بوطاة حَرَّان وقفَ له جَمْعٌ من الفُقراء القَلَنْدَرية، فقال لنصير الدين الطُّوسي: ما هؤلاء؟ قال: فَضْلة في العالم. فأمر بقتلهم، فَقُتِلوا، وسأله عن معنى قوله: فقال: «الناسُ أربع طبقات بين إمارة وتِجارة وصِناعة وزراعة، فمن لم يكن منهم كان كَلاًّ عليهم».

وفيها، اتفقَ علي بهادر شحنة بغداد وعِماد الدين القَزْويني وجماعة من صُدُور العراق وقَصَدُوا حضرة السلطان حيث كان في الشام، ورفعوا على علاء الدين صاحب الديوان أشياء اعتمدَها، وأثبتوا ما استوعبَهُ من الأموال، فأعاده معهم إلى بغداد لِيُقابل على ذلك، فلما قُوبِلَ وثَبت عليه ما نُسِبَ إليه أنْهوا ذلك إلى السُّلطان فأمرَ بقتله، فَسُئِلَ العفو عنه، فأمرَ بحَلْق لحيته فَحُلِقَت، وكان يجلس في الديوان ويَسْتر وجهه.

وفيها، وَلَّى الصاحبُ علاءُ الدين، عِزَّ الدين أحمد بن محمود الزَّنْجاني قضاء القضاة ببغداد نَقْلاً من الجانب الغربي وخَلَعَ عليه.

سنـــة
تسع وخمسين وست مئة

فيها، سارَ الملك المظفر قُطُز صاحب مصر إلى الشَّام لما عَرَف أنَّ السُّلطان هولاكوقان قد عادَ إلى بلاده، فخرج إليه الأمير كتبغا ومن مَعَهُ من العَسَاكر والتقوا واقتتلوا عند عَيْن الجالوت[١] ، فقُتِلَ كتبغا وعدة من أولاده وجَمْع كثير من عَسْكره، وانهزمَ الباقون. فدخل المَلِك قُطُز دمشق واستولى على الشَّام جميعه، وأحكم أُمورَهُ وقَرَّرَ قوانينه، وعاد إلى مصر.

فلما كان بنواحي غَزَّة وثبَ البُنْدُقدار[٢] في عدة من مماليك الصَّالح أيوب فقتلوه، واتفقوا الأمراء[٣] عليه فجعلوه سُلْطانهم، ولُقِّبَ الملك الظاهر، فسار في الجيوش حتى دخل مِصْرَ، فلما استقر بها شَرَعَ في قَتْل كُلِّ مَن تَوَسَّم فيه الرِّياسة حتى توطَّدَ مُلْكه.

فلما بلغَ السُّلطان هولاكوقان ذلك أمرَ بقتل الملك الناصر وأخيه وأصحابهما وكانوا عنده كما تقدم ذِكْره. ثم أمر أيلكانوين بالمَسِير إلى الشام، فسارَ بخلق كَثِير من العَسْكر، فلما قرب من دمشق بلغَهُ أن

(١) بين نابلس وبيسان من فلسطين.
(٢) هو: بيبرس.
(٣) هكذ في الأصل، على لغة: أكلوني البراغيث.

الملك الظاهر قد تجهَّزَ للقائه ووصل إلى دمشق، فعادَ إلى بلاد الروم.

ولما بلغَ الملك الصالح إسماعيل ابن بدر الدين لؤلؤ مسير أيلكانوين فارقَ المَوْصل، وقَصَد الملك الظاهر وهو بدمشق، وطلبَ منه جَيْشاً يَمْنع به المَغُول عن قَصْد المَوْصل، فوعده بذلك، فلما عاد أيلكانوين عَيَّن له جماعةً من العَسْكر، فسار بهم إلى المَوْصل وأنفذ سنْجر مملوك أبيه على مُقَدمته، فلما بلغ المَوْصل مُنِعَ عن دخولها أياماً، فوثب محيي الدين بن زيلاق في طائفة من العوام، وفَتَحوا له باب الجَسْر فدخلَ منه ووضع السَّيف في النَّصارى فقتل أكثرَهُم ونهب أموالهم، فبلغه أن عَسْكر المَغُول واصل إليه فخرجَ ومعه ألف فارس وسار نحو نَصِيبين، فالتقى به عَسْكر المغول فقتلوه وقتلوا أكثر من معه.

فلما بلغ السُّلطان هولاكوقان ذلك سَيَّرَ الأمير سنداغو إلى المَوْصل. وأما الملك الصالح ابن بدر الدين فإنه وصل المَوْصل ودخلَها، فلما استقرَّ بها وصل الأمير سنداغونوين وحَصَرَه ونصبَ المَنَاجيق على سُور المَوْصل وخَنْدَق عليها، وواصلَ الزَّحف والقِتال مدة اثني عشر شهراً إلى أن استولى عليها سنة ستين على ما نَذْكُره.

وفيها، وصلَ صاحب الدِّيوان شمس الدين إلى بغداد ومعه يرليغ[1] يتضمن براءة أخيه عَلاء الدين مما نُسِبَ إليه وبولايته العراق وبَسْط يده، فلما قُرِىء في الدِّيوان قال الصاحب شمس الدين لعلي

(١) اليرليغ: هو المرسوم السلطاني.

بهادر شُحنة بغداد: «الشَّعْرُ إذا حُلِقَ نَبت، والرأسُ إذا حُلِقَ لم ينبت». ودَبَّرَ في قتله، وقَتْل عماد الدين القَزْويني على ما نذكره.

وفيها رُتِّبَ الشيخ جلال الدين عبدالجبار بن عُكْبُر الواعظ مدرس طائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية نَقْلاً من الإعادة بها وحَضَر درسَهُ الصاحب علاء الدين والأكابر والعُلماء وخُلِعَ عليه[1] .

(١) في هامش الأصل: «في سنة تسع وخمسين كان قتل السلطان منكوقان... قوبلاي قان...». والمراد: قتل مونككا سلطان المغول، وتولي قوبلاي عليهم.

سنة
ستين وست مئة

ذكرنا في السنة الماضية أن الأمير سنداغو نزلَ على المَوْصل وحَصَرَها، وكان أهلها قد أبْلوا في الجهاد بلاءً حَسَناً، وقامَ الملك الصالح إسماعيل ابن بدر الدين لؤلؤ في ذلك قِياماً تاماً ونَصَب حِبالَ مجانيق المَغُول بباب المَيْدان[1] والجَصّاصين[2] ثلاثين مَنْجَنيقاً ترمي ليلاً ونهاراً، فلما طالَ الحِصار ورأى سنداغو أن القتال والزَّحْف لا يجديان نَفْعاً أمسك عن[3] ذلك إلى أن فَنِيت مِيرة أهلها وتَعَذَّرت الأقوات عليهم، واشتدَّ بهم الأمر حتى أكَلُوا الميتة ولحوم الكِلاب، فحينئذ طلب الملك الصَّالح من سنداغو الأمانَ له ولأهل البلد وترددت الرُّسل بينهما فأجابه إلى ذلك، فلما خرج إليه قَبَضَ عليه وعلى وَلَده وأتباعه ودخل العَسْكر إلى البَلَد وقَتَلوا ونَهَبوا وسَبوا وأسروا. ثم أُمِرَ

(١) هو أحد أبواب سور الموصل الذي أنشأه العقيليون ينسب إلى ميدان الجيش الذي كان يقع خارج هذا السور، والميدان المذكور أرض فسيحة كانت تمتد على شاطىء دجلة، وفيها القلعة ودور المملكة، ثم ما لبث هذا الميدان أن أُدخل في المَوْصل نفسها بعد أن أدخله الأتابكيون بسورها الذي أنشأوه هناك.

(٢) الجَصَّاصين: من دروب المَوْصل المَشْهورة، والراجح أنَّه كان يؤدي إلى باب الجَصَّاصين، أحد أبواب الموصل في العَهْد الأتابكي، ومن المحتمل أنه كان في الشمال الغربي من المدينة.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «على».

بقَتْل ولده الملقب علاء المُلْك، فَقُتِلَ وعُلِّق رأسه على باب الجَسْر، وسُيِّر الملك الصَّالح وأخاه الملك الكامل إلى السُّلطان هولاكو قان، فأمَرَ بالملك الصَّالح فَسُلِخَ وجهه وهو حي ثم قُتِلَ[1] ، وقَتَل أخاه[2] وكان طِفلاً، وقَتَلَ أصحابَهم وأتْباعهم، ثم رَتَّب ابن يونُس الباعشيقي والياً بالمَوْصل، ورَتَّبَ معه الأمير نورين[3] شحنة.

وكان الملك الصالح لما اشتد حَصْر المَوْصل كاتب سُلطان الشام يسأله مُساعدته فأرْسَل لِنُصْرَته أميراً اسمه إيلبرلك[4] في جماعة، فلما وصل سنجار كتب على الجناح إلى الملك الصالح يُعَرّفه وصوله، فاتفقَ أن بعض المغول رَمَى ذلك الطَّائر بسهم فوجدَ الخط فحمله إلى سنداغو، فأرسل جماعة من عسكره نحو إيلبرلك، فساروا إليه وقاتلوه بظاهر سنجار، فقتلوه وقتلوا معظم أصحابه وانهزم الباقون[5] .

---

(١) ذكر الذهبي أنهم قتلوه في الطريق، والظاهر أن المذكور هنا أصح وأدق (انظر تاريخ الإسلام، الورقة ٢٢٧ أيا صوفيا ٣٠١٣).

(٢) وقع في المطبوع: «أخوه».

(٣) في الأصل والمطبوع: «نور الدين»، وهو خطأ محض، وما أثبتناه من تاريخ الدول السرياني، لابن العبري، وفي تاريخه العربي: تورين -بالتاء-.

(٤) سماه الذهبي في «تاريخ الإسلام»: «البرلي».

(٥) ذكر الذهبي أن التتار لما عرفوا بوصول البرلي عزموا على الهرب، ثم علموا أنه في طائفة قليلة، قال: «فسارت إليه التتار وهم في عشرة آلاف، والبرلي في ألف من التركمان والعرب، فتوقف في لقائهم، ثم برز إليهم في رابع عشر جمادى الآخرة، فكسروه، وقُتِلَ جماعة من وجوه أصحابه، وانهزمَ جريحاً، وأسر طائفة من أصحابه بعد أن أبلوا بلاءً حسناً، ووصل البرلي إلى إلبيرَة، ففارقه أكثر من معه، وقصدوا الديار المصرية. وجاءت رسل من هولاكو إلى البرلي يطلبه إليه، فلم يجبه إلى ذلك، وكاتب الملك الظاهر، فأمنه، فسار إلى مصر، فأعطاه السلطان آمرية سبعين فارساً، =

ولما فرغ سنداغو من فَتْح المَوْصل سارَ إلى جزيرة ابن عُمَر ففتحها بأمان وقَتَلَ حاكمها، واستعملَ عليها رَجُلاً نصرانياً اسمه مرحسيا. ثم عادَ إلى السُّلطان. ومن جُملة من قُتِلَ بالمَوْصل في هذه الوقعة محيي الدين ابن زِبلاق[1] وكان من الفُضَلاء، له رسائل وأشعار مشهورة منها قوله يعتذر إلى مَن يستدعيه:

أنا في منزلي وقد وَهَب اللـ ـــهُ نَــدِيمـــاً وقَيْنَـــة وعَقَـــارا

فابسطُوا العُذْر في التأخر عَنْكم شغـــل الحلـــي أهلـــه أن يُعـــارا

ولابن زِبْلاق أيضاً:

رَحَلـوا بقلبـي المُسْتهـام وغـادروا بيـن الأضـالـع

ولقــد شيعـــت حـــدوجهـــم بمـــدامعـــي. . .

وفيها، أبطلت الدراهم السواد[2] بالمَوْصل، وكانت نحو أربعين دِرْهماً بدينار وضُرِبَ بها دراهم نُقْرة[3] وفُلُوس.

= وخلع عليه» (الورقة ٢٢٧من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٣)، فهو على هذا لم يقتل في هذه الوقعة، وماذكره الذهبي هو قول اليونيني في الذيل ١/ ٤٩٣-٤٩٤.

(١) هو محيي الدين يوسف بن يوسف بن يوسف بن سلامة العباسي الهاشمي المُعَدَّل الكاتب المولود سنة ٦٠٣. ترجمه ابن الشعار في عقود الجمان (١٠/الورقة ٥٤٠)، والذهبي في تاريخ الإسلام، الورقة ٢٠٣ (أيا صوفيا ٣٠١٣)، واليونيني في ذيل المرآة ١/ ٥١٣ وتصحف فيه زِبْلاق إلى «ذبلاق»، وتصحف في المطبوع وغيره إلى: «زيلاق»، وضبطناه من خط الذهبي، و«عقود الجمان» بكسر الزاي وسكون الموحدة.

(٢) نوع من الدراهم، سماها القلقشندي: السوداء، وقال: إنها اسم على غير مسمى -يعني: هي بيض- وأن كل درهم منها يعدل ثُلُث درهم نقرة (صبح الأعشى ٣/ ٤٤٠).

(٣) هو الذي ثُلُثاه فضة، والثلث الآخر من نحاس (صبح الأعشى ٣/ ٤٤٠).

وفيها، قُتِلَ عمادُ الدين القَزْويني[1] أحد الحُكَّام ببغداد، وسبب ذلك ما تقدَّم ذِكْره في السنة الماضية، فلما كان الصاحب شمس الدين بالعراق أخذ خطوط الولاة والأكابر بما صار إليه من الأموال، وعُرِضَ ذلك على السُّلطان، فأمرَ بالفَحْص عنه، فَثَبت عليه أكثره، فأمرَ بقتله. ثم إنَّ الصاحب شمس الدين قبضَ على مجد الدين صالح بن الهُذيل مَلِك واسط وطُولب بالبقايا وشُدِّدَ عليه ثم دُوشخ[2] وضُرِبَ، وَطِيف به في واسط، واستوفِيَ منه قدر يسير ساعدَه به النَّاسُ، وقَبَضَ على أصحابه ونوابه وطُولبوا بالأموال وضُرِبوا. ثم سُلِّمَت الأعمال الواسطية إلى الملك فخر الدين مَنُوجهر[3] ابن ملك هَمَذان، فانحدر إليها، واستصحبَ فخر الدين مُظَفَّر[4] بن الطَّرّاح وجعله نائباً عنه في تَدْبيرها.

---

(١) هو عماد الدين أبو المعالي عمر ابن صدر الدين محمد بن أبي العز (تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ١١٦٩).

(٢) أي: عُذِّب بآلة تسمى: «دوشاخة»، وهي آلة لها قرنان أو فرعان، كان يشد إليها الرجل فيُعصر.

(٣) ذكره ابن الفوطي في الملقبين بفخر الدين من تلخيصه ٤/ الترجمة ٢٤٩٧.

(٤) هو فخر الدين أبو الليث المظفر بن محمد بن جعفر الشيباني الذي تولى فيما بعد عدة وظائف من أهمها: صدرية واسط، والحلة ونهر ملك، ثم ولاية واسط إلى أن قتل بعد العذاب سنة ٦٩٤ (تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٢٤٨٧).

سنة
إحدى وستين وست مئة

فيها، قُتِلَ علي بهادر شحنة بغداد، والعَلَوي المعروف بالطَّويل، وكانا ممن سَعَى في الصاحب علاء الدين، كما تقدَّمَ ذِكْره، فأخذ الصاحب شمس الدين خطوط حُكّام بغداد بما صار إليهما من الأموال وما اعتمدا في العراق، وعَرَضَ ذلك على السُّلطان فأمرَ بقتلهما، فأرسل الأيلجية في طلبهما من بغداد، فلما سارا عنها أنفذ من قَتَلَهما، وعَيَّنَ الأمير قَرَابوقا شحنةً ببغداد. وكان علي بهادر حسن السياسة مُظْهِراً للخير يلازم الصَّلوات في الجُمع والتَّرَاويح وغيرها. فلما قُتِلَ قُبِضَ على شهاب الدين داود بن عَبْدوس وَكِيله، وثُقِّلَ بالحديد وطُولِبَ بالاموال، فأدَّى عشرة آلاف دينار، ثم إن الصاحب علاء الدين خاطبَ في أمره فَتَقُدِّم بإعادة ذلك عليه.

وفيها، وُلِّيَ السيد رضي الدين علي بن طاووس نقابة الطالبيين بالعراق.

وفيها، توفي عز الدين عبدالرحمن[1] ابن الناقد وعمره إحدى وخمسون سنة وخمسة أشهر.

---

(١) تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٢٤٨.

سنة
اثنتين وستين وست مئة

فيها وصل نصيرُ الدين محمد الطُّوسي إلى بغدادَ لتصفح الأحوال والنَّظَر في أمر الوُقوف والبَحْث عن الأجناد والمماليك. ثم انحدرَ إلى واسط والبَصْرة، وجَمَعَ من العراق كُتُباً كثيرة لأجل الرَّصْد.

ووصلَ أيضاً جلال الدين ابن مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير وقَبَضَ على نجم الدين أحمد بن عِمْران الباجسري، وأُخْرِجَ مكتوفاً راجلاً إلى ظاهر بغداد، وقد نُصِبَت هناك خَيْمة بها صاحب الديوان علاء الدين وخواجه نصير الدين الطُّوسي وابن الدُّويدار وجماعة من الأُمراء، فعُمِلَ له يارغو[1] وقُوبِلَ على أمورٍ نُسِبت إليه، فوجبَ عليه القَتْل، فَقُتِلَ، وأخذَ ابن الدُّويدار مرارتَهُ، ثم طيفَ برأسِهِ على خَشَبةٍ، ونُهِبَت داره.

وكان حسنَ السّيرة ذا مروءةٍ، كان من متصرفي السَّواد في بغداد، فلما وصل السُّلطان هولاكوقان العراق تَوَصَّل حتى مثل في حَضْرته وأنهى إليه من الأحوال ما أوجب الإنعام عليه وتَقْدِيمه حتى صارَ من جُملة الحُكَّام ببغداد، وشاركَ في تَدْبير الأعمال وخُوطب بالمَلِك، فقال

---

(١) كلمة مغولية تعني: المحاكمة.

في حق علاء الدين صاحب الديوان وعاداه، فأفْضَت حاله إلى ما جَرَى عليه، نعوذ بالله من سوء التوفيق.

ثم إن ابن الدُّويدار شرعَ في بيعِ ماله من الغَنَم والبَقَر والجواميس وغير ذلك، واقترضَ من الأكابر والتجار مالاً كثيراً واستعار خُيولاً وآلات السَّفَر، واظهرَ أنه يريد الخُروج إلى الصيد وزيارة المَشَاهد، وأخَذَ والدته وقصدَ مَشْهد الحُسين -عليه السلام- ثم توجه إلى الشام، فتأخر عنه جماعةٌ ممن صَحِبه من الجُنْد لعجزهم، فلما عادوا أخَذَهُم قرابوغا شحنة بغداد وقَتَلهم، وقبضَ على كل من كان ببغداد وواسط وغيرها من الجُنْد فقتلهم.

وفيها، قبضَ قرابوغا شحنة بغداد على علاء الدين صاحب الديوان واعتقلَهُ ونَسَبَ إليه أشياء قد عَزَم على أن يعتمدها، فأرسل إلى أخيه الصاحب شمس الدين وهو بأذربيجان يُعَرِّفه ذلك، فَعَرَض أمرَهُ على السُّلطان، فأمرَ بحمله إلى بين يديه على اختياره ومعه كل مَن قال عنه وسعَى[1] به إلى قرابوغا، تحت الاستظهار، فلما وَصلوا وعُمِلَ اليارغو، لم يثبت علىّ الصَّاحب علاء الدين ما نُسِبَ إليه فأُمِرَ بقتل من سَعَى به، وعُزِلَ قرابوغا عن العراق، وأُعيد الصاحب علاء الدين على قاعدته إلى بَغْداد، ورُتِّب توكال بخشي شحنة بغداد، وهوشتكتاي[2] نوكره.

---

(١) في المطبوع: «ونسب وسعى»، ولا نعلم من أين جاءت.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «هوشتكتاري»، ويرد أيضاً: «هوشتاي»، وسيأتي في حوادث سنة ٦٦٥عزله عن النوكرية.

سنـــة

ثلاث وستين وست مئة

في تاسع عشر ربيع الآخر، كانت وفاة السُّلطان هولاكو قان ودفن في قلعة تلا من أعمال مراغة، وولي بعده ولده السُّلطان أباقا خان وجلسَ على التَّخْت في خامس عِشْري الشهر المذكور، وأجمع الأمراء على طاعته وسائر العساكر.

وكان عُمر السلطان هولاكو قان نحو خمسين سنة، وكان عالي الهمة، عظيم السياسة عارفاً بغوامض الأمور وتدبير المُلْك، فاقَ على من تقدمه بالرأي السَّديد والبأس الشديد والسِّياسة القاهرة، وكان يحب العلماء والفُضَلاء ويحسن إليهم ويجزل صلاتهم، ويشفق على رعيته ويأمر بالإحسان إليهم والتخفيف عنهم، ولم يثقل عليهم ولا كَلَّفَهم ما جَرَتَ عادة الملوك به من التَّكْليفات والتَّوزيعات وغير ذلك[1].

وفيها هَمَّ السُّلطان ركنُ الدين بقتل البروانة وزيره، فنم الخبرُ إليه،

---

(١) هذه الفقرة منقوله من تاريخ الكازروني، كما صَرّح به الذهبي في ترجمة هولاكو من «تاريخ الإسلام»، الورقة ٢٦٤، ثم عَقَّب على قوله هذا فقال: «قلت: هل يسع مؤرخاً في وسط بلاد سلطان عادل أوظالم أو كافر وإلا أن يثني عليه ويكذب، فالله المستعان، فلو أُثني على هولاكو بكل لسان لاعترف المثني بأنه مات على ملة آبائه، وبأنه سفك دم ألف ألف أو يزيدون، فإن كان الله مع هذا قد وفقه للإسلام فياسعادته، لكن حتى يصح ذلك»!

فواطأ أُمراء المَغول الذين هناك على قَتْل السُّلطان، فأدخله أحدُهم خيمتَهُ وخَنَقَهُ بوَتَرِ قَوسٍ ودفنَه في الخَيْمة، وأقامَ مقامه ابناً له عُمُره أربع سنين اسمه كَيخسرو ولقبه غياث الدين.

وفيها عُيِّنَ رضي الدين المعروف بالبابا والياً بالمَوْصل، فدخلهَا وقبضَ على الزكي الإرْبلي الذي كان واليها وطالبَهُ بالبقايا التي ساقها الحُسَّاب عليه، واستوفَى منه معظَمها ثم قَتَلَهُ[1].

وفيها، قبض مرمكيخا[2] الجاثليق على نَصْراني من أهل بغداد[3] قد أسْلَم، فاعتقلَهُ بداره المعروفة بالدُّويدار الكبير على شاطىء دجلة وعَزَم على تَغْريقه فبلغَ العوام ذلك، فاجتمعوا ونَهَبوا سُوق العَطَّارين برأس دربِ دينار وغيره من محال بغداد النَّصارى[4]، وحَصَروا الجاثليق وأحْرَقوا بابَ دارِه، وقاتلوا أصحابه فنزل في سفينة وقَصَدَ صاحبَ الدِّيوان علاء الدين واستجارَ به فأمر الكلجية[5] بكف العوام، وركب توكال بخشي شحنة بغداد، وأخذَ نَفَراً من العوام وقتلَ منهم وحَبَس جماعة، فسكنت الفِتْنة. ثم إن الجاثليق توجَّهَ إلى الأردو الأشرف، وعادَ على إرْبل وبنَى بقلعتها بيعة، ثم قَدِمَ بغداد[6] وأقام بها

---

(١) انظر تاريخ الزمان، لابن العبري ٣٢٥.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «مرمليخا»، فلم ينتبه ناشره إلى أن الناسخ يترك عصا الكاف عادة.

(٣) ذكر ابن العبري أن هذا الرجل تكريتي.

(٤) في المطبوع: «والنصارى»، ولا أصل للواو في الأصل، وهو من غيرها أصح.

(٥) فرقة من الجند المغولي موكلة بحفظ الأمن، فهم كالشرطة، أو الدرك.

(٦) ذكر ابن العبري هذا الخبر، وذكر أنه استقر في إربل، في الكنيسة التي بناها هناك،=

إلى أن مات سنة . . .[1] ورتب في منصبه ماردنحا الإرْبلي.

وفيها، توفي جمال الدين أبو الحسن علي[2] بن برز القُمِّي المعروف بأمِيران، وهو ابن أخي الوزير مؤيد الدين القُمّي، ودُفِنَ في تربة عَمّه بمشهد موسى -عليه السلام-.

= لكنه ذكر ان صاحب الحكاية هو ماردنحا جاثليق النساطرة (تاريخ الزمان ٣٢٦).

(١) بياض في الأصل.

(٢) تاريخ الإسلام، الورقة ٢٥٥(أيا صوفيا ٣٠١٣)، قال: «علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الرئيس جمال الدين ابن القمي البغدادي ابن أخي الوزير. كان ذا سؤدد وفضل وجلالة، شيّعه الخلق ببغداد إلى تُربه عمه، ويُعرف بابن أميران».

سنة
أربع وستين وست مئة

فيها، سار الملك الظاهر المعروف بالبُنْدُقدار إلى بلاد الأرْمن[1] وأوقعَ بأهلها ونَهَبَهُم، واستباحَ أموالَهُم، وأكْثَر القَتْل والأسْر فيهم، خصوصاً أهل سِيس وأسر ابناً لليون[2] صغيراً، وكان سبب ذلك أن ليون راسَلَ البُنْدُقدار لما ملك مصر وهادَنَهُ على خَرَاج مُقَرَّر يحمله إليه، فَمَطَلَهُ به هذه السنة، فلما عاد البُنْدقدار اجتاز بأنطاكية وحَصَرها وفتَحها عَنوةً وقتَل أهلَها ونهبَ أموالهم، وعادَ إلى بلاده. فأرسل ليون إلى البُنْدقدار يسأله فداء ابنه، فأجابه إلى ذلك وقال: إن لنا أسيراً بيد المغول يعرف بسُنْقُر الأشْقَر خَلِّصه وأرسله إلينا لنطلق ابنك، فسار إلى عُبودية السُّلطان أباقا وأنهى ذلك إليه وسألَهُ إطلاق سُنْقر، فأمرَ بتسليمه إليه، فَسَيَّرَه إلى البُنْدُقدار، فأطلقَ ابنه، ثم إن ليون أرسل ابناً له كبيراً

(١) هكذا قال بأن الظاهر سار إلى بلاد الأرمن، ثم نسب إليه بعد ذلك ما نسب، ولا يصح ذلك، فالمؤرخون الشاميون ذكروا أن السلطان كان بدمشق وأنه أرسل عساكره إلى الأرمن، كما في الذيل لليونيني ٢/ ٣٤٣، وتاريخ الإسلام للذهبي (الورقة ٢٩٩من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٣)، والبداية لابن كثير ١٣/ ٢٤٧.

(٢) ويكتب بالهمزة «لئون» أيضاً، وهو في المصادر العربية: «لاون». على أن في الخبر تخليط، فإن الذي أُسر هو لاون (أوليون) وهو ابن هيتوم صاحب قيليقية وسيس، فالمؤلف هنا يذكر أن الأسير هو ابن لليون، وهو وهم (انظر تاريخ الزمان لابن العبري ٣٢٥، والذيل لليونيني ٢/ ٣٤٤).

إلى السُّلطان أباقا وذكر أنه عجزَ عن الحَرَكة وسأله أن يُمَلّك ابنه المذكور، فأجابَ سؤاله وأعادَه إليه، فاستقلَّ بمُلك أبيه.

وفيها، وصل إلى بَغْداد رجل معه فيلان، أفرد الديوان لهما داراً، فأقام أياماً ثم توجه بهما إلى السُّلطان.

وفيها، توفي فخر الدين أبو سعد المبارك[1] ابن المُخَرِّمي[2]. خدم الخُلفاء في عدة خدمات آخرها صاحب ديوان العراق. ولما كُفت يده انقطع في داره، إلى أن ملك السلطان بغداد، فلما تقرر حال الحكام بها، وَلاّه صَدْراً بدُجَيْل، ثم نُقِلَ إلى مشيخة رباط الحَرِيم، بموجب التماسه وإيثاره للعزلة والعِبادة، فبقي على ذلك إلى أن مات ودفن بحضرة الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-.

وفيها، توفي السيد النقيب الطاهر رضي الدين علي[3] بن طاووس، وحُمِلَ إلى مشهد جده عليّ بن أبي طالب -عليه السلام- قيل: كان عمره نحو ثلاث وسبعين سنة.

---

(١) تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٢٣٠٥، وتاريخ الإسلام، الورقة ١٦١ من مجلد ايا صوفيا ٣٠١٣ بخطه.

(٢) تصحفت في المطبوع إلى: «المخزمي».

(٣) ترجمه شيخ المؤرخين الذهبي في تاريخه نقلاً من تاريخ شيخه الظهير الكازروني، قال في حاشية الورقة ١٦١ من المجلد العشرين منه: «علي بن موسى بن جعفر بن طاوس العلوي الحسني النقيب، نقيب الطالبية، مات في ذي القعدة وله ست وسبعون سنة، ونقل فدفن بمشهد علي رضي الله عنه، قال الكازروني: لم يوجد بعده مثله، ولا رأيت أحداً على قاعدته».

سنـــة
خمس وستين وست مئة

في هذه السنة، عَبَرَ يراق بن جُغتاي بن قُبلاي خان النَّهرَ إلى غربيه بعساكر كثيرة، فسار السُّلطان أباقا للقائه، فالتقوا بنواحي هَرَاة، واقتتلوا قِتالاً شديداً استظهر فيه يَراق، ثم إن الله مَنَّ بالنَّصْر على السلطان أباقا وايَّده، فانهَزَمَ يراق وعَسْكره وتَمَّت هزيمتهم إلى جيحون، وتبعهم عَسْكر السُّلطان أباقا يقتلون فيهم ويَنْهبون ويأسرون، وغَرق منهم خَلْقٌ كثير في جَيْحون، ونَجَا يَراق وبعضُ عسكره.

وفيها، عَزَلَ تُوكال بَخْشي عن نوكرية هوشتكتاي[1] شحنة بغداد وجعل عوضه تتارقيا.

وفيها، بَنَى علاءُ الدين صاحب الديوان بظاهر بغداد تجاه باب الظَّفَرية والحَلبة قَصْراً ورواقات وحماماً، واستجدَّ حولَهُ بُستاناً عَظِيماً غرسَ فيه أنواع النَّخْل والاشجار والاثمار حتى الفُستق، وغرم عليه مالاً كثيراً.

وفيها، وصل شمس الدين محمد بن الكَبشي إلى بَغْداد وعُيِّن مُدَرِّساً بالمدرسة النِّظامية، وحضَر درسَهُ الحُكَّام والعُلماء فلم يزل على

(١) هكذا في الأصل، والظاهر أنّه يقصد بذلك ان توكال بخشي قد عزل هوشتكتاي عن نوكرية شحنة بغداد.

ذلك إلى أن خطر له التوجه إلى بهاء الدين ابن الصاحب شمس الدين الجُويني فسارَ إليه.

سنـــة
ست وستين وست مئة

فيها، أمرَ علاء الدين صاحبُ الديوان ببناء رباط بمَشْهد علي -عليه السلام- ليسكنه المقيمون هناك، ووقف عليه وقوفاً كثيرةً، وأدَرَّ لمن يسكنه ما يحتاجُ إليه، وأمرَ بضرب فُلُوس من المس[١] ليتعامل بها الناس ببغداد وغيرها، كل أربعة وعشرين فَلْساً بدرهم، وبكل دينار خمسة أرطال، وأمر النَّاس بالتأهب للحج وأحضرَ عربَ الطَّريق وأطلقَ لهم من ماله شيئاً كثيراً، وأخذَ منهم الرَّهائن على أن يُسَيِّروا الحاج ويعيدوهم، ولما توجه النَّاسُ مضى الصَّاحبُ معهم إلى الكوفة، وجَهَّزَ الفقراء وزَوَّدَهم، وعَيَّنَ للناس من يتأمَّر عليهم في السفر، فحجوا وعادوا سالمين.

وفيها، أمرَ الصّاحب بقتل ابن الخَشْكري[٢] النُّعماني الشَّاعر وسبب ذلك: أنه بلغه عنه أنه يقول أشياء تُنافي الشَّرْع، ويُفَضِّل شعرَهُ على القرآن المجيد، ويقدم على ما لايجوز ذِكْره، فعَظُم ذلك عليه، واتفقَ انحداره إلى واسط فلما وصل النُّعمانية[٣] حضر ابن الخَشكري عنده

---

(١) تقدم شرحه.

(٢) انظر عمدة الطالب ١٤٧.

(٣) بين بغداد وواسط، طلولها باقية إلى اليوم على بعد خمسة كيلومترات من بلدة =

وأنشدَهُ قصيدةً يمدحه فيها، فأذَّنَ المؤذن، فنصت الصاحبُ إليه، فقال ابن الخشكري: «يا مولانا اسمع شيئاً جديداً واعرض عن شيء له سنين». فثبت حينئذٍ عنده ما قيل عنه. ثم إنَّ الجماعة الذين نَقَلُوا عنه ذلك أوْهَمُوه أنَّ الصاحب يعجبه ما يقوله ويطيب له سماعه منه، فاغترَّ وشرعَ في القَوْل وانبسَطَ، والصاحب يصغي إليه غير مُنْكر عليه، فلما ركب من الغد أمرَ ابن سَليط الأسَدي أن ينفردَ به ويقتله، فَعَدَل به عن الطريق وأخذ يحادثه إلى أن بعد عن الناس، ثم أمرَ بعضَ أصحابه بإنزاله عن فَرَسه مُداعباً له، وهو يشتمهم، فلما أنزله أمره بنزع ثيابه فقال: والله إن هذا لعب بارد وأنكم أعراب أجلاف ثقال. وهو يتوهم أن هذا الفعل من أنواع اللَّعِب كما كان يعهده منهم دائماً في الخَلْوة، فقال له: اضرب عنقه. فضربه بالسيف فقتله وأخذ فرسه وثِيَابه.

وفيها، وقعَ بِنَيْسابور خَسْف وزَلازل هلكَ منه خلقٌ كثير وخرجَ الناس إلى البَرَاري، فلما سكنَ ذلك عادوا إلى منازلهم.

وفيها، توفي الشيخ عَفِيف الدين يوسف[1] ابن البَقَّال شيخُ رباط المَرْزُبانية. كان شيخاً صالحاً ورعاً زاهداً، حكى عن نفسه، قال: كنتُ

= النعمانية الحالية التي أخذت اسمها.

(١) تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٨٠٤، والذيل لابن رجب ٢/ ٢٨٠، والبداية لابن كثير ١٣/ ٢٥٣، وقال ابن رجب: «أجاز لشيخنا علي بن عبدالصمد البغدادي، ونقلت من خطه أنه توفي ليلة الخميس سادس المحرم سنة ثمان وستين وست مئة، وصلي عليه بجامع الحريم، ودفن بمقبرة الإمام أحمد. وذكر غيره أنه توفي سنة ست وستين، والله أعلم». وذكر ابن الفوطي أن وفاته كانت في المحرم من سنة ست وستين.

بمصرَ واتصلَ بي ما جَرَى ببغدادَ في الواقعة من القَتْل والنَّهْب والفَتْك والأسْر، فأنكرتُه بقلبي، وقُلت: يارب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذَنْبَ له؟ فرأيت تلك الليلة في المنام رجلاً في يده كتاب فأخذته منه فإذا فيه:

دَع الاعتراضَ فما الأمْر لَكْ ولا الحُكم في حَرَكات الفَلَكْ

ولا تسأل اللهَ عن فِعْلِه فمَن خاضَ لجة بحرٍ هَلَكْ

فاستغفرتُ الله تعالى وأمسكتُ.

وفيها، توفي الشيخ ضياء الدين محمود الجاجَرْمي[1] شيخُ رباط الشّونيزي[2]، ودفن في صُفَّة الشيخ الجنيد، وهو الذي تولّى تجديد الرِّباط المذكور. كان الصاحب علاء الدين يحترمه كثيراً، ويعتني بأمره، ويقوم بكل ما يحتاج إليه.

وفيها، ولي على الموصل رجل نصراني اسمه مَسْعود وهو من قُرى إرْبل اسمها برقوطا، وعَزل عنها البابا[3]، ورتب معه شحنة من المغول اسمه أشْموط.

وفيها، قُتِلَت[4] ببغداد امرأة تسمى عَرُوس خاتون، كانت زوجة بعض أصحاب توكال بخشي شحنة بغداد اسمه حُسين آغا وسبب ذلك:

---

(١) منسوب إلى جاجرم، بلدة بين نيسابور وجوين وجرجان، هي اليوم في إيران.

(٢) هو رباط الجنيد.

(٣) انظر تاريخ الزمان لابن العبري ٣٢٥، ولقبه فيه هو ناصر الدين، وتقدم أنه رضي الدين.

(٤) في المطبوع: «قتل»، ولا يصح.

أنها هويت غلاماً أمرداً مَلِيحاً، فلما عرف بذلك أراد قَتْله فأبى الشِّحنة ذلك، وقال: يُقْتَلان جميعاً أو يستبقيان بعد أخذ الحَدّ منهما، فأُخْرِجَ الغُلام إلى ظاهر السور وضُرِبَ له وتد في الأرض وأُقْعِدَ عليه فمات، ثم قَدَّمَ المرأةَ وقتَلَها بيده وهو يَبْكِي أسفاً عليها.

وحَجَّ الناسُ في هذه السنة على قاعدة السنة الماضية.

سنـــة
سبع وستين وست مئة

فيها، قَدِمَ السُّلطان أباقا خان إلى بَغْداد[1] وفي خدمته الأُمراء والوزراء والعساكر، فأقامَ إلى زمن الرَّبيع وعادَ، واعتمد الصاحب علاء الدين في الخِدْمة بالتُّحف والأَعْلاق النَّفِيسة ما يجب.

وسَقَط ببغداد في هذه السنة، وفر كثير كان سمكه في السطوح دون الشبر.

وفيها، رُتِّب السيد النَّقِيب تاج الدين علي بن الطِّقْطِقَى العَلَوي صَدْراً بالأعمال الحِلّية.

وفيها، تُوفِّي أقضى القضاة نظام الدين عبدالمنعم[2] البَنْدَنِيجي، ودُفِنَ في صُفَّة الشيخ الجنيد، وقد بلغ من العمر إلى ستٍ وسبعين سنة. وكان وَرِعاً عَفِيفاً تقياً حَسَن السِّيرة، اشتغلَ بالفقه في عُنْفوان شبابه بمدرسة دار الذَّهَب ببغداد حتى بَرَع، وافتى، ثم رُتِّب مُعيداً بالمدرسة المُستنصرية، ثم شَهِدَ عند أقضى القضاة كمال الدين عبدالرحمن ابن اللَّمْغاني، ثم جُعِلَ في ديوان العَرْض على إطلاق

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي، الورقة ٣٠٤ (أيا صوفيا٣٠١٣).
(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي، الورقة ٢٧٦ (أيا صوفيا٣٠١٣).

معايش الجُند، فلما تَكَمَّلت له سَنة أطلقَ له عنها المشاهرة امتنعَ[١] من أخذها، وقال: لا يحل لي أن أجمع بين خدمةٍ ووظيفة المستنصرية. فأُنْهِيَ ذلك إلى الخليفة فاستحسنه، وتُقُدِّمَ أن يُطلق له مشاهرة مع أرباب الرُّسوم. ثم عُيِّنَ قاضياً بالجانب الغربي سنة اثنتين وخمسين، ثم نُقِلَ إلى الجانب الشَّرقي. وخُوطب بأقْضَى القُضاة سنة خمس وخمسين، فاستمرَ على ذلك إلى الآن. سُئِلَ في حال مرضه عمن يصلح بعده للقضاء، فقال: قد تقلدته حياً فما أتقلده ميتاً. فقيل له: لابد من الإشارة في ذلك، فقال: إن امتنَعَ سراج الدين الهُنَايِسي فيكون عز الدين ابن الزَّنْجاني قاضي الجانب الغربي. فلما توفي أُحْضِرَ سراج الدين محمد بن أبي فِراس الهُنَايِسي الشافعي ورُتِّب قاضي قضاة بَغْداد نَقْلاً من التدريس بالمدرسة البَشِيرية، فلم يمتنع عن ذلك.

وفيها، توفي القاضي فخر الدين عبدالله[٢] بن عبدالجليل الطِّهراني الرَّازي[٣] الحَنَفيُّ. استنابه أقْضَى القُضاة نظام الدين البَنْدَنيجي في القَضاء، وفَوَّضَ إليه أمْر الحِسْبة ببغداد. ابتُلِيَ بالمرض في وجهه حتى تآكل أنفُه ولقي مشاق عظيمة حتى توفي[٤].

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «فامتنع».

(٢) تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٢١٤٠.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «الراوي».

(٤) قال ابن الفوطي: «وهو ممن كان يخرج الفقهاء إلى باب السور إلى مخيم السلطان هولاكو مع شهاب الدين الزنجاني ليقتلوا». قلنا: فهذا، والله أعلم، بعض جزائه في الدنيا أن حَلّ به ما حل، نسأل الله حسن العاقبة!

وفيها، توفي الشيخ الصالح الزاهد محمد بن السَّكْران[1] ، ودفن في رباطه بناحية المبارَكَة[2] من الخالص بالجانب الشرقي من بغداد وبُنِيَ عليه قُبَّة وعُمِلَ عليه ضريحٌ من الخَشَب. وكان رحمه الله على قاعدة السَّلَف في العِفّة والزُّهد والانقطاع وتَرْبية الفقراء والإيثار وحُسن السِّيرة. سكنَ في هذه الناحية في مبدأ أمْره يَزْرع بيده ويواسِي الواردين مما يحصل له، ثم عَمَّرَ مَوْضعاً يأوي الفقراء إليه، فبقي على ذلك مدة، ثم عمر له هذا الموضع رباطاً فَزَرع إلى جانبه بُستاناً غرسَ فيه نَخْلاً وشَجَراً وأوقفه على الفُقراء، فانضم إليه جماعةٌ من الصَّالحين كل منهم يزرع بيده ولا يتخصص بالنماء، فكان يقيم بجميع من يجتاز به، ثم اعتمدعلى أصحابه في ذلك، وانقطع يعبد الله ولا يطلب بفيه قوتاً،

---

(١) ترجمه تاج الدين ابن الساعي في كتابه «أخبار الزهاد»، وهو آخر كتاب كتبه في حياته، وبيّن أحواله والصداقة التي كانت تربطهما، واحتفاله بالمولد النبوي الشريف (انظر مجلة المورد، العدد ٣من المجلد ٣بغداد ١٩٧٤: العثور على أثر مفقود لمؤرخ العراق ابن الساعي). وترجمه الذهبي في حاشية نسخته من «تاريخ الإسلام» ترجمة جيدة (الورقة ٢٧٧من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٣)، قال: «محمد بن سكران بن أبي السعادات مُعَمَّر، القدوة بقية السلف، شيخ العراق، أبو الفقراء، مات في تاسع شعبان سنة سبع، فدفن برباطه بناحية الخالص، وبني عليه قبة عالية. . .الخ». قلنا: هذه القبة قائمة إلى يوم الناس هذا وهي مشيدة بالآجر والجص، مثمنة الشكل عليها كتابة أثرية تشير إلى أنها من إنشاء خادمه ووصيه الشيخ خميس سنة ٦٦٧هـ. وكانت إلى جنبه مقبرة صغيرة، ثم اتخذتها أمانة بغداد مقبرة لكل الجانب الشرقي منها، فصارت اليوم أكبر مقابر بغداد الحديثة سعة.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «المباركية». وقد ذكر هذا الرباط صفي الدين عبدالمؤمن في «مراصد الاطلاع»، فقال: «والزاوية ببغداد قرية من قرى الخالص، كان فيها زاوية للشيخ محمد بن سكران رحمه الله يُطعم فيها من يجتاز به». (٦٥٦).

لكنه[1] إن أعطي[2] أكلَ وإن اشتَغَلُوا عنه لا يطلب، حتى أنه ربما بَقِي أياماً لايطعم، فقال يوماً لأصحابه: لا ريب أنكم ما تسألون عن أحوال الفُقراء، وقد بلغني أن بينكم فقيراً له أيام لم يطعم. ففحصوا عن ذلك فعرفوا أنهم أهملوا الشيخ، فاعتذروا إليه باشتغالهم في خِدْمة الواردين، واستغفروا الله. قيل: إن خواجه نصير الدين الطُّوسي اجتمع به وقال له: ما حد الفَقْر؟ فقال: الذي أعرفه أن زيق الفَقْر[3] ضَيّق لايَدْخله رأس كبير!.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «لكن».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «أعطي له».
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «ربق الفقير»، ولا معنى لها، ويعضد النسخة ما نقله الذهبي بخطه في «تاريخ الإسلام»، وكأنهما نقلا من تاريخ الظهير الكازروني.

سنــة

ثمان وستين وست مئة

فيها، تَقَدَّم علاءُ الدين صاحب الديوان بعمل دُولاب تحت مُسناة المدرسة المستنصرية يَقْبض الماء من دجلة ويَرْمي إلى مُزَمَّلَتها، ثم يجري تحت الأرض إلى بركة عُمِلَت في صَحْن المدرسة، ثم يخرج منها إلى مُزَمَّلة عُمِلَت تجاه إيوان الساعات خارج المدرسة. وجَدَّدَ تطبيق صَحنها وتَبْنِيد حيطانها، وكان المتولي لذلك شمس الدين حميد الخراساني صَدْر الوقوف.

ثم أمرَ بعمارة مُسناة مسجد قُمْرية بالجانب الغَرْبي، وكانت قد خَربت في زمن الخليفة المُسْتَعصم عند زيادة دجلة وغَرَق بَغْداد، وعَمِلَ موضعها سكراً من الخَشَب وبَقِيَ إلى الآن، فَتَقَدَّمَ بتجديده وعَمَلِه كما كان أولاً.

ثم تَقَدَّم بترتيب الشيخ نور الدين علي ابن الأطلبي الحَنَفي مُدَرِّساً بالبَشِيرية عِوَضاً عن فخرالدين الطِّهراني المتوفَّى في السنة الماضية.

وفي خامس عِشْري جُمادى الآخرة، ركب علاء الدين صاحب الديوان لصلاة الجُمُعة، فلما وَصَل إلى المسجد الذي عند عَقْد مَشْرعة

الإبريين[1]، نهضَ عليه رَجلٌ وضَرَبَهُ بسكين عدة ضَربات، فانهزمَ كُلُّ مَن كان بين يديه من السَّرْهَنْكية، وهَرَب الرَّجُل أيضاً فعرضَ له رجل حَمّال[2] كان قاعداً بباب غلة ابن توما[3] وألْقَى عليه كِسَاءَهُ ولحقه السَّرْهَنكية فضربوه بالدَّبَابِيس وقَبَضُوه. وأما الصاحب فإنه أُدخل دار بهاء الدين ابن الفَخْر عيسى، وكان يومئذٍ يسكن في الدار المعروفة بديوان الشَّرَابي، لمّا عرفَ بذلك خرجَ حافياً وتَلَقَّاه ودخلَ بين يديه وأحْضَر الطبيب، فَسَبَر الجُرْحَ ومَصَّهُ فوجدَهُ سَلِيماً من السُّم، وأُحْضِرَ الجارح وسُئِلَ عن وَضْعه، فلم يقل شيئاً وعاجَلَهُ الموت لكن توهموا أن ذلك بوضع بعض النَّصَارى[4].

---

(١) ذكرنا فيما سبق من تعليقات أن هذه المشرعة كانت تقع عند باب الغَرَبة من أبواب دار الخلافة، ويوافق موقعها شريعة شارع السموءل حالياً. أما المسجد فليس في النصوص التاريخية والخططية ما يساعد على تحديد موقعه من هذا الشارع. وكان الدكتور مصطفى جواد رحمه الله قد ذهب في هامش المطبوع إلى أنه «يوافق المسجد المعروف بجامع الكبابجية اليوم» يريد جامع الوفائية في سوق الكبابجية. قلنا: ومَشْرعة هذا السوق هي التي كانت تعرف في أواخر العصر العباسي بمشرعة المدرسة، وهي ليست مشرعة الإبريين، التي تليها من جهة الشمال.

(٢) تصحفت في المطبوع إلى: «جمال».

(٣) كان هذا الباب قريباً من دار الخلافة العباسية، ولعله كان أحد أبوابها غير المشهورة. وورد في «تاريخ الحكماء» لابن القِفْطي (١٤٥) باسم «باب درب الغلة المظلمة». أما نسبته لابن توما، فلأن الطبيب صاعد بن يحيى بن هبة الله بن توما النصراني قد قتل عنده سنة ٦٢٠ فعرف به.

(٤) ذكر ابن العبري هذه الحادثة، لكنه عزا الفعل للإسماعيليين، وذكر ما شاع من أن المعتدين كانوا نصارى قد أرسلهم الجاثليق، قال: «بناءً عليه ألقي القبض على الأساقفة والرهبان والأعيان وحبسوا في بغداد، وقبض قتولوبك كذلك على الجاثليق وعلى أساقفته في إربل وعذبوهم...» (تاريخ الزمان ٣٢٨).

وفيها، غَلَت الاسعار ببغداد حتى بلغ الكُر من الحنطة مئة وخمسين ديناراً، وكان الخبز يَتَعَذَّر في الأسواق أكثر الأوقات.

وفيها، توفي الشيخ أبو نصر محمد[1] بن أبي الحسن الخَرَّاز[2] الصُّوفي ببغداد، وكان شيخاً ورعاً كَيّساً حَسَن المُحاضرة، يقول الشِّعر وله «ديوان» مشهور، وَرَدَ عليه بعضُ أصحابه فلم يقم له، وأنشدَهُ قوله:

نَهَض القَلْبُ حين أقبلت إجلا　　لاً لما فيه من صَحِيح الوِدَادِ
ونهوض القُلوب بالوِدِّ أولى　　من نُهوض الأجْساد للأجْسادِ

وفيها، توفي تقي الدين بن كُلَيْب النَّحويّ الواسطيُّ، وكان فاضلاً شاعراً.

وفيها، رفع البابا على مَسْعود البَرْقُوطي والي المَوْصل وأشْموط الشّحنة بما وصل من الأموال إليهما، فأُخِذَا وحوسِبا وعُزِلا، وسُلّمت المَوْصل إلى البابا، وجُعِلَ معه بعض أمراء المَغُول شحنة.

(١) البداية لابن كثير ١٣/٢٥٨.
(٢) تصحفت في المطبوع إلى: «الجزاز».

سنــة
تسع وستين وست مئة

فيها، توفي الشيخ سراج الدين عبدالله[1] ابن الشَّرِمْساحي[2] المالكي المدرِّس بالمدرسة المستنصرية. وكان عالماً كثير العبادة، ورد إلى بغداد في زمن الخليفة المُسْتَنصر ومعه أخوه علم الدين أحمد[3]، فلما توفي الآن عين أخوه عَلَم الدين في موضعه نقلاً من تدريس البَشِيرية[4].

وفيها، قُتِلَ العدل نجم الدين يحيى بن عبدالعزيز الناسخ، وسبب ذلك: أنه نُسِبَ إليه مُكاتبة ملوك الشام فحُبِسَ وقُرِّر، فاعترفَ بذلكَ، فأُمِرَ بقتله، وكان فاضِلاً ورعاً تقياً -نعوذ بالله من سوء التوفيق[5].

---

(١) هو أول من تولى تدريس المالكية بالمستنصرية (وانظر: تاريخ علماء المستنصرية للعلامة الدكتور ناجي معروف).

(٢) الأصح أن ينسب: «الشَّارِمْساحي»، وشارمساح قرية كبيرة من كورة الدقهلية بمصر.

(٣) تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٨١٥.

(٤) تقدم أنه تولى تدريس هذه المدرسة عند افتتاحها سنة ٦٥٣هـ.

(٥) تاريخ الإسلام، للذهبي، الورقة ٢٩٠(مجلد أيا صوفيا ٣٠١٣). وقال العلامة الدكتور مصطفى جواد -رحمه الله- في تعقباته النفيسة على الشيخ محمد رضا الشبيبي في كتاب «مؤرخ العراق ابن الفوطي»، من أن علاء الدين الجويني كان متنكراً للمغول الوثنيين الطغاة، قال العَلاّمة بعد أن ساق هذا الخبر: «فهذا رجل بغدادي حنبلي المذهب قُتِلَ على مكاتبته ملوك الشام في ولاية علاء الدين الجويني على بغداد، ولم =

وفيها، توفِّي صفي الدين عبدالله بن جَمِيل الجُبِّي. كان أديباً فاضلاً، ظريفاً، خليعاً، حسنَ الأخلاق، طيِّب المُحاضرة، وكان من شُعراء الديوان زمن الخليفة، وله أشعار حسنة.

وحج الناسُ في هذه السنة وعادوا سالمين.

= يستطع علاء الدين أن يفعل شيئاً لإنقاذه، ومجرد قتله فيولايته هو مما يُنعى عليه أبد الدهر، ويعاب عليه سجيس الليالي. **والظاهر أن الحنابلة كان لهم الجهد المشكور وأن منهم الضحايا الكريمة في ذلك المنحى السياسي الخطير»** (مجلة المجمع العلمي العراقي ٦/ ٤٤٤بغداد ١٩٥٩). قلنا: هذا كلام مؤرخ عالم منصف مطلع على سير العلماء وجهادهم في مقاومة الكافرين، والمطلع على سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية وموقفه من الغزوة الغازانية للبلاد الشامية وبلائه وبلاء أصحابه في وقعة «شقحب» يعلم صحة استنتاج العلامة الدكتور -تغمده الله برحمته-.

سنــة
سبعين وست مئة

فيها، وصلَ خواجه شرف الدين هارون ابن الصاحب شمس الدين محمد ابن الجويني صاحب ديوان الممالك وسأل من الصاحب علاء الدين عَمه تزويجه بابنة أبي العباس أحمد ابن الخليفة المستعصم، فأحضر قاضي القضاة سراج الدين محمد بن أبي فراس الهُنايسي وجماعة العُدول والمشايخ، فاشترطت والدتها -وهي زوجة الصاحب علاء الدين- قبل العَقْد عليه: أن لا يَشْرب الخمر، وأجاب إلى ذلك، فَعُقِد العَقْد وكُتِبَ كتاب الصّداق بخط بهاء الدين ابن الفَخْر عيسى الإزبلي المُنْشىء، فَشَهِدَ فيه قاضي القضاة وعَدْلان، وصورته «الحمد لله الذي جمعَ الشَّمل ونظمه، وقَوَّى عَقْدَ الأُلفة وأحكَمَه، وأوثقَ حَبْلَ الاجتماع وأبْرَمه، وصلواته على سيدنا محمد الذي شَرَّفه وعَظَّمَهُ ورفعَ قَدْرَه وكَرَّمَه، وعلى آله وصحبه الذين أوضحوا منارَ الإيمان وعلمه وأظهروا بُرهانه، وأناروا ظُلَمَه وكَشَفُوا لُبَّه وخَصَّصُوا مُبْهَمَه. هذا ما أشهدَ عليه المولى الصاحب المُعَظَّم شرفُ الدولة والدِّين ملك الوزراء مَفْخرُ الدُّنيا هارون ابن المولى الصاحب المُعَظَّم شرف الدولة والدين الأعظم العادلِ المُؤَيَّدِ المُجاهدِ المُرابطِ شمس الدين آصف العَهْد ملكِ وزراء الآفاق، مالكِ رِق المَعَالي بالاستحقاق، فريدِ العَصْر في شَرَف

الخِلال وكَرَم الأخلاق محمد ابن الصَّاحب المُعَظَّم بهاء الدين محمد -أطال الله عمر الخَلَف، وأهدى الرّضوان إلى السَّلف- في صحةٍ من رأيه الكريم ونفاذٍ من تَصَرُّفه القَويم ومَضَاءٍ من سَدَاده المُسْتَقيم: أنَّ عليه وقَبِلَهُ وفي ذِمَّته وخالص ماله لزوجته السّيدة الجليلة المُعَظَّمة الكَرِيمة المُقَدَّسة الطَّاهرة الزكية أمة الله المُباركة المدعوة رابعة أُخت البتول الزَّهراء في طهارة المِيلاد وابنة عَمِّها في نَسَب الآباء والأجداد بنت الأمير الكبير السَّعيد الشَّهيد أبي العباس أحمد ابن الإمام السَّعِيد الشَّهِيد أبي أحمد عبدالله الإمام المُسْتَعصم بالله أمير المؤمنين (وذكر نسبه إلى العباس عم النبي ﷺ) من العين مئة ألف دينار واحدة ذَهَباً عَيْناً صِحاحاً وذلك بحق صداقها الذي تَزَوَّجها عليه تزويجاً صَحِيحاً شَرْعياً تولي برشد وشاهدي عَدْلٍ، وتولى هذا العَقْد الميمون قاضي القضاة شَرْقاً وغَرْباً وبُعداً وقُرباً سراج الدين محمد بن أبي فراس الهُنَايِسي بإذْنها ورِضَاها، فصارَ المبلغ المُشار إليه دَيْناً لها عليه، وحَقّاً واجباً ثابتاً لازِماً وصداقاً حالاً غيرُ مؤجَّل يؤديه إليها متى شاءت من ليل أو نهار من غير دَفْع ولا مَنْع ولا اعتذارٍ أقَر المولى الصَّاحب المُعَظَّم شرفُ الدين المُشْهِد على نَفْسه أنه مليءٌ بالنَّقْد المذكور وهو مئة ألف دينار من النَّقْد المُعَيَّن فيه، وَفِيٌّ به قادِرٌ عليه، وقَبِلَ ذلك وصَحَّ قبوله، وبذلك جَميعه أشهدَ على نفسه الكريمة في جُمادى الآخرة سنة سبعين وست مئة».

وفيها، أمرَ علاء الدين صاحب الديوان بتجديد عِمارة مَنارة جامع

الخليفة[1] ، وكان صدر الوُقوف يومئذ شهاب الدين عليّ بن عبدالله فشرعَ في ذلك، وأُنْجِزت في آخر شعبان، ثم سَقَطَت في شهر رَمَضان بعد فراغ الناس من صلاة التراويح، ولم يتأذ أحد ممن كان هناك.

وفيها، وقع حريقٌ بسوق المَدْرسة النِّظامية، فاحترقَ جميعه، وهلكَ فيه خَلْق كثير ممن كان في الغُرف، وذهبَ من أموال الناس شيء كثير، فأمر الصاحب علاء الدين بعمارته من حاصل وَقْف المدرسة.

وفيها، توفي قاضي القضاة سراج الدين محمد[2] بن أبي فراس الهُنايسي في آخر رَمَضان، ودُفِن في الصُّفّة التي تقابل ضَرِيح الشيخ مَعْروف -رحمه الله- كان في مبدأ أمره فَقِيها، ثم وُلِّيَ مُدَرِّساً في المدرسة البَشِيرية، ثم نُقِلَ إلى القَضاء، وخَطَب بجامع الخليفة وهو قاض، ووُلِّيَ القضاءَ بعده عز الدين أحمد ابن الزَّنْجاني نَقْلاً من قضاء الجانب الغَرْبي في ذي الحجة.

وفيها، قُتِل نجم الدين خواجه إمام. كان من نُوّاب الصَّاحب علاء الدين، قَدِمَ معه من خُراسان فأثبته فَقِيهاً بالمدرسة المُستنصرية وفَوَّض إليه أمر وكالته في خاصته، وقَدَّمه وأعلى مرتبتَهُ حتى صار المُشار إليه في بغداد، وحَصَّل أموالاً عَظِيمةً. ثم كَفَر النِّعْمَةَ واستعدَّ للقول في الصَّاحب، فبلغه ذلك، فقبضَ عليه وحَبَسَهُ في داره فنقبَ الحَبْس

(١) هو المعروف اليوم بجامع الخلفاء، وهو جامع القصر الذي تكلمنا عليه آنفاً.
(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي، الورقة ٢٩٤ (أيا صوفيا ٣٠١٣).

وخرجَ منه ليلاً، والتجأ إلى بعض أُمراء المغول وضَمِن له مالاً على أن يوصله إلى حضرة السلطان، فركب الصاحب في جماعةٍ وأحاطَ به وأخذَهُ وقَتَلَه، وطيفَ برأسِه في بغداد ثم دُفن في مشهد أبي حنيفة.

وفيها، توفي . . .[1] كان أديباً من كبار المتصرفين.

وفيها، أمر علاء الدين صاحبُ الديوان[2] بعمارة موضع في نَهْر جعفر[3] من أعمال واسط سَمَّاه المأْمَن وبَنَى فيه دِيواناً وجامعاً وخاناً وحَمّاماً وسُوقاً، وانتقلَ إليه خَلْقٌ كثير. وكان التجار المُنْحَدرون إلى البَصْرة والمُصْعِدون منها يُصْعِدُون مَتَاعهم إليه، فانتفعوا به وأمنوا على أموالهم، وبنى فيه ناصر الدين قُتلغ شاه الصَّاحِبي مدرسةً.

(١) بياض في الأصل، وليس بين أيدينا ما نعرف به المتوفى.
(٢) في المطبوع: «صاحب الديوان علاء الدين».
(٣) ذكر ياقوت في «معجم البلدان» أنه نهر بين واسط ونهر دقلة، وأنه أحد ذنائب دجلة، وأنه أحد الأنهر الخمسة العظام التي ينقسم إليها دجلة بعد انفصاله عن واسط.

سنـــة
إحدى وسبعين وست مئة

فيها، رأى رجلٌ ببغدادَ في المنام أنَّ بعضَ أولاد الحسن بن علي -عليه السلام- في موضعٍ بقراح أبي الشَّحم[(١)] ، فأعلَمَ النَّاسَ بذلك، فنَبَشُوا المَوْضِعَ فوَجدوا فيه قَبْراً، فتَبَرَّع بعضُ الموسرين وأخرجَ شيئاً من ماله، وشَرَعَ في عِمارته، وشاعَ ذلك ببغدادَ، فحضرَ خَلْقٌ كثيرٌ للزيارة ونَذَروا له نذوراً صح أكثرها، فاجتمعَ من ذلكَ شيء كثير فَعُمِّر بالآجر والجُص، وعُمِلَ[(٢)] عليه ضريح، ورُتِّب فيه بواب وفراش وإمام ومؤذن، وسُمِّي مشهد عبدالله الباهر.

وفيها، تكاملت عِمارة المَدْرسة التي أمَرَت بإنشاءِها زوجة علاء الدين صاحب الدِّيوان[(٣)] ، مجاور مَشْهد عُبيدالله -عليه السلام- ظاهر

---

(١) القراح بلغة البغداديين: البستان، وفي بغداد عدة محال تسمى بـ «قراح» مضاف إلى رجل يعرف باسمه لأنها كانت قديماً بساتين، ثم دخلت في عمارة بغداد. وقراح أبي الشحم محلة كبيرة بشرقي بغداد، ذكر ياقوت أنها واحدة من أربع محال كبار عامرة آهلة كل واحدة تقرب أن تكون مدينة، وفيها أسواق ومساجد ودروب كثيرة.

(٢) من هنا إلى قوله: «عبدالله الباهر» سقط كله من المطبوع فأفسد المعنى.

(٣) سيترجم لها المؤلف في سنة ٦٧٨، وهي ذات العصمة شاه لُبْنَى بنت عبدالخالق بن ملكشاه بن أيوب زوجة أبي بكر أحمد ابن المستعصم أولاً، ثم زوجة الصاحب علاء الدين عطا ملك ثانية، وقد مَرّ ذكرها قبل قليل في زواج ابنتها بنت ابن الخليفة وما اشترطت من شروط.

بغداد وسُمِّيت العِصْمَتية، ووقَفتها على الطَّوائف الأربع، وبَنَت إلى جانبها تُربة لها ورباطاً للمُتصوفة، وفُتِحَت في هذه السنة، ورُتِّبَ[1] بها القاضي عز الدين أبو المعز محمد[2] بن جعفر البَصْري مدرس الطائفة الشافعية، وعفيف الدين ربيع[3] بن محمد الكُوفي مدرس الحنفية، وشرف الدين داود الجيلي مدرس الحنابلة[4]، ومجد الدين المعروف بشقير الواعظ مدرس المالكية، وخُلِعَ على الجميع، وعُمِلَ بها وظيفة، وجَعَلَت النَّظَر فيها إلى شهاب الدين علي بن عبدالله والإشراف عليه إلى من وَلِيَ قضاءَ القضاة ببغداد.

وفيها، عُيِّنَ تاج الدين عبدالرحيم بن يونُس المَوْصلي الشافعي قاضياً بالجانب الغربي ببغداد، وأضيف إليه الدَّرْس[5] بالمدرسة البَشِيرية. وكان رجلاً فاضلاً عالماً له مُصَنَّفات مشهورة، فلم تطل

---

(١) وقع في المطبوع: «ورتبت» ولا يستقيم.

(٢) ستأتي ترجمته في وفيات السنة الآتية ٦٧٢.

(٣) تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٦٨٧، وقد عاش إلى ما بعد سنة ٦٩٦.

(٤) ذكره زين الدين ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة، فقال: وكان ببغداد في حدود السبع مئة جماعة لا أتحقق وفاتهم، فمنهم: داود بن عبدالله بن كوشيار الحنبلي (ولعلها: الجيلي) الفقيه المناظر الأصولي، شرف الدين أبو أحمد. كان فقيهاً بارعاً، عارفاً بالفقه والأصلين، دَرّس ببغداد بالمدرسة العصمتية (في المطبوع: المستعصمية- خطأ)، ثم دَرَّس بالمستنصرية، بعد وفاة الشيخ نور الدين البصري المتقدم ذكره، وصنف في أصول الفقه كتاباً سماه «الحاوي» وفي أصول الدين كتاباً سماه «تحرير الدلائل». وتوفي -فيما يغلب على ظني- بعد التسعين وست مئة، رحمه الله» (٢/ ٣٤٤).

(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «التدريس».

أيامه، وتوفِّي في آخر هذه السنة[1].

وتوفي أيضاً القاضي مجد الدين أحمد الدُّوري فُجاءَةً.

وفيها، جلسَ خواجه شرف الدين هارون ابن الصاحب شمس الدين ابن الجويني صاحب ديوان الممالك على السُّدّة بالمدرسة النِّظامية، والقَى دروساً، وحضرَ علاء الدين صاحب الديوان عَمُّه، وكافة أرباب الدولة والمدرسون والعُلماء والفقهاء تحت سُدَّته، وأنشد الشُّعراء بعد فراغه.

وفيها، رَتَّبَ قاضي القضاة عزُّ الدين أحمد ابن الزَّنْجاني عِزَّ الدين أبا العز محمد[2] بن جعفر البَصْري نائباً عنه في القَضاء ببغداد.

---

(1) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٤، وتاريخ الإسلام، الورقة ٤ (من مجلد أياصوفيا ٣٠١٤)، وطبقات السبكي ٨/ ١٩١، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٦٥، ومرآة الجنان ٤/ ١٧١، وشذرات الذهب ٥/ ٣٧٣وغيرها.

(2) في المخطوط والمطبوع: «أحمد» وهو وهم من الناسخ جد واضح، فقد مر قبل قليل، وسيأتي في وفيات السنة الآتية.

سنة
اثنتين وسبعين وست مئة

فيها، وصل السُّلطان أباقاخان إلى بَغْداد، وفي خدمته الأُمراء والعَساكر وخواجه نصير الدين الطُّوسي، وعَبَرَ دجلة وتَصَيَّد في أراضي قُوسان حتى بلغ قريباً من واسط، ثم عادَ إلى بغداد، ونزل بالمُحَوَّل، وأمرَ بالإحسان إلى الرَّعَايا، وتَخْفيف التَّمغات(١)، وحَذْف الأثقال عنهم، وكُتِبَ ذلك على حِيطان باب جامع المُسْتنصرية، ثم أقطعَ المُحَوَّل بلغان خاتون. فلما انقضى الشتاء عادَ إلى مقر مُلْكه. وأما خواجه نصير الدين الطُّوسي فإنه أقامَ ببغدادَ وتصفح أحوالَ الوقوف وأدَرَّ أخباز الفُقهاء والمدرسين والصُّوفية وأطلقَ المشاهرات وقَرَّرَ القواعد في الوَقْف وأصلَحَها بعد اختلالها.

وأمرَ السُّلطان بإضافة تُسْتَر وأعمالِها إلى علاء الدين صاحب الدِّيوان، فتوجه إليها وتَصَفَّحَ أحوالَها وعَيَّنَ بها نُواباً، فذكروا له أنَّ بها رجلاً يَدّعِي النّبوة، وقد اتفقَ معه جماعةٌ، وقد نَقَّصَ لهم من الفُروض صلاةَ العَصْر وعشاء الآخرة، فأمر بإحضاره وسألَهُ عن هذه الحال، فرآه ذكياً عارفاً ببعض العلوم، فأمرَ بقتله، فَقُتِلَ وسُلِّم إلى العوام، وأُخِذَ أكثر من كان قد اتبعه.

---

(١) جمع تمغة، وهي كلمة مغولية تعني هنا: الرسوم والضرائب على الأموال التجارية.

وهذا كان صبياً من أبناء التجار اسمه «كُيّ»[1] اشتغلَ بحفظ القُرآن والفِقه والإشارات والنُّجوم، وكان ينظم شِعْراً بالفارسية، فادعى أنّه عيسى بن مريم، وقال إن بَلَغْتُ من العُمر ثمانياً وثلاثين سنة تم أمري. ونظمَ شِعْراً يتضمن ذلك، فَقُتِلَ[2] ولم يبلغ ما ذكره من العمر.

وفيها، عُيِّنَ نجم الدين محمد بن أبي العز البَصْري مدرس الطائفة الشافعية بمدرسة الأصحاب، ونصير الدين الفاروثي مُدَرِّس المدرسة النظامية.

وفيها، توفِّي الشيخ كمال الدين علي[3] بن وَضَّاح الشَّهرابانيُّ

---

(١) قيّده الذهبي بخطه بضم الكاف وتشديد الياء آخر الحروف، وقال: «شاب ذكي فقيه أدعى النبوة بتستر وزعم أنه عيسى بن مريم... الخ» (تاريخ الإسلام، الورقة ١٢من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٢) وقع في المطبوع: «وقيل: ولم»، وهو خطأ بيّن.

(٣) ترجمه الحافظ ابن رجب ترجمة رائقة في الذيل (٢/ ٢٨٢-٢٨٤)، وقال: «وتوفي رحمه الله، ليلة الجمعة ثالث صفر سنة اثنتين وسبعين وست مئة. كذا ذكره غير واحد من أهل بغداد من شيوخنا وغيرهم، وهو أصح مما قاله الذهبي: إنه سنة إحدى وسبعين. وأبعد من ذلك ما قاله الدمياطي: إنه توفي سنة ثلاث، أو أربع، وهذا قاله بالظن والتقريب لبعد البلاد وعدم من يراجعه في تحقيق ذلك». قلنا: هكذا جزم بأن الذهبي قال بوفاته سنة إحدى وسبعين، وفيه نظر. نعم، ترجم له الذهبي أولاً في وفيات سنة ٦٧١(الورقة٥)، لكنه ترجمه بعد ذلك في وفيات سنة ٦٧٢ مستدركاً على تلك الترجمة، قال: «علي بن محمد بن محمد بن محمد بن وَضّاح، الشيخ كمال الدين الشهراباني الفقيه الحنبلي المحدث، توفي في ثاني صفر، يقال فيها، ويقال سنة إحدى، وقد مَرّ في العام الماضي، والصواب هنا، وكذا قال الكازروني أنه مات في ثالث صفر يوم الجمعة، وقال: فاجتمع عالم لا يُحصون للصلاة عليه...» (الورقة ١٢من مجلد أياصوفيا ٣٠١٤بخطه)، فكأن ابن رجب ما وقف على هذه الترجمة المُسْتَدْركة.

الحنبليُّ مُدَرِّس المُجاهدية، ودفن تحت أقدام الإمام أحمد بن حنبل -رحمهما الله- وكان شيخاً صالحاً زاهداً ورعاً عارفاً بالمذهب والأحاديث النبوية، وله تصانيف كثيرة، كان مولدة سنة تسعين وخمس مئة.

وتوفي القاضي عز الدين أبو العز محمد[1] بن جعفر البَصْريُّ، ودفن عند الجُنيد. وكان عالماً فاضلاً، وُلِّيَ تدريس النظامية بعد واقعة بغداد، ثم نُقِلَ إلى تدريس مدرسة الأصحاب، ودرس في المدرسة العِصْمَتية عند فتحها، ونابَ في الحُكْم والقَضاء ببغداد[2].

وفيها، قُتِلَ النقيب تاج الدين علي[3] بن رَمَضان بن الطِقْطِقَى بظاهر سُور بغداد، وثبَ عليه جماعةٌ من أهل الحِلّة وضَرَبوه بالسُّيوف وكانَ السُّلطان ببغداد، فلم يَزَل الصَّاحب علاء الدين يَفْحص عن قاتليه حتى حصلهم وقَتَلهم، ثم أخذ أكثر أملاكه بشبهة ما بقي عليه من ضَمَان الأعمال الحِلّية[4].

وفي منتصف ذي القعدة، توفي الملك عز الدين عبدالعزيز[5] بن جعفر النَّيْسابوري ببغداد، وكان شَيْخاً جَوَاداً مواصلاً لكل من يَسْتَرْفده، واشتهر ذكره في البلاد بالكَرَم، تولَّى شَحْنكية واسط والبَصْرة، وكان

---

(١) تاريخ الإسلام، الورقة ١٣(أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٢) ذكر الذهبي أنه ولد في أول سنة ٦٠٦، وأنه روى عن جده.
(٣) تاريخ الإسلام، الورقة ١٢(أيا صوفيا ٣٠١٤)، وعمدة الطالب ١٦.
(٤) لعل علاء الدين هو الذي واطأ مَن قتله على قتله، لما هو معروف من العداوة بينهما.
(٥) الفخري ١٢، وتلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٢٦٣، وتاريخ الإسلام، الورقة ١١ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

حَسَن السِّيرة عظيم النَّاموس، دُفِنَ في مَشْهد علي -عليه السلام- ورثاهُ الشُّعراء بأشعار كثيرة منها: قول ابن الكَبُّوش[1] البَصْري من قصيدة هذا منها:

لـم أبكِ حتى بَكَى لكَ الكَرَمُ ... والسَّيـفُ يـومَ القـراع والقَلَـمُ
واحمَرَّ وجه الثَّرى عليكَ أسى ... إذ كُـلُّ دَمْـعٍ جَـرَى عليـكَ دَمُ
لا أحْمـد الغَيْـث إن عَـدَاك ولا ... إذا انبَـرى فـي ثـرَاك يَنْسَجِـمُ
وكيـف يَسْقـي ثَـرَاك صَوْب حَيا ... وفيـه بَحْـرٌ بـالجـودِ يَلْتَطـمُ
وأيـن جُـود الغَمَـام منـكَ ولـو ... جـادَت علينا بـالعَسْجد الدِّيَـمُ
لو كان يُحْيي النَّدَى الكرامَ لقد ... أحيـاكَ مِـن بعـد مـوتِـكَ الكَـرَمُ
أنـت إمـامُ النَّـدَى قـد اتفقَـت ... عليـكَ بعـد اختـلافِهـا الأُمَـمُ
جُزْتَ المَدَى في النَّدى فلا عَرَب ... يَلْقـاك فـي شـأوه ولا عَجَـمُ
مـا نـالَ كَعْبٌ ما نلتَ منه ولا ... مَعْـنٌ ولا حـاتِـمٌ ولا هَـرِمُ
لـم تَلْـف فـوق السَّمَـاء مَنْزلـة ... إلا سَمَـت نحوهـا بـكَ الهِمَـمُ
مِـن بعـدِ عبدالعزيز لا وُجِدَت ... إلـى رسـوم المكـارم الـرّسـمُ
المُـوقد النَّـارَ في الدُّجى كَرَماً ... بـالمَنْدل[2] الـرَّطب والشتـاشَبِـمُ
مَـن لـم يَمُـت بعـد إلفـه أسَفـاً ... فـإنــه فــي الــوِدَاد مُتَّهَــمُ
ولـو قَضينـا لمـا قضيـت أسـىً ... لَمـا قَضـت بعـد حقـك الـذِّمَـمُ

---

(١) هو عبدالسلام ابن الكبوش الآتية ترجمته ووفاته في سنة ٦٧٦من هذا الكتاب.
(٢) المندل: نوع من العود ذكي الشذا، فائق الرائحة، سمي باسم بلد بالهند يجلب منه، كما ذكر ياقوت وغيره.

إن لم تسل مُقْلة بكتك[1] دَمَاً فلا حَلاَ في جُفونها الحُلمُ
بِمَن يلوذُ الرَّاجي سواكَ ومَن به يعوذ اللاَّحي ويعتصمُ
قد كُنْتَ لي كعبة أطُوفُ بها يا مَن حِماه لِوَفْده حَرَمُ
ما لي أرَى المُكْرَمات بعدكَ قد شُلَّت يَدَاها وزَلَّت القَدَمُ
ماتَت فما تُبَشِّر المكارم إذ تَنْشُر منكَ الأعراق والشِّيَمُ
هي الليالي التي تُفَرِّقنا أيدي ملماتها وتلتئمُ
ما دام فيها مُلْكٌ ولا مَلِكٌ ولا تَدُوم البؤسى ولا النِّعَمُ
فأينَ كِسْرى وأين قَيْصَره وما دَهَى قومَهُ وأين هُمُ
سَيَهْدم العارِضَان كلّ بنا وما بَنَى المَجْد ليسَ يَنْهَدمُ
إنا لنَسْتَمْطر الغَمَام وقد أخلَفَ في العَام سَيْله العَرِمُ
ولو سألنا عبدالعزيز وما في القَبْر إلا عظامه الرِّمَمُ
لقامَ يَهْتَزُّ كالقناة[2] فتَى أغر أقْنَى في أنْفِه شَمَمُ
ما قالَ يوماً لسائليه بلا حَذَار: لا، بَل مَقَالُهُ نَعَمْ
يَزْدَحمُ القَوْل حينَ أمْدحه كَجُودِه والوفودُ تَزْدَحِمُ
كأنما النَّظْمُ من سُهولته يَنْظمه قبل نَظْمِه الكَلِمُ
إن القَوافي التي أقَمْتَ لها سُوقا عَفَت مثل ما عَفَا الكَرَمُ
وانقرضَت دولةُ القَرِيض فما يَنْظِمُ فِكْرٌ ولا يقولُ فَمُ

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «عليك».

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «كالبان»، وما أثبتناه من المخطوط، وقال الدكتور مصطفى جواد رحمه الله في تعليقه على المطبوع: «لعلها: «كالقناة» ليستقيم الوزن والمعنى». وهو تعليق جَيّد لكنه غير موافق لما في الأصل.

وأصبحَ النَّاسُ والبلاد معاً بَعْدَكَ لا بانةً ولا عَلَمُ

وتوفِّي بعده خواجه نصير الدين أبو جعفر محمد[1] ابن الطُّوسي في ثامن عَشَر ذي الحجة، ودُفِنَ في مشهد موسى بن جعفر -عليه السلام- في سِرْداب قَدِيم البناءِ خالٍ من دَفْنٍ، قيل: إنه كانَ قد عُمِلَ للخليفة النَّاصر لدين الله. وكان فاضِلاً عالماً كريمَ الأخلاق، حسنَ السِّيرة، متواضعاً لا يَضْجر من سائل، ولا يرد طالبَ حاجةٍ. كان مولده سنة سبع وتسعين وخمس مئة.

ورثاه الشُّعراء، فمما قاله بهاء الدين ابن الفخر عيسى الإرْبلي المُنْشىء فيه وفي المَلِك عز الدين عبدالعزيز المذكور:

وَلَمَّا قَضى عبدالعزيز بن جعفر وأرْدَفَه رزء النَّصِير محمدِ
جَزِعْتُ لفقدان الأخلاء وانبرتْ شُؤوني كمُرْفَضِّ الجُمان المُبدَّدِ
وجاشَت إليَّ النَّفْسُ حُزْناً ولوعةً فقلت تَعَزّي واصبِرِي فكأن قَدِ

وفيها، انحدرَ علاءُ الدين صاحبُ الدِّيوان إلى واسط، وقبضَ على فخر الدين مُظَفَّر[2] ابن الطَّرَّاح وأصحابَهُ ونُوابه، وأخذَ منهم أموالاً كثيرةً، وعَزَلَهُ ورَتَّبَ عوضه شمسَ الدين محمد ابن البَرُوجِرْدي.

وفيها، أُحْضِرَ عماد الدين محمد[3] بن حسن الأبهري المعروف

---

(١) تاريخ الإسلام، الورقة ١٤(أيا صوفيا٣٠١٤)، والبداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢٦٧-٢٦٨ وغيرهما، وهو: محمد بن محمد بن حسن.

(٢) انظر تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٢٤٨٧.

(٣) انظر تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ١١٩٠، وسماه أيضاً: الحسن بن محمد، فترجمه أيضاً (١٠٢٨)، ولعله وهم.

بالزمهرير، تقدم بعض الخواتين[1] إلى خواجه نصير الدين الطُّوسي بمشيخة رباط الخِلاطية، فَرَتَّبه عِوَضاً عن شمس الدين ابن اليَزْدي[2] . وكان شيخاً لم يخالط الصوفية ولا عَرَفَ قواعدَهم ولا تأدَّب بآدابهم. وكان الناس يولعون به، فقال له يوماً شمس الدين الكُوفي الواعظ: «أنا وأنتَ لا نُرَى في الجَنَّة» فتأثر لذلك واغتاظَ منه، فقال له: إنَّ الله تعالى يقول: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان]. ولم يزل شيخاً بالرباط إلى سنة سبع وسبعين، ثم سافر وأعيد ابن اليَزْدي إلى الرِّباط.

وفيها، ظهر جَراد كثير أكَل الغلّات وسائر الزُّروع وخُوص النَّخْل وورق الأشْجار في الحلة والكُوفة وبغداد.

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «الخواقين». وهذه الخاتون هي أولجاي خاتون.

(٢) هو شمس الدين محمد بن سعد اليزدي.

سنـــة

ثلاث وسبعين وست مئة

فيها، رُتِّب الشيخ محيي الدين محمد بن المُحَيا العَبّاسي مُدَرِّساً بالمَدْرسة المُغِيثية[1]، وعُيِّن القاضي نظام الدين محمود[2] الهَرَوي المعروف بشيخ الإسلام قاضياً بالجانب الغَرْبي من بَغْداد، فَعُيِّن على الشيخ محيي الدين المذكور نائباً عنه في القَضاء[3].

وفيها، توفي السيد النقيب جمال الدين محمد بن طاووس بالحلة ودفن عند جده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وتوفي نجم الدين مَنْصور بن المؤذِّن. كان يَخْدم في زمن الخليفة ناظرَ البُر[4]، ورُتِّبَ بعد واقعة بغداد في الديوان مشاركاً للنواب، ولم يزل على ذلك إلى الآن. وكان حَسَن السِّيرة، مشكورَ الطَّريقة، قال ابن البديع: كان بينه وبين شيخنا ابن نجاد مودة فكان يكاتبه شيخنا بأشعار

---

(١) من مدارس الحنفية ببغداد، منسوبة إلى مغيث الدين محمود بن محمد السلجوقي المتوفى سنة ٥٢٥هـ (تلخيص مجمع الآداب ج٥ص٢٠٥) وتسمى أحياناً الغياثية نسبة إلى أبيه غياث الدين محمد بن ملكشاه، ويقال لها مدرسة السلطان أيضاً. وكانت تقع على شاطىء دجلة جنوبي المدرسة التتشية المقدم ذكرها في حوادث سنة ٦٥٠.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «محمد».

(٣) انظر تلخيص مجمع الآداب ٥/ الترجمة ٨٦٨.

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «بالحجر البثر».

ومُراسلات، كتب إليه مرة وقد أبَلَّ من مَرضٍ[1]:

صـــرفَ اللهُ نـــازلَ الأهـــوالِ عنك يا حامل الخُطوب الثِّقالِ[2]

وفَـدَيْنـاك بـالنُّفـوس التـي عَـزْ زَتْ علينـا فَضْـلاً عـن الأمـوال

ولعمـري إن الـذي أنْـتَ شـاكٍ منـه يَفْـدي يمينـه بـالشمـالِ[3]

وكتب إليه[4]:

. . . .

وفيهـا، رُتِّـب فخـر الـدين مُظَفَّـر ابـن الطَّرَّاح صـدرَ الحِلّة والكُـوفة والسِّيب.

وفيها، مات العَلَم الشَّرِمْساحي[5] أخو سراج الدين المالكي، وهو مدرس المالكية بالمُسْتنصرية، قال ابن البَدِيع: وفيه يقول شيخنا:

عليـم الخَنَـا لا الـدِّيـن، رأسـكَ للنَّعل

وليـسَ لغيـر النَّعْـل رأسـك بـالأهْـلِ

---

(١) في المطبوع: «أيل ومرض»، ولا معنى لها.

(٢) وقع في المطبوع:

صـــرف الله عنـــك نـــازلـــه الأهـ ـوال يا حامل الخطوب الثقال

(٣) لم يتمكن ناشر المطبوع قراءة أكثره فتركه فراغاً.

(٤) قوله: «وكتب إليه» سقطت من المطبوع، وما بعده فراغ في الأصل.

(٥) هو علم الدين أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن بن عمر (تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٨١٥)، وقال الذهبي في وفيات سنة ٦٧٣من «تاريخ الإسلام»: «أحمد بن عبدالرحمن بن عمر، العلامة علم الدين الشرمساحي المالكي...» (الورقة ١٦من مجلد ايا صوفيا ٣٠١٤بخطه).

فَحزتَ بتدريس ولا فَخْر لامرىءٍ
بمنصبه إن كان خلواً من الفَضْلِ
وما منصب التَّدْريس إلا غَضاضة
إذا ما اجتنى فيه نَظِيرك في الجَهْلِ
يصيبُ ولا يَدْري ويخطى وما دَرَى
كما جاء في تَفْصيل ذي المنطق الفَصْلِ
ولولا سراج الدِّين قلتُ مقالةً
يسير بها الركبان في الحَزْن والسَّهْلِ

وكان أخوه سراج الدين صديقاً لِشيخنا -رحمهما الله تعالى-.

سنــة
أربع وسبعين وست مئة

فيها، وقَعَ ببغداد وفر كَثير علا على الأرْض مقدار شِبْر، وهَبَّت ريحٌ شديدةٌ، وأظلمَّ الجو، فخافَ الناسُ وانزعجوا وعادُوا بالتَّضرع إلى الله تعالى والاستغفار حتى انكشَفَت. وتأخر وقوعُ الغَيْث في هذه السنة، فخرجَ النَّاسُ إلى ظاهر بغداد للاستسقاء مشاةً يتقدمهم قاضي القضاة عز الدين أحمد ابن الزَّنْجاني، وخطب الشيخ جلال الدين عبدالجبار بن عُكْبر الواعظ، ثم خرجوا من الغَد كذلك وخطب الشيخ عماد الدين ذو الفقار مُدَرِّس الشافعية بالمُستنصرية، ثم خرجوا في اليوم الثالث، وخطب الشيخ ظهير الدين محمد بن عبدالقادر، فلم يسقوا ماء الغيث إنما زادَ الفُرات عَقِيب ذلك وسقت[1] الزُّروع.

وفي آذار، جاء بَرْدٌ عظيم جَمد الماء منه واتْلَف الأشجار، ووَقَعَ في نَيْسان ببغداد بَرَد كِبار أهلكَ الزُّروع وقَتَل المواشي والغَنَم والطُّيور.

وفيها، عُيِّن الشيخ محي الدين محمد بن المُحَيّا العباسي خَطيباً بجامع المدينة المعروف بجامع السُّلطان ولصلاة العيدين بالمدرسة المستنصرية، وشَرْط الواقف: أن لا يخطب بها إلا هاشمي عَبّاسي،

---

(١) هكذا في الأصل، وفي المطبوع: «وسقى».

ولم يخطب بالعراق بعد الواقعة خطيب هاشمي سواه.

وفيها، عُزِلَ أمين الدين مُبارك الهِنْدي الجَوْهري من نقابة مَشْهَد موسى بن جعفر -عليه السلام- وعُيِّنَ في النَّقابة نجم الدين علي ابن الموسوي. ولما كان مبارك المذكور نَقيباً قال فيه بعض الشُّعراء:

رأيتُ في النَّوم إمامَ الهُدَى موسى حليفَ الهَمِّ والوَجْدِ
يقول ما تنكبني نَكْبة إلا من الهِنْد أو السِّنْد
تَحَكَّم السِّنْديُّ في مُهْجَتي وحُكِّم الهِنْدي في وُلْدي
فلعنةُ الله على مَن به تحكم السِّنْدي والهِنْدي

وفيها، رُتِّب الشيخ جمال الدين عبدالله ابن العَاقولي مدرسَ مَدْرَسة الأصحاب، ورُتِّبَ نجم الدين بن أبي العز البَصْري نائباً عن قاضي القضاة عز الدين ابن الزَّنْجاني في القضاء ببغداد.

وفيها، وُجِدَ رجلٌ وامرأةٌ في شهر رمضان في حَمَّام على فاحشةٍ، فامرَ علاءُ الدين صاحب الديوان بحصبهما، فَحُصِبَا ظاهر سور بغداد، ولم ير في تاريخ أنه حصب ببغداد أحد[1].

وفيها، توفي تاج الدين علي[2] بن أنجب بن عبدالله بن عَمّار بن عُبيدالله المعروف بابن السَّاعي المؤرخ. وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وخمس مئة، وكان أديباً فاضلاً، له مُصَنَّفات كثيرة آخرها «كتاب

(١) قال الذهبي بعد أن ذكر الحادثة: «فكأنهما اعترفا» (الورقة ٨٧ أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٢) مؤرخ العراق الكبير، انظر المقدمة التي كتبها الدكتور مصطفى جواد لكتابه «جهات الأئمة الخلفا»، وتاريخ الإسلام للذهبي، الورقة ٢٣أيا صوفيا ٣٠١٤).

الـزُّهّـاد»[1] ، وُجِدَ عليه بخط الشيخ زكي الـدين عبدالله بن حَبيب الكاتب:

ما زالَ تاج الدين طُول المَدَى مـن عُمُـره يَعنـق فـي السَّيْـر
فـي طلـبِ العِلْـم وتَـدْوينـه وفِعْلُـه نَفْـعٌ بـلا ضَيْـر
عَـلا علـيٌّ بتصـانيفـه وهـذه خـاتمـةُ الخَيْـر

وفيها، سَقَط ركن الدين ابن النقيب محيي الدين محمد بن حيدر نقيب الموصل بفرسه إلى دجلة ببغداد، وكان مجتازاً على الجَسْر فأُصْعِد وحُمِلَ[2] إلى مشهد علي - عليه السلام- فدُفِنَ هناك. وكان شاباً حَسَن الخِلْقة، عمره سبع عشرة سنة، ورثاه شمس الدين محمد بن عبيدالله الكُوفي الواعظ بقصيدةٍ طويلة أوردها في العَزَاء يقولُ فيها:

ألقـاهُ فـي المـاءِ الجَـوَادُ كـأنّـه بَـدْرٌ هَـوَى فـي صَنْدل[3] مُتَمَوِّرِ
أمْـواجُ دجلـة أغـرقتـه إذ طَغَـت وكَذَا الطُّغاةُ على الأكارم تَجْتَرِي
ولقـد تكَـدَّرَ صَفْـوهـا مـن بعـدِه ومتـى صَفَـت لهـم ولـم تتكَـدَّرِ
بـالله هـل أغْـرَقتـهُ شَغَفـاً بـه يـا مـاءُ أو حَسَـدَاً لمـاءِ الكَـوْثـرِ
هَـلاّ رَحِمْـت شَبَـابـه وتـركتـه من أجل وَلْهَى فيه ذات تَحَيّرِ
أومـا علمـتَ بـأنّـه رَحْـب الفِنَـا والصَّدْر عَذْب اللّفْظ حلو المَنْظَرِ
يـا مـاءُ مـا انصفـتَ آلَ محمـدٍ وعلى كمال الدين كُنتَ المُجْتَرِي

---

(١) عثر عليه الدكتور بشار عواد معروف في دار الكتب المصرية، وكان قبل ذلك يُعد من المفقودات في عالم المخطوطات.

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) في المطبوع: «جندل» خطأ.

في الطفِّ لم تسعد أباه بقَطْرةٍ	والیوم قد أغرقته في أبْحُرِ
غاصُوا عليه وأخرجوه مُعَظَّماً	ومُكَرَّماً وكذا نَفِيس الجَوْهرِ
والله ما نزعت ملابس جِسْمه	حتى تَبَخْتَر في الحريرِ الأخْضَرِ
فالشَّوْقُ يظمئني إليه وكُلَّما	حاولت شُرب الماء زادَ تَكَدُّرِي
يا نَفْسُ ذوبي حَسْرَة وكآبةً	وتأسَّفِي وتَلَهَّفِي وتَحَسَّرِي
ماذا يكون أغير ما هو كائن	نَزَل القضاءُ صَبرت أو لم تَصْبرِ

وفيها، توفي تاج الدين علي بن عَبْدُوس. كان من كبار المُتَصرفين ببغداد، فرثاه شمسُ الدين محمد ابن الكُوفي الواعظ بقيصدة أوردها في العَزاء، يقول فيها:

أرَى الدُّنيا تؤولُ إلى نَفادِ	ونحنُ لها بأنْفُسِنا نُفَادِي
ونعلمُ أنها تفنِي وتفنَى	ونَطْلبها بجدٍ واجتهادِ
ونُصلحها وتُفْسِدنا وندري	بأنَّ صلاحَها عين الفَسادِ
وقد أزِفَ الرحيلُ وعن يسير	يَسِيرُ الغافلون بغير زادِ
هي الأمُّ التي قَتَلَت بَنِيها	فحاذِرْها مُحاذرة الأعادِي
وما فَعَلَت بتاج الدين يكفي	إذا فَكَّرت تفكيرَ انْتِقَادِ
لقد سَلَبَته أحسن ما رآهُ	يسر بحُسْنه أهل الوِدَادِ
أتاج الدين كنتَ أخي ورُكْني	فبعدك بالإخاء لمن أُنادِي؟
أيا ابن أبي قَطَعتَ نِياطَ قَلْبي	بأحزانٍ وأسيافٍ حِدَادِ
أتاجَ الدين قد أفنيت صَبْري	وكنت على الخُطوبِ من الجِلادِ
أتاج الدين قد أوحشت عَيني	وإن كُنتَ انتقلتَ إلى فؤادِي
فلو كان التَّلاقي بعد شَهْرٍ	لكنتُ أضجُ من طول البعاد

فكيفَ وليسَ في الدُّنيا تلاقٍ ومیعـادُ التـلاقـي فـي المَعَـادِ
أردتُ بـأن أنـالَ بـه سُـروري فمـاتَ ومـا بلغـتُ بـه مُـرادي
رحلتَ وقد سلبتَ جميل صَبْري وسرتَ فسارَ عن جَفْني رقادِي
فحزنكَ كُلّ يَومٍ في انتقاصٍ وحُـزْنـي كـل يـومٍ فـي ازديـادِ
سُـرورك عنـد مـولانـا علـيٌّ وحُـزْني عنـد موسى والجَـوادِ
وحُـزْنـي قـد يُخَفِّفـه يقِينـي بـأنَّـكَ قـد قَـدِمْـتَ على جَـوَادِ

سنة
خمس وسبعين وست مئة

في هذه السنة، سارَ الملك الظَّاهر البُنْدُقدار بعساكره إلى بلاد الرُّوم، وكان غَرَضه قَتْل البروانة، فلما عَرَف بمسيره تحصن ببعض القِلاع التي على ساحل البَحْر، وخرجَ المَغُول إلى لقاء البُنْدُقدار وكانوا نحو ثلاثة آلاف فارس، فالتقوا به في قَيْسارية[1] وقاتلوه، فاستظهرَ عليهم وقَتَلَ أكثرَهُم وانهزمَ الباقون، فأقامَ بظاهر قَيْسارية خمسة عشر يوماً ثم دخلَها، ولم يتأذ بجيشه أحدٌ من الرعية، وقال: إني لم أقصد هذه البلاد لخرابها بل لتخليصها من المَغُول. فلما عزم على العَوْد نَهَبَ النَّصارى وأخذَ أموالَهُم وسَبَى ذراريهم ولم يَقْتل منهم أحداً. ثم رحلَ عائداً إلى بلادِه واستصحبَ أم البَرْوانة وأولاده وحرمه[2].

فلما وصلَ إلى مصرَ ظهرَ له الخيانة من جماعةٍ من نوابه، فأمَرَ بهم فَسُمِّرُوا[3] على جمالٍ وطيف بهم في أكثر بلاده أياماً حتى هَلَكوا.

وفيها، تَكَرَّر وقوع النَّار في أسواق بغداد ومساكنها من منتصف

---

(١) من المدن الرومية الساحلية (بتركيا)، كانت عاصمة السلاجقة، وهي المعروفة بقيصرية.
(٢) انظر تفاصيل ذلك في تاريخ الإسلام، للذهبي، الورقة ٨٨-٨٩(أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «فشهروا».

المُحرم إلى آخر صَفَر، فلم يخل الإنذار بوقوعها ليلاً ونهاراً، واشتد خَوْف النَّاس لذلك، وأمرَ علاء الدين صاحبُ الدِّيوان بعمل حِياض في دُروب بغداد وأن تُملأ ماء، ويستعد النَّاس في السُّطوح بالماء لإطفاء النار، ولم يُعْلَم سبب ذلك إنما كانَ الإنسان يَرَى النار في كَنْبَثة داره(١) أو خُصّها. وحُكِيَ أنَّ بعضَ الفُقراء كان نائماً على الجَسْر، فاستيقظَ والنار في خُلْقانِه. واشتغلَ النَّاسُ بحفظ مساكنهم ولم يَبْق لهم اهتمام بغير الرَّصْد لِمَا يقع من الحَرِيق واطفائِه، وكانت هذه آية من الله عز وجل حتى كَشَفَها بلُطْفه ورحمتِه.

وفيها، توفي شمس الدين محمد(٢) بن عُبيدالله الهاشمي الكوفي الواعظ ببغداد، وكان أديباً فاضلاً عالماً شاعراً، ولي التدريس بالمدرسة التُّتَشية، وخَطَب في جامع السُّلطان، ووعظَ في باب بَدْر، وكان عمره نحو اثنتين وخمسين سنة، وكان له شِعْرٌ حَسَن، فمنه ما كتبه علي يد مَعْشوقِهِ إلى أحدِ الأعيان:

إني جَعَلتُ رسولي مَن كلفتُ به ... وقد كَتَبتُ بما ألقى من الوَصبِ
فَدَع كتابي وَسَل عني لواحِظَه ... فالسيف أصدق أنباءً من الكُتُبِ

وله يذم حَمّام المُستنصرية بأنه بارد:

---

(١) كنبثة الدار: أعلى ما فيها المعقود على حجرة واسعة.

(٢) ترجمه الذهبي في «تاريخ الإسلام»، فقال: «محمد بن عبيدالله الواعظ الأديب خطيب جامع السلطان ببغداد، شمس الدين الكوفي الهاشمي الشاعر مدرس التتشية، مات في الكهولة. له نظم كثير جيد، منها: مرثية بغداد» (الورقة ٣٠من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٤).

ولو أنَّ أيوب في عَصْرنا وقد مَسَّهُ بالأذى البارِدُ
لجاء إلينا فحمامنا شراب ومُغْتَسَل باردُ

فناقضه كمال الدين الإبري، فقال:

أرى ماء حَمّامكم كالـ ـحميم نُعاني منه عَنَاء وبوسَى
وعَهْدي بكم تَشْمطون الجَدي فما بالكم تَشْمطون الرُّؤوسا

وسَبَب التقصير أنَّ المُستنصر غَضِبَ عند سماع الأُولى، فاعتذرَ إليه بالثانية.

سنـــة

ست وسبعين وست مئة

فيها، توفي السُّلطان ركن الدين بيبرس[1] المعروف بالبُنْدقدار صاحبُ مِصْرَ والشام بدمشق. وكانَ حَسَن السِّيرة، كثيرَ الجِهاد أديباً صالحاً لا يُعرف ببلاده الخَمْر ولا يَقْدم أحدٌ على استعماله. قيل: إنه سُمَّ في الماء الذي يستعمله في الطهور.

حُكِيَ أنه قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ قبل وصولي إلى السَّلْطنة وقد قَلَّدني سَيْفاً، ثم رآه قبل وفاته، فقال له: أعطني الوديعة، فأعاد إليه السيف فأخذه ﷺ ودفعه إلى قَلاوون، وكان أحد الأُمراء، فلما استيقظ أحضرَهُ واستحلفه أنَّه إذا صارَ المُلْكُ إليه يُحسن إلى أولاده ولا يسيء إليهم، وتوفي بعد ذلك بأيام[2].

وقيل: إنه لما عادَ من بلاد الرُّوم نزلَ قريباً من حَماة، وعزمَ على قَتْل أمير من أُمرائه كان مُقْطَع بعلبك، فجلسَ معه يشرب القَمْزَ، فأمرَ أن يُوضع له في قَدَحه السُّم، فلما شَرِبه نهضَ البُنْدُقدار لحاجةٍ، فلما

(١) سيرته معروفة وأخباره مشهورة، وقد أُلفت الكتب في سيرته، وله ترجمة رائقة في تاريخ الإسلام للذهبي، الورقة ٣٤-٣٥(أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٢) في حاشية النسخة تعليق نصه: «قال ابن البديع: كان قبل أيامه يصل من القاهرة إلى دمشق البريد في سبعة أيام، فلما ملك ركب بنفسه بريداً فبلغها في ثلاثة أيام، فقال: من زاد عليها صلبته، فضارت البُرد تردها».

عادَ سقاهُ السَّاقي في ذلك القَدَح، ولم يكن عَرَف[1] بالقضية، فلما شربه أَحَسَّ بالشر، فانكرَ ذلك على من عرف به كيفَ لم يَكْسِر القَدَح، وأرادَ قتله، ثم أمْسَك عنه، ونهضَ صاحب بعلبك نحو منزله فهَلك، ومرض البُنْدُقدار فسارَ نحو دمشق، واستحلف الأُمراء لولده، وعهد إليه ولَقَّبَهُ الملك السعيد، وعاش بعد ذلك شَهْراً ومات وهو يستغيثُ من الحَرِّ واللَّهيب، وكان عمره نحو ستين سنة وملكه نحو ثماني عشرة سنة، ودُفِنَ في تُربة له بمدرسته التي أنشأها بدمشق للشافعية.

واجتمع الأمراء على طاعة وَلَده، وانقادَت الجيوش له، فأطرح أكابر الأمراء مثل قلاوون الألْفي والبَيْسَري وغيرَهما، وقَرَّب مماليك أبيه، وأعطاهم الإقطاعات، فَشَغب الجُنْد عليه بوضع الأُمراء، فهرب منهم ولحقَ بمصرَ، وجَمَعَ نَفراً من الجَيْش وعادَ بهم إلى دمشق، فلما دَنَا منها خرجَ الأمراء لقتاله، وكاتبوا من معه وأفسدوا نياتهم عليه، فأَحَسَّ بذلك ففارقهم ولحق بالكَرَك فَتَحَصَّنَ به وزَهد في المُلْك، وكان بالكَرَك زوجة أبيه وهي أم أخيه الأصغر خَضِر. ولما أقامَ بالكَرَك خَرَجَ بعض الأيام مُتَصيِّداً فسقطَ من فرسه فهلكَ، وقيل: بل سَمَّته أمُّ أخيه طَمَعاً في المُلْك لابنها، فأقبلت طائفةٌ من الجيش وحَصَروا الكَرَك وطلبوا أن ينزلَ خَضِر إليهم، فقالت أُمُّه: لا حاجة لنا في المُلْك ولا يحل لَكُم قَتْل هذا الطِّفْل. فرحلوا عن الكَرَك.

ثم إن الأُمراء والجيوش اتفقوا ومَلَّكوا عليهم قَلاوون المعروف

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «يعرف».

بـالألْفـي ولُقِّـب المَلِـك المَنْصـور، وسبـب تسميتـه الألفـي: أن الملـك الصالح اشتراه بألف دينار، فلما قَرَّر قواعد الشَّام استخلفَ عليه سُنْقُر الأشْقَر وتوجَّهَ إلى مِصْرَ وشَرَع في قَتْل كل من كان[1] يخشاه من الأُمراء إلا البَيْسَري فإنه اعتَقَلَهُ اعتقالاً جَمِيلاً.

وفيها، زادَت دجلة، وغَرِقَ ببغداد عدة أماكن، وانفتحَ في القُورَج فتحة عَظيمة، فخرجَ علاءُ الدين صاحبُ الديوان وكافةُ الولاة والأكابر والعوام، وأخذ الصَّاحبُ باقةَ شوكٍ وضعها على فَرَسه فلم يبق أحد إلا وفعـل مِثْلـه، ونـزل الصَّـاحـب وعمـل بيـده وتكـاثـر النَّـاس وتَسَـاعـدوا فاستدركوها وسَدُّوها.

وفي آذار، وقع بَرَد كبار أتلفَ كثيراً من الزُّروع في الحِلّة ونهر مَلِك[2] ونهر عيسى.

وفيها، تحاكَمَ نَفَران عند قاضٍ ببغدادَ في ثلاثةِ فُلُوس، وقيل: إنَّ في سنة اثنتين وخمسين وست مئة تحاكم رَجُلان عند قاضي تَكْريت في نِصْف دِرْهم.

وفيها، أمرَ السُّلطان أباقاخان بقتل مُعين الدين سُلَيْمان بن علي المعروف بـالبـروانـة[3] ملك الرُّوم، فَقُتِلَ، وقُتِلَ معه خَلْقٌ كثير من

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «الملك».

(٣) هكذا في النسخة، والمؤرخون الشاميون يكتبونه «البرواناه». ومعين الدين هذا مشهور السيرة في الكتب المستوعبة لعصره، وله ترجمة جيدة في ذيل مرآة الزمان ٣/٢٦٨، وتاريخ الإسلام للذهبي، الورقة ٣٧(أيا صوفيا٣٠١٤)، وغيرهما.

أصحابه وأتباعه. وكان كثير الصِلات لأهل الدين والفُقراء، وسبب قَتْلِه أنه نُقِلَ عنه المَيْلُ إلى سُلطان مصرَ والشَّام.

وفيها، تُوفِّي بهاء الدين أحمد بن عُثمان البَرُوجرْي ببغداد، ودُفِنَ في تُربة عَمِلَها لنفسه في دارِه بدرب الفالوذج[1]، وكانت وفاته في صفر.

وتوفي أخوه شمس الدين محمد في جمادى الآخرة بالقُرب من تَوْريز[2]، كان قد توجه إلى الأردو المُعَظَّم فَحُمِلَ إلى بَغْداد، ودُفن عند أخيه، وكان قد ضمن الأعمال الواسطية وتَفَرَّدَ بها، ولم يكن لصاحب الديوان معه حُكْم فيها، ورُتِّب بعده في الأعمال الواسطية الملك ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي.

وفيها، توفي العميد شمس الدين عليّ بن الأعوج. كان حَمَّالاً ثم صار بائعاً للغلة والتمور في الخانات، وكان أُمياً، ثم تولى تَمْغات بَغْداد فأثرت حاله واستَعْمَل مع النَّاس والمُتَصَرِّفين وأهل البيوتات[3] والمُروءة وواصَلَهُم وأحسنَ إليهم، وتَجمَّل تَجَمُّلاً ظاهراً، وصارَ له المماليك التُّرك والرُّوم والخَدَم وغيرهم، وبقي على ذلك مُدَّة، ثم رُتِّبَ صدرَ الأعمال الحِلّية والفُراتية، فلما قَدِمَ شَشِي بَخْشِي والأُمراء لتصفح حال العراق قال في علاء الدين صاحب الديوان أشياء، فلما انتصر

---

(١) لم نقف على موقع هذا الدرب.

(٢) هي مدينة تبريز المشهورة المعروفة.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «التناآت».

الصَّاحب وعادَ إلى مَنْصبه عَزَلَهُ وأخذَ أموالَهُ، فَرَقَّت حالهُ وسافَرَ إلى تَوْريز فماتَ بها.

وفيها، توفي الشيخ مجد الدين عبدالصَّمد[1] المقرىء إمام مسجد قُمْرية. وكان زاهداً ورعاً، يُقرىء الأيتام بمسجد قُمْرية ويُصَلِّي إماماً به من حيثُ فُتِحَ، ثم نُقِلَ إلى مشيخة رباط دار سوسيان، وجَعَلَ ولَدَه الأكبر أحمد نائباً عنه في مسجد قُمْرية. وبعد واقعة بغداد رُتِّب خازناً بالديوان، ثم أُعيد إلى مسجد قُمْرية على قاعدته الأُولى، وأُضيفَ إليه الخطابة بجامع الخَلِيفة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وخمس مئة.

وفيها، توفي عز الدين عبدالسلام[2] بن الكبوش البَصْري الشاعر. سكنَ في آخر وَقْته في المدرسة النِّظامية، وصانَ نفسَهُ عن مَدْح النَّاس واسترفادِهم. وكان مُولَعاً بصَنْعة الكيمياء فذهَب بصره من أبْخرة ما كانَ يصعده من الأدْوية.

كان بينه وبين تقي الدين ابن المَغْربي الشَّاعر منافرة، فقال فيه:

يا ابن الكُبوش وأصْل كافكَ ضَمّةٌ إذ فَتْحه في الجَمْع ليسَ بجائزِ

(١) هو المعروف بابن أبي الجيش مقرىء العراق في أوانه، له ترجمة جيدة في تاريخ الإسلام، الورقة٣٨(أيا صوفيا ٣٠١٤)، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٦٦٥، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٤، والعبر ٥/ ٣١١، ومنتخب المختار، الترجمة ٨٦، والذيل لابن رجب ٢/ ٢٩٠، وبغية الوعاة ٢/ ٩٦، وغيرها.

(٢) الفخري ١٢، وتاريخ الإسلام، الورقة ٣٨(أيا صوفيا ٣٠١٤)، وتلقيبه بعز الدين هنا وهم بيّن، فإنه يلقب نجم الدين، هكذا ذكره تلميذه كمال الدين ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب ٤/ ١/ ٢٠٩و١٠٢١، والذهبي في «تاريخ الإسلام».

لله درك كيفَ أشبهت الجَدي والضأن ليسَ بمشبه للماعزِ؟

ومن شعره من قصيدة:

وَدَع عنكَ التَّعللَ بالأماني أُخَيَّ ولا تَبِع نَقْداً بفَقْدِ
فَمَجْلِسنا كما نَهْواه زَيْنٌ بمن تَهْواه في قُرب وبُعْدِ
به المَنْثورُ مَنْثوراً ولكن حواشيه مُقَرَّنَةٌ بوَرْدِ
وفي أوْساطه كاساتُ خَمْرٍ كَنارٍ أُضْرِمَت في ماءِ خَدٍّ
وساقينا رَخِيم الدَّلِّ رخص ظَرِيفٌ مازِحٌ هزلاً بجدِ
لنا من كَفِّه سُكْر بخَمْرٍ ومن ترسانه سكرٌ بِشَهْدِ
وكنتُ عرفتُ وَجْدَك بالبوادي وما تخفيه من شَوْقٍ ووَجْدِ[1]
وما نغم الحُداةِ إذ استغلت ولا وخد المطي غداة نَشْدِ
بأطيب من منادمة الندامى وخفق العُود والنايات عندي
....[2]
وجلد منك عن كثبان نجد وصفر الشمع عن بان ورندِ
وإن أعربت بالعزّ الغوادي إذا ترفت صلدٍ فوق صلدِ
وَهَى برد وجدولها الموسى بجندرة النسيم بكل وهدِ
فتنسى من شفيف البرد غيما يهل على الشفاه بماء وردِ
بضيء منَ المدامة دمع برق وقهقهة العنابي صوت رعدِ

وفيها، أنْهَى مَسْعود البَرْقُوطي والي المَوْصل وأشْمُوط الشِّحْنة بها إلى السلطان أباقاخان أنهما ظُلِما في المُحاسبة على ضمان المَوْصل،

(١) إلى هنا انتهت الترجمة في المطبوع، فسقط منها كل ما هو آت من شعر.
(٢) بيت غير مقروء.

فأمرَ بتحقيق ذلك فلما عَمِلُوا حسابهما أثبتوا أن البابا كان على الباطل فيما اعتَمَدَهُ معهما، فأَمَرَ بقَتْله فقُتِلَ، وولّاهما المَوْصل وإرْبل، فَعَادوا برأسِهِ وطافوا به وعُلِّقَ على باب الجَسْر.

سنة
سبع وسبعين وست مئة

في هذه السنة وَرَدَ تَقَدُّم إلى علاء الدين صاحب الديوان باستيفاء خمسين ألف دينار من بغداد وأعمالها على وجه المُساعدة، فَشَرَع في استيفاء ذلك من النَّاس بالعَسْف والقَهْر، ثم أمَر باثبات الآدر ببغداد، فأُثبتت جميعها، وطالَبوا أربَابَها بالأُجرة عنها عن شَهْرين، فبينما هو على ذلك وَصَل مَن طَلَبَهُ إلى الأردو المُعَظَّم للمقابلة على ما نُسِبَ إليه من مُكاتبة سُلطان مصرَ والشام. وقُبِضَ على شرف الدين علي بن أميران كاتب الإنشاء، وطُوِّقَ وحُمِلَ صُحبته، وقُبض على حمزة التّكْريتي التاجر، ونُهِبَت دارُه وطُوِّقَ وحُمِل صُحبته أيضاً، وانفردَ مجدُ الدين ابن الأثير باستيفاء ما قُرِّرَ على النَّاس فَغُلِّقَت الأسواق، واختفَى أكثر العالم، فطولِبَ النِّساء بما قُرِّرَ على رجالهن، ولم يخلص من ذلك[1] أحدٌ حتى أن العلويين والقُضاة والعدول استُوفي منهم بالقَهْر والمُضَايقة العَنيفة، وكذلَك جَرى في أعمال بغداد جميعها.

وأما الصاحب علاء الدين فإنه حيثُ قُوبِلَ على ما نُسِبَ إليه ظَهَرَ كَذِب القائل عنه، فأُقر بقتله، وحُمِلَت أطرافُه إلى البلاد. وكتبَ الصَّاحبُ إلى بغدادَ مع الواصلين برأس المذكور كتاباً قُرِىءَ ببغداد في

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «هذا».

الجامع بعد صلاة الجُمُعة مضمونه:

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف]. إنّ لله تعالى ألْطافاً خَفِيّة تُرَى في أول الأمر خَشنة جَفِيّة ويحسبُ الجاهلُ أنها نِقْمة فإذا انتهت عَرَف كلٌّ أحد أنها نِعْمة، ومعنَى هذا الكلام لا يخفىَ على الخاص والعام وذلك فَضْلُ الله في إيراد كُل أمر وإصداره. وقد أردنا ان نُوَضِّح من أوَّل الأمر إلى آخره كيفية الحال جَلِيّاً، ونتلوا عليكم آيات رحمته التي أنزلها علينا بفضله بكرةً وعَشِياً، فألهمنا الله العظيم قولَهُ الكريم ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران]، فهذه الآية قَضية أمورنا التي جَرَت وعنه الحال أسْفَرت، فكأنما أُنْزِلَت في هذا الشأن، فما احتجنا معها إلى زيادة تَفْصيل وبُرهان، وفي السَّاعة التي قَدِمَ الكَذَّابُ المُزَوِّر بين يدي الأُمراء ظهرَ من فَلَتاتِ لِسانه أنه كَذَبَ وافْتَرَى، فما احتجنا في تكذيبه إلى شاهد ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النور]:

وَهَبْني قُلتُ هذا الصبح ليلٌ   أيَعْمى العالمون عن الضِّياء؟

فلما عَرَضوا كلامَهُ على الآراء الشريفة بَرَزَ التَّقَدُّم المُطاع -لازال نافذاً- بعَرْضِه على السَّيف في ملأٍ من الناس، وأنْفَذُوا يديه إلى بَغْداد وإلى الرُّوم الرأسَ، ونادوا في الأسواق: «هَذَا جَزَاء مَن يَقْدم على

عَبِيدنا المُخْلصين بالزُّور والالتباس» ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام]. وحيثُ نَعْرف التفاتَ قُلوب أهل بغداد حفظهم الله من كُلِّ سُوء وفَسَاد أنْفَذنا الأمير محمداً يُبَشِّر بطيبة نفُوسنا، ليعلموا خُلوا بالِنا من كُلِّ ما يُكَدِّر بواطنهم ويشوِّش خواطرَهم، ويعلم أن كُلّ ما يصل من خَيْرٍ وفضلٍ هو بصالح دُعاء أهلِ بغداد وحُسْن نِيّاتهم وصَفَاء قُلوبهم، فليقابلوا هذه المَراحم بإعلان الدَّعوات الصَّالحات لهذه الدولة القاهرة التي ما اندحضَ فيها حَقٌّ ولا غَلَبَ فيها باطلٌ، ونحن واصلونَ عَقِيب هذا إن شاء الله». ووصل بعد ذلك شرف الدين بن أميران والصاحب علاء الدين بعده[1] .

وفيها، التجأ إلى تتارقيا شحنة بغداد رجلٌ يُعرف بالنَّجم بن حُسين ويُلَقَّب بالكيباية، كانَ من دَلاّلي العقار يَتَمَسْخَر ويُخَلِّق بنفسه ويضحك عليه من يعاشره. وكانَ سبب قُربه من الشِّحنة التزامه بأحمد الشَّربدار، وهذا أحمد من أهل واسط يُعرف بابن بقا أُسِرَ في الواقعة، ثم خَلص وخَدم ببغدادَ في اصطبل اليام ثم صارَ يتولى عصر الشراب في شربخاناه[2] الديوان، فصارَ له قرب بالشِّحنة والتزامٌ تام، فأثْرَت حالُه واشْتُهِرَ اسمه، فَشَرَع في البحث عن أحوال صاحب الديوان وتعريف الشِّحنة بذلك، فظهرت منه أمور اتصلت بالصَّاحب، وعَرَف باطن حاله وما يعتمده. ثم إنه اتفقَ هو والكيباية على أن نَسَبا أكابر أهل بغداد إلى مُكاتبة سلاطين الشام باتفاقِ صاحب الدِّيوان، فتحدث الكِيباية بذلك

---

(١) تحرفت في المبطوع إلى: «شرابخانة».

(٢) سقطت من المطبوع.

عند الأُمراء والحُكَّام، فأحضروا صاحبَ الدِّيوان وجماعةً من الأكابر الذين نَسَبَهُم إلى المُكاتبة واستعادوا كلامه، فقال أشياء كثيرة، فطولِبَ بالبُرْهان على صحتها فلم يَقْدر على ذلك، فلما شُدِّدَ عليه وضُويق قال: إني كاذبٌ في كُلِّ ما قُلته والذي بعثني على الكَلاَم نصرة الدين بن أرغش وأخوه وولده. فأُحْضِرُوا وسُئِلوا عن ذلك، فاعترفوا به وقالوا: إن تتارقيا الشِّحنة وضعَ القائل على ما قاله. فأمَر بحبس الجَميع وأُحْضِرَ ابن بقا الشَّربدار وسُئِلَ عن الحال فاعترفَ بها، فَسُلِّمَ إلى صاحب الديوان، فأمَرَ بحسبه فَحُبِس أياماً، ثم عُمِلَ له حَجْلَة وسُمِّر عليها، وجُعِلَ على رأسِه مَسْخَرة كان ببغداد يُعرف بالمَوْصلي يَصْفَعه بنعل ويُرَوِّحه به، ثم يَبُول عليه، والنَّاسُ يَمدون الحَجْلة بالحِبَال في الاسواق والدُّروب في جانبي بغداد، فأخذ في سبِّ الصاحب وبَسَط لسانَهُ فيه، فَنُفِذَ إليه من قال له: إن الصاحب قد عَفَا عنكَ وأمرَ بتخليصك من الحديد على أن يقطع لسانك فإن آثرتَ ذلك فأخرج لسانك لنقطعه. فأخرجه، فوضعوا فيه مَسَلّة، فامتنعَ من الكَلام، وما زالوا يُعَذِّبونه بمد الحَجْلة واضطرابها إلى آخر النهار. ثم قُطِعَ رأسُه ووُضِعَ مكانه رأس مَعْزٍ بلحيته وطيفَ به، وأحْرَقَ العوام جُثَّته، ورُفِعَ رأسُهُ على خَشَبةٍ وطيفَ به. ثم إن ابن أرغش أحضرَ رَجُلاً من العرب وأعطاه كُتُباً ملصقة وأشار إليه أن يقول: هذه سَلَّمها إليَّ صاحبُ الديوان. فلما قال ذلك أُخِذَ وحُبِسَ.

أما الكيباية فإنه قال: إنَّ فخر الدين بُغدي بن قشتمر كانَ أيضاً من جُملة الجماعة الذين اتفقوا على المُكاتبة مع ابن أرغش. فأُحْضِرَ وسُئِلَ

عن ذلك فأنكر، فَوُكِّلَ به، فقال الكيباية: إن العَدْلَ جمال الدين أحمد ابن عَصِيّة هو كان يكتب[1] عن بُغدي. فأُحْضِرَ وسُئِلَ، فأنكرَ فَوُكِّل به. ثـم إن الصـاحـب عَرَف صِدْق العَدْل وبراءة ساحته، فأفرج عنه وخَلَعَ عليه وتَقَدَّم له بمالٍ. ولم يزل الكيباية والبَدَوي في السِّجن إلى أن توجه الصاحب إلى الأردو المعظم وأخذَهُما صُحبته وقُتلا هناك.

وفيها، ظهر ببغدادَ صبيان من الشُّطّار يُعرف أحدهما بابن الخَمَّاس[2] والآخر بالتاج الكَفَني، وانضم إليهما[3] جماعةٌ من الجُهَّال، وقَويت شوكتهم، وانتشرَ ذِكْرهم، فأعملَ صاحبُ الديوان الحِيلة حتى أُحْضِرَ ابن الخماس إليه، وعَيَّنَ عليه والياً في الشرطة، فبقي على ذلك أياماً واستعفَى، فأعفاه وجَعَلَهُ مُلازماً بابَ داره، ثم أشار إليه بإحضار التاج الكَفني، فأحضرَهُ وطَيَّبَ قلبه وجعلَهُ رفيقاً له، فكَبَسَ جماعةٌ من أهل الحلة بابَ الصَّاحب في بعض اللَّيالي عليهما، فلم يظفروا بهما ولا تمكن الصَّاحب من تَحْصيلهم. ثم إن قَتَادة نائب الشُّرطة حَكَى لصاحب الديوان عن ابن الخماس والكَفني أشياء من الفَسَاد والتَّجرؤ على النَّاس وتَكْليفهم سِرّاً وتخويفهم إن امتَنَعوا عن مُساعدتهم. فجمعَ بينهم وسُئِلَ قَتَادة عما قاله عنهما فقالَ أشياء أثبتَهَا عليهما، فأمَرَ بقتلهما وَطِيف برأسيهما[4]. فَكَبَسَ على قَتَادة بعضُ

(١) سقطت من المطبوع.
(٢) تصحف في المطبوع إلى: «الحماس» بالحاء المهملة.
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «إليهم».
(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «برأسهما».

رفقتهما يوماً وهو جالسُ على شاطىء دجلة في الرَّقَّة[1] ، وقَتَلَهُ وقتلَ بعضَ أصحابه، فأمرَ صاحبُ الديوان بنَبْش جُثتي ابن الخماس والكَفني وحَرَّقَهما.

وفيها، أحضرَ بعضُ أهل السَّواد كارةً من الدُّخن بيعت بدرهمٍ فطولب بالمؤنة عنها دِرْهمين فانهزمَ وتَرَكها.

وفيها، عُزِلَ الملك ناصر الدين قُتلغ شاه الصَّاحبي من الأعمال الواسطية، ورُتِّب بها فخر الدين مُظَفَّر ابن الطَّرَّاح.

وفيها، رأى النَّاسُ في الليلة التاسعة من شهر رمضان بظاهر بغداد نوراً متصلاً بالسماء وفي صَبيحتها، قال بعضهم: إنه رأى قَبْراً فيه أحد أولاد الحَسَن بمحلة الهَرَوية[2] ، فانهالَ النَّاسُ لزيارته، ثم شَرَعوا في عمارته. وتواتر بعد ذلك إخبار العوام برؤية المنامات وكثرة الظواهر، وتَحَدَّثوا بقيام الزَّمْنَى والمَرْضَى وفَتْح أعين الأضِرَّاء ونَقَلَ قومٌ عن قومٍ أشياء لا أصلَ لها غَيْر أهوية العوام، وبَطَل الناسُ من معايشهم وأشتغالهم بسبب ذلك، فتقدمَ صاحبُ الديوان بنقل كل مَن يُوجد له قَبْر إلى مَشْهد موسى بن جعفر -عليه السلام- ففعلوا ذلك وسكنَ العوام. ثم حَضَرَ بعضُ من يدعي أنه علوي وزعم أنّه رأى في منامه ما يدل على ظهور قبْر بعض أولاد الأئمة -عليهم السلام- بتل الزبيبية[3] ،

---

(١) وتعرف برقة ابن دحروج، وهو بستان عظيم مقابل للتاج من دار الخلافة ببغداد، بغربي بغداد، وموقعه محلة الكريمات اليوم (وانظر مرآة الزمان ٨/ ١٠١).

(٢) لم نقف على هذه المحلة.

(٣) محلة ذكرها ياقوت في «معجم البلدان»، ولم يحدد موقعها.

فانهرع[1] العالمُ إليه، فلما كَشَفُوا التُّراب عنه وجدُوا صبياً مَقْتولاً وعليه قَمِيص وفي جيبه كعاب كانَ يَلعَب بها، فعرفَهُ بعضُ الناس وقال: هذا ولدي وإني فقدتُه منذ أيام -وذكر فيه علامات- فلما لمح بان صِدْقه، ووجدوا عند رأسه صَخْرة عليها مكتوب: هذا قبر عُمر بن عبدالله، فلما أُخْبِرَ صاحب الديوان بذلك عَزَم على قَتْل العلوي الذي أخبرَ به، فسأله أكابرُ الناس الصَّفْح عنه، فأجابهم إلى ذلك، وافتضحَ المُشار إليه بين العالم وعَرَفوا قِلّة دينه وفَسَاد عَقْله، نعوذ بالله من النفس الأمّارة بالسوء!

وفيها، أُعِيدَ صدر الدين محمد ابن شيخ الإسلام الهَرَوي إلى القضاء بالجانب الغربي من بغداد وتدريس المدرسة البَشِيرية، فبقي على ذلك مُدَّة شَهْرين، وأصبحَ ميتاً فقال أكثر الناس: إنَّ ابنَهُ خنقَهُ[2]. وكان قد وَلِيَ القضاء قبله والتدريس بالبشيرية ابنُ يونس المَوْصلي، وتوفي بعد ذلك بشهور قليلة، فقال زين الدين ابن الدهان:

أظن قاضي القضاة أيّده اللـ ـه إلى كَرْدكوه يَنْتَسِبُ
إذ كل قاض يقضي إلى الجانب الغر بي يقضي وما له سَبَبُ
يا صاحبَ المُلك ياعطا مَلِكٍ يا مَن به المُكْرَمات تُكْتَسَبُ
ولِّ الأعادي اللئام بالجانب الغر بي فصل القَضا وقد نُكِبُوا

وفيها، توفي بهاءُ الدين حَسَن بن محاسن التاجر الصَّرْصري ودُفن في تُربة أعدّها لنفسه على شاطىء دجلة تجاه داره ببغداد، وعمل

(١) هكذا في الأصل، وغيّرها في المطبوع إلى: «فأهرع».
(٢) هكذا قال، وسيأتي أنه كان موجوداً في سنة ٦٨٤(ص٤٨٣)!

مجاورها داراً للقُرآن المجيد، ووقفَ عليها عدة أماكن، وكان كثير الإحسان والصَّدَقة، كريماً جواداً.

وتوفي أيضاً عبدالغني ابن الدَّرنوس، ودُفِن في داره. وكان في مبدأ أمره يَعْمل في الكلة مع أرباب تَنَانير الآجر، وهو الذي يَنْقُل اللبن إلى التنور ثم يحطه بعد طَبْخه. ثم ولع بالطيور الحَمَام فكُتِبَ في جملة البَرَّاجين بدار الخليفة ثم تراقت[1] حاله إلى أن صارَ مُقَرَّباً عند الخليفة يُرَاسل به الوزير ويشاوره في الأُمور ويعمل برأيه ولُقِّب نجم الدين. ورُتِّب بعد واقعة بغداد خازناً بالدِّيوان، ثم نُقِلَ خازناً إلى الكارخاناه[2] ، فبقي على ذلك إلى أن مات[3] .

---

(١) هكذا في الأصل، وفي المطبوع: «ترقت».

(٢) وقع في المطبوع: «الكرخانة».

(٣) تقدم الكثير من أخباره، لاسيما في التوسط بين الخليفة والدويدار الصغير، وهو مما انتقد عليه المستعصم رحمه الله، ودُلل به على سوء تصرفه وإهماله لأمور الدولة والاعتماد على مثل هؤلاء السوقة في إدارة شؤونها الخطيرة.

سنـــة
ثمان وسبعين وست مئة

في هذه السنة، فَسد الهواءُ في أكثر بلاد العَجَم والمَوْصل وبَغْداد والحِلّة والكُوفة وواسط والبَصْرة، وجميع نواحي العراق، فأصابَ النَّاسَ السُّعال وكَثُرَ ذلك فيهم حتى صارَ الطَّبّاخون في الأسواق يَعْملون المزاوير حَسب، وغلا الماش والعَدَس والحُمص والسّلق، ودامَ ذلك شُهوراً.

وفيها، نُسِبَت جماعة من أهل بغداد إلى ضَرْب الدَّراهم الزُّيوف، فأُخِذَ بعضُهم وضُرِبَ فأقر على جماعة، منهم: نجم الدين حَيْدَر بن الأيسر، وكان من أعيان المُتَصرفين، فأمرَ[1] صاحب الديوان بقطع أيدي جماعة، منهم ابن الأخْضَر، كان ينقش السِّكّة، وقَرَّرَ على ابن الأيْسَر مالاً فأدّاه.

وانقطعت الغُيوث في هذه السنة، وغَلَت الأسعار وتَعَذَّرت الأقوات، ومات أكثر المواشي.

وفيها، تَمَّت عِمارة منارة جامع الخليفة[2] ، وكانت قد سَقَطت في

---

(١) وقع في المطبوع: «وأمر».

(٢) هي المنارة الجميلة القائمة إلى اليوم في المسجد الجامع المجدد المسمى بجامع الخلفاء، وكانت تعرف قبل عقود قليلة بمنارة سوق الغزل.

شهر رمضان سنة سبعين. وتمَّت عمارة مسجد الشيخ معروف الكَرْخي -قدس الله روحه- بالجانب الغربي من بغداد على شاطىء دجلة، أمر بعمارته شمس الدين محمد ابن الجويني صاحب ديوان الممالك، وكان قد خَرب لما غَرقت بغداد سنة ثلاث وخمسين وست مئة.

وفيها، وُجِدَ في قُبّة المؤذِّن بالمدرسة النِّظامية رجلٌ قد صَلَب نَفْسه.

وفيها، ابتاع قاضي القضاة عز الدين أحمد ابن الزنجاني جارية من رجل يعرف بالشهاب يوسف الطفسونجي[1] فحضرَ بعدَ مُدَّة، والتمسَ استعادتها منه، فلم يَقْضِ الشَّرْع المُطَهَّر بذلك، فماتَ أسفاً عليها بعد أيام، وخَلَّفَ ولداً وأخاً يتعلقان ببعض الأمراء، فمضيا إليه وذكر الولد له أن قاضي القضاة غَصَبَ أباه جاريةً، فَنَفَّذَ معهما مَن يَسْتَوضح الحال، فاستُدْعِيَ القاضي إلى الدِّيوان وسُئِلَ عن ذلك، فأسفرت الحال على أن أدى ألفي دينار، وكتب له إبراء من جَميع الدَّعاوَى، وكان قد نُسِبَ إليه أنه قَتَلَهُ بالسُّم.

وفيها، توفِّي لمجد الدين ابن الأثير ولدٌ من غير مَرَض لأن أباه رَفَسَهُ لانقطاعه عن المؤدِّب، وقيل: بل أنِفَ من ذلك لكونه كانَ بمحضرٍ من الأعيان فأكل شيئاً من الأفيون فماتَ، وكان ذكياً حَفِظَ القرآن ومُقَدمةً في النحو والحَمَاسة، وكتبَ خطاً حَسَناً، فرثاة تقي

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «الطفونجي»، وهو منسوب إلى قرية كبيرة في شرقي دجلة مقابل النعمانية يسميها أهلها: «طسفونج»، وهي طيسفون.

الدين ابن المغربي بقصيدة يقول فيها:

ما يَنْفعُ العِلم يحويه ويَجْمَعُهُ ... مَن ليسَ يَدْرِي مَتَى تحويه أكفانُ
قد كانَ يكفيه أدنَى ما تَعَلَّمَهُ ... إن الزِّيادَة فوقَ القَدْرِ نُقْصانُ
مَن زارَ قبركَ فلينشده شِعْرك إن ... هَزَّتـه مثلي أشواقٌ وأحزانُ
حَتَّام أنتَ على المُشْتَاق غَضْبان ... وفي الفؤادِ صَباباتٌ وأشجانُ
يا أحسنَ النَّاس ما لي عنك مُصْطَبَرٌ ... ولا لقلْبِي وإن عذبت سلوانُ

وفيها، توفيت شمس الضحى الشَّاه لُبْنَى[١] بنت عبدالخالق بن ملك شاه بن أيوب، زوجة علاء الدين عطاء مَلِك ابن الجويني صاحب الديوان، ودُفِنَت في التُّربة التي أنشأتها مجاور[٢] مدرستها المعروفة بالعِصْمَتية ظاهر بغداد عند مَشْهَد عُبيدالله[٣]. وكانت كثيرة الصَّدَقات والإحسان والمَبَرَّات، كانت تحب أهلَ بغدادَ وتَرَى مصالحهم، وتقومُ في حوائجهم وتُساعدهم. كانت أولاً لأبي العباس أحمد ابن الخليفة المستعصم بالله، وهي والدة ابنته رابعة التي تزوجها خواجه شرف الدين

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «الشاهلني».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «بجوار».
(٣) اشتهرت هذه التربة في العهود المتأخرة، بمشهد أم رابعة، نسبة إليها، ولما يزل جانب منه شاخصاً حتى اليوم، وهو بناء طولي يضم حجرتين مقببتين، يفصل بينهما رواق مقبب أيضاً. وفي الحجرة الشمالية منها قبر ينسب إلى حماد بن مسلم خطأً، وإلى جانبه يقع قبر السيدة شاه لبنى أم رابعة، وبحسب تحقيق أحدنا، الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف، فإن صاحب القبر المنسوب إلى حماد المذكور، هو الخليفة المستصم بالله العباسي. وكانت السيدة أم رابعة قد نقلت جثمانه إلى هذا الموضع بعد زواجها من عطا ملك الجويني وبنت عليه القبة المشار إليها.

هارون ابن الصاحب شمس الدين محمد ابن الجويني.

وفيها، توفي بهاء الدين محمد ابن الصاحب شمس الدين المذكور وكانَ مَلِكاً بأصفهان، ظالماً سيءَ السِّيرة مُتَفَنِّناً في الظُّلْم، جَدَّدَ القَتْل بالقنارة التي كان قد[1] وضَعَها البَسَاسيري في أيامه، وقد نُسِيَت لطول العَهْد بها.

وفيها، خالفَ سُنْقُر على الألفي[2]، وكان لما مَلَك الألْفي قبضَ على الأُمراء وقَتَلَ أكثرهم واستخلفَهُ على الشام، وسارَ إلى مصرَ فاستفتَى الفقهاء فيما اعتمدَهُ الألفي من قَتْل الأُمراء، فافتوا بوجوب قتاله، فاستعدَّ لذلك وتَلَقَّبَ بالملك الكامل شمس الدين، وخطبَ لنفسِه وأحسنَ السِّيرةَ، واستمالَ قُلوب العوام فأحبوه، وكان منه ما نذكره[3].

وفيها، توفي كمال الدين علي[4] بن الصلايا العَلَوي. كان قد وُلِّي نهر مَلِك[5]، فالتقاه جماعةٌ من المغول يوماً ومعه نَفَرٌ قليل من أصحابه فقتلُوهم، وكَتَّفُوه وألقوه في دجلة، فسارَ نحو فرسخ، فوجدَهُ بعض صيادي السَّمَك فأخرجه وبه رَمَق، وكان الزمان شتاء، فَدَثَّروه وحملوه

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) هو سيف الدين قلاوون.

(٣) انظر الذيل لليونيني ٤/٨فما بعد، وتاريخ الإسلام، الورقة ٩٣-٩٤(أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٤) تاريخ الإسلام، الورقة ٦٢(أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «الملك».

إلى المدائن فعاش بعد ذلك عدة سنين وظهر عليه دُمَّل، فكان سبب وفاته.

وحج في هذه السنة جماعة من العراق وعادوا سالمين.

سنـــة
تسع وسبعين وست مئة

ذكرنا في السَّنة الماضية أن سُنْقُر الأشْقَر استعد لحرب الملك المنصور الألفي، فلما بلغه ذلك جَهَّزَ إليه ستة آلاف فارس مقدمهم أيبك الحَلَبي، فلما قَرُب من دمشق خرجَ سُنْقُر الأشْقَر لقتاله في اثني عَشَر ألفاً، فالتقوا واقتتلوا ساعةً، فانهزمَ أصحاب الأشقر ومَضَى الأشقر في خواصه إلى عيسى بن مهنا بنواحي الرَّحْبة، فأقامَ هناك، وراسَلَ السُّلطان أباقاخان في إنفاذ جيش ليملك بهم الشام ومصر، فَجَهَّزَ إليه خمسين ألفَ فارس جعلَ عليهم أخاه منكوتمر فدخل بهم الشام، وأما الأشْقَر فإنه لما بلغه مسير منكوتمر إليه ندمَ على ما فرط منه وأخذَ عِياله وأصحابَهُ ولحقَ بقلعة صهيون وتحصَّنَ بها، وكان ما نذكره سنة ثمانين.

وفيها، اتصل مجد الملك اليَزْدي الذي كان ينوب عن عماد الدين القَزْويني ببغداد بعد فَتْحها، بعبودية السُّلطان أباقاخان، وتَحَدَّث في الصاحِبَيْن شمس الدين وعلاء الدين، فرتبه مُشْرفاً في جميع الممالك فَعَيَّن بها نواباً، وكانت علامته مُشرف الممالك، وكان ما نذكره.

وفيها، أمرَ علاءُ الدين صاحبُ الدِّيوان بعَمَل جَسْر وحَمْلِهِ إلى

تُشْتَـر مُكَمَّـلاً بسـلاسلـه وآلاتـه فَنُصِـبَ تحـت البَنْـد عنـد دروازة[1] دزپـول[2] .

وفيها، صَلَبَت أمرأةٌ نفسها في دارها بمحلة الجَعْفَرية ببغداد، وكان سبب ذلك أن زوجهَا قيل عنه أنه وَجَدَ مالاً في داره فطالبه الديوان بما لا تمتد يده إليه، فخافت أن تُؤخذ وتُعاقب وتُفْتَضح، فقَتَلَت نفسها.

وفيها، غُرِّقَت ببغداد امرأة نُسِبَ إليها قَتْل زوجها، وكان مُحباً لها مُحْسِناً إليها وقد أوصى إليها في ماله وأولاده، فأحْضَرَت مَن قتله، فلما قُرِّرَت اعترفت بذلك، فأُخِذَ القاتل وسُمِّرَ.

وغُرِّقَت جارية نُسِبَ إليها قَتْل زَوْجها.

ووجد العَدْل ابن مَزْروع النِّيلي الدَّبّاس مَقْتولاً في بيته، ففحصَ النَّائبُ عن حاله فإذا مملوكه قد استعانَ بصديقٍ له واجتمعا على قَتْله، فَسُمِّر المملوك، وصُلِبَ رفيقُه، ثم حُطَّ المملوك بعد ثلاثة أيام وعولج في المارستان فَسَلِم.

وفيها، غَلَت الاسعار ببغداد واشتد الغَلاء وانسلخَ العام على ذلك.

وفيها، دخل تاج الدين عُمر الهَمَذاني كاتب الكارخاناه[3] إلى علاء الدين صاحب الديوان وبين يديه مَسْخَرة اسمه علي، فادعى على المذكور بمالٍ، فأنكرَ ذلك، فقالَ للصاحب: لي عليه بيّنة ولي فيه

---

(١) دروازة: فارسية معناها الباب.

(٢) دزپول، وتُسَمى «دزفول» على عادة العرب في قلب (الپاء) الفارسية إلى فاء.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «الكارخانة».

علامة، وقد كنتُ طالبته من قَبْل فَجَحَدَ، فلكمته وكسرت بعض أسنانه فَتَقَدَّم إليه أن يريني فمه. فلما فتحَ فاه لطَمَهُ المسخرة بدقيق كان في يده فطار في خياشيمه فاختنقَ في الحال.

سنــة
ثمانين وست مئة

في هذه السنة، قَدِمَ السُّلطان أباقاخان إلى بَغْداد، وكان قد أرسلَ أخاه منكوتمر وعِدّة من الجُنْد في آخر السنة الماضية إلى الشام حيث كاتَبَهُ سُنْقُر الأشقر يسأله إنفاذ جَيْش لياخذ به الشام ومصر على ما ذكرناه، فنزلَ مَنْكوتمر على الرَّحْبة وحَصَرها مدة أربعين يوماً، ولم يَحْضر سُنْقُر الأشقر إليه، وتَحَصَّن بقلعة صهيون، فلما رأى ذلك بالغَ في القَتْل والنَّهْب والخَرَاب، ثم سار يريد دمشق فخرجَ الألفي منها في جيوشه، ونزلَ إليه سُنْقُر الأشقر من القَلْعة وسارَ معه فالتقوا بالقرب من حِمْص، واقتتلوا فانهزمت المَغُول وقُتِلَ منهم خَلْق كثير، وعادوا إلى بَغْداد، ثم انحدروا إلى السِّيْب وأطراف بلاد واسط فنهبوا من الأعْراب المُفْسِدين خَلْقاً كثيراً، وعادُوا إلى بغداد ومعم الأسْرى والأموال، ونَزَلَ في هذه السنة خَلْقٌ كثير في الآدر ببغداد وأخرجوا أهلها منها.

وقبض السلطان على علاء الدين صاحب الديوان وأصحابه ونوابه وأتباعه، وسُلِّم الصَّاحب إلى مجد الملك[1] ، فاستوفى منه أموالاً كثيرةً وبيع من أعلاقه[2] وأسبابه جملةً طائلة، ودُوشِخَ وأُلْقِيَ تحتَ دار

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وسلم إلى الصاحب مجد الملك».

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «أملاكه».

المُسَنّاة التي بأعلى بغداد على شاطىء دجلة، مَكْتُوفاً، عليه قميصٌ واحد، وكانَ البردُ شديداً جداً، وضُرِبَ خواصّه وخدمُه وأتباعهُ، واستوفيت الأموال منهم. وكان قد انضمَّ إلى مجد الملك في الرفع على الصاحب علاء الدين رجلان نَصْرانيان أحدهما من بيت الجَمَل بغدادي اسمه عبد يشوع، والآخر من ماردين اسمه يعقوب، وقالا فيه قولاً كَثِيراً، وكَشَفا من أمواله وأموره أشياء[١] .

وأما السُّلطان فإنه توجه إلى بلاد الجَبَل، فلما وصل هَمَذان مرضَ فعهد بالمُلْك إلى ابنه أرغون، وكان بخُراسان، واشتدَّ مرضه، فتوفِّي في ذي الحجة، فَسَارت الأيلجية[٢] إلى ابنه تخبره بذلك، ثم سارت الأيلجية إلى أخيه مَنْكوتمر بالخَبر، فصادفوا أيلجية من أصحابه تخبر السلطان أباقا بوفاته، وهذا من غَرِيب الاتفاق.

وكان عمر السلطان أباقا[٣] نحو خمسن سنة، وملكه ثماني عشرة سنة. وكان عادلاً حَسَن السِّيرة مُحِباً لعمارة البلاد، لا يرى سَفْكَ الدِّماء[٤] ، عَفِيفاً عن أموال رعيته. فلما توفي اجتمعَ الأُمراء والصاحب شمس الدين ابن الجويني على دَفْع[٥] أرغون عن التَّخْت وتَسْلِيمه إلى

---

(١) انظر جامع التواريخ لرشيد الدين ٢/ ٢/ ٧٣-٨٢.

(٢) جمع ايلجي، وهي تركية فارسية تعني: الرسول، والسفير.

(٣) له ترجمة جيدة في تاريخ الإسلام، للذهبي، الورقة ٧١(أيا صوفيا ٣٠١٤) وكتب بخطه «أبغا» بخط كبير وفي وسطها: «أباقا».

(٤) هكذا زعم، قال الذهبي: «وكان كافر النفس سفاكاً للدماء قتل في الروم خلقاً كثيراً لكونهم دخلوا في طاعة الملك الظاهر وفرحوا بمجيئه إليهم».

(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «رفع».

أحمد وهو تكدار ابن السلطان هولاكوخان. ثم أَطْلَقُوا الصاحب علاء الدين من الاعتقال، واعتقلوا مَجْد المُلْك، وأرسلوا إلى بَغْداد أيلجية للقَبْض على الامير علي جكيبان[1] وصفي الدولة ابن الجَمَل كاتب السَّلّة وغيرهما، ثم سارُوا إلى الطاق ليجلسوا السُّلطان أحمد على التَّخت، وكان ما نذكره سنة إحدى وثمانين[2] .

وفيها، سَيّر الملك المنصور الألْفِي صاحبُ مِصْر والشام، بعد عود منكوتمر والمَغْول من قِتاله، سبعة آلاف فارس مع بعض أُمرائه إلى قَلْعَة المَرْقَب[3] ليحصروها، فلما بَلَغَهم ذلك خرجَ منهم جَمعٌ كثيرٌ وكَمنوا في وادٍ قريبٍ من القَلْعة، فلما وصل العَسْكر نزلوا[4] وأحاطوا بالقَلْعة وهم آمنون خرجَ المُكمّين عليهم، فَقَتلُوا أكثرهم، وانهزم الباقون وعادوا إلى الألْفي وهو سائر إلى مِصْرَ فَعَظُمَ عليه ذلك ودَبَّر في المسير إليهم.

وفيها، عَمَّرَ ناصر الدين قتلغ شاه الصِّاحبي رباطاً للفُقَراء في مَشْهد سَلْمان الفارسي - رضي الله عنه- وأسكنَ فيه جماعةً، وأوقف عليه قَرَايا بواسط وعِدّة مواضع ببغدادَ.

وفيها، توفي مجد الدين صالح[5] بن الهُذَيْل بواسط، وكان عُمره

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «جليبان».

(٢) انظر التفاصيل في جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله ٢/ ٢/ ٩٠-٩٥.

(٣) قلعة حصينة تشرف على مدينة بانياس بسورية.

(٤) في المطبوع: «ونزلوا».

(٥) تاريخ الإسلام، للذهبي، الورقة ٧٣(أيا صوفيا٣٠١٤).

نَيِّفاً وستين سنة. وكان جواداً كريماً، ذا معرفةٍ وكفاية ومروءةٍ، من أكابر المتصرفين بواسط وغيرها، خَدَم بها نائباً في ديوانها في زمن الخليفة، ورُتِّبَ بعد واقعة بغداد صَدْراً في نهر مَلِك[1] ونهر عيسى، ثم نُقِلَ إلى صَدْرية واسط ولُقِّب بالمَلِك. ثم أُخِذَ ودُوشِخَ وطُولِبَ بأموال واسط واستُوفي منه جملة كبيرة، وبيعت أملاكه وأسبَابه. ثم رُتِّبَ بعد ذلك حاكماً في إرْبل، ثم عُزِلَ ورُتِّبَ صَدْراً في طريق خُراسان، ثم أُخِذَ وخُزِمَ أنفُه وطيف به ببغداد. ثم رُتِّب بعد ذلك ناظراً بقُوسان، ثم عُزِلَ، فَرَتَّبَهُ شمس الدين محمد ابن البَرُوجِرْدي نائباً عنه في ديوان واسط، وفَوَّض إليه تدبير الأعمال، فبقي على ذلك إلى أن توفي شمس الدين المذكور وأُعيد فخر الدين ابن الطَّرَّاح إلى صَدْرية الأعمال الواسطية، فرتبه علاء الدين صاحب الديوان مُشْرفاً عليه فَبَقي إلى أن تُوفي -رحمه الله-.

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «الملك».

سنة
إحدى وثمانين وست مئة

ذكرنا في السنة الماضية مسير الأُمراء وشمس الدين محمد ابن الجويني صاحب ديوان الممالك إلى الطاق ليجلسوا السُّلطان أحمد على التَّخت، فوصلوا إليه وأجْلَسُوه على تَخْت المُلْك في سادس عشر المُحَرَّم، فلما استقرَّ في الحُكْم أمرَ بتفريق الأموال المُدَّخَرة في الخزائن على أهل بيته وعلى الأُمراء، وأعادَ الصاحبين شمس الدين وعلاء الدين إلى منصبيهما[1] ، وسُلِّم مجد الملك إلى الصَّاحب علاء الدين، فَقَتَله قتلة شَنِيعة، تولى ذلك شرف الدين هارون ابن أخيه، وحُمِلَت أطرافُه إلى البلاد، وسُلِخَ رأسُه وحُمِلَ إلى بغداد، وشَوَى الخَرْبَنْدية[2] لحمَهُ وأكلوا منه وشَرِبوا الخَمْرَ في قِطْعةٍ من رأسه. ثم توجه علاء الدين نحو العراق، فلما وصلَ إلى أُشْنَى[3] بَلَغه أنَّ أرغون سارَ من خُراسان لما بلغه وفاة أبيه السُّلطان أباقاخان يريدُ العراق فأقام في أُشْنَى وأنفذ الكرزدهي والجلال بَخْشي ونجم الدين الأصفر[4] ومجد الدين ابن الأثير وجماعة من أصحابه، ومعهم رأس مجد الملك وكتبَ معهم

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «منصبهما».
(٢) جمع خربندة، وهي فارسية، تعني: المكاري.
(٣) ويقال فيها: «أُشْنَه» و«أشنو» وهي في طرف أذربيجان.
(٤) تحرف في المطبوع إلى: «الأصغر».

مكتوباً صورته:

«من صاحب الديوان أضعف عبادِ الله تعالى، أما بعد، حمداً لله مُنْقِذَ العِباد من ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر] السلام عليكم يا أهل بَغْداد أهل الوَفاء والوِداد، أردنا أنْ نُعَرِّفكم حيث نَعْرف منكم صِدْق المَحَبة وحُسْن الصَّفاء والاعتقاد، ونُطْلعكم على ما يَرِد من جانبنا من بُلوغ المرام والمُراد، ما أسفَرَ الحال عن جَلِية الأُمور فيدخل بها بعد التَّرَح على القُلوب والصُّدور إيراد الفَرَح[1] والسُّرور، فألهمنا إلهام الصِّدْق والصَّواب، ما قاله أصْدَق القائلين في مُحْكم الكتاب ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ۝٧٠﴾ [الأنبياء] فأغنانا عن الجُمَل والتَّفْصيل، وكَفَانا تَعَب الإطناب والتَّطْويل، وستسمعون من العَيْن والرأس ما لاريب فيه ولا التباس وتبيان ذلك ما[2] عَرَضنا بذِكْره من حال المِسْكين المَنْبوز بمجد الملك الذي أورده سُوء نيته وفَسَاد سَرِيرته مورد الهُلك، فرحم الله امرأً عَرَف قَدْره ولم يتعد طَوْرَه، ووفقنا الله تعالى للقيام بشكر آلائه الصَّمَدية[3] الأحدية، ودُعاء الدولة القاهرة الإيلخانية الأحْمَدية التي نَشَرت ألوية الشريعة المُحَمدية وبَسَطت يد العَدْل في الأرَضين وكَفَّت عن البلاد والعباد أكُف

(١) تصحف في المطبوع إلى: «الفرج».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «مما».
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «الصمدانية».

أمثاله من الظالمين والحمد[1] لله رب العالمين. وقد نَفَّذَ ملك الأُمراء والنُّواب: جلال الدين والصَّدْر فخر الدين الكَرْزدهي والنُّوكرية ليشافهوكم بما شاهَدُوا من نِعم الله تعالى التي تَدُور علينا من قَدِيم كؤوسها والإنعام الصَّادر عن الحضرة الشريفة الإيلخانية التي طَلَعت من أُفق الميامن شُمُوسها - أعزَّ اللهُ سلطانَها وأعلى في الخافقين شأنها».

وكان وصولهم بَغْداد في رَجَب، وقُرىء هذا الخَط في جامع الخليفة، قرأه جلال الدين بن عُكْبر الواعظ، وطِيف برأس مَجْد الملك في بغداد وشوارعها، ثم دخلُوا دارَ مجد الملك ونَهَبُوا ما كان بها، وقَبَضُوا على صَفِي الدولة ابن الجمل كاتب السَّلّة وأصحابه ونَهَبُوا داره، وطَلَبُوا الأمير علي جكيبان[2] فلم يُوجد، وكان قد اتصلَ به الخبر فانهزَمَ، وكان قد وصلَ مع الجماعة فخر الدين عبدالعزيز[3] ابن النَّيَّار وفي حَلْقه طَوْق من حَديد فوكَّلوا به في داره، وكان معهم أيضاً صَبِي مثْقَل بعتلة من أهل إرْبل، كان يخدم دَلّالاً في العقار يعرف بعلوش، كان قد أدخل نَفْسَه في الشَّنْقَصة وآذى النَّاس، وعبد يشوع، ويعقوب النَّصْرانيان اللذان تقدم ذكرهما، كانا قد خدما مع مجد الملك وتجردا للقول في صاحب الديوان، وأكثَرا من ذلك، فَطِيف بهم في بَغْداد عُراة والعوام يَصْفَعُونهم ويَضْربونهم بالآجر، ثم قُتِلُوا بقية اليوم، وجَرَّ العَوام جُثَثَهُم وأحْرَقُوهم بباب قَلاية النَّصارى. ثم وصلَ الأمير منصور ابن

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وحمداً».
(٢) تحرف في المطبوع إلى: «جليبان».
(٣) تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٢١٧٢.

الصاحب علاء الدين وأخوه مُظفر الدين ونجم الدين الأصفر[١] ومعهم رأس النَّجم الدلال المعروف بالكيباية، وقد سَبَق ذكر ما وَقَع منه من القَوْل في الصَّاحب، فَفَرِحَ أهلُ بغدادَ بوصولهم، وعُلِّقَ رأس الكيباية بباب النُّوبي، وكان قتله في إرْبل، حُكِيَ عنه أنه لما قُدِّمَ ليُقتل قال: لي عند خالي ابن الرَّخْشي خمس مئة دينار. فأُحْضِرَ المذكور وسُئِلَ عن ذلك، فأنكر، فَصُدِّقَ، وعُرِفَ كذب الكيباية عليه كما كَذَب على غيره من قَبْل. ثم إن الأمير منصوراً أخرج فخر الدين ابن النَّيَّار من السجن ليلاً وقَتَلَهُ في البوقلية[٢] ظاهر بغداد، فأصبحَ الناس ووجدوه مَقْتولاً، وكان شاباً مليحَ الصُّورة اتصل بمجد المُلْك وخَدَمه، وقال في صاحب الديوان أشياء كثيرة، وكان قبل ذلك قد أخذَهُ الصَّاحب وضَربه ضَرْباً عظيماً، وسَبَب ذلك ما بلغه عنه من الزيادة في الكلام والغيبة له وأنه كانَ في جماعةٍ منهم رَجلٌ من أهل الحِلّة يُعرف بابن الدَّرْبي وجَرَى بينهم حديث نجم الدين ابن الدَّرْنوس وحُكْمه في زمن الخليفة وأن نجم الدين الأصفر قد استولى في هذه الدولة كما استولى هو، فأنشد ابن الدَّرْبي أبياتاً لنفسه وهي:

نَجْمان كُلٌّ منهما في بَلْدة ... لا ناصح فيها ولا مَأمونُ
وكلاهما ساسَ العِراق، فذاكَ قد ... كانَ الخراب به وذا سيكونُ
إن كان تأثير الكَواكب هكذا ... هذا جُنونٌ والجُنونُ فُنونُ

---

(١) تحرف في المطبوع إلى: «الأصغر».

(٢) هكذا في الأصل، لكن الباء غير منقوطة، وقيدها الدكتور مصطفى جواد «اليوقلية» بالياء آخر الحروف، ولعلها بالباء الموحدة أقرب، فلعلها من «بوق» كورة ببغداد؟

فأمر الصاحب بتحصيل الجماعة فاختفوا أياماً، وأمْسَكَ الصاحب عنهم.

واستمر حُكْم نواب الصَّاحب علاء الدين في بَغْداد شُهوراً من السنة، ثم اختلت الأحْوال واضطربت الأُمور فتوفي نجم الدين الأصفر نائبه ببغداد في شعبان، وتوفِّي بعده الصَّاحب في أرَّان في ذي الحجة، وحُمِلَ إلى تَبْريز فدفنَ بها، وكان مولده في عاشر ربيع الأوّل سنة ثلاث وعشرين وست مئة، وَلِيَ العراقَ إحدى وعشرين سنة وشهوراً. وكان عادلاً حَسَن السِّيرة، أديباً فاضلاً جمع تاريخاً للمغول سماه «جهان كشاي»[1]، وله رسائل جيدة وأشعار حسنة.

وكان[2] في أول شبابه قد هوى جارية مغلية تنزل أوان الشتاء بالطيب ونواحي البيات، فقال فيها أشعاراً بالعربية والفارسية، وأمر الشعراء فعملوا فيها فأكثروا، فمن ذلك قول عز الدين الإربلي:

ولما نزلنا بأرض البيات ... ولاحت كبدرٍ منيرٍ بنيّا
دخلت الثريا بقتاقها ... وقد فاقت المسك نشراً وريا
همَتْ سحب كالجفون ولا غَزْ ... وَصَوْبُ السحاب بنوءِ الثريا

ومن شعر الصاحب:

أيامنا بالطيب لو ترجع ... قرت عيون ورقت أدمع

(١) كتبه بالفارسية، ومعناه غازي العالم، أو فاتح العالم، وقد ترجم إلى اللغة الانكليزية ونشر.

(٢) من هنا إلى آخر ترجمته سقط من المطبوع.

يـا حبـذا عيـش تقَضَّـى بـه		لو كان لي في رَدِّه مطمعُ[1] .[2]

وأما السُّلطان أرغون فإنه لما بَلَغه وفاة أبيه السُّلطان أباقاخان أقْبل من خُراسان، فاتصلَ به جُلوس السُّلطان أحمد على التَّخْت فَتَمَّم المسيرَ إليه، وحضَر عندَهُ، ثم رحلَ وتوجه إلى بغداد فدخَلَها في شعبان والأمير علي جكيبان بين يديه، واستنقَذَ صفي الدولة ابن الجَمَل كاتب السَّلّة من أصحاب علاء الدين صاحب الديوان وخلصهما مما كانا فيه من الصُّداع. ثم أمَرَ بعمل حَساب العراق، فَعُمِلَ وتَخَلَّف على الضُّمناء شيء كثير، فَطُولبوا به وضُويقوا عليه، وأُلزِمَ أهلُ بَغْداد بالمُساعدة، وأُحْضِرَ قاضي القضاة عز الدين ابن الزنجاني وقُرِّرَ عليه وعلى العُدول عشرة آلاف دينار، واستُوفيَ ذلك بالعَسْف. وكانَ كُلُّ من اختَفَى من

(١) هنا أبيات أجحف ببعضها التصوير.

(٢) تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ١٥٣٧، وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» -ونقلناه من خطه: «وكان علاء الدين وأخوه فيهما كرم وسؤدد وخبرة بالأمور، وفيهما عدل ورفق بالرعية وعمارة للبلاد. ولي علاء الدين نظر العراق سنة نَيِّف وستين بعد العماد القزويني، فأخذ في عمارة القرى، وأسقط عن الفلاحين مغارم كثيرة إلى أن تضاعف دخل العراق، وعمر سوادها. وحفَرَ نهراً من الفرات مبدأه من الأنبار ومنتهاه إلى مشهد علي رضي الله عنه، فأنشأ عليه مئة وخمسين قرية. ولقد بالغ بعض الناس وقال: عَمّر صاحبُ الديوان بغداد حتى كانت أجود من أيام الخليفة. ووجد أهل بغداد به راحة... وكان الرجل الفاضل إذا صنّف كتاباً ونسبه إليهما تكون جائزته ألف دينار. وقد صَنّف شمس الدين محمد بن الصيقل الجزري خمسين مقامة وقدّمها فأُعطي ألف دينار، وكان لهما إحسان إلى العلماء والصلحاء، وفيهما إسلام، ولهما نظر في العلوم الأدبية والعقلية، وفي وقتنا هذا (سنة٧١٤هـ) الإمام المؤرخ العلامة أبو الفضل عبدالرزاق بن أحمد ابن الفوطي مؤرخ عصره، وقد أورد في تاريخه الذي على الألقاب ترجمة علاء الدين مستوفاة، وقرأت بخطه وفاة علاء الدين في رابع ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وست مئة» (الورقة ١٢٥من مجلد أياصوفيا٣٠١٤).

الناس نُهِبَت دارُه وبَيعَ ما فيها. وأُلْزِمَ نوابُ الأعمال الحِلّية والواسطية والبَصْرية وغيرهم بمثل ذلك. ثم طُولب أهلُ بغداد بأُجرة أملاكهم عن ثلاثة شهور، فاستُوفي من أكثرهم. ثم تَقَدَّم بإعفاء النَّاس كافة، ثم عاد إلى خراسان في الربيع.

ثم إن السُّلطان أحمد أرسلَ القاضي قُطب الدين الشِّيرازي إلى الملك المنصور الألْفي برسالة خلاصتها «أن الله تعالى حبانا بالإيلخانية وأمَرنا بالعَدْلِ وحَقْن الدِّماء، فإن أردتَ الموادعة فنحن نكفُ عَسْكَرنا عن قَصْد بلادِك، ونَفْسَح للتجار في السَّفَر كيف شاؤوا آمنين، فإن فعلتَ ذلك وإلا فَعَيِّن للقتال موضعاً، وأعلم أنَّ الله يطالبك بما يُسْفَك بيننا من الدِّماء»[1] .

فسار قُطب الدين، فلما وَصَلَ إلبِيرَة سَيَّر إلى مصر ولم يدخل الشام، وأُدْخِلَ إلى الألْفي ليلاً، فوقفَ بين يديه وأدى الرِّسالة، فقال الترجمان له: نحن نجيب إلى ذلك. وأمرَ في الحال بإنشاء الكُتُب إلى سائر البلاد ليتمكن التُّجّار من السَّفَر، ثم أذِنَ لِقُطب الدين في العَوْد وأمر له بمالٍ وأُعيد إلى إلبيرة[2] .

وفيها، توجه من بَغْداد جماعةٌ كثيرة إلى مكة -شرفها الله تعالى- فوصلوا إلى النَّاشبية فلم يُمَكّنوا من المسير، وحُبِسُوا أياماً، وأخَذُوا

---

(١) هذا قسم يسير من فحوى الرسالة. وقد أورد ابن العبري في «مختصر الدول» (٢٨٩-٢٩٢) نص الرسالة وهي طويلة، كما أوردها غير واحد من المؤرخين، منهم القلقشندي.

(٢) أورد ابن العبري نص رسالة السلطان الجوابية إلى أحمد (٢٩٢-٢٩٦).

منهم عن كل حِمْلٍ اثني عشر ديناراً بالضَّرْب والقَهْر، فعادوا.

وفيها، سَقَط بعضُ الفُقهاء بالمدرسة المُستنصرية من غُرْفةٍ إلى صحن المدرسة فمات في يومه.

وفيها، فقد الشيخ الظهير أحمد بن عبدالقادر الجيلي الحنبلي من مدرسة جده، ولم يُعلم حقيقة حاله واتُّهم به أولاد «كديدا»، فوجِدَ في سنة ست وثمانين في بئر داره التي في مدرسة جده، وعُرِف بخاتم كان في يده، حَكَى بعض أصحابه: أنه رآه في المنام بعد فَقْده بثلاثة أيام، فسألَهُ عن حاله فقال له: يُضْرَب المَثَل بمن يده تحت الرَّحَا فكيف بمن قد حَصَل كُلُّه تحت الرّحا!

وفيها، - أعني سنة إحدى وثمانين- توفي جمال الدين [الحسين ابن إياز][1] النَّحوي وكان قد رُتِّب مُدَرِّساً للنحو بالمُستنصرية... الشيخ سماد[2] وكان ابن إياز فاضلاً كثير الرواية، ينقل كثيراً من النحو غير...[3] في ما ينقله تصرف، وله تصانيف.

وفيها، توفي الشيخ جلال الدين عبدالجبار[4] بن عُكْبر الواعظ مدرس الحنابلة بالمدرسة المستنصرية، ودُفِنَ في المَسْجد المجاور

---

(١) هذا الاسم مطموس، وانظر تاريخ الإسلام للذهبي، الورقة ١٠٤(أيا صوفيا٣٠١٤)، والوافي بالوفيات ١١/ ٣٤٢، والمنهل الصافي ٥/ ١٥٠، وبغيةالوعاة٢٣٢.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) كلمات غير مقروءة.

(٤) تاريخ الإسلام، للذهبي، الورقة ١٠٥(أيا صوفيا ٣٠١٤) ونقل من ابن الفوطي، والذيل لابن رجب ٢/ ٣٠٠-٣٠١.

لداره. وكان عالماً فاضلاً وَرِعاً زاهداً، جَلَسَ للوعظ بباب بدر في زمن الخليفة، وبَقِيَ على ذلك إلى واقعة بغداد، ثم جَلَس في جامع الخليفة، واستمَّر إلى أن مات، وكان له قبول عند العالم.

ثم توفي الشيخ الصالح الفقير أسد الدين محمد بن بَرْس شيخ رباط القَصْر. حج مراراً، وكان مُنْقَطِعاً يعبد الله تعالى. قيل: إنه وُلِدَ هو والشيخ جلال الدين بن عُكْبر في يوم واحد وماتا في يوم واحد.

وفيها، توفي الأصيل محمد الدَّزْفُولي الشافعي. كان رجلاً صالحاً يتصدر في المجالس ويأخذ على كل من يقول شيئاً ويعارضه، ويلقَى الأكابر والعلماء بالكلام الخَشن ولا يَخْجل من ذلك. وكان لهم فيه اعتقاد ويواصلونه دائماً. حج عن الخليفة المُسْتَنصر بالله في سبيل أم المستعصم، وسكنَ الرِّباط المُسْتَجَد في زمن الخليفة، وابتُلِيَ في آخر عمره بالقمل فكانت ثيابه مملوءة منه، قال: رأيت الخليفة المُستعصم بالله في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: الحمد لله الذي من اعتذر إليه قبله.

سنة
اثنتين وثمانين وست مئة

في رجب، وصل شرف الدين هارون ابن الصاحب شمس الدين محمد الجويني صاحب ديوان الممالك، إلى بغداد وقد فُوِّضَ إليه تدبيرها، وجُعِلَ صاحب ديوانها على قاعدة عَمِّه علاء الدين، فاستبشرَ النَّاسُ بقدومه وحضرَ الشُّعراء بين يديه وأنشدوه المديحَ، فمما قاله جمال الدين ياقوت المُسْتَعْصمي الكاتب:

الحمدُ لله قد مَضَى التَّرحُ ... وقد أتانا السُّرورُ والفَرَحُ
وجاءَ صَرْف الزَّمان مُعتذراً ... فكُل ذَنْب جناهُ مُطرحُ
لا تَعْتبوا الدَّهرَ بعدها فَبَنُوا الدَّ ... هر وأحْداثه قد اصْطَلَحوا
لئن عَرَاهم من صَرْفه مِحَن ... لقد تَلَتْها الهِبات والمِنَحُ
وقد أتاهُم بكل ما طَلَبوا ... منهم ووافاهم بما اقتَرَحُوا
فَهَمهم بَعْد ضَعْف هِمّته ... يبدو عليه النَّشاط والمَرَحُ
إن الذين اصطَلَحوا لدولتكم ... نِيران بَغْي زنادها قَدَحوا
دارت رَحَاكم على رُؤوسهم ... فَطُحِنوا حَسْنه بما نَطَحوا
وكُلُّ حِزب بسر حِزْبكم ... بربح في سعيه الذي رَبحوا
إن يَنْج مِن بَطْشِكم بجُثَّته ... جانٍ فلم يَنْج قَلْبه الفرحُ
أو يَتَخَلَّفْ من العِدَى شَبَحٌ ... فسوفَ يَنْزاح ذلك الشَّبَحُ

يا شَرفَ الدين والذي شَرُفَتْ　　　بمَدْحِه المادحونَ والمِدَحُ
ما غَلق اللهُ من عَطَا مَلِكٍ　　　باباً لملكٍ عليكَ يَنْفَتِحُ
آنستَ بَغداد بعد وحشتها　　　فَصَدْرُها باللِّقاءِ مُنْشَرِحُ
قد حُليت بعد طول عُطلتها　　　وزَيَّنتها القِبَابُ والملحُ
قَدُم لأهلِ العِراق ملتجأً　　　تأسو بجدوى يديك ماجَرَحوا
وابقَ مَدَى الدَّهر ما بدا قَمَرٌ　　　وما دَنَا بالإياب مَنْتَزَحُ

وعَيَّنَ شمسَ الدين زَرديان نائباً عنه، وخَلَعَ على القاضي بدر الدين علي بن محمد بن مَلاق الرَّقي، وفَوَّضَ إليه أمر القَضاء بالجانب الغربي إضافةً إلى ما كان يتولاه من الحِسْبة بجانبي بغداد، والتَّدْريس بمدرسة سعادة[1] ، وعَيَّنَ الشيخ نصير الدين عبدالله بن عمر الفاروثي مدرس الشافعية بالمدرسة المستنصرية، وسَلَك طريقة عمه في تدبير العراق.

ووصلَ بعده نظام الدين عبدالله ابن قاضي البَنْدَنِيجين، وقد رُتِّبَ كاتب السَّلّة بالديوان، وأحْضَرَ مجدَ الدين محمد ابن الأثير وطالَبَهُ بما وصلَ إليه من أموال الدِّيوان، ودُوشِخَ ووكِّلَ به أياماً كثيرةً واستوفَى منه مقدار خمسين ألف دينار. ثم وصلَ في المحرم سنة ثلاث وثمانين من طَلَبه إلى الأُردو المُعَظَّم، وأُعيدَ عليه كُل ما أُخِذَ منه، ثم نُدِبَ إلى النِّيابة عن خواجه شرف الدين هارون فأجابَ إلى ذلك، وعادَ إلى الحُكْم في الديوان على ما كان عليه، فبقي على ذلك مدة شهرين، ثم

---

(١) هي المدرسة التي أنشأها الأمير سعادة بن عبدالله الرومي المستظهري المتوفى سنة ٥٠٠هـ، بالجانب الشرقي من نهر دجلة، ووقفها على الأحناف. والخبر الذي ساقه المؤلف هنا هو آخر أخبار هذه المدرسة.

أُخِذَ وطُوِّقَ بالحَدِيد وضُويق وطُولب بمالٍ كثير واستوفي منه مبلغ مئة ألف دينار، وحُمِلَ إلى الأُردو المُعَظَّم.

وفيها، أُلزم التجار ببغداد بالقَرْض والمُساعدة، وضويقوا على ذلك، وأُلزم الناس بأُجرة مساكنهم عن ثلاثة شهور، وطُولب أرباب الأموال بإقامة عسْكر، وقُرِّرَ عليهم على قدر أحوالهم واستوفي ذلك بالقَهْر والعَسْف[1].

وفيها، أُبْطِلَت الفُلوس النُّحاس، وضُرِبَ عِوَضاً عنها فلوس فِضّة، وجُعلت كل اثني عشر فَلْساً بدرهم، وسُمِّيت «دنا كش». ثم أُبطلت في سنة ثلاث وثمانين، وأُعيدت الفُلوس المَس[2] وتَعَامل الناس بها كل ثلاثين فَلْساً بِدِرْهم.

وفيها، أرسلَ السُّلطان أحمد الشيخ عبدالرحمن إلى الشام لتقرير ما كانَ التَمَسَهُ من الملك المنصور قلاوون لما أرْسل إليه قُطب الدين الشِّيرازي في السنة الماضية، فلما وَصَل إلى دمشق حُبِسَ بها، وكان آخر العَهْد به، ونُودي في الشام أن لا يذكره أحد.

وهذا الشيخ عبدالرحمن كان أبوه مملوكاً رُومياً للخليفة المُستعصم بالله، فلما نَشأ عبدالرحمن جُعِلَ من جُملة فراشي السُّدّة، وأُسِرَ في واقعة بغداد، وقد ظفر بأشياء نَفِيسة من الجواهر وغيرها، فجُعِلَ من جُملة فراشي الأُردو، فأظهرَ الزُّهْد والنَّامُوس، حتى صار يُعرف

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «القسر».
(٢) يعني: النحاس.

بالشيخ، فدفن ما كانَ معه في قلعة تَلا، ثم تنقلت به الأحوال حتى صار إلى المَوْصل، واتصلَ بعز الدين أيْبك[١] دزدار العمادية[٢] ، وكان مولعاً بصناعة الكيمياء مهووساً بها، فَمَخْرَق عبدالرحمن عليه بشيء من ذلك، فَحَظِيَ عنده وقَرَّبه، ثم سار عز الدين إلى السُّلطان أباقاخان وعبدالرحمن صحبته، فقال للسلطان: إني رأيتُ في المنام أنَّ في موضع من قَلْعة تلا دفيناً[٣] فيه جواهر ومال كثير. فَسَيَّرَه إلى هناك ومعه جماعة، فجعلَ يمسح الأرض ويتردد من موضعٍ إلى آخر، ثم قال: احفروا ههنا، فَحَفرُوا فظهرَ ذلك المال، فعادُوا به إلى السُّلطان، فلما رأى السُّلطان صِدْقه قَرَّبَهُ وحَسُن ظنه فيه، فجعل يُمَخْرق عليه بشيءٍ من أحوال الجن وما أشبه ذلك من أمور الشَّعْبَذة، حتى أنه عَمِلَ خاتمين على صُورةٍ واحدةٍ، أَعْطَى منهما خاتماً للسُّلطان وجعل الآخر عنده، ثم قال له بعد أيام كثيرة وهو جالسٌ على بحيرةٍ بسياه كوه[٤] لا قرار لها: إن ألقيتَ هذا الخاتم في هذه البُحيرة فإني استخرجُه منها. فألقاه فيها فحضر من الغَد، وقد صَنَع سَمَكةً مُجوفة وثَقَّلها بالمِلْح وجعلَ الخاتِم في فمها وألقاها في البُحيرة، من غير أن يشعر به أحد، ثم جلسَ يقرأ ويُوهم، فلما ذابَ المِلْح طافَت السَّمَكة والخاتم في

---

(١) هو عز الدين أيبك بن عبدالله البدري المعروف بالطويل (تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٣٢).

(٢) قلعة حصينة في شمال الموصل معروفة عامرة إلى اليوم، عمرها عماد الدين زنكي سنة ٥٣٧.

(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «دفأ».

(٤) سياه كوه: بلدة معروفة من غربي إيران.

فمها، والسُّلطان يشاهدها فأخذه عبدالرحمن ثم جَعَل فيها رَصاصة بخفةٍ وألقاها فغاصَت، فعجب السُّلطان بذلك وزادَ اعتقادُه فيه. ثم اتصلَ بالسُّلطان أحمد وحَسَّنَ له الإسلامَ، فأسلَم وتسمى بأحمد، ووعدَهُ بانتقالِ المُلْك إليه، فلما ملكَ خدمه الأُمراء والوُزراء، وعَظُمت منزلته عندهم، فلما أُرسل الآن إلى سُلْطان الشام عَرَف حالَهُ فأمرَ بحبسه من غير أن يجتمعَ به:

وإذا استَوَت للنَّمْل أجنحة حتى تَطير فقد دَنَا عَطبُهْ

وفيها، أُعِيدَ تتارقيا إلى شَحْنكية بغداد، وعُزِلَ سعد الدولة ابن صفي الدولة عن نَظَر وَقْف المارستان العَضُدي، وسُلِّم إلى العَميد زين الدين ضامِن تَمْغات بَغْداد، فقامَ فيه أحسن قِيام وأجْرَى أمورَهُ على أحسن القَوَاعد.

وفيها، توفي عماد الدين زكريا[1] بن محمود القَزْويني قاضي واسط بها، وحُمِلَ إلى بَغْداد، ودُفِنَ في الشُّونيزي. وكان عالماً فاضلاً، صَنَّفَ كتاباً سماه «عجائب المَخْلوقات»[2]، وكان يكتب خَطّاً جَيّداً. تولى القضاء بالحِلّة في سنة خمسين، ثم نُقِلَ إلى القضاء بواسط سنة اثنتين وخمسين، وأُضيف إليه التَّدريس بمدرسة الشَّرَابي، فلم يَزَل على ذلك إلى أن مات، وكان حَسَن السيرة عَفِيفاً.

---

(١) تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ١٠٥٠، وتاريخ الإسلام، للذهبي، الورقة ١٠٩ (أيا صوفيا٣٠١٤)، وغيرهما.

(٢) مطبوع مشهور، وهو صاحب كتاب «آثار البلاد وأخبار العباد» المطبوع المشهور أيضاً.

وفيها، توفي الحَكِيم أبو منصور ابن الصَّبَّاغ الطبيب، وعمره زيادة على مئة سنة، وكان ملازم الكتابة والنَّسْخ، يكتب خطاً حَسَناً، ولم يتغير عليه شيء من أعْضائه إلى أن مات، وكان طبيباً حاذقاً عالماً.

وفيها، تُوفِّي الشيخ أحمد[١] القُش شيخ رباط جَهير ورباط الشيخ علي بن إدريس ببعقوبا[٢]، ودُفِنَ تحت أقدام الشيخ علي بن إدريس وأوصى بعده في مشيخة الرباطين إلى الشيخ عفيف الدين عبدالرحمن ابن النَّجْح الباجسري، وكان زاهداً ورعاً، له كرامات مشهورة.

وفيها، نُقِلَ مجد الدين عليّ بن جعفر من التدريس بالمدرسة النظامية إلى المدرسة البَشِيرية، ورُتِّب في المدرسة النظامية نور الدين أبو التيان الحَلَبي.

---

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي، الورقة ١٠٨ (أياصوفيا٣٠١٤) وقيّد «القُش» بخطه، نقلاً عن ابن الفوطي.

(٢) هو علي بن أبي بكر محمد بن إدريس الروحائي البعقوبي، أحد الزهاد المشهورين، توفي في سَلْخ ذي القعدة سنة ٦١٩هـ، ودفن برباطه الذي أنشأه في قرية الروحاء القريبة من بعقوبا. وقد اندثرت هذه القرية واندثر معها الرباط، لكن بقيت منه القبة المقامة على قبره، وهي على يمين الذاهب من بعقوبا إلى بلدة بهرز (انظر تاريخ ابن الدبيثي، الورقة ١٧٦(كيمبرج)، وتاريخ الإسلام، الورقة ٢٥٤(باريس١٥٨٢)، والتكملة للمنذري ٣/ الترجمة ١٩٠٤، وغيرها).

سنـــة
ثلاث وثمانين وست مئة

في هذه السنة، قَبَضَ أرغون على وجيه الدين زنكي ابن عز الدين طاهر والي خراسان، واستصفَى أموالَهُ، ثم أخذَ من أعيان أهل خُراسان أموالاً كثيرةً، فلما بلغ ذلكَ السُّلطان أحمد جَهَّزَ إليه جماعةً مع علي ناق، فالتقوا بظاهر قَزْوين، واقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت القَتْلَى بين الفريقين، وحَجَزَ الليلُ بينهما، فانهزمَ علي ناق وأصحابُه وعاد أرْغون إلى خُراسان، فلما وصل علي ناق إلى السُّلطان أحمد عَظم ذلك عليه وسارَ بعساكره إلى خُراسان، فمال أكثر من كان مع أرغون إليه، والتحقوا به، فعند ذلك راسله السُّلطان أحمد يدعوه إلى طاعته، وترددت الرُّسل بينهما، فجمعَ أرغون أهله وخَوَاصه وسارَ إلى قلعة كلات، وهو جَبَلٌ فسيحٌ قَريب من طُوس ليسَ له طريق إلا من جهةٍ واحدة ولا سُور عليه فسارَ في أثره الأمير بُوقا وأحاطَ به، فاستسلم حينئذٍ ونزلَ، فحمله بُوقا إلى السُّلطان أحمد فَسَلَّمَهُ إلى علي ناق، فجعلَ معه جماعةً يحفظونه وقتلَ أصحابَهُ وكُلَّ مَن كانَ معه من الأُمراء.

ثم رحل السُّلطان يريد أذربيجان، وتَخَلَّف بعده الأمير بُوقا وعلي ناق أياماً، فخلا الأمير بوقا بجماعةٍ من الأُمراء وأجمعوا رأيهم على تَسْليم المُلْك إلى أرغون، فلما اتفقوا على ذلك، مَضَى بوقا إلى أرغون

ليلاً، وركب معه جماعة من أُمراء، وقَبَضوا على أصحاب علي ناق، واستخلصوا أرغون منهم، وعَرَّفُوه ما اتفقوا عليه، فركب أرغون في جماعة من العَسْكر وقَصَدَ علي ناق، وكَبَس عليه وقَتَلَهُ وقتلَ جماعةً من أصحابه، فاضطربت العَسَاكر، فلما أسفرَ الصُّبْح صعد الأمير بوقا تلاً، وأمرَ فَنُودي في الجيوش: هذا أرغون هو السلطان، وعلي ناق فقد قُتِلَ وهذا رأسه، فلما رأوا الرأس سَكَنوا، ثم أجلسوا أرغون على التَّخْت وأرسلوا مَن يقبض السُّلطان أحمد، فلما بلغه ذلك، ركب يريد أن يقصد بركه خان، فلم يتمكن من ذلك وعاجلوه وأحاطوا به وقبضوا عليه، وأرسلوا إلى السُّلطان أرغون يُعَرِّفونه ذلك، فأمرَ بتسليمه إلى أولاد قنقورتاي، فَسُلِّم إليهم فقصفوا ظهرَه فمات[1] . ثم إنَّ السُّلطان أرغون اختصَ الأمير بُوقا وسَمَّاه «جنكتان» ومعناه أمير الأُمراء وجعل إليه تدبير ممالكه وَوَلَّى أخاه أروق العِراق وديار بكر، فَعَيَّن على بدر الدين خاص حاجب صاحبَ ديوان بَغْداد، ورَتَّبَ سعد الدين مظفَّر ابن المُستوفي القَزْويني مُشْرفاً عليه، فسار إليها ومعه الأمير تمسكاي شحنةً ومجد الدين ابن الأثير مُشاركاً في الحُكْم، فأرسلوا بعض مماليك مجد الدين ابن الأثير وجماعة من المَغُول إلى بغداد، فوصلوها في عاشر جُمادى الأولى، وأخْبروا الأمير تَتارقيا بصورة الحال، وقبضوا على خواجه هارون صاحب الديوان وشمس الدين زرديان نائبه وعز الدين جلال المُشارك في كتابة السَّلّة ونظام الدين عبدالله ابن قاضي البَنْدَنيجين وطلبوا مجد الدين إسماعيل بن إلياس نائب خواجه هارون في خاصته

(١) انظر تفاصيل ذلك في جامع التواريخا ٢/ ٢/ ١٠١فما بعد.

فلم يجدوه، فأخذوا هؤلاء ووَكَّلُوا بهم ودُوشِخُوا وطُوِّقَ خواجه هارون وحُملوا جميعهم إلى العِصْمَتية المجاورة لمشهد عبيدالله وحُبِسُوا هناك. ثم أُخْرِج نظام الدين ابن قاضي البَنْدَنيجين من الغد في دُوشاخة وقد سُوِّدَ وجههُ وأُرْكِبَ على بَهيم وشُهِرَ في سوق[1] بغدادَ، والعوام يَطْرقون بين يَديه استهزاءاً به، ثم أُعِيد إلى موضعه. وقُبِضَ على شَرَف الدين محمد بن بُصْلا وكيل الديوان ودُوشِخَ أيضاً وضُرِبَ وطُولب بمالٍ كثير، وكان زوج أخت النِّظام المذكور وكل ما كان يفعله النِّظام من الحَيْف والظُّلم كان بإشارته لأنه كان داهيةً خَبيثاً ذا شَرٍّ غير محمود السيرة في تَصرفاته. ووصل تَقَدُّم من مجد الدين ابن الأثير إلى مُهَذّب الدولة نصر ابن الماشعيري اليَهُودي بأن يَنُوب عنه في الدِّيوان، فصارَ هو المُشار إليه وتولّى الأُمور، فقال يوماً للأمير تتارقيا الشحنة[2] وقد أُحْضِر النِّظام وابن بُصْلا بين يديه: هذا ابن بُصْلا مع النِّظام مثل الوَزَغَة مع الأفعى. قال له: ما معنى هذا؟ قال: إنَّ الوَزَغَة تسقي الأفعى السُّم طول الليل فإذا كان النَّهار ألقت الأفعى ذلك السُّم على الناس[3]. فضحك تتارقيا وأمَرَ بضربهما، فَضُرِبا ضَرْباً كثيراً فأدى ابن بُصْلا[4] ألف دينار في عدة دفعات، وعُزِلَ من الوكالة ورُتِّب عوضه نجم الدين حَيْدر بن الأيْسر[5]. أما النِّظام فإنه أدَّى مالاً كثيراً وعُوقب معاقبةً

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) هذا افتراء بارد لا يقره علم قديم ولا حديث، فلا علاقة بين الوزغة وبين الأفعى.

(٤) قوله: «ابن بصلا» سقط من المطبوع.

(٥) سبق أن قُبض عليه في تزوير العملة.

عَظِيمة وقُصِفَت رقبته بدوشاخة فمات.

وأما خواجه هارون فإنه لم يَزَل موكَّلاً به إلى أن وصلَ الأمير أروق إلى العِراق فَحُمِلَ إليه وهو بطريق خُراسان والطَّوْق في حَلْقه فأمرَ بإزالته، وسَلَّم إليه ما أُخِذَ منه من الدَّواب وغيرها، وعاد إلى داره على اختياره، وظهرَ أصحابُه الذين اختفوا ومجد الدين إسماعيل بن إلياس وكيله.

وأما شمس الدين صاحب ديوان الممالك فإنَّه لما بَلَغه جلوسُ السُّلطان أرغون على التَّخت فارقَ السُّلطان أحمد ولحق بأتابك يوسف شاه بِلُرستان واستَتَر عنده. ثم عَرَف أنَّهُ لا يُنْجيه ذلكَ ولا يَعْصِمه، فحضرَ بين يديه وتَنَصَّلَ مما فَرط منه واعتذر بما أمكنه وضَمن القِيامَ بأمرِ الدولة وعِمارة الممالك، فَهَمَّ باستبقائه وَرق له، فأُشِيرَ عليه بقتله، فأمرَ بتسليمه إلى من يَحْفظه واستيفاء الأموال منه، فَضُرِب وعُوقِبَ، فقال: ضَرْبُ مثلي غير لائق ومهما طُلِبَ مني من الأموال قُمْتُ به. فعرضوا ذلك على السُّلطان، فأمرَ بالتخفيف عنه، فأخذَ في جَمْع الأموال والقرض من التُّجّار وغيرهم، فأشارَ أعداؤه بقَتْله عِلْماً بما في تأخر ذلك من الضَّرَر، فأمَرَ بقتله، فلما أُحْضِرَ ليُقْتل سأل المهلة ساعة ليوصي[1] فأُمْهِلَ، فكتبَ بخطه وصيةً بالفارسية قال في آخرها: فإن وَجَدَ النَّاظِرُ فيها خَلَلاً فلا غرو فإني سَطَّرْتُها وأنا عريان والسَّيف مشهور. فلما فرغَ من ذلك قُتِلَ، وحُمِلَت جثته إلى تِبْريز ودُفِنَ إلى

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «يوصي بها».

جانب أخيه علاء الدين.

وجعل السُّلطان أرغون ابنه غازان في خُراسان وولّاه ذلكَ الثَّغْر.

وفي شهر رمضان من هذه السنة ظَهَرَ في سواد الحِلّة رجلٌ يُعرف بأبي صالح أدعى أنَّه نائبُ صاحب الزَّمان، وقد أرْسَل إليه: أن يُعْلِمَ النَّاسَ أنه قد قَرب ظهوره، واستغوى النَّاسَ[1] بذلك فكَثُر جَمْعه[2] وانضمَّ إليه خَلْقٌ كثيرٌ من الجُهَّال[3]، فقصد بلادَ واسط ونزلَ في موضعٍ يُسَمَّى بلد الدجلة[4] من معاملاتها، وأخذَ من أموال النَّاس شيئاً كثيراً، وسارَ إلى قَرْية قَريبة من واسط تُعرف بالأرْحاء، وراسلَ صَدْر واسط فخر الدين ابن الطِّرّاح بأن يخرج إليه، فقال لرسوله: قل له: يرحل عن مَوْضعه أو يحفظ نفسه ومَتَى تأخر أنفذتُ العَسْكر لقتاله. فَرَحل وقصدَ الحِلّة، فأرسلَ إلى صَدْرها ابن محاسن يستدعيه إليه، فأخرجَ وَلَدَهُ في جماعةٍ من العَسْكر فالتقوا واقتتلوا قتالاً شَدِيداً، فقُتِلَ ابنُ محاسن وجماعةٌ من أصحابه وانهزم الباقون، فكاتبَ والدُه الحُكَّامَ ببغداد يُعَرِّفهم ذلك، فركبَ شحنة العراق وسارَ إليه.

وأما أبو صالح فإنه قَصَدَ قُبَّة الشيخ ابن البَقْلي بناحية النجمية من أعمال[5] قُوسان فَقَتَل كُلَّ مَن بها من الفُقَراء والصَّالحين ونهبَ أموالَ

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «الجهال».
(٢) قوله: «فكثر جمعه» سقطت من المطبوع.
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «الناس».
(٤) ويقال فيها: دقلة، ودقلى (انظر خريدة القصر ٤/ ١/ ٢٥٥، والمختصر لابن الساعي ١١٣).
(٥) سقطت من المطبوع.

أهل الناحية، فوصلَ شحنة العراق بعساكره إليه وأحاطَ به وبأصحابه ووضَعَ السيف فيهم فلم ينجُ منهم إلاّ نَفَر يسير، وحُمِلَ رأس أبي صالح وأصحابه إلى بغداد وعُلِّق بها وكفى الله شره.

ولما رحل أبو صالح من واسط ظهرَ في قريةٍ من قُراها تُعرف بقرية الشَّيْخ، رجلٌ اسمه شامي ادعى ما ادعاه أبو صالح وأمَرَ النَّاسَ بالمعروف ونهاهم عن المُنْكر فمال الناسُ إليه، وتابَ خَلْقٌ كثيرٌ على يده، واعترفَ قومٌ بالقَتْل وغيره وسألوا أن يَقْتَص منهم، واعترف آخرون أنهم [أخذوا](١) مال فلان وفلان يوم كذا، فكثر جمعه، فأرسلَ فخر الدين ابن الطَّرّاح صَدْر واسط إليه يَنْهاه عن فِعْله ويتهدده بالقَتْل، فلما اتصل به ما جَرَى لأبي صالح هربَ والتجأ إلى العَرَب وتَفَرَّق جَمْعُه.

وفيها، اشتُهِرَ ببغداد أنَّ عزَّ الدولة ابن كَمُّونة اليهودي صَنَّفَ كتاباً سماه «الأبحاث عن المِلل الثلاث» تعرض فيه بذكر النُّبوات وقال ما نعوذ بالله مِن ذِكْره، فثارَ العوام وهاجوا، واجتمعوا لِكَبْس داره وقَتْله، فركب الأمير تمسكاي شِحْنة العراق ومجد الدين ابن الأثير وجماعة الحكام إلى المدرسة المُستنصرية واستدعوا قاضي القضاة والمدرسين لتحقيق هذه الحال(٢) ، وطلبوا ابن كَمُّونة فاختفَى، واتفقَ ذلك اليوم يوم جُمُعة فركبَ قاضي القضاة للصَّلاة فمنعَهُ العوام، فعاد إلى

---

(١) ما بين العضادتين إضافة منا لا يستقيم المعنى من غيرها.

(٢) سقطت من المطبوع.

المستنصرية، فخرجَ ابنُ الأثير ليُسَكّن العوام فأسمعوه أقبح[1] الكَلام ونَسَبُوه إلى التَّعَصب لابن كَمُّونة والذَّبِّ عنه، فأمر الشِّحنة بالنداء في بغداد بالمُباكرة في غد إلى ظاهر السُّور لإحراق ابن كَمُّونة، فسكنَ العوام ولم يتجدد بعد ذلك له ذِكْر. وأما ابن كَمُّونة فإنه وُضِعَ في صندوق مُجَلَّد وحُمِلَ إلى الحِلّة وكان ولده كاتبًا بها فأقامَ أيامًا وتوفِّي هناك.

وفيها، زادت دجلة زيادة عَظِيمة وغَرَّقَت في الجانب الغربي من بغداد عدةَ نواح ووصل إلى قِباب دَيْر الثَّعالب[2] والجَنْبَثة ومَعْروف[3]، وتَهَدَّمت حِيطان البَسَاتين ودار الرقيق[4]، وهلكت الأشجار، وظهرَ بعدَ ذلك جَرَاد دَبَّاب أتلفَ أشياءَ كثيرة من الزُّروع والغَلات

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «قبيح».

(٢) قال ياقوت: «دير مشهور، بينه وبين بغداد ميلان أو أقل في كورة نهر عيسى على طريق صرصر، رأيته أنا، وبالقرب منه قرية تسمى الحارثية... وبين قبر معروف ودير الثعالب أكثر من ميل» وقال صاحب «مراصد الاطلاع» في مادة دير القباب: إنه يظنه دير الثعالب. قلنا: ويؤكد ظنه هذا، إشارة المؤلف هنا إلى قباب هذا الدير.

(٣) يعني: تربة معروف الكرخي.

(٤) محلة وسيعة في شمال المدينة المدورة، نُسِبت إلى رقيق أبي جعفر المنصور «الذين يباعون من الآفاق» (البلدان ٢٤٨) ويظهر أنها كانت بين باب الشام وباب خراسان، من أبواب المدينة المدورة، ويفصلها عن دجلة محلة الزبيدية، ثم اتسعت لتشمل الأخيرة أيضاً، ولتتصل بمحلة الحريم الطاهري، قال ياقوت: «شارع دار الرقيق محلة كانت ببغداد خربت، وكانت متصلة بالحريم الطاهري، وقد بقي منه بقية يسيرة» (معجم البلدان). ووصفها صاحب «مراصد الاطلاع» بأنها: «ناحية على دجلة... وبها سوق وجادة الطريق إلى باب التبن وغيره». وأما البقية اليسيرة منه، فهي عنده «بقية سوق الحريم» أي الحريم الطاهري، مما يدل على اشتمالها عليه.

والكرم وغير ذلك.

وفيها، اجتمعَ الفُقهاء بالمستنصرية على جمال الدين الدَّسْتِجرْدي صَدْر الوقوف ونالوا منه وأسمعوه قَبِيح الكلام، فحماهُ منهم الشيخ ظهيرُ الدين البُخاري المُدَرِّس وخَلَّصه من أيديهم، فاتصل ذلك بالحُكَّام فعزلوه، ورتبوا رضي الدين بن سعيد فلم يَنْهض بأمور الوَقْف وجَنَحت[1] الحال بين يديه، فأُعيد جمال الدين الدَّسْتِجرْدي، ووصلَ بعد ذلك فخرُ الدين أحمد ابن خواجه نصير الدين الطوسي، وقد أُعيد أمْر الوقوف بالممالك جميعها إليه، وحُذِفَت الحِصّة الديوانية في الوُقوف وَوُفِّرَت على أربابها، فَعَيَّنَ على مجد الدين إسماعيل بن إلياس صَدْراً بالوقوف عِوَضاً عن جمال الدين الدَّسْتَجِرْدي، وعَيَّنَ على عز الدين محمد بن شمام نائباً عنه فيها.

وفيها، قَلَّدَ قاضي القضاة عزُّ الدين ابن الزَّنْجاني، جمالَ الدين عبدالله ابنَ العاقولي القضاءَ نيابةً عنه، وجعلَهُ مُقَدَّماً على كل النواب، مُنْفَرداً بالشباك، وأضافَ إليه الحِسْبة عِوَضاً عن القاضي بدر الدين الرَّقي، وأقرَّ بدرَ الدين على القضاء بالجانب الغربي.

وفيها، توفي شهاب الدين علي بن عبدالله وكيل الديوان. وكان سبب موته أنَّه أُحِيل عليه بعض المغول فاختَفَى منه لِيُحَصِّل له ما أُحِيل به، فكُبِسَ داره، فارتقَى إلى سَطْحها فسقطَ من الكَنْبَتَة، فمات وعمره

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وصحت»، ووضع الدكتور مصطفى جواد بعدها علامة الاستفهام، مع أنها واضحة في الأصل.

أربع وسبعون سنة. وكان من أكابر المُتَصَرِّفين، خَدَمَ في عدة خدمات في زمن الخُلفاء، وما زالَ مُحْتَرماً مُقَدَّماً ذا رأي سَدِيد وتَدْبيرٍ جَيِّد.

وفيها، رُتِّب نور الدين أحمد بن الصَّيّاد التاجر، صدرَ الأعمال الواسطية عِوَضاً عن فخر الدين مُظَفَّر ابن الطَّرّاح، فأنْفَذَ خادماً له[1] اسمه إقبال لينوب عنه، فأصْعَدَ فخرُ الدين إلى بغداد، وتَحَدَّث في ضَمَان أعمال واسط فَعُقِدَ ضَمَانها عليه، فانحدرَ إليها، وكانت مدة ولاية ابن الصياد شهراً واحداً.

وفيها، توفي الشيخ زكي الدين[2] عبدالله[3] بن حَبِيب الكاتب كتبَ على طريقة ابن البَوَّاب، وكان عالماً فاضلاً، رُتِّبَ شيخ الصُّوفية برباط الأصحاب[4] سنة سبع وخمسين، وأُضيف إليه مشيخة رباط مجد الدين ابن الأثير سنة اثنتين وسبعين، وكان عمره ستاً وسبعين سنة.

وتوفي نور الدين علي بن تَغْلب السَّاعاتي، كان يتولى تدبير الساعات التي تجاه المستنصرية، كان مولده سنة إحدى وست مئة.

وفي رابع رمضان توفي مجد الدين حسين ابن الدوامي وكان مولده

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «ركن الدين»، وما أثبتناه مجود في المخطوط، وكذلك هو بخط الذهبي في «تاريخ الإسلام».

(٣) ترجمه الذهبي في وفيات السنة من «تاريخ الإسلام»، فقال: «عبدالله بن علي بن حبيب الكاتب الأستاذ المجود زكي الدين، أوحد عصره في الخط ببغداد، مات في ربيع الآخر، أرخه ابن الفوطي» (الورقة ١٢٢من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٤) هو رباط السيدة زمرد خاتون والدة الخليفة الناصر لدين الله، قرب تربتها في الجانب الغربي التي مازالت قائمة إلى اليوم.

في شعبان سنة عشرين وست مئة، وهو من البَيْت الأثِيل المَشْهور. خدم والدُه وجدُه الخلفاء وكانوا مُقَرَّبين عندهم. وكان تاج الدين والده حاجب الباب يحضر دائماً عند الخليفة في الخلوات، ولما ملك السُّلطان هولاكو خان بغداد حضر عنده وأمره أن يتولَّى تدبير الأعمال الفراتية، فلم تطل أيامه، وتوفي قبل عود السلطان إلى بلاد الجبل، فأمرَ أن يكون مجد الدين يتولاه، فبقي على ذلك مُدةً ونُقِلَ إلى إشراف الحِلّة وغير ذلك من الخِدم الجليلة. وكان أديباً فاضلاً عفيفاً يقول شعراً جيداً.

وفيها توفي مجد الدين عبدالله[1] بن بُلدجي[2] المَوْصلي مدرس مشهد أبي حنيفة[3]، وعمره ثلاث وثمانون سنة ودفن بالمشهد المذكور، وكان فاضلاً مُبَرِّعاً في العلوم الدينية.

وفيها، توفي شمس الدين الصباغ الطبيب المشهور، وعُمِّر[4] مئة وست سنين، وكان مُبَرِّعاً في علم الطب.

---

(١) تاريخ الإسلام، الورقة ١٢٢ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٢) تصحف في المطبوع إلى: «بلد حي» بالحاء المهملة، والتقييد المذكور هنا من خط الذهبي.

(٣) هي المدرسة التي أنشأها شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور العميد الخوارزمي مستوفي مملكة السلطان ألب أرسلان السلجوقي، وكان الابتداء بعمارتها في الثامن عشر من صفر سنة ٤٥٩، وتم افتتاحها في السابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة نفسها، وهي أقدم مدارس بغداد (المنتظم ٨/ ٢٤٧) وأطولها عمراً، إذ الدراسة قائمة بها إلى يوم الناس هذا، وإن اتخذت اسماء متعددة.

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «وعمره».

سنة أربع وثمانين وست مئة

في المحرم، وصل الأمير تاج الدين علي جُكيبان[1] إلى بغداد، وقد عُيِّنَ مُشْرفاً بالعراق عِوَضاً عن سعد الدين مُظَفر ابن المُسْتوفي القَزْويني، وعُيِّنَ المذكور كاتب سَلّة بغداد، وأُبْطِلَت الدَّراهم وتَعَطَّلَت أمورُ العالم لذلك، وبَطلت معايشهم، وضَرَبَ دراهمَ غيرَها وقَرَّرَ سعرها ثمانية مثاقيل بدينار، واختلفت قيمة الدَّراهم الأولى فكان منها عشرة مثاقيل بدينار ومنها اثناعشر مثقالاً بدينار، فذهبَ من النَّاس شيء كثير، ثم ضَرَبَ في بقية السنة دراهمَ مثل الدراهم الأبغانية[2] وتَقَدَّم أن يتعاملَ النَّاسُ بها عَدَداً كما تعاملوا بالأبغانية. ثم غلت الأسعار، فبلغ الكُر من الحنطة مئة وثمانين ديْناراً وكُر الشعير مئة دينار، وبيع الخبر ثلاثة أرطال بدرهم، ووصل من المَوْصل دقيقٌ وخُبز مُرَقَّق بيع بالحُجر، وأُخِذَت تمغتُهُ[3]، ولم يُسْمع قبل هذا أنه بيعَ بالحُجر خُبْزٌ ولا جُلِبَ إلى بغداد إلا بعد الواقعة، فإن أهل الحِلة أَمَّنَهُم السُّلطان على نفوسهم وأموالهم كما ذكرناه، فكانوا يحملون الغَلَّة والخُبز والتَّمر

---

(١) تحرف في المطبوع إلى: «جليبان».

(٢) منسوبة إلى «أبغا خان» وهو أباقا.

(٣) يعني: الرسم عليه.

والسَّمَك وغيرَ ذلك، وباعَ القومُ الضُّعَفاء أولادَهم، والقت امرأةٌ نفسَها إلى دِجْلة، قيل: إنها كانت على الجَسْر تَطْلب فلم يعطها أحدٌ شيئاً فآثرت اتلاف نَفْسها، وأكلَ النَّاسُ ورقَ الجَزَر والسَّلْجم[1] والبَصَل ونبات الأرض كعروق القَصَب والبَرْدي والحَلْفاء وغَيره[2]، وانقضت السَّنَة والنَّاس على ذلك، ولقوا شِدَّة عظيمةً من الغلاء وكِسَر الدَّراهم.

وفيها، أغارت طائفة من عَسْكر الشام على ديار بَكْر والمَوْصل وإرْبل وقَتَلُوا ونَهَبُوا وسبوا وأخذوا أموال التجار من قيسارية المَوْصل، وقَتَلُوا كثيراً من النصارى في إرْبل، ونَهَبَت الأكراد بلد البوازيج[3] وباصفرا[4] وقتلوا جماعة من النصارى ونهبوا الأموال وهَرَب شِحْنةُ البَوَازيج منهم وقصدَ بغدادَ[5].

وفيها، توفي موفق الدين أبو الفتح بن أبي فراس الهُنَايسي أخو قاضي القضاة[6]، وكان رجلاً صالحاً، خطب بجامع الخليفة إلى أن أضر فاستناب ولده مكانه.

وتوفي تقي الدين علي[7] بن عبدالعزيز المغربي الأصل البغدادي

(١) هو الذي يقال له اليوم بالعامية العراقية: «الشلغم»، وهو اللفت.
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «وغيرها».
(٣) بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة، وهي من أعمال الموصل.
(٤) قرية كبيرة في شرقي الموصل.
(٥) انظر تاريخ الإسلام للذهبي، الورقة ١٩٨ (أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٦) قاضي القضاة هو سراج الدين محمد بن أبي فراس المتوفى سنة ٦٧٠، وهو منسوب إلى الهنايس من قرى واسط.
(٧) ترجمه الذهبي في وفيات السنة من «تاريخ الإسلام» (الورقة ١٣٣ من مجلد أيا صوفيا =

المنشىء. كان شاباً أديباً فاضلاً شاعراً وله «ديوان» مشهور.

وتوفي نجم الدين محمد بن هلال المنجم. وكان حاذقاً في علم النجوم فقيهاً شافعياً.

وفيها، أُعيدَ تدريس البَشِيرية إلى جمال الدين عبدالله ابن العاقولي، وعُزِلَ عنها صدر الدين محمد ابن شيخ الإسلام ورُتِّبَ مُدَرساً بمدرسة الأصحاب[1].

= ٣٠١٤)، نقلاً من ابن الفوطي.

(١) تقدم في سنة ٦٧٧(ص٤٤٢) أنه وُلِّي قضاء الجانب الغربي وتدريس المدرسة البشيرية وأنه توفي بعد شهرين من ولايته، وفي كل هذا تناقض بيّن، فلعل ما تقدم خطأ، أو أنه كان في سنة ٦٨٧، وليس في سنة ٦٧٧؟

سنــة
خمس وثمانين وست مئة

في المحرم، فَوَّضَ الأمير أروق أمرَ العراق إلى عزيز الدين الإرْبلي ومجد الدين إسماعيل بن إلياس، وخَلَعَ عليهما، وعزلَ مجد الدين محمد[١] ابن الأثير والأمير تاج الدين علي جُكيبان[٢] المُشْرف وسَعْد الدين القَزْويني الكاتب، وسلموا إلى عزيز الدين[٣] ومجد الدين، وأُمرا بمحاسبتهم ومطالبتهم بما تعهدوا به[٤] من المال، فطولبوا وضُويقوا ثم حُمِلوا إلى الأردو المُعَظَّم، فأمرَ بقتلهم، فَقُتِلوا وحملت جثة ابن الأثير إلى بغداد، ودُفِنَ في تُربةٍ له في مدرسته[٥]، وحُملت جثة الأمير علي جُكيبان[٦] إلى بغداد أيضاً، ودُفِنَ في تُربةٍ له مجاروة داره، وجثة سَعْد الدين حُمِلت إلى بَلَده. ووصلَ الملكُ ناصر الدين قُتْلُغ شاه مملوك الصاحب علاء الدين بعد ذلك وقد رُتِّب مُشْرفاً بالعراق، وعُزِلَ فخر الدين مظفَّر ابن الطَّرّاح عن الأعمال الواسطية، ورُتِّب بها نور الدين ابن

(١) سقط من المطبوع.
(٢) تحرف في المطبوع إلى: «جلبيان».
(٣) تحرف في المطبوع إلى: «عز الدين».
(٤) تحرفت في المطبوع إلى: «تعمدوه».
(٥) لا نعرف عن هذه المدرسة سوى هذا النص.
(٦) تحرف في المطبوع إلى: «جلبيان».

الصَّيّاد، ثم رُتِّبَ فخر الدين صدرَ الأعمال الحلية.

وكانت الأسعار في هذه السنة على ما كانت عليه في السنة الخالية، والضُّعفاء في وَيْل عظيم من تَعَذُّر القُوت، وكَثُرت الأمراض ببغداد والمَوْت، ولطفَ الله بخَلْقه فتراخَت الأسعار في جُمادى الأولى ورخَصت الأشياء في آخر السنة، وزادت[1] الفُرات زيادةً عظيمةً غرَّقَت أعمالَ الكُوفة والحِلّة ونَهر مَلِك[2] ونهر عيسى والأنبار وهيت، وذهبَ من أموال التناة[3] شيءٌ كثير.

وفيها، أستنابَ قاضي القضاة عز الدين ابن الزَّنْجاني في القضاء ببلاد الحِلّة العَدْل الفقيه تاج الدين محمد بن مَحْفوظ بن وشاح الحِلّي، ورَتَّب نجم الدين محمد بن أبي العِز البَصْري الشافعي مُدرساً بالمستنصرية.

وفيها[4] توفيت رابعة[5] ابنة أبي العباس أحمد ابن الخليفة المستعصم بالله زوجة خواجه هارون ابن الصاحب شمس الدين محمد ابن الجويني ببغداد ودُفنت في تربة والدتها[6] التي بمشهد عُبيدالله.

ووردَ الخبر بعد ذلك أنَّ السُّلطان أمرَ بقتل خواجه هارون في

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وزاد».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «الملك».
(٣) التناة أو التناء، هم الملاكون أصحاب الأراضي والزروع.
(٤) سقطت من المطبوع.
(٥) تاريخ الإسلام، للذهبي، الورقة ١٣٩(أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٦) والدتها هي السيدة شمس الضحى شاه لُبْنَى، المعروفة تربتها إلى اليوم بـ«أم رابعة» في الأعظمية، وقد تقدم خبر إنشائها في حوادث سنة ٦٧٨هـ.

حدود الروم، قيل: كان قتله بعد وفاتها بسبعة أيام.

وتوفي نجم الدين حيدر بن الأيْسر، وكان من أكابر المتصرفين ببغداد. خدمَ في آخر وقته وكيلَ الديوان ببغدادَ، وكانَ حَسَن السِّيرة مشكوراً في تصرفاته، بلغَ من العُمر خمساً وسبعين سنة.

سنة

ست وثمانين وست مئة

ذكرنا في السنة الماضية: أنَّ الأمير أَرْوق قَتَلَ جماعةَ الحُكام بالعراق، وفي هذه السنة جعل عوضهم الملك ناصرالدين قُتلغ شاه بن سنجر مملوك علاء الدين صاحب الدِّيوان، فسأل إبعاد سعد الدولة ابن الصفي الحكيم اليهودي عنه، وأن تُكَفّ[1] يده عن الحكم معه، فأجيب إلى ذلك. فأقامَ سعد الدولة في الأُردو المُعَظَّم على قاعدة الأطباء هناك، فاتفقَ له القُرْب من حَضْرة السُّلطان أرغون والخلوة، وحصلَ له ما لم يَخْطر بباله، فكشفَ له أمورَ العِراق وعَرَّفَهُ جميعَ الأحوال، ثم أخذَ في الطعن على الأمير بُوقا وأخيه أروق[2]، وبيَّن له وجوه ارتفاقهما من الممالك، فَتَغَيَّر قلبُهُ عليهما.

ولما وصل قُتلغ شاه إلى بغداد قَسَّطَ على النَّاس أموالاً على سبيل القَرْض، وثَقَّلَ عليهم في استيفائها، فَنَفَرت نفوسُ النَّاس منه، فبينما هو على ذلك وردت الأخبار بوصول الأمير أردوقيا وسعد الدولة لتصفح أحْوال العراق. ثم إنهما وصلا واجتمعا بالأمير أروق فكان أول ما اعتمداه إسقاط ما قَرَّرَ على الناس من القَرْض، ثم أصلحا حالَ العراق

---

(١) تصحفت في المطبوع إلى: «يكف».

(٢) وقع في المطبوع: «وأخيه الأمير أروق»، ولفظة الأمير لا أصل لها.

واستَرْفعا حسابَهُ وجَمَعا المالَ من وجهه، وتوجهوا جميعاً إلى حضرة السُّلطان، فأنْهَى إليه سَعْدُ الدولة ما فعلَ أروق وقتلغ شاه بالرَّعية وما صارَ إليهما من الأموال، فأمرَ باستخراج ذلك من قُتلغ شاه، فعادَ سعد الدولة إلى بغداد واستصحبَهُ معه، وكان ما نذكره سنة سبع وثمانين.

وفيها، طُولِبَ نجم الدين أحمد[1] كاتب الجَرِيد[2] بالحساب ودُوشِخَ على بَقَايا وَجَبت عليه، فلما عرفَ من نفسه العَجز عما يُطْلَب منه وخَشِيَ من العِقَاب قَتَلَ نفسَهُ، وكان شاباً حسن الصورة.

وفيها، دخلَت العربُ في يوم جُمُعة إلى الجامع بالمُحَوَّل فأخذوا ثيابَ كُل من كانَ فيه، ثم قَصَدوا ناحية الحارثية[3] وكَبَسوها ليلاً وأخذوا ما قدروا عليه، وقَتَلوا جماعةً من أهلها، فلم يزل شِحْنة العِراق يَفْحص عنهم حتى ظَفر بأكثرهم وضربَ أعناقَهُم، وبنى رؤوسَهم في قُبةٍ عند[4] الجَسْر وجَعَل وجوههم ظاهرة ليعتبرَ بهم[5] كلُّ مُفْسِد.

وفيها، تزوجَ رجلٌ من نهر مَلِك[6] يُعرف بابن البَيْضاوي امرأة

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) كاتب الجريد: هو كاتب تسجيل الأموال (دوزي: تكملة المعاجم ٢/ ١٨٠).

(٣) الحارثية: قرية أشار إليها ياقوت عرضاً عند كلامه على «دير الثعالب» فذكر أنه بالقرب من هذا الدير قرية تسمى الحارثية. قلنا: وقد تحولت هذه القرية في القرون المتأخرة إلى أطلال تعرف بتلول الحارثية، ثم نُسبت إليها الأرض المجاورة لها. وهي اليوم حي سكني يعرف بالاسم نفسه، يعد من أشهر ضواحي بغداد الغربية الحديثة.

(٤) سقطت من المطبوع.

(٥) تحرفت في المطبوع إلى: «بها».

(٦) تحرفت في المطبوع إلى: «الملك».

مُغنيةً ببغداد، ونقلَها إلى قريته وأسكنَها مجاورَ دار زوجته وكانت ابنة عمه، فدخلت إليها وضَرَبتها بدبوس[1] فقَتَلتها، وخرج عمه أبو زوجته إليه فَضَربه بنشابة فماتَ من ساعته، فعلم ولده بذلك فضربَ عم أبيه بسيفٍ فقتله، ومَضَى الثلاثة في هَوَى النفس الأمارة بالسوء -نعوذ بالله من شر الشيطان وبلائه-.

وفيها، قصدَ بعضُ أولاد التجار خان الصَّخْر المجاور لخان السِّلسلة[2] ليلاً، فدخلَ وقَتَلَ الخانيَّ، وفتحَ بيتاً لأبيه وأخذَ منه مالاً، فأدركه أبوه ليأخذ المال منه فقتله، فمضَى الخانيُّ إلى نائب باب النُّوبي وعَرَّفَهُ ذلك فطلبوا ولدَه فلم يحصل.

وفيها، تزوج شهاب الدين سُليمان بن علي أخو الشيخ نظام الدين محمود شيخ المشايخ ببلقيس ابنة شرف الدين علي بن علجة، فقال بعض الشعراء في اتفاق الاسمين:

هذا سُلَيمان قد تَمَّتْ محاسِنُهُ ... فراقبوا الله لا تطغوه بل قيسوا
لو لم يكن كَسُليمان النبي لَمَا ... زُفَّت إليه ولا جاءته بَلْقِيس

(١) الدبوس: هي العصا التي في رأسها حديدة.
(٢) يُنسب هذا الخان إلى درب السلسلة من دروب سوق الثلاثاء المتصلة بدرب دينار الصغير في أواخر العصر العباسي. وقد تقدم في تعليق لنا على بعض حوادث سنة ٦٤٦، أنه عرف في العصور المتأخرة بدرب الزنجير (وهي السلسلة ذاتها) ويعرف اليوم بدرب الزنجيل ولما كانت المدرسة النظامية تقع من الجهة الجنوبية منه، فإن خان السلسلة هذا وخان الصخر كانا يقعان في الجهة المقابلة، أي الشمالية، وهو المكان الذي أنشأ فيه والي بغداد سنان باشا جغالة زاده خانه الكبير سنة ٩٩٩هـ، والذي تحرف اسمه، فيما بعد إلى خان جغان. وأقيم على أكثر أرضه السوق المعروف اليوم بسوق دانيال.

وفيها، كَثُرَ اهتمام العوام[1] بقتل السِّباع، وجَرَى بينهم فِتَنٌ كثيرةٌ وحروب بين أهل المحال، فأنكرَ الديوان ذلك، وتُقُدِّم بحرق السِّباع لإطفاء الفتنة، ومُنِعُوا عن الخروج بعد ذلك لقتل السِّباع.

ووقع بنَيْسان، بَرَد كثير كبار[2] أتلفَ الزُّروعَ في أعمالِ بغدادَ، قال الشيخ ظهير الدين ابن[3] الكازروني في تاريخه: حكى لي قاضي طريق خُراسان أنَّ جماعةً شَهِدوا عنده أنهم رأوا في ناحية الخُوزية من أعمال بَرَاز الرُّوز[4] بَرَداً كِباراً فيه بردة طويلة عظيمة كالرجل النائم، والله أعلم.

وفيها، حج النَّاسُ وعادوا طيبين وأَخْبَرُوا بأمن الطَّريق ورُخص الأشياء في مكة والمدينة.

وفيها، عُقِدَ ضَمَان الأعمال الحِلّية على مجد الدين إسماعيل بن إلياس إضافة إلى نيابة الدِّيوان والحُكْم في بغداد، وكان ذلك سبباً لذهاب أمواله وأملاكه.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «عوام بغداد»!
(٢) سقطت من المطبوع.
(٣) سقطت من المطبوع.
(٤) ويقال فيها: «براز الروزين» أيضاً، وهي البلدة المعروفة اليوم ببلدروز الواقعة على شاطىء الجدول المسمى باسمها بين بعقوبا ومندلي.

سنــة
سبع وثمانين وست مئة

في المُحرم، وصلَ الأمير أرْدوقيا وسعد الدولة ابن الصَّفي اليَهُودي إلى بغداد، وحضرا[١] عند الأمير أروق وعَرَضا عليه ما مَعَهُما من الفَرَامين، فأمرَ بأن يُنَادى في بغداد: أن يحضر إلى الدِّيوان كل مَن مَعه فَرْمان وبايزه، فلما حَضَروا أخَذوا ذلك منهم، وعُزِلَ ناصر الدين قُتلغ شاه عن الحكم ببغداد، وأُعيد أمر الإشراف بالعِراق إلى سَعْد الدولة، وتَقَدَّم بإعادة ما أُخِذَ من الرعية في السنة الخالية من القَرض، ثم طُولب ولاة الأعمال والضُّمَناء[٢] بما عليهم من البَقَايا وضويقوا على ذلك، فأدوا أموالاً كثيرةً.

وضُرِب عزيز الدين[٣] عبدالعزيز الإِرْبلي ناظر الكُوفة فباعَ أملاكه فلم يَقُم بما عليه، وكان مَريضاً فمات من تواتر الضَّرْب والعِقَاب. وضُرِب الزَّين الحَظَائري عميد بغدادَ ودُوشِخَ، فأدى بعض[٤] ما قُرِّرَ عليه وأُخِذَ مجد الدين إسماعيل بن إلياس ودُوشِخَ، ووُكِّل به في داره

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وحضر».

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «والضعفاء».

(٣) تحرف في المطبوع إلى: «عز الدين».

(٤) من هنا إلى قوله: «فأدى» في السطر الذي بعده سقط كله من المطبوع!

فأدّى مالاً كثيراً وباعَ أملاكه وأسبابه وقام بما تَخَلَّفَ عليه من ضَمان الحلة.

فلما تَكَمَّلَت الأموال في الخزانة توجه الأمير أردوقيا بها إلى السُّلطان واستصحبَ سَعد الدولة معه، فَعَيَّن شرفَ الدين محمد بن أحمد السِّمْناني صاحب ديوان العراق، ورَتَّبَ سَعد الدولة ابن الصفي الحكيم[1] مُشْرفاً عليه، فوصَلا بغدادَ وصُحْبتهما ناصر الدين قُتلغ شاه مُطالبٌ[2] بما عليه من الأموال، ورُتِّب فخر الدين مُظَفَّر ابن الطَّرّاح صَدْراً في الحلة عوضاً عن مجد الدين إسماعيل بن إلياس.

وفي صَفَر، وصلَ إلى بغداد جماعة من اليهود من أهل تَفْليس وقد رُتِّبوا ولاةً على تَرِكات المُسلمين، فأجْروا الأمْرَ على أن لا يُورِّثوا ذوي الأرْحام، فأنكرَ الأمير أروق ذلك، وأمرَ أن يُعْمَل بمذهب الإمام[3] الشافعي -رضي الله عنه- كما كانَ يُعمل قديماً. فاتفقَ وفاة بعض العوام وخَلَّف ابنَ عمٍ له، فأنكرَ النُّواب نَسَبه وخَتَمُوا على تركته، فاستغاثَ واستنصَرَ بالعوام، فاجتمعَ معه خَلْقٌ كثيرٌ ووقعت فِتْنة أوْجَبَت خَوْف النُّواب من القَتْل، فاختفوا وتَحَصَّنُوا في بيوتهم، فنهبَ العوام دكَاكين اليهود من المُخَلطين وغيرهم، فكَفَّهم الديوان عن ذلك، فخرجَ النواب من بغداد متوجهين إلى بلادِهم، فصادَفَهُم الأكرادُ في الجَبَل فقتلوهم.

وفيها، تزوجَ مُبارك شاه ابن الشيخ نظام الدين محمود شيخ

---

(١) قوله: «ابن الصفي الحكيم» سقط من المطبوع.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «يطالب».

(٣) سقطت من المطبوع.

المشايخ بابنة فخر الدين ابن خواجه نصير الدين الطُّوسي على صداق عشرة آلاف دينار، وحضرَ العَقْد قاضي القضاة عز الدين ابن الزَّنْجاني.

وفيها، رُتِّب نجم الدين محمد بن أبي العِز مُدَرِّساً بالنظامية حيث توفي مدرسها نور الدين عبدالغني المعروف بأبي البيان[1] الحَلَبي إضافة إلى القَضَاء وخَلَعَ سعدُ الدولة عليه، فلما أَلْقَى الدَّرْس قال: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ ۝٦٥﴾ [يوسف].

وفيها، كُفَّت يد صدر الدين وإخوته أولاد خواجه نصير الدين الطوسي عن النَّظَر في وقوف العِراق، وأُعِيدَ الأمر فيها إلى حُكَّام بغداد، ثم عاد الأمر إليهم في سنة ثمان وثمانين.

وحج من العراق في هذه السنة خلق كثير، وأَخْبَرُوا بتعذر الأقوات وعدم الأشياء هناك.

(١) هكذا في الأصل الخطي، وتقدم في أواخر سنة ٦٨٢هـ «أبو التيان» وليس بين أيدينا ما نرجح فيه الصواب.

سنة
ثمان وثمانين وست مئة

فيها، تَقَدَّم الملكُ شرفُ الدين السِّمْناني صاحبُ ديوان العراق بإعادة الزَّيْن عميد بغداد إلى التَّمْغات بعد أن استُوفِيَ ما عليه من بقايا الضَّمان بالضَّرْب والعَذَاب.

ثم عَزَمَ المَلِكُ على التوجه إلى الأُردو المُعَظَّم، فقصدَ سَعْدُ الدولة المُشرف عليه مشهد موسى بن جعفر -عليه السلام- وزارَ ضريحَهُ الشَّريف وأخذَ المُصْحف متفائلاً به، فخرج له: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ۝٨٠﴾ [طه] فاستبشرَ بذلك وأطلقَ للعَلَويين والقُوَّام مئة دينار، فلما وصلوا إلى حَضْرة السُّلطان عَزَلَ الملكَ شرفَ الدين، ورَتَّبَ سعدَ الدولة صاحب ديوان الممالك، وأمَرَ السُّلطان بقتل الأمير بغانوين فَقُتِلَ هو وأولادُه وأصحابُه. وكان الأمير أروق أخوه في ديار بكر فأنْفَذَ إليه من قَبَضَ عليه ثم قَتَلَهُ، وكان ذلك لتغير نياتهما[1] في طاعته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ۝١١﴾ [الرعد]، ثم إن سعدَ الدولة رَتَّبَ في العراق أخاه فخرَ الدولة ومُهَذَّب الدولة نصر بن الماشعيري ورَتَّبَ

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «نياتهم».

معهما جمال الدين علي[1] الدَّسْتَجِرداني كاتباً، فوصلوا إلى بغدادَ وقَرَّرُوا قواعد أعْمالها، ثم وَصَلَ تَقَدُّم سَعْد الدولة بالقَبْض على الزَّين الحظائري ضامن التَّمْغات ومجد الدين إسماعيل بن إلياس واستيفاء ما عليهما من الأموال في ثلاثة أيام[2] ، ثم قتلهما بعد ذلك. فَقُبِضَ عليهما ووُكِّلَ بهما وعُوقِبَا بالضَّرْب وغيره وأخذ كُل[3] مالَهُما من مالٍ ومُلْكٍ، ثم قُتِلَ الزين[4] ظاهر سور بغداد في العشرين من جُمادى الآخرة، وقُتِلَ مجد الدين في يوم الأربعاء ثاني عِشْري الشهر تحت دار الشاطيا[5] وسُلِّمت جُثته إلى أولاده، وكان قتله آخر النهار وهو صائم، فطلبَ ماءاً فلما أُتِيَ به نظرَ إلى الشَّمْس وقد قرب غروبها فلم يشربه، وقال للسياف: اضرب ضربة واحدة. فقال له: نعم، وكان -رحمه الله- من محاسن الزمان عالماً فاضلاً أديباً جَوَاداً شخياً كريماً يكتب خَطاً جيداً ويقول الشعر. فمما قاله في نسبة[6] المعادن ووزنها:

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) قوله: «في ثلاثة أيام» سقط من المطبوع.

(٣) سقطت من المطبوع.

(٤) تحرف في المطبوع إلى: «زين الدين» وكله بمعنى.

(٥) وقعت في المطبوع: «الدار الشاطئية»، ونظنها من كيس العلامة الدكتور مصطفى جواد رحمه الله، ودار الشاطيا هذه وإن لم تكن هي الدار الشاطئية، فلا نعرفها، وقد جاءت هكذا أيضاً بخط الذهبي في «تاريخ الإسلام» نقلاً عن ابن الفوطي، قال: «إسماعيل بن إلياس الصاحب المعظم مجد الدين ابن الكتبي، قال ابن الفوطي: قتل في جمادى الآخرة بدار الشاطيا، ذكر أنه كان يومئذ صائماً...» (الورقة ١٦٥ من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٦) سقطت من المطبوع.

إذا استَـوَت الحُجـوم لفلـزات فـوزن الكُـل مُعْتَبَـر بِنِسَبِـهْ
فـدرزيقـم أقـح ففـح مـص وجـف قـوع فخـذ وزنـاً ورتبـهْ
فهـذا سِـرٌّ مـا أخفـاه قَـوْمٌ قـديمـاً قـد كَشَفْنَـا عنـه حُجْبَـهْ

وقُتِلَ الملك ناصر الدين قُتلغ شاه[1] الصَّاحبي في تِبْريز وحُمِلَت جثته إلى بغداد، فدُفِنت في رباط كان قد عَمَّره مجاور قَبْر سَلْمان الفارسي وجعلَ فيه جماعةً من الفُقَراء ووقف عليه عدة نواحٍ بواسط وغيرها. وكان يحب الفُقَراء ويواصلهم، وبَنَى في البصرة لما كان والياً بها[2] رِباطاً وحَمَّاماً ووقفَ الحمام وغيره عليه. وبَنَى في المأمن الذي عمله الصاحب علاء الدين في أعمال واسط مدرسةً.

ثم قُتِلَ منصور ابن علاء الدين صاحب الديوان ببغداد في رجب ودفن في تربة والدته[3] .

وفيها، عُزِلَ نور الدين ابن الصَّيّاد من واسط ورُتِّب عوضه الملك نور الدين عبدالرحمن بن تاشان.

وفيها[4] ، سار الملك المنصور قلاوون الألفي إلى طرابُلُس

(١) تاريخ الإسلام للذهبي، الورقة ١٦٦(أيا صوفيا ٣٠١٤) وسماه: «خطلغ» على طريقة تلفظ أهل الشام.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «فيها».

(٣) قال الذهبي في وفيات السنة من «تاريخ الإسلام» بخطه: «منصور نظام الدين ابن صاحب الديوان عطا ملك الجويني ثم البغدادي، قتلوه في رجب وهو شاب. ووالدته هي شمس الضحى والدة الست رابعة بنت ولي العهد أحمد ابن المستعصم بالله، ودفن بتربة والدته، وكان قد سمع. .» (الورقة ١٧٢من مجلد أيا صوفيا٣٠١٤).

(٤) هذه الفقرة سقطت كلها من المطبوع. وانظر تاريخ الإسلام، الورقة ٢٠٠من مجلد أيا صوفيا٣٠١٤.

الساحل بالعساكر المصرية ونزل عليها براً وبحراً، وحصرها ونصبَ عليها المناجيق، وواصل الزحف والقتال حتى فتحها عَنوةً، وقتلَ أهلها وسَبى ذراريهم وغنم أموالهم. ثم أمر بهدمها، فَهُدِمت حتى أُلحقت بالأرض.

وفيها، قُتِلَ الكمال حسن بن يحيى الفَرَّاش البَغْدادي بدمشق، قَتَلَهُ رجلٌ من أهلها ثم قعدَ عنده، فلما عَرَف الوالي بذلك أحضرَهُ فاعترفَ بأنه قتلَهُ وقال: عرفتُ أنكم تسألوني عنه وأني قتلته غيرةً على النبي ﷺ لأنه أساء ذكره وتَعَرَّضَ بالصحابة وقال أشياء يستحق عليها القَتْل، وقد بَذَلْت نفسي لله تعالى فطلبوا منه مَن يَشْهد أنه سَمِعَ منه ذلك، فأحضرَ جماعةً من أهلِ دِمَشق شَهِدوا بصحة ما قال فَخُلِّي سَبِيله. وهذا الصبي كان يعتقد مذهب الفلاسفة ويَتَظاهر به، وكان أبوه يدعي أنه أخو علاء الدين عَطا ملك الجُويني صاحب الديوان لأنَّه كان قد حضر عنده لما أخذه علي بهادر شُحنة بغداد ووَكَّل به فقال له: قد رأيتُ مناماً يدل على أنك تخلص عن قريب وتحكم في العراق، فلما خَلص قَرَّبَهُ وأحسنَ إليه وكان يخاطبه بالأخ، ثم وقع منه ما أوجب أنه أمرَ بأخذِه وضَرْبه، ثم أُركبَ حِماراً وطيفَ به في أسواق بغداد ثم ضُرِبَ حتى هلك.

وفيها، وُجِدَ في الخزانة المَحْمولة من بَغْداد إلى الأُردو المُعَظَّم كيس فيه فُلوس فَتَقُدِّمَ بالفَحْص عن ذلك، فظهرَ أن بعضَ فراشي الديوان فعل ذلك، فأُمِرَ بصَلْبه فَصُلِبَ.

وفيها، صَلَب شهاب الدين عُمر ابن أخت صفي الدين عبدالمؤمن نفسَهُ في داره، ولم يكن فقيراً ولا عليه دين، ولم يُعلم السبب الموجب لذلك، وكان شاباً حَسَناً.

وفيها، توفي عزل الدين علي بن عُفَيْجة[1]، ودفن تحت أقدام سَلْمان الفارسي، وكانَ من أكبار المُتَصرفين ببغداد.

وتوفي بهاء الدين عبدالوَهَّاب ابن قاضي دقوق[2] ودُفِنَ في مدرسةٍ بناها على شاطىء دجلة بباب الأزَج[3]، وكان ذا مالٍ وجاهٍ من أكبر التُّنَاة بالعِراق.

وتوفِّي صفي الدولة سُلَيْمان بن الجَمَل النَّصْراني كاتب السَّلّة ببغداد.

وفيها غَلَت الأسْعار ببغداد، وحج منها خَلْقٌ كثيرٌ.

---

(١) تحرف في المطبوع إلى: «عصمة»، وهو عز الدين أبو محمد علي بن محمد بن أبي البدر منصور بن عفيجة البغدادي الكاتب أمين الديوان. ترجمه ابن الفوطي في تلخيصه (٤/ الترجمة٣٣٩)، والبرزالي في «المقتفي» (وفيات سنة ٦٨٨)، والذهبي في تاريخ الإسلام، الورقة ١٦٦من مجلد أيا صوفيا٣٠١٤).

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «دقوقا».

(٣) يشمل القسم الشاطىء من محلة باب الأزج محلة السنك الحديثة من عند قصر عبدالرحمن النقيب، حيث كانت تنتهي أسوار دار الخلافة العباسية، وحتى مسافة ما من الباب الشرقي، حيث تبدأ محلة البصلية في ذلك العصر، فتكون المدرسة المذكورة في أحد المواضع الشاطئية هناك.

سنــة

تسع وثمانين وست مئة

فيها، سُطِرَ ببغداد مَحْضَرٌ كَتَبَ فيه أعيانُ النَّاس يتضمن الطَّعْنَ على سَعْد الدولة ويتضمن آيات من القرآن وأخباراً نَبَوية أنَّ اليَهُود طائفة أذلَّهم الله تعالى، ومَن حاولَ إعزازهم أذَلَّهُ الله عز وجل، فعرفَ سعد الدولة بذلك، فلما وصلَ المُنْفَذ به أخذَهُ منه وعَرَضَهُ على السُّلطان أرغون، فَحَكَّمَهُ في كُلِّ مَن كَتَبَ فيه، فتأنَّى في مؤاخذتهم، واستعمل الحَزْمَ وعاقبة العجلة، لكنَّهُ تَقَدَّمَ بصلب جمال الدين ابن الحلاوي ضامن تَمْغات بَغْداد، فَصُلِبَ بباب النُّوبي وثيابه عليه، وسُلِّم إلى أهله بقية النَّهار.

وفيها، سألَ السُّلطان عمن تخلَّفَ من أولاد شمس الدين محمد ابن الجُويني صاحب الديوان فأُخْبِرَهم فأمَرَ بقتلهم، وكان في تِبْريز منهم مَسْعود وفَرَج الله، فَقُتِلا ودُفنا في تُربة أبيهما، أما مسعود فإنه كان قد أعْرَس منذ ليالٍ، وأما فرج الله فإنه كان صَبياً في المَكْتَب فلما أُخْرِج ليُقتل تَوَهم أنهم يريدون تأديبه لئلا يَنْقَطع عن المَكْتب فجعل يقول بالفارسية: والله ما بقيت انقطع عن المكتب! فَرَقَّت النَّاس له، وكان أخُوهما نوروز في الروم فسارت الأيلجية إليه، فَقُتِل هناك.

وفيها، عُزِلَ نجم الدين بن أبي العز البَصْري ونجم الدين عبدالله

القُوساني وعفيف الدين رَبِيع الكُوفي من القضاء ببغداد.

وحج من العراق في[1] هذه السنة خَلْقٌ كثير وعادوا من بعض الطَّرِيق وقد نَهَبَهُم العَرَب.

وفيها، اتفقت بنتٌ لبعض الأعيان بشيراز مع مملوكٍ لأبيها على فاحشةٍ، فلما رأت أنه افتضها خافَت فهربت، فلما عرفَ أبوها الحال قتلَ المَمْلوك ثم تَطَلَّبَها إلى أن وُجِدَت بعد أيام فَحَكَم شحنة شيراز يومئذ بقتلها، فَحُمِلت إلى رأس جبل بظاهر شيراز فيه جُب كبير بعيد القَعْر تُلْقَى فيه النِّساء المُسْتَوجبات للقتل، فأُلقيت الجارية فيه فلم تهلك ولم يهن منها عضو، فَعَجب الحاضرون وسألوا الإفراج عنها فقال الشحنة المذكور ما معنى قول الشاعر:

مَن لم يَمُت يومه يموت غداً   أو لم يمت في غَدٍ فبعد غَد

فأرسل إليه شمسُ الدولة[2] ابن المُنْتَجب عاملُ فارس في أمرها، فأذِنَ في إخراجها[3] ، فأُخْرِجَت وزُوِّجَت، وذلك في ذي الحجة منها.

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «الدين».

(٣) قوله: «فأذن في إخراجها» سقط كله من المطبوع.

سنــة

تسعين وست مئة

في هذه السنة، انحدَرَ مُهَذَّب الدولة ابن الماشعيري إلى واسط وقبضَ على مَلِكِها نور الدين عبدالرحمن بن تاشان، وطَوَّقَهُ بالحديد ونَفَّذَهُ إلى بَغْداد على أن يُقْتَل بها ويُحْمَل رأسُهُ إليه، وسبب ذلك أنَّه تَحَدَّث على السُّكر: أن سَعْد الدولة قد قُتِلَ، فلما وصل إلى بغدادَ وُكِّلَ به في دار النِّيابة ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الثالث وَصَلَت الإيلجية من أُردو «بايدو» ودَخَلُوا بغدادَ ليلاً وحضروا عند جمال الدين الدَّسْتَجِرداني كاتب العِراق، وعَرَّفُوه أنَّ السلطان أرغون تُوفي، وأنَّ الأُمراء قتلوا سعد الدولة قبل وفاة السُّلطان وأنَّه قد فَوَّضَ أمرَ العراق إليه، فأمر[1] بالقَبْض على فخر الدولة أخي سعد الدولة. فاتفقَ مع الإيلجية والأمير. . .[2] شحنة بغداد وقَبَضُوا على فخر الدولة ليلة السبت. . .[3] كذلك. ربيع الآخر وأحضروا الملك نور الدين عبدالرحمن من السجن، وتَقَدَّموا إليه بالانحدار إلى واسط والقَبْض على مُهَذَّب الدولة وحَمْله إلى بغداد فَتَحَدَّرَ[4] بقية الليل وقبض عليه، وطَوَّقَه وأنفذه إلى بغداد.

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وأمر».

(٢) هكذا فراغ في الأصل.

(٣) كذلك.

(٤) من هنا إلى قوله: «إلى بغداد» سقط كله من المطبوع.

ولما قُبِضَ فخر الدولة نَهَبَ الكلجية وعَوَام بغداد دارَهُ وآذُر اليهود كافة وأخَذُوا أموالَهُم ودام ذلك ثلاثة أيام، فركب جمالُ الدين في جماعةٍ من الجُنْد والكلجية ومنعوا العَوَام عن ذلك، وحَبَسوا جماعةً منهم وقَتَلُوا نَفَرين فسكنت الفِتْنة.

ولما وَصَلَ مهذبُ الدولة إلى بغداد حُبِسَ في دار النيابة أياماً[1] فسألَ من جمال الدين أن يُنْقَل إلى حجر البِئْر، فنُقِلَ ثم أُحْضِرَ بعد أيام إلى الديوان وسُئِلَ عن الأموال، فقال: أما مال الديوان ففي الخزانة وأما ما يخصني فأنت تعلم أني لم أجمع مالاً. فأمر بضربه فَضُرِبَ، ثم أُقْعِدَ وسُئِلَ فلم يعترف بشيء غير الظاهر، فأمروا بقَتْله فَضُرِبَ بالسكاكين والسُّيوف وكان بالاتفاق في الديوان نجارٌ قد جاءَ مُتَفَرِّجاً ومعه فأسٌ فضربه عدة ضربات ثم قُطِّع إرباً إرباً، وتناهَبَهُ العوام، فَنَغَمَّ نَفَّاطٌ بمصرانه وطافوا به في شوارع بغداد ودُروبها، ثم أُحْرِقَ بباب جامع الخليفة ما عدا رأسه فإنه[2] سُلِخَ وحُشِيَ تِبْناً وَطِيفَ به في جانبي بغداد وحُمِلَ إلى واسط فَعُلِّقَ على جَسْرها. وقُتِلَ من اليَهُود شاب يعرف بابن فلالة، وقُطِّعَت أعضاؤه، وشَدَّ العوام في إحليله حَبْلاً وطافوا به سَحْباً في دُروب بَغْداد، ثم أُحْرِق بباب جامع الخليفة أيضاً.

فلما سكنت الفتنة وخَرَجَ اليهود على عادتهم في معايشهم أشاعَ طائفةٌ من العوام أنَّ الحُكَّام قد فَسَحوا في نَهْبهم فسارع الأشْرار والسَّفل والشُّطّار في ذلك، ونَهَبُوا دورَهم ودكاكينَهُم، فركب جمال الدين في

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) سقطت من المطبوع.

جمْعٍ من الكلجية وكَفَّهم عن ذلك. ولم يَبْقَ بلدٌ من بلاد العراق إلا وجَرَى فيه على اليَهُود من النَّهْب مثل ما جَرَى في بغداد حتى أسْلَم منهم جماعة، ثم عادوا بعد ذلك.

ثم طُولِب[1] فخر الدولة وجماعة من أعيان اليهود بالأموال وضويقوا وعوقبوا عليها، فادعوا أن أموالهم نُهِبَت من دُورهم وأرْسل بايدو إلى المَوْصل مَن قَبَضَ على أمين الدولة أخي سَعْد الدولة، وكان حاكماً بها، واعتُمِدَ معه مثل ما اعتُمِدَ مع أخيه فخر الدولة.

حُكِيَ أن فخر الدين مُظفر ابن الطَّرّاح حَرَّضَ جمال الدين الدَّسْتَجِرداني على قَتْل مُهَذَّب الدولة، وقال: إن تُرِكَ لا يُؤْمَن. وخَوَّفَهُ من عاقبة الحال حتى قال له:

جمال الدين العُلَى يا ملك من ياملك
عَجِّل بِقَتْل المُهَذَّب قبل أن يَقْتلك
وانظر إلى صاحب الدِّيوان ومجد الملك ....[2]

وكان[3] مُلْك السُّلطان أرغون نحو ثماني سنين. وكان عادِلاً محمود السيرة رؤوفاً بالرعية، وأرسلَ الأُمراء إلى كيغاتو وكان بالروم يُعَرِّفونه وفاة أخيه، فسارَ إليهم وجلس على التَّخت[4].

---

(١) من هنا إلى قوله: «نهبت من دورهم» سقط كله من المطبوع.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) يظهر أن هناك ما سقط قبل هذا، وفي أقله أول ترجمة أرغون.

(٤) قال الذهبي: «وكان شهماً شجاعاً مقداماً كافر النفس سَفّاكاً للدماء ذا هيبة وجبروت... وكان وزيره سعد الدولة قد استولى على عقله يصرّفه كيف أراد، =

وفيها[1] ، توفي الملك المنصور قلاوون الألفي[2] بالقاهرة، وعمره ثمانون سنة ودُفِنَ في مدرسة بناها سَمَّاها المَنْصورية[3] . وكانَ قد بَرَز ليسير إلى عَكّة فمرض وعادَ، وعَهَد إلى ابنه صلاح الدين خَلِيل ولَقَّبه الملك الأشْرَف واستحلَفَ له الأُمراءَ والقُوَّاد. وكانَ عادلاً حَسَن السِّيرة ذا رأي سديد وضَبْطٍ للمُلْك والسياسة. فلما ولي الملك الأشرف عَطَف على مَن يَخَافه من الأُمراء قَتْلاً وتَفْرِيقاً وخَنْقاً وتَسْميراً وغير ذلك، فممن قتل ترنطاي وسُنْقُر الأشْقَر وعمد إلى لاجين وهو من أكابر مماليك والده فَخَنَقَهُ بوتر قَوْس حتى ظَنَّ أنه مات. ثم أمرَ أن يُلْقَى على قارعة الطريق فأُلْقِيَ فأفاقَ ومضى إلى بيته فأُنْهِيَ ذلك إلى الأشرف فقال: إنَّ الله لم ياذن في هلاكه. وأعرضَ عنه، فكانَ هلاك الأشْرَف على يده وسنذكره. وكان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس يَفْضله بالشَّجاعة وهو يفضل المَلك الملك الظاهر بالدَّهَاء.

وفي هذه السنة، احتُبِسَت الغُيوث حتى انقضاء بعض شباط فاجتمَعَ الناس عند قاضي القضاة عز الدين ابن الزِّنْجاني ثم خَرَجوا إلى مَقْبرة

= وتحكم في دولته تحكماً زائداً. .» ثم ذكر ما جرى له ولقومه يهود (الورقة ١٨٤من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٤).

(١) بل في أواخر التي قبلها، كما هو مشهور في التواريخ الشامية والمصرية، وهي العمدة في ذلك، قال الذهبي: «توفي في ذي القعدة في سادسه يوم السبت بالمخيم ظاهر القاهرة، وحُمِلَ إلى القلعة ليلة الأحد» (الورقة ١٨٠من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٢) سمي بذلك في حال مرته لأنه اشتري بألف دينار.

(٣) الصحيح انه دفن في قبة مستقلة عند مدرسته المذكورة، قال الذهبي: «وعمل بالقاهرة بين القصرين تربة عظيمة ومدرسة كبيرة ومارستاناً للمرضى» (وانظر أيضاً النجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٥).

مَعْروف رحمه الله يوم الخميس سابع عِشْري صَفَر واجتمعوا في باب المدرسة البَشِيرية، ونُصِبَ هناك كُرسي خطبَ عليه العَدْل شمسُ الدين ابن الهُنَايسي خطيب جامع الخَلِيفة، ثم تَضرَّعَ النَّاسُ وسألوا الله عز وجل أن يَعمهم برحمتِه، وأكثَرُوا من البُكاء والاستغفار وعادوا فصام[1] اليَهُود ببغداد ثلاثة أيام متواليات وأكثروا فيها من الدُّعاء والصَّلاة وخَرجوا في اليوم الثالث وهم صيام واستسقوا فلم يُسقوا. ثم خَرَجوا يوم الجُمُعة إلى ظاهر سُور بغداد يتقدمهم شيخ المشايخ نظام الدين محمود راجلاً، مُسْتَكِيناً، وكذلك قاضي القضاة، واجتمعوا وراء جامع السُّلطان وخَطَب الخطيب المذكور ثم تلاه الشيخ شهاب الدين عبدالمحمود ابن[2] السُّهْرَوردي فأرْخَت السماء عَزَاليها وتواترت الغُيوث فدخلوا بغدادَ وقد تَوَحَّلَت الطُّرق ودامَ نزول الغيث ثلاثة أيام ثم سَكَن، وزادَت دجلة بعد ذلك وانتفعَ العالَم بما عَمَّهُم من لُطْفِ الله ورحمته.

وفيها، وصلَ مظفر الدين علي ابن علاء الدين عطا ملك الجويني صاحب الديوان إلى بغداد، حيث اتصل به قتل سَعْد الدولة، وكان قد هرب لما قُتِلَ أخوه المنصور والتجأ إلى بعض مشايخ العَرَب بالسِّيب، ثم توجه إلى تِبْريز وتَزَوَّج يَنْكي ابنة أرغون آغا التي كانت زوجة عمه شمس الدين، ثم جاء إلى بَغْداد وهي صُحْبته، وقد استَخْلَصت له بعضَ أملاك أبيه وصارَ بسببها ذا جاهٍ، ثم قُتِلَ بعد ذلك على ما نذكره.

---

(١) خبر صيام اليهود استدركه الناسخ في الهامش، وهو من أصل الكتاب.

(٢) سقطت من المطبوع.

سنـــة
إحدى وتسعين وست مئة

في هـذه السنة، أمرَ السُّلطـان كيغـاتو بـإنفـاذِ أميريـن هُمـا سـاطي وبَكْتَمُر إلى العراق لتصفح الأعمال وعَمَل الحِساب، فَقَدِمَا بغداد فقامَ جمال الدين الدَّسْتَجِرداني بين أيديهما، فأقاما شهوراً واعتمدا ما أُمِرا به، ثم عادا، فماتَ ساطي وولده ونساؤه جميعاً في أيام قلائل وجمع جمـالُ الـديـن مـالَ العـراق مـن[١] وَجْهـه، وحَصَّـلَ سِـلاحـاً كثيـراً وتـوجـه بـذلـك[٢] إلـى حضـرة السُّلطـان، فـأنعـمَ عليـه وأَقَرَّه علـى ولايـة العـراق ورَتَّبَ معه رفيقين هما أثير الدين التُّسْتَري ابن أخت مجد الدين محمد ابـن الأثيـر وتـاج الـديـن علـى تـاشـان، وسَيَّرَهُـم جَميعـاً مـع أميـرٍ اسمـه تيطـاق، فكـانـوا بـالعِـراق إلـى آخـر السنـة، ولمـا تـوجـه جمـال الـديـن تستخلفَ على بغداد سَعْد الدين أسد ابن الأمير علي جُكيبان فنابَ عنه إلى حين عوده.

وفيها[٣]، سار الملك الأشرف صاحب مصر والشام في جيوشه

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «ثم».

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) بل في التي قبلها وهي سنة ٦٩٠هـ وهي السنة التي نُظِّفت فيها السواحل الشامية من الغزاة الصليبيين على يد هذا السلطان العظيم. وقد وصف مؤرخ الإسلام الذهبي فتح عكا وصفاً دقيقاً في كتابه «تاريخ الإسلام»، وانظر بلابُد مقدمة «تهذيب الكمال» =

إلى عَكّة، ونازَلَها وحَصَرَها بَرّاً وبحراً وتابعَ الزَّحفَ والقِتَال ونصب عليها المَنَاجيق والأبْراج الخَشَب، وقاتَلَ مَن بها مدة أبعين يوماً حتى فَتَحها عَنوةً، وقَتَلَ في أهلها قَتْلاً عظيماً وسَبَى ذراريهم ونَهَبَ أموالَهُم، ثم أمر بهدمها، فهُدِمَت حتىعَفَى آثارها وأُلحقها بالأرض، ثم عادَ إلى دمشق فأقامَ بها شَهْراً ومدحه الشعراء، فمما قاله بعضُهم[1] قصيدةً يوازن بها قصيدةَ أبي تمام الطّائي عند فَتْح عمورية التي أولها:

السَّيْفُ أصدقُ أنباءً من الكُتُبِ

ولكن بينهما فَرْقٌ عظيم، وأول القصيدة[2] :

الحمــدُ لله ذَلَّــتْ دولــةُ الصُّلُــب
وعَـزّ بـالتُّـرك ديـنُ المُصْطَفـى العَـرَبـي

هـذا الـذي كـانـت الآمـالُ لـو طلـب
رؤيـاه فـي النَّوم لاستحييـتُ مـن الطَّلَبِ

مـا بعـد عَكّـة إذْ هُـدَّتْ قَـوَاعـدهـا
فـي البَحْـر للشِّـرْك عنـد البَـرِّ مـن أرَبِ

عقيلـةٌ ذهبـتْ أيـدي الخطـوبِ بهـا
دهـراً وشَـدَّت عليهـا كَـفَّ مُغْتَصـبِ

= للمزي.

(١) هو شهاب الدين محمود القاضي الحنبلي المتوفى سنة ٧٢٥هـ.

(٢) أوردها بتمامها ابن شاكر الكتبي في ترجمة الأشرف خليل من فوات الوفيات ١/ ٤١٠-٤١٣، وساقها ابن الفرات في تاريخه ٨/ ١١٥.

لـم يَبْـقَ مـن بعـدهـا للكُفْـر إذ خَـرِبـتْ
في البَرِّ والبَحْر ما ينجي سوى الهَرَبِ
كـــانـــت تُخَيلهـــا آمـــالنـــا فَنَـــرى
أنَّ التَّفَكُّـــرَ فيهـــا أعجـــبُ العَجَـــب
أم الحُـــروب فكـــم قـــد أنشـــأت فِتنـــاً
شـــابَ الـــوليـــدُ بهـــا هـــولاً ولـــم تَشـــب
كـــأنمـــا كُـــل بُـــرج حـــولـــه فلـــكٌ
مـــن المَجَـــانيـــق تَـــرْمـــي الأرضَ بـــالشُّهُـــبِ
فَعَـــاجلتهـــا جُنُـــودُ اللهِ يقـــدُمُهـــا
غضبـــانُ لله لا للملـــك والنَّشَـــبِ
ليـــثٌ أبَـــى أن يـــردَّ الـــوجـــهَ عـــن أُمـــمٍ
يـــدعـــونَ ربَّ العُلـــى سبحـــانـــه بـــأبِ
كـــم رامَهـــا ورمـــاهـــا قبلـــه ملـــكٌ
جَـــمُّ الجيـــوشِ فلـــم يظفـــر ولـــم يَصـــبِ
لـــم يهلـــه مُلْكـــه، بـــل فـــي أوائلـــه
نـــالَ الـــذي لـــم يَنَلْـــه النَّـــاسُ فـــي الحِقَـــبِ
لـــم تَـــرْضَ هِمَّتُـــهُ إلا التـــي قَعَـــدت
للعجـــز عنهـــا ملـــوكُ العُجْـــم والعَـــرَبِ
فـــأصْبَحـــت وهـــي فـــي بحـــريـــن مـــاثلـــة
مـــا بيـــنَ مُضْطـــرمٍ نـــاراً ومُضْطَـــربِ

جيْشٌ من التُّرك تَرْك الحرب عندهُم
عارٌ وراحتهم ضَرْب من الوَصَبِ
خاضوا إليها الرَّدَى بالبحر فاشتبه الـ
أمران واختلفا في الحال والنَّسَبِ
تَسَنَّمُوها فلم يَتْرك ثَبَاتهم
في ذلك الأفقِ بُرْجاً غيرَ منقلبِ
تسلموها فلم تخل الرقاب بها
من فَتْك مُنْتَقم أو كَف مُنْتَهبِ
يا يومَ عَكَّة قد أنسيتَ ما سبقت
به الفتوحُ وما قد خُطَّ في الكُتُبِ
لم يَبْلغ النُّطْقُ بعد الشكر فيك فما
عَسَى يقوم به ذو الشِّعر والخطبِ
كانت تَمَنَّى بكَ الأيامُ عن أُمَمٍ
والحمد لله شاهدناك عن كَثَبِ
وأطلعَ الله جَيْشَ النَّصْر فابتدرت
طوالع الفَتْح بين السُّمْر والقُضُبِ
وأشرفَ المُصطفى الهادي البَشِير عَلَى
ما أسلَفَ الأشرفُ السُّلطانُ عن قربِ
وقَرَّ عَيْناً بهذا الفَتْح وابتهجت
ببشره الكَعْبةُ الغَرَّاء في الحُجبِ

وسارَ في الأرض مَسرَى الرِّيح سُمعته
فـالبـرُّ فـي طـربٍ والبحـرُ فـي حَـرَبِ
وخَاضَت البيضُ في بَحْر الدِّماء فما
أبـدتْ مـن البيـض إلا سَـاقَ مُخْتَضـبِ
وغـاصَ زُرْقُ القَنَـا فـي زُرْق أعينهـم
كـأنَهـا شَطَـنٌ تَهْـوي إلـى قُلُـبِ
كـم أبـرَزَت بَطَـلاً كـالطَّـود قـد بطلـت
حـواسـه فغـدا كـالمَنْـزِلِ الخَـرِبِ
كـأنَّـه وَسِنَـانُ الـرُّمْـحِ يطلبـه
بـرجٌ هَـوَى ووراه كـوكـب الـذَّنـبِ
أغضبـتَ عُبَّـاد عِسيـى إذْ أبـدتهُـم
لله أي رضـىً فـي ذلـك الغَضَـبِ
بُشـراك يـا مَلِـكَ الـدُّنيـا لقـد شَـرُفـت
بـك الممـالـكُ واسْتَعْلَـت علـى الـرُّتَـبِ
مـا بعـد عَكّـة إذْ لانَـت عـريكتهـا
لـديـكَ شـيء يُـلاقيـه علـى نَصَـبِ
فـانهـض إلـى الأرض فـالـدُّنيا بـأجمعها
مَـدَّتْ إليـك نَـوَاصيهـا بـلا تَعَـبِ

ومنها[1] :

---

(١) سقطت من المطبوع.

أدركت ثأر صلاح الدين إذ غُصِبَت
منه لسرٍّ طواهُ الله في اللقب
وجئتها بجيوشٍ كالسيول على
أمثالها بين آجامٍ[1] من القصبِ
وحُطْتَها بالمجانيق التي رُفِعَتْ
أمام أسوارها في جَحْفلٍ لَجِبِ
مرفوعة نصبوا أضعافها فَنَبَت
للجَزْم والكسر منها كلُّ منتصبِ
وجالت النَّارُ في أرجائها وَعَلَت
فأطفأت ما بصدر الدين من كَربِ
أضْحت أبا لهب تلكَ البُرُوج وقد
كانت بتعليقها حمالَة الحَطَبِ
وتمت النعمةُ العُظْمى وقد ملكت[2]
بفتح صور بلا حصر ولا نَصَبِ
أُختان في أن كلاًّ منهما جمعت
صليبةَ الكُفْر لا أُختان في النَّسَب
لما رأت أُختها بالأمس قد خَربت
كان الخَرابُ بها أعدَى من الجرب

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «أجسام».
(٢) في فوات الوفيات: «كملت».

فـالله أعطـاكَ مُلـك البـر فـابتـدأت
بـكَ السَّعـادة مُلْـكَ البَحْـر فـارتقـبِ
مَـن كـان عكـة مبـداه وصـورَ معـاً
فـالصيـنُ أدنـى إلـى كفيـه مـن حَلَـبِ
سمـا بـكَ المُلْـك حتـى إنَّ قبتـه
علـى الثـريـا غَـدَت ممـدودة الطَّنـبِ
فـلا بَـرِحـتَ عـزيـزَ النَّصْـر مُبْتَهجـاً
بكـل فَتْـح قـريـب النّجـح مُـرْتقـبِ

ثم إنَّ الأشرف سَيَّر قائداً يُعْرف بالشُّجاعي في عشرين ألف فارس إلى صَيْدا وصُور، فنازلَ صَيْدا وفَتَحها وقَتَلَ مَن بها وأخْرَبها، ثم رحلَ إلى صُور فتلقاه أهلها بالطَّاعة، فدخلها وأغلقَ أبوابَها ووضع السيفَ فيهم وقَتَلَ الرِّجال وسَبَى الذراري[1] وأخْرَبها، وعادَ إلى الأشْرَف وهو بدمشق، ولم يبق للفرنج في ساحل البَحْر حَجَر على حَجَر، ثم إنَّ الأشرف عادَ إلى مصرَ وأخذَ يتجهز للغُزاة وكان ما نذكُرُه.

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «النساء».

سنـــة
اثنتين وتسعين وست مئة

فيها، سارَ الملك الأشرف صاحب مصر إلى قلعة الرُّوم، فأقامَ عليها شَهْرين يتابع الزَّحْف والقِتال حتى فَتَحها ومَلَكها فَقَتَلَ مَن بها وسَبَى الذَّراري ونَهَبَ الأموال، ثم هَدَمها وعادَ إلى مصر. وحَدَّثَ نفسَهُ بالمَسير إلى العِراق وتَجَهَّزَ وعَمِلَ سلاسل ومروساً[١] من القِنَّب لأجْل الجَسْر، ثم بَرَزَ من القاهرة إلى الصالحية[٢] في آخر السنة فَقُتِلَ في سنة ثلاث وتسعين على ما نذكره.

وفيها، وَلَّى السُّلطان كيغاتو صدرَ الدين أحمد بن عبدالرزاق الخالدي صاحبَ ديوان الممالك وفَوَّضَ إليه تدبير مُلْكه.

وفيها، ظَهَرَ بالحجاز نارٌ أذابت الصُّخُور، كما ظَهَرت في سنة أربع وخمسين وست مئة، إلا أن هذه كانت تتراقى إلى عِنان السَّماء ثم تَهْبط ويُسْمع لها دوي عالٍ، وإذا أُلقي فيها الخَشَب وكل ما تأكله النَّار لا تحرقه، ودامت على ذلك ثلاثة أيام.

---

(١) أي: حبالاً.

(٢) بلدة أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٤هـ لأغراض عسكرية، في أقصى الشرق من محافظة الشرقية، على طريق القنطرة الحالية، قرب قناة السويس، واتخذت منطقة تحشد للجيش المصري عند تقدمه باتجاه الشام في أثناء الحروب الصليبية (المقريزي: المواعظ والاعتبار ١/ ٢٢٧).

وفيها، توفي الملك المظفر قَرَا أرسلان[1] صاحب ماردين وعمره نحو ثمانين سنة، فقام بعده ابنه شمس الدين داود ولقب بالملك السعيد.

وفيها[2] ، وَثَبَ باطنيٌّ على نقاجو أمير المَسْلحة بالعراق على رأس الجَسْر العَضُدي ببغداد وضَرَبه بخنجر عدة ضربات قتله بها وَشدَّ هارباً، فعد له رَجُل أصفهاني على الجَسْر فسقطَ فقبض، فجعل يقول: «فداء الملك الأشرف فداء الملك الأشرف» فَسُلِّم إلى ابن نقاجو المغولي فمثل به وقَطَّعَ أطرافَهُ وهو حي ومد... ظهره سرا ولم يعس[3] ولم يتأوه، ثم قال لقاتله: «يا مُخنث إنك لم تصنع شيئاً إلا وهو دون ما كان في نفسي فاصنع ما بدا لك». فقتله وألقاهُ في المكان الذي قتل فيه أباه وكان...»[4] .

---

(١) تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ٢٢٩٠في الملقبين بفخر الدين، وتاريخ الإسلام للذهبي، الورقة ٢١٥(أيا صوفيا ٣٠١٤) وغيرهما.

(٢) ألحق الناسخ هذا الخبر في حاشية النسخة.

(٣) هكذا في الأصل.

(٤) كلمات أجحف بهن التصوير.

سنـــة
ثلاث وتسعين وست مئة

فيها، أمَر السُّلطان كيخاتو شمسَ الدين محمد التُّرْكستاني المعروف بالسكورجي بالمَسِير إلى العراق والياً عليه مُزِيلاً عن الرَّعية ما جُدِّدَ عليهم من الأثْقال، فلما دخلَ بغدادَ أظهرَ العَدْل والإحسانَ وحُسْن النَّظَر في أحوال الناس، وأجراهم على أجْمَل القَوَاعد، ونَظَرَ في أمور الوُقوف وأجْرَى أربابها على شروط الواقفين، وأدَرَّ عليهم الأخْباز والمُشاهرات، ووعدَ النَّاس بأشياءَ يُخاطب فيها السُّلطان ويعتمدها مَعَهم، فلم تَطُل أيامه وقُتِلَ عام ما نَذْكُره.

واتصلَ بالسُّلطان أنَّ في بلادِ واسط وسوادها جماعةٌ من الأعراب الباغية المُفْسدين، فأمرَ بايدو بالمَسِير إلى هناكَ وقَتْلِهم ونَهْبهم، فسارَ من سياه كوه إلى بَغداد وانحدرَ إلى واسط حتى وصلَ إلى آخر أعمالها ولم يتعرض بأحد ولا ثَقَّلَ على الرعية، فلما عادَ شرعَ في نَهْب القَرَايا، وأخْذ الأموال والجَوَاميس والبَقَر والغَنَم، وأسْر الذَّراري وسَبي النِّساء، كل ذلك من الرَّعية. وأما الباغية فإنهم اعتَصَمُوا بالبطائح فلم يَقْدر عليهم، وصادَف عَسْكره سُفن التجار الواصلين من البَحْر فنهبوا بعض ما فيها من القِمَاش، وخَرَجت الأعراب من البطائح فنبهوا الباقي وأحْرَقُوا بعضَ السُّفُن، فاصبحَ التُّجّار عُراةً حفاةً لا يقدرون على شيءٍ،

ثم أنْفَذَ بايدو جماعةً من العَسْكر إلى عين التمر[١] والكُبيسات[٢] فنهبوا الرَّعية وسَبُوا وأسروا وعَمِلُوا كُل مُنْكر وعادوا إلى بايدو وقد وصلَ بَغْداد، فتَكَمَّل معهم زيادة على ثلاثين ألف أسير، ثم رحلَ من بغداد راجعاً إلى سياه كوه، فتوجه شمس الدين محمد السكورجي إلى السُّلطان وأخبره بما فعل بايدو بالرَّعية، فأنكر عليه ذلك، وأمرَ بحبسه فَحُبِسَ في خَرْكاه[٣] ثلاثة أيام، ثم كُلِّم فيه فأطلقَهُ، واستخلصَ من العَسْكر بعضَ الأسْرَى وسُلِّموا إلى شمس الدين محمد السكورجي فكَسَاهم، وعادَ إلى بَغْداد وهم صُحبته، فأطلقهم فتوجهوا إلى أهْليهم.

وفيها، وَضَع صدرُ الدين صاحب ديوان الممالك بتِبْريز «الجاو» وهو كاغَد عليه تَمْغة السُّلطان عِوَض السِّكّة على الدنانير والدَّراهم، وأمرَ النَّاس أن يتعاملوا به، وكانَ من عَشْرة دَنَانير إلى دون ذلك حتى يَنْتَهي إلى دِرْهم ونِصْف ورُبع، فتعاملَ به أهلُ تِبْريز اضطراراً لا اختياراً بالقَسْر والقَهْر، فاضطَرَبت أحوالُهم اضطراباً أضَرَّ بهم وبغيرهم حتى تعذرت الأقْوات وسائر الأشياء وانقطعت المواد من كُلِّ نَوْع، فكانَ الرَّجُل يضع الدِّرْهم في يده تحتَ «الجاو» ويعطي الخَبَّازَ والقَصَّاب وغيرَهما، ويأخذ حاجتَهُ، خَوْفاً من أعوان السُّلطان. ثم حُمِلَ منه عدة أحمال إلى بَغْداد صُحبة الأمير لكزي بن أرغون آقا، فلما بلغَ ذلك

---

(١) بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة.

(٢) تصحفت في المطبوع إلى: «الكنيسات»، وهي كبيسة الحالية البلدة المعروفة في محافظة الأنبار.

(٣) الخَرْكاه: الخيمة.

أهلها استعدوا بالأقْوات وغيرها حيث عَرَفوا ما جَرَى في تِبْريز، فلما أُنْهِيَ ذلك إلى السُّلطان كيخاتو أمَرَ بإبطالِه، فأُبْطِلَ قَبْلَ وصول لكزي إلى بغداد، وكَفَى اللهُ العالم شَرَّه.

وفيها، وَصَلَ إلى بَغْداد الملك إمامُ الدين يحيى القَزْويني البَكْريُّ وفخر الدين الرَّازي العَلَوي، وقد فَوَّضَ السُّلطان إليهما أمرَ العِراق، فأقاما إلى آخر السَّنَة، ثم توجها إلى السُّلطان واستخلفا جمال الدين الدَّسْتَجِرداني على بَغْداد.

وفيها، وصل إلى بغداد زين الدين محمد الخالدي على أنه قاضي القُضاة متولي الوُقوف والوكالة والتَّرِكات والمُقَاطعات والجَوالي، فلم يُمْض شمسُ الدين محمد السّكورجي له من ذلك غير القَضَاء والحِسْبة، فحكَمَ إلى آخر السَّنَة وعادَ إلى الأُردو، واستخلفَ أحد أصحابه على منصبه.

وفيها، قُتِلَ الملك الأشرف ابن الألفي[1] صاحب مصر والشام وسببُ ذلك أنه كان قد استَوْزَرَ رجلاً يعرف بابن السَّلْعوس[2]، فكان لا يلتفت إلى الأُمراء ويتوقف في أمورهم، حتى رَد يوماً على الأمير بيدرا بن كتبغا أمراً أشارَ به، فأحضرَهُ وكشفَ رأسَهُ وأهانَهُ، فعادَ إلى الأشرف على حالته، فأحضر الأشرف بيدرا وضَرَبَهُ وقَيَّدَهُ أياماً ثم أفرجَ

---

(١) هو الأشرف خليل بن قلاوون، السلطان الهُمَام، وترجمته مشهورة في الكتب المستوعبة لعصره، ومنها ترجمة رائقة بخط الذهبي في «تاريخ الإسلام» (الورقة ٢٢٥-٢٢٧من مجلد أيا صوفيا٣٠١٤).

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «السعلوس».

عنه، فشرعَ يفسد الأُمراء سِرّاً ويدعوهم إلى الفَتْك بالأشرف ويحذرهم منه، فأجابوه إلى ذلك وحَلَفوا له على الوَفاء به، منهم: لاجين وكَتْبُغا، فلما تَجَهَّزَ لقصد العِراق كما ذكرناه في السنة الخالية وبرزَ إلى الصَّالحية، ركبَ يوماً متصيداً بنفرٍ قليلٍ فانتهزَ الأُمراء الفُرصة وقتلُوه، فنهزمَ أصحابه وكان عُمُره نحو ثلاثين سنة، فاضطربَ العَسْكر، فَسَكَّنَهُم بيدرا وسارَ بهم يريد القاهرة ليسبق خَبَره ويَمْلكها، وكان الأشرف قد استخلف عليها سُنْقُر الشُّجاعي بعض مماليك أبيه، فوضعَ لاجين من قال لمماليك الأشرف وخواصه: هذا بَيْدرا هو الذي قَتَلَ الأشرف فما يمنعكم منه؟. فحملوا عليه وقَتَلُوه وولوا كَتْبُغا عليهم فأقبلَ بالعَسْكر إلى[1] ظاهر القاهرة وباتَ هُناك، فشاعَ الخَبَرُ فَحَدَّثَ الشُّجاعيُّ نفسَهُ بالمُلْك واستعد للقِتال وأخرجَ الفِرَنج من السِّجن لمساعدتِه وتلقب بالملك القَاهِر وخُطِبَ له في القاهرة بالسَّلْطنة. فلما رأى لاجين ذلكَ استترَ عند كَتْبُغا، ودامَ الشُّجاعي على ذلك أربعين يوماً، فأشارَ لاجين على كَتْبُغا سراً أن يراسل والدة الأشرف، وكانت بالقاهرة، ويشير عليها بقَتْل الشُّجاعي حتى يُسَلطِن ابنها الأصغر محمداً، فأكمنت له أربعةَ نَفَرٍ واستدعتهُ للمشورة، فلما دخلَ عليها قَتَلُوه[2]، وأرسَلَت رأسَهُ إلى كَتْبُغا وفتحت له الأبواب، فدخل القاهرة وسَلْطَن ابنها ولقبه الملك الناصر وكان عمره اثنتي عشرة سنة، وكان

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «على».

(٢) يذكر المؤرخون الشاميون والمصريون غير هذه الريواية، فراجع «تاريخ الإسلام» للذهبي، والنجوم الزاهرة وغيرهما.

أعرج، وصار كَتْبُغا أمير الجيوش وسَيَّرَ لاجين إلى نواحي الصَّعيد، ثم أخذ له من الطِّفْل وأمه أماناً، فلما حَضَرُوا وضعَ في عُنُقه منديلاً ودخلَ على الطفل فعفا عنه، واستمرت الحال على ذلك مدة شَهْرين، فأشارَ لاجين على[1] كتبغا بخلع الصبي فَخَلَعَهُ، وتَفَرَّد بالمُلْك، وخطب له في الديار المصرية وأنزله وأمه من القَلْعة وصَعِد إليها، وجعل لاجين أميرَ الجيوش.

وفيها، تُوفِّي شرف الدين علي بن أميران كاتب الانشاء ببغداد وكان عالماً فاضلاً يكتب خطاً حسناً.

وتوفي النقيب غياث الدين عبدالكريم بن طاووس في مشهد موسى ابن جعفر، وحُمِلَ إلى جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وتوفِّي بهاء الدين علي بن أبي الفتح الفخر عيسى الإرْبلي ببغداد.

وتوفِّي صفي الدين عبدالمؤمن[2] بن يوسف بن فاخر وعمره نحو ثمانين سنة.

وتوفِّي شمس الدولة ابن مَخْلَد النَّصْراني كاتب السَّلَّة ببغداد.

وفيها، أيضاً مات أبو منصور الطبيب النَّصراني المعروف بكتيفات.

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) هو الموسيقي المشهور بالأرموي، ترجمه الصفدي في الوافي بالوفيات، الورقة ٢٧٨(باريس)، وابن شاكر الكتبي في الفوات ٢/ ٤١١، غيرهما.

وكان حاذقاً في علم الطب محمود العلاج، وكأن الشاعر[1] عناه:

كـــأنَّــه مـــن لطـــف أفكـــاره   يجـــولُ بيـــنَ الـــدَّمِ واللحـــم
إن غَضبـت رُوحٌ علـى جِسْمهـا   ألَّـفَ بيـن الـرُّوح والجسـم[2]

---

(١) الشاعر هو السري الرفاء، قال الأبيات في الطبيب ثابت بن قرة، والأبيات في وفيات الأعيان ١/٢٧٩(ط. محيي الدين عبدالمجيد).

(٢) وقع في المطبوع:

إن غضبـــت جســـم علـــى روحهـــا   ألـف بيـن الـروح والـدم

ولا معنى له البتة.

سنة
أربع وتسعين وست مئة

في هذه السنة، تَغَيَّرت نِيَّات الأُمراء في طاعة السلطان كيخاتو وراسلوا بايدو، وكان في دقوق[1] ، يعرفونه أنهم قد اتفقوا على طاعته وتمليكه، فأعادَ الجواب بقبول ذلك ووعدهم بالإجابة إلى مُلْتَمساتِهم، فَقَبَضُوا على السُّلطان كيخاتو وقتلوه، وكان عمره نحو ثلاثين سنة، وارسلوا إلى بايدو يعرفونه ذلك، فأرسلَ الأمير جاغِتاي[2] إلى بغداد وأمرَهُ بالقَبْض على محمد السّكورجي وحَمْله إليه وولاية جمال الدين الدَّسْتَجِرداني العراق، فوصلَ بغداد يوم السبت ثامن عشر ربيع الأول، وقَبَضَ على محمد السّكورجي وأبيه وأخيه وعمه وجميع أهل بيته وأصحابه، ونهبَ أموالَهم وكُل ما في دُورهم، وحُمِلَ محمد إلى بايدو، وهو في نواحي البَت[3] ، فأمر بقتله، فقُتِلَ وقُطِّعت أعضاؤه وحُمِلَ رأسُه إلى بغداد ويَدَاه وعُلِّقَ الجميعُ على الجَسْر.

وكان جمال الدين الدَّسْتَجِرداني مُعْتَقلاً لايضاح بقايا العراق مع

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «دقوقا».

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «جارغتاي»، ولا يُعرف مثل هذا في الأسماء المغولية، وقد يكتب «جغتاي».

(٣) البت: قرية كالمدينة من أعمال بغداد، قريبة من راذان. وبتا: من قرى النهروان تحت بعقوبا بينها وبين بهرز، ولا نعلم أيهما عنى المؤلف.

أصحاب محمد السّكورجي، فأحضرَهُ الأمير جاغِتاي[1] إليه ووَلّاه أمرَ العراق، فركبَ وسَكَّنَ الناسَ، وكانوا قد اضطربوا وانزعجوا لما قُبِضَ على محمد السكورجي، ثم جلسَ في الديوان وطلبَ فخرَ الدين مظفر ابن الطَّرّاح صَدْر الحلة، وكان موكَّلاً به مع أصحاب محمد السكورجي على بقايا الحِلّة، فولاه قُوسان وواسط والبَصْرة، عِوضاً عن نور الدين عبدالرحمن بن تاشان، ووَلّى الأمير دولة شاه بن سَنجر الصاحبي الحِلّة، ورَتَّبَ شمسَ الدين محمد زرديان مُشْرفاً بواسط، ورَتَّبَ عز الدين محمد بن شمام ناظِرَ نهري[2] عيسى ومَلِك[3] ، وعَيَّنَ النواب في سائر الأعمال.

ثم أخذَ في جَمْع الأموال الدِّيوانية، وكَلَّفَ أربابَ الأموال من أهل بَغْداد والتجار والتُّناة وغيرِهم شيئاً على وجه المُسَاعدة، وحَمَلَ ذلك إلى بايدو أولاً أولاً، ثم تَوَجّه إلى بايدو وعَيَّنَ في العراق نور الدين عبدالرحمن بن تاشان وشرف الدين بديعاً، فلما وَصَل إلى بايدو والأموال صُحبته وَلّاه صاحب ديوان الممالك وفَوَّضَ إليه تَدْبير المُلْك.

ولما بلغ غازان ما جَرَى على السُّلطان كيخاتو وكان في خُراسان عَظُم ذلك[4] عليه، وأقبلَ بعساكره ومعه الأمير نَوْروز وقَصَدَ بايدو وهو بآذربيجان، فلما قرب منه أرسلَ إليه نوروز يُنْكِرعليه قَتْل عَمِّه، فاعتذرَ

(١) تحرف في المطبوع إلى: «جارغتاي».
(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «ناظراً لنهري».
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «الملك».
(٤) سقطت من المطبوع.

بالأُمراء، ورَكَّبَ الحُجة عليهم في ذلك، وطلب من نوروز أن يُصلح الحال بينهما، فعادَ إلى غازان وعَرَّفَه ذلك، فَترددت الرُّسل بينهما، ومالَ أكثر الأُمراء إلى غازان، فهربَ بايدو بنَفَرٍ من أصحابه فأدركوه وحملوه إلى غازان، فأمر بتَسلميه إلى أصحاب كيخاتو، فَسُلِّم إليهم فقتلوه، وكان ذلك في شَوَّال، وكان عمره نحو أربعين سنة وملكه سبعة شهور[1].

وجلسَ السُّلطان غازان على التَّخت في ذي الحجة ودخلَ تِبْريز وصَلَّى في جامعها وأمرَ بإلزام أهلِ الذِّمة الغيار، فكانت علامة النَّصارى شَدّ الزِّنّار في أوساطهم واليهود خِرْقة صَفْراء في عمائمهم، فداموا على ذلك شهوراً، ثم أُزِيلَ بمجرد تَسَلّط العوام عليهم وطَمَع الجُهّال فيهم. وتَقَدَّم السُّلطان بأخذ دار علاء الدين ألطبرس[2] الدويدار الكبير من النَّصارى فإنها كانت بأيديهم من حيث مُلِكَت بغداد، وأُزِيلَ ما بها من التَّمَاثيل والخُطوط السِّريانية، واستُعِيد الرِّباط الذي تجاه هذه الدار المعروف بدار الفَلَك، وكان قد جعله النصارى مدفناً[3] لأكابرهم، فأُزِيلت القُبور منه، وصارَ مَجْلِساً للوعظ جلسَ فيه الشيخ شرف الدين محمد بن عُكْبر، وكان يجتمع عنده خَلْق كثير.

ثم وَلَّى الأمير نوغولدار شحنة ببغداد، ورَتَّبَ شرفَ الدين السِّمْناني

(١) انظر تاريخ الإسلام، الورقة ٢٢٩(أيا صوفيا٣٠١٤).
(٢) تحرف في المطبوع إلى: «الطبرسي».
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «مدفاً».

صاحب ديوان[1] بها، ورَتَّبَ جمال الدين عبدالجبار البَصْري قاضي قضاة بغداد نَقْلاً من قَضاء البَصْرة، وعَزَلَ عِزَّ الدين أحمد ابن الزَّنْجاني عن قضاء القضاة حيق كُفَّ بصره.

ثم إن جمال الدين الدَّسْتَجِرداني تَقَدَّمَ إلى نور الدين عبدالرحمن نائبه ببغداد بأخْذ فخر الدين مظفر[2] بن الطَّرّاح صَدْر واسط والبصرة وقتله، فانحدرَ إلى واسط وقَبَضَ عليه وعلى أصحابه، ثم دُوشِخَ وطُوِّقَ وأُسْمِعَ كُل قَبِيح، وأُخِذَ خطه بأنه وصلَ إليه شيء كثير من الأموال، وأُشْهِدَ عليه بذلك القاضي والعُدول. ثم حَمَله إلى بَغْداد ووُكِّل به أياماً ثم ضُرِبَ وعُوقِبَ وقُتِلَ، وحُمِلَ رأسُه إلى واسط وعُلِّق على الجَسْر بعد أن طِيف به في شوارعها وسُوقها. وكان جَوَاداً سَخياً كريماً ذا ناموس عظيم وسياسة، يخافه الأعراب وسائر الرعايا، خَدَم في أعمال العراق كُلّها، نابَ في صباه عن نجم الدين بن المُعين في الحِلّة، ثم وُلِّي ناظر طريق خُراسان، ونابَ عن الملك فخر الدين منوجهر ابن مَلِك هَمَذَان في واسط، فلما سافر إلى بلاده استقلَّ بالحُكْم فيها وأُضيف إليه قُوسان والبَصْرة، ثم عُزِلَ ورُتِّب صَدْراً بالحلة والكوفة[3] والسِّيب ثم نُقل[4] إلى صدرية واسط وبقي مدة ثم عُزل، ورتب صَدْراً بالحلة والسِّيب، ثم عُزِلَ وأُعيد إلى واسط مرة أُخرى، ثم عُزِل وأُعيد إلى الحلة والسِّيب،

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «الديوان».

(٢) تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة٢٤٨٧، وتاريخ الإسلام، للذهبي، الورقة ٢٣٩ (مجلد أيا صوفيا٣٠١٤).

(٣) سقطت من المطبوع.

(٤) من هنا إلى قوله: «ثم» مرة أخرى سقط كله من المطبوع.

ثم نُقِلَ في هذه السنة إلى صَدْرية واسط وقُوسان والبَصْرة وآلت حاله إلى القَتل، ودُفنت جُثّته في مشهد موسى بن جعفر عليه السلام وكان قد تَجَاوز في العُمُر ستين سنة، وكان يقول الشعر الجيد. وله أشعار كثيرة، مدحَ بها الصاحب علاء الدين ابن الجُويني وأخاه شمس الدين، وآخر ما قاله وهو في السِّجن بدار النيابة ببغداد قبل أن يُقْتَل بأيام وَوُجِدَت بخطه:

القَوْلُ فيما مَضَى من عُمرنا هَدر ... فَدَعه واصبر لما يأتي به القَدَرُ
واستشعر الصَّبْرَ إن نابَتكَ نائبةٌ ... فالصَّبْر أجمل ما حُلي به البَشَرُ
ولا تَرعك من الأيام مَنْقَصة ... فَشيمة الدَّهر في أبنائه الغِيَرُ
فالشَّمس كم كُسِفَت بعد البَهَاء وكم ... أمسى حَلِيف خُسوف مثلها القَمَرُ
وبعد أن كُسِفَا والله مُقْتَدر ... عادا ونورُهما يعشو له البَصَرُ
فلا تضق خَلَقاً من نِعْمة سُلِبت ... فالمالُ يرجع والرَّزَّاق مُقْتَدِرُ
فكم مَدَدْتُ يداً بالعُرف باسطة ... وكم قضي لي في بذل اللّهَى وطرُ
ومثلما زالَ ذاك البِشْر وانْقَبَضت ... كفُّ السُّرور يزول الهَمُّ والفكرُ
وإن أر الآن بعد النطق ذا حصر ... فسوفَ يَذْهب عني العِيُّ والحصر
وإن تُصبني سهام الخطب نافذة ... فلم تَزَل أسْهم الأيام تَعْتَذِر
وكُلُّ حادثة في الدَّهر هينة ... إذا غَدا سالماً في طيها العُمر
قل للعُتَاة من الغايات وَيْحكم ... طيبوا فَقَد فقد الرِّئبالة[1] الذمر
وقل لبيض السُّيوف المُرْهَفات لدى ... الإغماد قَرِّي فقد أودَى به القَدَرُ

(١) الرئبال: من أسماء الأسد والذئب.

مَضَى المُظَفَّر ليثُ الغاب عن كَثَب   فَلْيُهْنِ أعداءَهُ من بعده الظَّفَرُ

وتوفي، نور الدين عبدالرحمن بعد قَتْله بمدة شَهْرين، وكان يسلك نور الدين في أيام حكمه قاعدة بهاء الدين ابن شمس الدين الجويني في التَّمثيل وشَنَاعة القَتْل، وأحدثَ القِنَّارة بواسط كما أحدثها بهاء الدين في أصفهان، وكانت قد نُسِيَت من عهد البَسَاسيري. ولما قَبَضَ على فخر الدين ابن الطَّرّاح رَجَمَ بعضَ أصحابه قيل: إنه زَنَى بامرأةٍ. وصَلَبَ امرأةً بادية العَوْرة قيل عنها إنها استودعت رجلاً لبعض أصحاب ابن الطَّرّاح.

وفي هذه السنة، سار كَتْبُغا صاحب مصر من القاهرة إلى الشام[1] واستصحب قائد جيوشه حسام الدين لاجين خَوْفا من أن يخلفه إذا انفردَ بنفسه. فأقامَ في دمشق شهوراً، فشرعَ لاجين في محادثة الأُمراء والقُوَّاد في خَلْعِه ووعدَهُم الإحسان والزيادة، فوافقوه على ذلك، فلما عزم كتبغا على العَوْد إلى مِصْرَ أشارَ عليه لاجي باستصحاب ما في خزائن الشام من الأموال والسلاح والذَّخائر، ففعلَ ذلك فلما كانوا في بعض الطريق وضعَ لاجين الجيوش على الشَّغَب، ففعلوا، فأشارَ على كتبغا بترك الالتفات إليهم سراً، ثم إنّه ركب يوماً والجيوش معه وأحاطَ بفسطاط كَتْبغا، فلما رأى ذلك عَلِمَ أنّه لا يتمكن من الهَرَب فأقبل نحو لاجين وسَلَّم عليه بالسَّلْطنة وسأله الأمان فأمَّنَهُ، وقال له: انج بنفسك، فركب فَرَسَه ومعه مملوك واحد وقصد دمشق وفيها نائبه ملك الأُمراء

(١) انظر تاريخ الإسلام، للذهبي، الورقة ٣٢٦(أيا صوفيا٣٠١٤).

فأنزله بالقَلْعة، وقامَ بين يديه، فامَرُه كتبغا بجمع الأموال فشرعَ في ذلك واستوفاها من وجهها وغَيْر وجهها، وكان في حَلَب أميرٌ اسمه «كُجُك» فلما بلغه ذلك سار إلى دمشق فحصرها يومين، ثم دخلَ القَلْعة وقبضَ على كَتْبُغا، وكتبَ بذلك إلى لاجين، فأمره بحمله إلى صَرْخَد، فحملة إليها وَحَبَسه بها مُوَسَّعاً عليه، وحَمَل لاجين إليه نساءَهُ وأولادَهُ من القاهرة.

وأما لاجين فإنه دخلَ مصر ورفع البَيْسري «الجتر» على رأسه، ولُقِّبَ الملك المنصور وخُطِبَ له بالدِّيار المصرية، فأحسنَ إلى النَّاس وأظهرَ العَدْلَ وحُسْن السياسية[1].

وفيها، قُتِلَ ببغداد رجلٌ أعجميٌّ يُعرف بتاج الدين ابن الدَّامَغَاني بدرب حَبِيب واتُّهِمَ بقتله جماعةٌ من مجاوريه، فأُخِذُوا وحُبِسوا، فَحَصَّل الحُمَاةُ بقية النَّهار قاتله وهو صبي أمْرَد من الدَّرْب فاعترفَ بقتله من غير أن يُضْرَب، وقال: إن ابن أخي المَقْتول أعطاهُ ولآخر معه مئة دينار على أن يقتلا عمه، وأدخلَهُما داراً كان يَخْلُوا عمه فيها، فلما دخلَ وَسَطَ النَّهار على عادته نزلا إليه وقَتَلاه، فأُحْضِر ابن أخيه فاعترفَ بذلك فَصُلِبَ. وأما القاتل فَضُرِب في يديه مَسَامير إلى لوح وراءَ ظَهْره وَطِيف به بجانبي بغداد، ثم سُمِّرَ بباب السُّور وعمل عليه

---

(١) ذكر المؤلف هذه الحوادث كلها في هذه السنة، وهي سنة ٦٩٤، وليس الأمر كذلك، فإن سلطنة حسام الدين لاجين وإرسال كتبغا إلى صرخد إنما كان في سنة ٦٩٦ كما ذكرته التواريخ الشامية، منهم الذهبي في «تاريخ الإسلام»، والبرزالي في «المقتفي»، وابن كثير في «البداية والنهاية» فراجعها.

ما[1] يقيه الشَّمْس ليطول عذابه فبقيَ أياماً لا يَظْهر عليه جَزَع بل يطلب من النظارة أنواع المآكل والفَوَاكه وغيرها، ويُحادثهم ويتظارف عليهم ويَطلب من النَّاس شيئاً لأجل مَن يَرش الماء حول خَشَبَته ويقول: في عزمنا نقيم هذه السنة ههنا. ثم قُتِلَ بعد ذلك على خَشَبته وهو قوي الجِنان قال للذي يريد أن يقتله: اضرب ضربةً جَيّدة في مكان كذا. ففعل.

وفيها، ولى السلطان غازان[2] العرطفاجار الرُّومَ وسَيَّرَهُ إلى هناك.

ثم ولَّى نوروز خُراسان وجَعَلَهُ في خِدْمة أخيه خُدَابَنْده بن أرغون على قاعدته.

وفيها، توفي السُّلطان الملك السعيد داود وقام بالملك مقامه أخوه السّلطان الملك المنصور نجم الدين أيلغازي.

وفيها، توفي سَعْدي الشاعر المشهور بالفارسية بشيراز.

وفيها، توفي شمس الدين الكبشي، بها.

(١) سقطت من المطبوع.
(٢) سقط من المطبوع.

سنـــة
خمس وتسعين وست مئة

فيها، رَتَّبَ جمال الدين الدَّسْتَجِرداني أخاه عماد الدين نائباً عنه ببغـداد، حيث توفي نور الدين عبدالرحمن بن تاشان، وكان قليل المعرفة بأحوال العراق فاعتمد على عز الدين محمد بن شمام في ذلك، فكان هو الحاكم وعماد الدين صورة، وعُزِلَ شرفُ الدين السِّمْناني صاحب ديوان الممالك ورُتِّبَ عوضه جمال الدين الدَّسْتَجِرداني فلم تَطُل أيامُه، وقُتِلَ في سنة ست وتسعين.

وتوفي أثير الدين التُّسْتَري مشرف العراق وهو ابن عم مجد الدين ابن الأثير(١) .

وتوفي قاضي القضاة جمال الدين عبدالجبار البَصْري بالبصرة، انحدرَ إليها فمرض بها ومات، وولي بعده ولده عماد الدين قضاء القضاة ببغداد(٢) .

وفي رَجَب منها، سَيَّرَ القان غَازان إلى بغداد أميراً اسمه توختا لتصفح أعْمَال العراق، وسَيَّرَ معه سعد الدين أسد بن علي مُشْرفاً على

---

(١) تقدم في حوادث سنة ٦٩١ قوله أنه ابن أخت مجد الدين ابن الأثير.

(٢) هو عماد الدين منصور بن عبدالجبار بن عبدالمنعم البصري المعروف بابن سيف العيون (تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة١٢٩١).

العراق، فَقَدِما بغدادَ وقبضا على شَرف الدين بَدِيع، وكان مُشْرفاً به فهرب من المُوكَّلِين عليه بعد شَهْر، ولَحِقَ بنوروز بخُراسان. وأما توختا وسعد الدين فإنهما جَمَعا جِرَايةً وافرةً من السِّلاح وبرزا بها إلى الكُشُك بظاهر باب الحَلبة في شوال منها، ففي بعض تلك الأيام ركب سعد الدين عند[1] توختا يريد داره ببغداد، وذلك وقت العَتَمة في نَفَر يسير من أصحابه غير مستظهرٍ بسلاح ولا عدة، فلما جازَ باب الظَّفَرية[2] تَوَاثب عليه رجالة مُلَثمون من رجالة الحَلبة[3] وضَرَبوه بالسيوف والخَنَاجر، فجرحوه في رأسه ويدِه اليُسْرى وكادوا يقتلونه، فهربَ أصحابُه عدا غلامه «ختاي» فجعل يضرب قطاة بغلته ويحثها، وجعل سعد الدين يُدافع عن نفسه بالمَقْرعة فَنَجا ولم يكدر، وكانت نَجَاته من العَجَب الذي هو فَرَجٌ بعد شِدَّة، وكان ذلك بوضع جمال الدين الدَّسْتَجِرداني، وكان المُدَبِّر لهذه القضية حسن بن نجمة[4] وكان من بطانته.

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «عامل».
(٢) هو الباب المعروف في العهود المتأخرة بالباب الوسطاني.
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: «الحلة».
(٤) هكذا في الأصل، ووقع في المطبوع: «مجهر»!

سنــة

ست وتسعين وست مئة

في المُحَرَّم، سارَ السُّلطان غازان يريد العراقَ، فلما وصلَ هَمَذان بلغَهُ أن نوروز قد تَغَيَّرت نيته في طاعته[١] وفَسدت سريرته، وأنَّ جمالَ الدين الدَّسْتَجِرداني صاحب الديوان عَيْنٌ له يُخبره بالأحْوال، فأمَرَ بقتل الدَّسْتَجِرداني، فَقُتِلَ توسيطاً وكانت مدة ولايته الآن أربعون يوماً[٢]، ورُتِّبَ صدر الدين الخالدي عِوَضه. ثم توجه إلى بَغْداد بجيوش كثيرة وشَمَل النَّاسَ بالعَدْلِ والإحسان، ولم يتعرض أحدٌ من العَسْكر لأهل السَّوَاد بما جَرَت به العادة من رَعي الزُّروع وغير ذلك، وكانت[٣] الرعيةُ تسيرُ بينهم ومعهم الأشياء المجلوبة للبيع، فلا يأخذ أحد منهم شيئاً إلا ابتياعاً باللطف واللين. ورأى الناسُ من العدل ما أوجب زيادة دعائهم لدوام دولته. فلما دخل بغداد لم ينزل أحد في دارٍ إلا بالأجرة، وما أزعج أحد من منزله. ثم إنَّه دخل المدرسة المُسْتنصرية من الدَّار المجاورة لها[٤]، كانَ يَسْكُن بها نظام الدين محمود شيخ المشايخ.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «طاعته في نيته»، ولا معنى لها.

(٢) قوله: «وكانت مدة ولايته الآن أربعون يوما» سقط من المطبوع.

(٣) من هنا إلى قوله بعد أسطر: «وما أزعج أحد من منزله» سقط كله من المطبوع.

(٤) يظهر أنها دار القرآن المُستنصرية المجاورة للمدرسة المستنصرية من أعلاها، وهي التي تحولت في القرن الحادي عشر إلى تكية للمولوية ثم صَيَّرها والي بغداد داود=

وكان المدرسون والفُقهاء قد جَلَسوا على عادتهم والرَّبعات الشريفة في أيديهم، فلما عاينوه قاموا وخَدموا[1] ، فأمَرَ رشيدَ الدين أن يقول لهم: أنتم مشغولون بقراءة كتاب الله عز وجل كيف جاز لكم تركه والأشتغال بغيرة؟ فقال أحد المُدَرسين: السُّلطان ظل الله في أرضه وطاعته وتعظيمه والانقياد له واجب في الشرع. فدخلَ خزانةَ الكُتُب ولَمَحها، ثم عادَ إلى الدار المذكورة فباتَ بها.

ونزلَ من الغَدِ في شُبَّارة وقَصَد المُحَوَّل، وأقامَ بدار الخليفة أياماً، فتألَّم النَّاسُ من إلزامهم بالخراج ذَهَباً أحمر، وكان جمال الدين الدَّسْتَجِرداني قد استوفاه في السنة الماضية كذلك وقال: قد كانوا في زمن الخلفاء يؤدونه ذهباً. فأضَرَّ بالناس ذلك، فأمَرَ السلطان بإجرائهم على عادتهم مُنذ فُتِحت بَغْداد فتوفر عليهم شيء كثير من[2] التفاوت فزادت أدعيتهم.

ثم توجه إلى الحِلة وقَصَد مَشْهد علي عليه السلام، فزار ضريحَهُ الشَّريف، وأمرَ للعلويين بشيءٍ كثيرٍ، ثم قَصَدَ مشهدَ الحُسين عليه السلام وفعل مثل ذلك، وعادَ إلى أعمال الحِلة وقُوسان مُتَصيداً، وزارَ قبر سَلْمان الفارسي رضي الله عنه وأمر للفُقَراء المُقيمين هناك بمالٍ.

= باشا جامعاً سُمي بالآصفية سنة ١٢٤٢هـ. وقد كشفت الأعمال الأثرية التي قامت بها مديرية الآثار العامة ببغداد عن وجود باب صغير يصل بين جامع الآصفية والمدرسة المذكورة، فلعله الباب الذي دخل منه السلطان غازان إليها.

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «وخدموه».

(٢) من هنا إلى نهاية الفقرة سقط من المطبوع.

وتوجه إلى بَغْداد وأقامَ إلى أيام الربيع.

ثم سار إلى بلاد الجَبَل وقد تأكد عنده ما بلغَهُ من حال نوروز، فلما[1] وَصَلَ إلى خانَقين أمرَ بقتل إخْوة نوروز وأهْله وأصْحابه وكل من يتعلق به من نائب وغيره[2] فَقُتِلوا وكانَ من جُملتهم كمال الدين كُوجُك، وكانَ ببغدادَ فأُحضِرَ وقُتِلَ.

وأمَرَ[3] بالتزامِ أهل الذمة الغيار فأُلزموا بذلك في بغدادَ مُدّة شهرين ثم أُزيل.

ثم أمر الأمير قُتلغ شاه بالمَسير إلى خُراسان والقَبْض على نَوْروز وقَتْلِه، فسارَ وأوقَعَ ببيوته وقَتَلَ كثيراً من أهلِه حتى أدركه بنواحي هَرَاة، فاعتصمَ بها وقاتَلَ أهلُ البلد عنه أياماً، فأرسلَ الأمير قتلغ شاه إليهم يتهددهم ويُخَوّفهم عاقبة الأمر، فتخاذلوا عنه[4]، فَقَبِضَ وأُخرج راجلاً وسُلِّمَ إلى قُتلغ شاه، فقَتَلَهُ وأنفذَ رأسَهُ إلى السُّلطان فطيفَ به في تلك البلاد ونُفِّذَ إلى بغداد.

ثم أمَرَ بقتل مُظفر الدين عليّ بن علاء الدين صاحب الديوان، فَنُفِذَ إلى بَغْدادَ مَن قَبَضَ عليه واعتقَلَهُ أياماً، ثم قُتِلَ ودُفِن في دار المُسناة التي بأعلى بغداد، وعُمِلت الدار رباطاً، ثم نُقِلَ منها ودُفِنَ عند والدته في الرِّباط المُجاور للعصمتية.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «ولما».

(٢) قوله: «وكل من يتعلق به من نائب وغيره» سقط من المطبوع.

(٣) هذه الفقرة سقطت جملة من المطبوع.

(٤) قوله: «فتخاذلوا عنه» سقط من المطبوع.

وقُبِضَ[1] على عز الدين محمد بن شمام نائب جمال الدين الدَّسْتَجِرداني ببغداد، وطولب بأموال صارت إليه من الديوان. ثم قُتِلَ.

وفيها، عُقِدَ ضَمَان العراق على الشيخ جمال الدين إبراهيم بن السواملي والمَلَك إمام الدين يحيى البَكْري القَزْويني ورُتِّبَ زين الدين محمد الخالدي قاضي القضاة ببغداد على القاعدة التي تَقَدَّم ذِكْرها في سنة ثلاث وتسعين، فوصلَ إلى بغداد وجَرَى بينه وبين قاضي القضاة عماد الدين البَصْري من المُنَافسة على المَنْصب والحُكْم أشياء لا يليق ذكرها، فاستظهر زين الدين عليه بمساعدة أخيه صدر الدين صاحب ديوان الممالك وطُولب عماد الدين بحقوق ديوانية كان قد سُومِحَ بها أبوه في البصرة وغيرها[2]، وسُلِّم إلى مَن يستوفي ذلك منه، فأدَّى بعضَهُ ببغداد ثم أُحْدِرَ إلى البصرة لاستيفاء الباقي، فهربَ واعتصَمَ بالبَطائح، فلما قُتِلَ صدر الدين سنة سبع وتسعين ظَهَرَ من البَطِيحة، وتوجه إلى الأُردو المُعَظَّم فأُعِيد إلى القَضاء على ما نذكره.

---

(١) هذه الفقرة سقطت كلها من المطبوع.

(٢) سقطت من المطبوع.

سنـــة
سبع وتسعين وست مئة

فيها، أمرَ السُّلطان غازان بقتل صَدْر الدين أحمد بن عبدالرزاق الخالدي صاحب ديوان الممالك لِمَا ظَهَرَ من سوءِ حَرَكاته. وكان غير محمود السيرة ظالماً أظْهَرَ «الچاو[1] » وقَسَر النَّاسَ على المعاملة به، فأضَرَّ بهم، وبَطُلت معايشهم، وتَعَطَّلَت أمورُهم إلى أن لطفَ الله تعالى وألهَمَ السُّلطان إبطالَهُ. ثم ضاعفَ الخَراج كما فعل جمال الدين الدَّسْتَجِرداني وألزم[2] النَّاسَ بالقيجور[3] ، وزاد في قرارات الدمغات وبالغَ في المُصادرات والتَّثْقيلات، فلما قُتِلَ أمرَ بقتل أخيه قُطْب الدين فَقُتِلَ، وطُلِبَ أخوه زين الدين الذي كان قاضي القضاة ببغداد فهربَ ولحق بصاحب جيلان، فسألَ من السُّلطان العفوَ عنه فأجابَ سؤاله، فسألَ أن يُعاد إلى القضاء بالعراق، فأُخِذَ وحُبِسَ بتبريز فهربَ من الحَبْس، فأُدْرِكَ وأُعيد إليه، ثم قُتِلَ[4] .

---

(١) تقدم أنه: النقود الورقية.

(٢) من هنا إلى قوله: «الدمغات» سقط من المطبوع.

(٣) هكذا في الأصل، ولم نهتد إليها.

(٤) قال الذهبي في «تاريخ الإسلام»: «أحمد بن عبدالرزاق الخالدي الوزير صاحب ديوان الممالك الغازانية، قُتل هو وأخوه القطب وأخوهما زين الدين. وكان ظالماً عسوفاً، نسأل الله العفو» (الورقة ٢٦٤أيا صوفيا ٣٠١٤بخطه).

وفيها، عُزِلَ الأمير تاولدار شحنة بغداد، وسبب ذلك أن نائبه رُسْتُم أساءَ السِّيْرة وتَعَدَّى الحَدَّ في الشَّنْقَصَة وأنواع التَّأويلات على الناس[1]، واعتمدَ ما أوجَبَ قَتْله وعَزْل تاولدار. ورُتِّب عوضه الأمير أدينا[2] فَمَهَّدَ العراقَ بحُسْن سيرته وعظم سَطْوته وشِدّة وَزْعته لا تأخذُه في المُفْسدين لومة لائم، فالنَّاسُ في أيامه آمنون على نفوسهم وأموالهم في البلاد والنواحي والطُّرُق.

وفيها، قُتِلَ بجامع الخليفة ببغداد في يوم الجُمُعة رجلٌ عَلَوي كان مُتغير العَقْل نَسَبَ العوام إليه أنَّه قالَ ما لايجوز، فاجتمعوا عليه وضرَبوه ورَفَسُوه حتى مات، ثم أخْرَجُوه إلى باب الجامع وأحرقوه[3]، فأنكرَ الدِّيوان ذلك، ولم يُعرف قاتلُه.

وفي يوم عرفة، حَضَر الشيخ الصالح شمس الدين محمد بن الزَّيّاتين في الجامع وصَلَّى العَصْر، وقد اجتمعَ النَّاسُ للتعريف، فماتَ فُجاءةً فحملة أصحابُه إلى زاويته. وكان على قاعدة جَمِيلة من الزُّهد والانقطاع والانعكاف على عبادة الله تعالى.

وفيها، توفي الشيخ ظهير الدين علي[4] بن محمد الكازروني ببغداد وكان عالماً فاضلاً خدم الديوان في الأشغال الجليلة، وجَمَعَ تاريخاً[5]

---

(١) قوله: «على الناس» سقطت من المطبوع.

(٢) انظر عمدة الطالب ٢٨٢.

(٣) سقطت من المطبوع.

(٤) انظر مقدمة العلامة الدكتور مصطفى جواد لكتابه «مختصر التاريخ».

(٥) هو غير المختصر المطبوع، وهو من مصادر هذا الكتاب، ومن مصادر الذهبي في كتابه العظيم «تاريخ الإسلام».

وعَمِلَ كتاباً في الاختيارات[1] سلَك فيه طريقة ابن حَرَّاز في الاختيارات التي عَمِلها لشرف الدين إقبال الشرابي، وكَتَبَ خطاً جيداً، وتجاوز في العُمُر ثمانين سنة.

(١) هو الذي يبحث في أحكام كل وقت وزمان من الخير والشر، وأوقات يجب الاحتراز فيها عن ابتداء الأمور، وأوقات يستحب فيها مباشرة الأمور، وهو من فروع التنجيم، نسأل الله العافية (انظر كشف الظنون١/ ٣٤).

سنة

ثمان وتسعين وست مئة

فيها، سار السُّلطان غازان إلى العراق وجعلَ طَريقه على جُوخَا[١] وسَيَّرَ بعضَ العَسْكر إلى بطائح واسط، فَحَصروا الأعْراب وأكثروا القَتْل فيهم والنَّهْب والسَّبي وغَنِموا أمْوالَهم، وعَيَّنَ جماعةً لملازمة أعمال واسط ومَنْع مَن تَخَلَّفَ من العَرَب عن الفساد.

ثم توجه إلى الحِلّة وقَصَد زيرةَ المشاهد الشَّريفة وأمرَ للعلويين والمُقيمين بها بمالٍ كثيرٍ. ثم أمر بحفر نهرٍ بأعلى الحِلّة، فَحُفِر وسُمِّي النَّهر الغازاني[٢] تَوَلَّى ذلك شمس الدين صواب الخادم السّكورجي

(١) جُوخا: بضم الجيم وقد تفتح، ناحية قديمة تردد ذكرها في عصر ما قبل الإسلام، بوصفها تقع على الشاطىء الشرقي لنهر دجلة، فلما غير هذا النهر مجراه في عهد كسرى أبرويز، خربت بعد أن كانت أعمر السواد (التنبيه والاشراف ٣٦ ومعجم البلدان) وتقع في شرقي واسط. وذكر الدينوري أنها تمتد إلى جلولاء وإلى طسوج نهر بوق، وطسوج كلواذى (الأخبار الطوال ٧٥) أي إلى نواحي بغداد الشرقية والجنوبية.

(٢) النهر الغازاني: ذكر عبدالله بن فضل الله في تاريخه المسمى «وصاف الحضرة» أنَّ غازان أمر بتجديد نهر العَلْقمي وتقريب مأخذه من الفُرات، فبثروا أعالي مجرى النهر، واوصلوا القسم الآخر بالنهر الذي حفره غازان من فرات الحلة، ولم يستسيغوا بقاء اسم العلقمي على هذا النهر ولا سيما وقد طرأ عليه الكثير من التغيير والتبديل، فاطلقوا عليه اسم (الغازاني) تخليداً لذكرى حافره غازان. (عبدالحسين آل طعمة: بغية النبلاء في تاريخ كربلاء ص٩٥).

وغرسُ الدولة ابن. . .[1] ، ثم سارَ إلى بغداد، وأمَرَ بالإحسان إلى الرَّعية وزادَ في العَدْل والرأفةِ بهم، وأمَرَ أن يُصَفَّى الذَهَب والفِضَّة من الغِش ويُبالغ في ذلك[2] ، وتُضْرَب الدَّرَاهم مُتساوية الوَزْن ليتعامل بها النَّاسُ عَدَداً، يكون وزن الدِّرْهم نصف مِثْقال، وعُمِلَت دراهم وزن الدرهم منها ثلاثة مثاقيل، ومثقال يخرج بنسبة ذلك، ويكون كل مثقال من الذهب بأربعة وعشرين دِرْهماً. وضُرِبَ من الذَّهَب أشياء مُختلفة الوَزْن خمسة مثاقيل، وثلاثة مثاقيل، مثقالان ومثقال، ونصف مثقال، وربع مثقال، وأمر أن يُعْمَل ذلك في جَمِيع الممالك، فَعُمِل وانتفعَ النَّاسُ به، ثم عادَ في زمن الرَّبيع إلى بلاد الجَبَل.

ووصل من بلاد الشام أميرٌ اسمه قبجاق[3] هارباً من سُلطان مصر ملتجئاً إلى ظل السُّلطان غازان، فأنعمَ عليه وأمَرَ له ولأصحابه بمالٍ وثيابٍ وخَيْلٍ وجمال، وسارَ في جُملة الأُمراء إلى بلاد الجبل.

وعُقِدَ ضمان العراق على الملك إمام الدين يحيى القَزْويني البَكْري واستقل بالحُكْم فيه وكُفَّتْ يَد الشيخ جمال الدين إبراهيم ابن السَّواملي.

وفيها، أُعيد عمادُ الدين البَصْري إلى قضاء القُضاة ببغداد، وقد تَقَدَّمَ ذكر ما جَرَى له واعتصامه ببطائح واسط، فلما قُتِلَ صاحب

(١) بياض في الأصل.
(٢) هذا الخبر ذكره الذهبي في تاريخه (الورقة ٣٣٢ من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٣) وقع في المطبوع: «نجاق» مُصحف، وهو قبجق. وقد ذكر الذهبي قصة انفصاله إلى غازان بتفصيل في «تاريخ الإسلام» (الورقة ٣٣٣من مجلد أيا صوفيا٣٠١٤).

الدِّيوان صدر الدين ظَهَرَ وقَصَدَ الأُردو المُعَظَّم وعَرَضَ حالَهُ على الوُزراء، فأعادوه على القضاء، فوصل بغدادَ في صَفَر.

وفيها، وَثَبَ الأُمراء بمصر على حُسام الدين لاجين سُلطان مصر والشام فَقَتَلُوه[1]، وسبب ذلك: أنه أساءَ السِّيرة فيهم وقَتَل كثيراً منهم ليتوطد مُلْكه، ثم اتفقوا على إعادة الصَّبي المُلَقب بالملك النَّاصر وهو أخو الأشرف الذي خلعه كَتْبُغا - كما تقدم ذكره - فامتنعت والدته من ذلك وامتنع هو أيضاً، فلم يلتفتوا إليهم وأجلَسُوه على التَّخت صورة، وتولوا تدبير المُلْك، وكان قد هَرَب من الأمراء قَبجاق[2] خَوْفاً على نفسه من لاجين وقَصَدَ السُّلطان غازان وكان ببغداد، فأنْعَمَ عليه وأمرَمَهُ، وكان انهزامه قبل أن يُقتل لاجين، فلما عرفَ الأُمراء انهزامه أرسلوا إليه يُعَرِّفونه ذلك وكتبوا إليه بعلائم كانت بينهم، فلم يثق بصحة قولهم ولا رجع إليهم.

وفيها، بلغ نجم الدين إيلغازي صاحب ماردين أنَّ وزيرَهُ المعروف بابن المرأة قد عَمِلَ في هلاكه وإقامة بعض إخوته، فأمر بقتله فَقُتِلَ.

وفيها، كان في بلاد فارس قَحَط وَوَباء مات فيه خَلْقٌ كثيرٌ خُصوصاً بشيراز.

وفيها، أغارت طائفة من عَسْكر الشام على ماردين فَنَهَبُوا ريفَها وعادوا بقية يَوْمهم.

---

(١) انظر تاريخ الإسلام، الورقة ٢٨٠-٢٨٢ و٣٣٢من مجلد أيا صوفيا (٣٠١٤).

(٢) تصحف في المطبوع إلى: «قنجاق».

وتوفي، ببغداد جمال الدين ياقوت[1] المُسْتَعصِمِي الكاتب. كان أديباً عالماً فاضلاً شاعراً، بلغَ من الخط غاية كما بلغها ابنُ البواب، كان قد اشتراه الخليفة المُسْتَعصم صغيراً وربي بدار الخلافة، واعتنَى بتعليمه الخط صفي الدين عبدالمؤمن، ثم كَتَبَ على الشيخ ابن حبيب[2]. وكَتَبَ عليه أبناءُ الأكابر ببغداد، وحَظِيَ عند عَلاء الدين ابن الجُويني صاحب الديوان وكَتَبَ عليه أولادُه وابنُ أخيه شرف الدين هارون. وله الأشعار المُسْتَحسنة الرائقة التي جَمَعت من الأوصاف ما تَفَرَّق في جميع الاشعار وذلك قوله[3]:

بدا بوجه مُخْجِلٍ   شَمْسَ النهار المشرقَهْ
في أذنه لؤلؤة   كأنها والحلقَهْ
قد أخذت في وردةٍ[4]   بالياسمين مُلْحَقهْ

وله يهنئه بعيدٍ:

همَّك إسعاف وإسعادُ   قَدُمت تزدان وتَزْدادُ
ما العيد في عَصْرك مُسْتَظرفاً   جَميع ايامك أعيادُ

وله:

---

(١) وفيات الأعيان ٦/١١٨، والزركشي ٣٤٢، وتاريخ الإسلام، للذهبي، الورقة ٢٨٢(أيا صوفيا٣٠١٤)، والبداية والنهاية ١٤/٦، ومنتخب المختار لابن رافع ٢٣٣، والنجوم الزاهرة ٨/ ١٨٧، وفوات الوفيات ٤/ ٢٦٣، وغيرها.

(٢) قال الذهبي: «وقد كتب على الزكي عبدالله بن حبيب، وصفي الدين عبدالمؤمن صاحب الموسيقي».

(٣) الأبيات في فوات الوفيات باختلاف لفظي يسير.

(٤) في الفوات: «قداحة في وردة».

صَدَّقتُم فيَّ الوشاة وقد مَضَى[1] في حبكم عُمري[2] وفي تكْذيبها
وزعمتُم أني مللتُ حديثكم مَن ذا يملُّ من الحياة وطيبها

وله:

لقد قَدِمَت بمَقْدَمك الأماني فدمت لها مليك مَدَى الزَّمان
تُمَوِّلُ مُمْلقاً وتُريش عارٍ وتُؤْمِنُ خائفاً وتَفُكُّ عانِ
ويَجْنِي من جَنَابِكَ كُل عانِ وتَعْفُو عن جنايةِ كُلّ جانِ

وله:

أتعتقدونَ أنَّ المُلْكَ يبقَى وأنَّ العيشَ في الدُّنيا يدومُ
ولا يَجْرِي الزوال لكم بِبَالِ كأنَّ الموتَ ليسَ له هُجُومُ
فهبكُم نلتُم ما نالَ كِسْرَى وقَيْصرُ والتَّبابعة القُرومُ
ومُتِّعتُم بذلك عُمر نُوحِ وحَفَّتْكُم بأسْعدها النُّجومُ
أليسَ مصير ذاكَ إلى زوالِ لَعَمْر أبي لقد هَفت الحُلُومُ

وله:

أراك فأغضي الطَّرْف عنكَ مخافةً عليكَ وعندي مِنْكَ داء مُخامرُ
يزيدُ على مَرّ الجَدِيدين جِدَّةً وليسَ ببالِ يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: «حظى» وما في المخطوط يعضده ما في الفوات.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: «غيري».

سنــة

تسع وتسعين وست مئة

فيها، سار السُّلطان غازان إلى بلاد الشام، حيثُ بَلَغَهُ ما فَعَلُوا بأهل ماردين في السنة الماضية من النَّهْب، وكان قَبْجاق أحد أُمراء الشَّام الذي اتصل بعبوديته عنده، فَحَسَّنَ له ذلك وعَرَّفه ضَعْفَهم عن لقائه، فلما قرب من حَلَب راسَلَ واليها ودعاهُ إلى طاعتِهِ، فأجابَ إلى ذلكَ وسأل أن يُمْهَلْ إلى أن يملك الشَّام، فتركَهُ وسارَ إلى حِمْص فلما قاربها لقيته الجُيوش المِصْرية فاقتتلوا ساعةً فلم يَثْبت المِصْريون وانهزموا راجعين[1] ، فغنم عَسْكر السُّلطان سَوَادَهم وسارَ السُّلطان إلى دمشق، فنزلَ بظاهرها وتَصَدَّق بحق دماء أهلها وأَمَّنَهُم على أموالهم، فلم يعرض أحد من العَسْكر للرعية بنهب ولا غَيْرِه[2] واحتوى على ما في القلعة من الأموال والذخائر[3] ، ورتب في دمشق الأمير قَبجاق

(١) هي الوقعة المشهورة في وادي «الخزندار» انظر تفاصيل ذلك في تاريخ البرزالي «المقتفي»، و«تاريخ الإسلام» للذهبي، والبداية لابن كثير ففيها تفاصيل ممتازة.

(٢) بل فعل جنده الأفاعيل القبيحة في دمشق مما شاهده المؤرخون المعاصرون، ومنهم البرزالي والذهبي.

(٣) هكذا قال، ولم يستطع الاستيلاء على القلعة، بل ثبت فيها متوليها علم الدين أرجواش ثباتاً لا مزيد عليه، يساعده المجاهد العظيم شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله وأصحابه.

المَـذْكـور وجعـلَ عنـده الأمير مـولاي فـي عشـريـن ألـف فـارس، وعـادَ السُّلطان إلى المَوْصل يريد مقر مُلْكه، فلما عرفَ قَبْجاق أنَّ السُّلطان قد بعد عن الشام أرسلَ إلى مولاي يقول له: إني أكلتُ من نِعْمة القان وشَمَلَني إحسانه وإنعامهُ ورحمته ولا يجوز لي الغَدْر بأصحابه، وقد وَصَلت عَسَاكر سلطان مِصْر وأعرف أن لا طاقةَ لك بهم، والرأي أن تَرْحل إلى العراق. فرحل ولم يلبث فخلت البلاد لقَبْجاق فكاتَبَ الأُمراء بمصر يُعَرِّفهم ذلك، فَسَيَّروا إليه جيشاً خَوْفاً من عَود مولاي أو غيره، فلما بلغَ السلطان غازان ما اعتمده قَبْجاق تَجَهَّزَ للمسير إلى الشام في سنة سبع مئة.

وفيها، توفي عز الدين دولة شاه الصَّاحبي العلائي بِلُرستان، وكان مُسْتَتراً هناك بسبب بقايا تَخَلَّفت عليه من ضَمان الحلة، فلما تُوفِّي حُمِلَ إلى تُربة أخيه الملك ناصر الدين قُتلغ شاه بمشهد سَلْمان الفارسي[1] رضي الله عنه.

(١) تقدم في حوادث سنة ٦٨٨(ص٤٩٦) أنه قتل بتبريز وحملت جثته إلى بغداد، فدفنت في هذه التربة، وهو غير قتلغ شاه الآتي ذكره في السنة الآتية.

سنة

سبع مئة

في المحرم، سارَ السُّلطان غازان إلى بلاد الشام في جيوش تملأ الفَضَاء لا تُحْصَى كثرةً فرَّقَهُم في طرقٍ شَتَّى، وسارَ هو على المَوْصل وعَبَرَ الفُرات، فلقيت مقدمته طائفةً من عَسْكر الشام، فقاتلُوهم فانهزمَ الشاميون وغَنِم المَغُول سوادَهم وَقَتَلوا خَلْقاً كثيراً وأسروا، فتفقَ تواتر الغُيوث وشِدّة البَرْد ودوام ذلك حتى امتنعوا من الحَرَكة وتلفت خُيولهم وقَلَّت المِيرة عليهم فَجَعَل السُّطان على الجُيوش الأمير قُتلغ شاه[1] وتَوَجه إلى سِنْجار، فأقامَ قُتلغ شاه إلى رَجَب فلم يخرج إليه أحد من عَسْكر الشام ومصر، فأنْهَى ذلك إلى السُّلطان فأذِنَ به في العَوْد ورحل السلطان من سِنْجار عائداً إلى بلاده.

وفيها، توفي المَلَك إمام الدين يحيى البَكْري القَزْويني صاحب ديوان بَغْداد بالحِلّة وحُمِلَ إلى بَغْداد ودُفِنَ في تُرْبةٍ عَمِلَها في مدرسته بدرب فَرَاشا، وأُقيم ابنه افتخارُ الدين في العراق مَقَامة.

---

(١) كان من كبار قواد غازان ثم خربندا، ذكره ابن حجر في الدرر فقال: «قطلو شاه الططري، كان أحد أكابر المغليين... قتل في أيام خربندا لما أغزاه بلاد كيلان... وكان ذلك في أول سنة ٧٠٧» (٣/ ٣٣٩).

فهارس الكتاب

المترجمون

الأعلام

الكتب المذكورة في المتن

الأمكنة والبقاع

المترجمون

على حروف المعجم

(١) هكذا ورد في الأصل، وصوابه: يونس بن ممدود، كما بيناه في تعليقنا عليه.

الأعلام

فهرس الكتب المذكورة في المتن

فهرس الأمكنة والبقاع(١)

---

(١) أكثر أسماء المواضع المذكورة في هذا الفهرس هي مواضع ببغداد، ولاسيما الأبواب، والبساتين، والترب، والجوامع، والدور، والدروب، والربط، والأسواق، والقصور، والمدارس، والمساجد، والمشاهد، والمقابر، فلم نشر إلى كونها ببغداد، بل أشرنا لما سواها.

الفهرس الحضاري

ويشمل على الأقوام، والملل، والوظائف، والأطعمة، والملابس، والضرائب، وطبقات المجتمع، والمصطلحات ونحوها



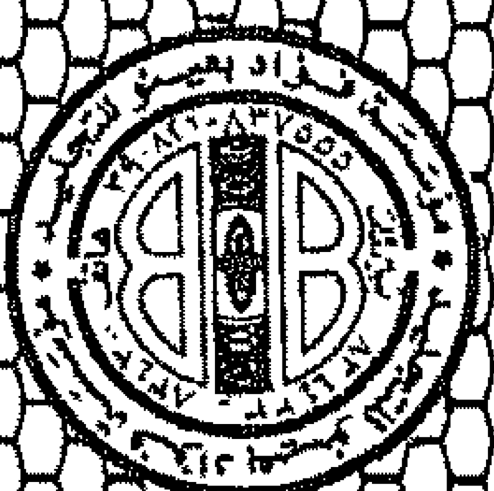
دار الغرب الإسلامي

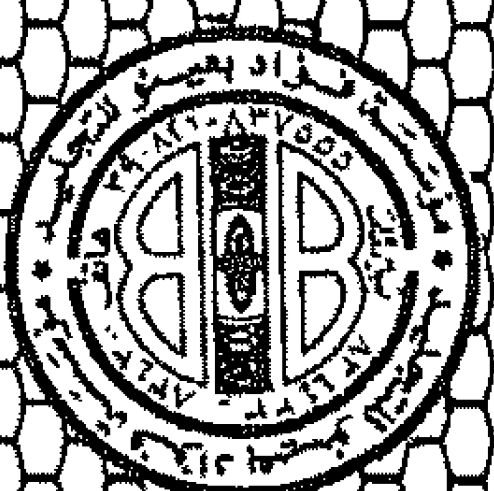
بيروت - لبنان
لصاحبها : الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود
تلفون: Tel: 009611-350331 / خليوي: Cellulaire: 009613-638535
فاكس: Fax: 009611-742587 / ص.ب. 113-5787 بيروت ، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم 310 / 2000 / 2 / 1997

الطباعة : دار صادر، ص.ب. 10 - بيروت





KITĀB AL-ḤAWĀDITH

par
Un anonyme du 8e/14e siècle
(assimilé à Ibn al-Fuwaṭī)

texte établi et commenté
par
Bashshār 'Awwād Ma'rūf *et* Imād Abdessalām Ra'ūf







DAR AL-GHARB AL-ISLAMI